
THE STARGATE CHRONICLES
MEMOIRS
OF A
PSYCHIC SPY
JOSEPH
McMONEAGLE

مذكرات جاسوس نفسي

تأليف: جوزيف مكمونيغل

ترجمة : مجموعة Epsilon

ملاحظة المترجم :

يتناول كتاب "مذكرات جاسوس نفسي" رحلة المؤلف جوزيف ماكمونيغل في تطوير وتطبيق تقنية الاستشعار عن بعد، وهي تقنية منظمة للوصول إلى معلومات الأهداف البعيدة. يؤكد ماكمونيغل على أن الوعي المحدود ليس سوى حاجز، وأن العقل الباطن هو المصدر غير المحدود للمعرفة الحدسية، مشدداً على ضرورة تعلم "لغة العقل" لتجاوز حاجز الأنا. يقدم الكتاب تسلسلاً هيكلياً لمستويات الإدراك التي يمر بها المستشعر، بدءاً من الانطباعات الكلية البسيطة وصولاً إلى التفاعل مع الواقع الآخر والمفاهيم المجردة. يشارك المؤلف تجاربه الاستثنائية كجاسوس نفسي في المخابرات العسكرية الأمريكية، ويُفصّل الأحداث الشخصية التي عززت قدراته، مثل تجربته القريبة من الموت. كما يوضح الكتاب البروتوكولات العلمية الصارمة (مثل التعمية المزدوجة) وقواعد الاستهداف لضمان موثوقية المعلومات المكتسبة. أخيراً، يستعرض المؤلف الأسئلة الأخلاقية المتعلقة بغزو الخصوصية واستخدام هذه القوة، مختتماً بنظريته القائلة بأن الاستشعار عن بعد قد يكون عملية إرسال معلومات من الذات المستقبلية إلى الذات الحالية.

إصدار بانتا راي

"بانتا راي" هي علامة تابعة لـ "كروسرود برس" (Crossroad Press).

الطبعة الرقمية نشرتها "كروسرود برس"

تعرَّف على المؤلِّف

جوزيف دبليو مكمونيغل، رئيس ضباط الصف الثاني، متقاعد من القوات البرية للولايات المتحدة.

كرَّس "جو" مكمونيغل السنوات الأربع والثلاثين الماضية من حياته المهنية لتطوير خبرته كـ "مشاهد عن بُعد" وباحث في العالم الفريد لما وراء الطبيعة. لقد انضم إلى هذا المجال بخلفية غنية في البحث والتطوير للعديد من أنظمة جمع المعلومات التقنية متعددة المستويات، المصممة لصالح استخبارات الجيش الأمريكي. يتركز مجال خبرته التعليمية تحديداً في العلوم الاجتماعية والنفسية. وتشمل خبرته أيضاً: إدارة تكنولوجيا ومعدات المعالجة الآلية للبيانات، وتحليل أنظمة البيانات للحواسيب المركزية والصغيرة وأنظمة الحواسيب المكتبية لدعم جمع المعلومات لأغراض الاستخبارات العسكرية والمدنية.

هو مالك شركة "تطبيقات الذكاء البديهي"، التي أسسها بعد تقاعده من الجيش في عام 1984. وقد قدمت شركته الدعم للعديد من مرافق الأبحاث والشركات حول العالم. وهو أيضاً باحث مشارك بدوام كامل في مختبرات الأبحاث الأساسية، ومختبر العلوم المعرفية، بمدينة بالو آلتو، كاليفورنيا، لأكثر من 30 عاماً. كما عمل مستشاراً لـ "معهد ستانفورد للأبحاث الدولية" و"مؤسسة سِاينس أبليكيشنز إنترناشيونال" في الفترة ما بين 1984 و1995، حيث شارك في تصميم البروتوكولات، وتقييمات البحث والتطوير، وآلاف التجارب للمشاهدة عن بعد لدعم كل من الأبحاث التجريبية والعمليات الاستخباراتية النشطة ضمن مشروع ستارغيت.

خلال مسيرته المهنية، قدَّم "جو" دعماً استخباراتياً وابتكارياً مهنياً لوكالات عديدة، بما في ذلك وكالة الاستخبارات المركزية، ووكالة استخبارات الدفاع، ووكالة الأمن القومي، وإدارة مكافحة المخدرات، والخدمة السرية، ومكتب التحقيقات الفيدرالي، ومجلس الأمن القومي، والقيادات الكبرى داخل وزارة الدفاع، ومئات الأفراد والشركات والمؤسسات الأخرى. وقد نجح في إثبات قدرته على الرؤية عن بعد(الاستبصار)، في ظروف اختبار "التعمية المزدوجة" وتحت رقابة علمية صارمة، أمام الكاميرات لشبكات وطنية في خمسة بلدان أكثر من 85 مرة.

في الجيش، كان مسؤولاً عن تخصصه العسكري في جميع أنحاء العالم. وكان مسؤولاً عن جميع المعدات والمهام التكتيكية والاستراتيجية، والطائرات والمركبات، وتطوير التكنولوجيا الجديدة أو المستقبلية، وكذلك جميع التخطيط والدعم والصيانة والتمويل والتدريب والأفراد. عمل كمستشار مباشر للقائد العام للقيادة الأمريكية للاستخبارات والأمن في واشنطن، وكذلك لرئيس أركان الجيش للاستخبارات في البنتاغون.

في سنواته الأولى، ساعد ضابط الأمن لمنشأة استخبارات خارجية بمليارات الدولارات، وعمل كقائد مفرزة في موقعين نائيين لجمع الاستخبارات في الخارج، وخدم في فريق للإنقاذ الجوي والبحري، وفي الاستطلاع بعيد المدى، وكقائد فريق للقوات الضاربة للرد السريع، وكمقاتل في مناطق الحرب. وقد حصل على 28 وساماً عسكرياً والعديد من الجوائز، بما في ذلك وسام الاستحقاق لخدمته في الرؤية عن بعد لصالح مجتمع الاستخبارات الوطني، ويحمل رتبة فارس قائد في وسام القديس ستانيسلاس.

قائمة الكتب

- مذكرات جاسوس نفسي: الحياة الاستثنائية للمشاهد عن بعد الحكومي الأمريكي رقم 001
- رحلة العقل: استكشاف الوعي والوقت والفضاء من خلال الرؤية عن بعد
- أسرار الرؤية عن بعد: كتيب إرشادي
- سجلات ستارغيت
- آلة الزمن النهائي: تصور المشاهد عن بعد للوقت وتنبؤات الألفية الجديدة

اكتشف "كروسرود برس"

- زرنا على الإنترنت
- اشترك في نشرتنا الإخبارية
- زر مدونات كتبنا الرقمية والصوتية للحصول على التحديثات والأخبار
- تواصل معنا عبر "فيسبوك"
- انضم إلى مجموعتنا على "غودريدز"

مذكرات جاسوس نفسي

جدول المحتويات

مقدمة

إن "سجلات ستارغيت" [العنوان للطبعة الأولى] هي توثيق مكتوب ببراعة لموضوع استفزازي جداً. يُظهر مؤلفها تغلغلاً نفسياً متعمقاً ورائعاً للأنشطة الخارقة للعقل. إن بداياته المتواضعة في الحياة، المقترنة بالعديد من العقبات والتضحيات التي قُدمت خلال مسيرته العسكرية، بالإضافة إلى الظروف الصحية المهددة للحياة، ربما منحته هذه الموهبة المذهلة وغير العادية، وهي القدرة على سرد هذه القصة التي تجلب المجهول إلى الواقع.

إنه أمرٌ لا بد منه للقراءة للجميع، ثم التوقف والتفكير في الغموض الكامن بداخله.

أولئك الذين لا يملكون عقلاً مغامراً منفتحاً على التحدي أو غير المألوف، وأولئك غير المستعدين لاستكشافه، قد يصنفون "سجلات ستارغيت" على أنها مجهود بلا طائل. فالأشخاص السطحيون أو غير المطلعين يتركون أسرار الحياة على أنها مجرد أسرار. ولكن بالنسبة لأولئك الذين يملكون عقولاً استقصائية، فإن التجارب الخارقة للطبيعة التي يصفها المؤلف تقود إلى استكشاف أسئلة محيرة. يجب الاعتراف بجوزيف مكمونيغل كرائد في هذا المجال، تماماً كما كان رواد فضاءنا الذين عبروا أبعد حدود الفضاء الخارجي التي لا يمكن تصورها.

——العميد ل. روبرت كاستور——

..الجيش الأمريكي للمشاة، متقاعد..

ما هي الرؤية عن بعد؟

الرؤية عن بعد هي قدرة بشرية على إنتاج معلومات حول هدف محدد، سواء كان شيئاً أو شخصاً أو مكاناً أو حدثاً، مع البقاء في عزلة تامة عن الهدف بفواصل من الفضاء والوقت وأشكال الحجب الأخرى. يُضمن هذا العزل باتباع بروتوكول علمي دقيق للغاية. وقد طُوِّر هذا البروتوكول في معهد ستانفورد للأبحاث في أوائل السبعينات، وأصبح أكثر صرامة وتحديداً منذ ذلك الحين.

لا يُعتبر الأمر مشاهدة عن بعد إلا عندما يكون المشاهد عن بعد وأي شخص آخر معه في الغرفة معزولين تماماً عن رؤية الهدف المحدد، سواء كان شيئاً أو شخصاً أو مكاناً أو حدثاً مثيراً للاهتمام. يجب أن يظلوا معزولين عن معرفة الهدف قبل وأثناء إنتاج المعلومات. في المصطلحات العلمية، يُطلق على هذا اسم حالة "التعمية المزدوجة". أي أن المشاهد وجميع الأشخاص المرتبطين به غير مدركين للمادة المستهدفة. لا توجد استثناءات لهذا البروتوكول.

تُسمى التقنية أو النظام المحدد المستخدم لإنتاج المعلومات "منهجية". صُممت منهجيات محددة للاستخدام ضمن بروتوكول الرؤية عن بعد. ومع ذلك، بغض النظر عن المنهجية المستخدمة، لا تُعتبر المنهجية أبداً بديلاً مقبولاً للبروتوكول.

في اللغة العامية، يُشار أحياناً إلى بعض المنهجيات التي طُوِّرت للاستخدام ضمن بروتوكول الرؤية عن بعد باسم "الرؤية عن بعد". هذا غير دقيق أو مناسب. إن استخدام مثل هذه المنهجيات خارج بروتوكول صالح لا ينتهك تعريف ما يجعل العمل النفسي "مشاهدة عن بعد" فحسب، بل ينتهك أيضاً تصميم المنهجيات ونواياها.

إذا جرى أي استثناء للبروتوكول أثناء التدريب على أي تقنية أو منهجية، فإنه يُعتبر "منهجية تدريب" وليس بروتوكول مشاهدة عن بعد صالحاً.

يُعتبر الأداء النفسي، الاستبصار، الإدراك فوق الحسي، والمنهجيات أو التقنيات الأخرى، مشاهدة عن بعد عندما يكون الشخص الذي يستخدم هذه المنهجيات وجميع من معه في الغرفة أثناء إنتاج المعلومات معزولين بشكل مضمون عن الهدف المحدد. إذا كان الجميع معزولين عن الهدف، فإنهم يلبون متطلبات بروتوكول الرؤية عن بعد.

مقدمة لطبعة الغلاف الورقي لعام 2006

لقد مر بعض الوقت منذ الإصدار الأصلي لهذا الكتاب في أوائل عام 2002، وحدث الكثير. ما أجده مثيراً للاهتمام بشكل خاص هو العدد المتزايد من الكُتاب، سواء على الإنترنت أو خارجها، الذين يدَّعون أنهم كانوا أعضاء في برنامج ستارغيت بينما لم يكن لهم أي علاقة به، أو أولئك الذين كانت لهم صلة عابرة ويدَّعون الآن قدرات أعظم بكثير مما يمكن أن يمتلكه أي إنسان بعد عمر كامل من الانخراط في الأداء النفسي. حتى أن البعض زعموا أنهم طوروا خبرة بحثية كافية في ستة أو سبعة أشهر لحل سحري لمشكلات حيرت الباحثين والمحققين المطلعين لما يقرب من 30 عاماً. القليل منهم - الموهوبون بإمكانية الوصول إلى المعلومات الداخلية بحكم المنصب، أو ربما بالصدفة - استسلموا للعبء الثقيل للأنا، ويقومون الآن بالتلاعب بالجمهور غير المدرك لبيع جرعات سحرية، أو يكذبون بالإغفال - متجاهلين حقائق مهمة كان يجب ذكرها - مما يزيد من ارتفاع منبرهم في نظر الجمهور. نعم، لقد حدث الكثير؛ ومعظمه غير واقعي.

لأي سبب كان، يبدو أن موضوع الرؤية عن بعد قد تطور ليصبح ذا شخصية منقسمة: جانب جيد وآخر سيئ. في الجانب الجيد، تمنحنا الرؤية عن بعد القوة وتُعلِّمنا شيئاً عن قدراتنا العقلية وحساسيتنا للبيئة التي نعيش فيها. إذا انتبهنا جيداً، يمكننا معرفة المزيد عن كيفية معالجتنا للمعلومات وكيف تتشابك بدقة في إطار الزمن الذي نوجد ونعمل فيه؛ وكيف يرتبط الماضي والحاضر والمستقبل ببعضهم البعض. ولكن، لسوء الحظ، هناك جانب سيئ، جانب مليء بالمسارات الجانبية التي لا تقود إلى أي مكان. ومن المؤسف أن هناك الكثير من المسارات الجانبية والكثير من الأشخاص الذين يستخدمونها لكسب المال.

بدلاً من محاولة كسب العيش من بيع تدريب الرؤية عن بعد، اخترت أن أستخدمه لدعم الأفراد والشركات والشرطة وأولئك الذين يحتاجون إليه. أنشأت شركة أسميتها "تطبيقات الذكاء البديهي" في أوائل الثمانينات وبدأت في تقديم الرؤية عن بعد كخدمة. أحد الضمانات التي اخترت تقديمها هو عدم الكشف أبداً عن اسم العميل أو التحدث عن العمل الذي قمت به لأي من هؤلاء العملاء. من الواضح أن هذا خلق مشكلة فورية. بما أنني لم أُعلِّم الرؤية عن بعد ولم أتحدث عما فعلته لعملائي، لم تكن هناك معلومات كثيرة متاحة عني أو عن عملي. لتصحيح هذه المشكلة، قررت أن أفعل ما لم يفعله الآخرون - قمت بإثباتها، وفعلت ذلك علناً.

بدءاً من برنامج خاص على قناة "إيه بي سي" في نوفمبر 1995، أثبتُّ أكثر من 95 عملية مشاهدة عن بعد مباشرة وأمام الكاميرا على التلفزيون الوطني في ستة بلدان. وقد شمل ذلك البحث عن 28 شخصاً مفقوداً وُضِعت أسماؤهم داخل أظرف مغلقة واستهُدفوا من منزلي في فرجينيا. كان العديد من هؤلاء الأفراد مفقودين لمدة تتراوح بين 10 و 63 عاماً. وكانوا جميعاً مفقودين في اليابان. حتى الآن، نجحت في تحديد مكان 11 من هؤلاء الأفراد، وقد اجتمعوا بعائلاتهم. معدل نجاحي الإجمالي لتسعين هدفاً يتجاوز حالياً 60 بالمائة، وكلها صُورت ببروتوكول علمي أمام جمهور حي.

كيف تصل إلى نقطة يمكنك فيها الرؤية عن بعد أمام جمهور تلفزيوني حي؟ يمكنني أن أقول: تدريب، تدريب، تدريب؛ لكني سأكون كاذباً. هناك ما هو أكثر بكثير من ذلك.

عندما التحقت بالجيش لأول مرة وتم تجنيدي في الاستخبارات العسكرية، لم يكن لدي أي فكرة أنني في مرحلة ما من مسيرتي المهنية سيُطلب مني المشاركة كشخص يمتلك قدرة نفسية في الدفاع عن أمتي. قضيت أكثر من 12 عاماً في الخارج أفعل أشياء لن يتطوع معظم الناس للقيام بها في وقت لم يكن فيه معظمهم ليقدموا على فعلها. وكنت أيضاً أعيش عادة في ظروف غير سارة. (ليس أنني سأشتكي. لقد جئت من حي كانت فيه ظروف معيشتي في بعض الأحيان أسوأ). كانت معظم واجباتي غير سارة وصعبة في أحسن الأحوال، وساهمت في تدمير زواجين، لكني كنت أقوم عادة بمهام منحتني ارتياحاً شخصياً كبيراً وردود فعل فورية هائلة. لذلك عندما طُلب مني التطوع للخدمة في برنامج ستارغيت، علمت منذ البداية أنه لن يكون صعباً فحسب، بل سيكون أيضاً... شائكاً. كما اتضح، كنت على صواب جزئياً فقط - لقد كان أسوأ بكثير.

من الصعب وصف السخرية والاستهزاء الذي واجهته أثناء الاتصال بأفراد خارجيين على أساس أسبوعي. على الأقل داخل المشروع كانت هناك قواعد - بروتوكول واحد وبسيط، ذو أصل علمي، طُوِّر في الأصل في معهد ستانفورد للأبحاث الدولية. هذا البروتوكول لا يزال متبعاً اليوم. هذا هو ما يُميز الرؤية عن بعد عن الأداء النفسي. يُنص ببساطة: "يُبقى الشخص ذو القدرة النفسية معزولاً تماماً عن الهدف، وأي شخص آخر قد يكون في الغرفة مع هذا الشخص يُبقى معزولاً أيضاً عن الهدف". أي شيء آخر هو مجرد منهجية ولا يهم حقاً - أنا ببساطة لا أهتم بالجدل.

بالطبع، هناك الكثير من المواد الأخرى في هذا الكتاب. معظمها قصة عن شاب التحق بالجيش في وقت لم يكن فيه ذلك شائعاً؛ تطوع للخدمة في جنوب شرق آسيا في وقت لم يكن فيه أي شخص آخر يريد ذلك؛ قضى وقتاً أطول في الخارج مما قضاه في وطنه، يقاتل في مهمة نشطة في حرب باردة. ثم، عندما عاد إلى وطنه، تطوع للعمل في مشروع سري مليء بالجدل الكبير، يؤدي تحت ضغط هائل لدعم كل وكالة استخبارات رئيسية في أمريكا، بما في ذلك وكالة الاستخبارات المركزية، ووكالة الأمن القومي، ومجلس الأمن القومي، ووكالة استخبارات الدفاع، وإدارة مكافحة المخدرات، ومكتب التحقيقات الفيدرالي، ووزارة الدفاع، والخدمة السرية، والبيت الأبيض. كان الذهاب إلى العمل كل يوم مثل خوض عراك بالسكاكين في كشك هاتف.

هذا ليس كتاباً عن موهبة عالمية تكون على صواب بنسبة 95 بالمائة من الوقت. إنه عن موهبة حقيقية تفشل أحياناً بقدر ما تنجح. إنه ليس عن ما يمكنك شراؤه من شخص ما أو تدريسه، بل عن ما يحمله الجميع في داخلهم، ما يولد به الجميع وهو طبيعي مثل التنفس أو المشي. هذا الكتاب يتعلق باستكشاف حدود الذات بقدر ما يتعلق بالمقاومة وتحدي المرء لقيوده الخاصة. إنه لا يتعلق بتشريح أسرار كيفية عمل الرؤية عن بعد. حتى الآن، فشل 100 عام من البحث في كسر الشفرة، لذلك أشعر أن هذا لن يحدث على الأرجح في وقت قريب. وغني عن القول، إن هذا الكتاب يدور حول الدفاع عن شيء ما ببساطة لأنه التصرف الصحيح، على الرغم من أن الآخرين يسخرون منه تلقائياً. ولكن لماذا - لماذا هو التصرف الصحيح؟

لا يستغرق الأمر وقتاً طويلاً للنظر حولنا ورؤية أننا كأمة في ورطة خطيرة. منذ 11 سبتمبر 2001، أصبحنا تحت تهديد إرهابي مروع ومتزايد. بعد أن قضيت 28 عاماً من حياتي في محاربة الإرهاب، لدي قلق جدي بشأن ما يجري حالياً لمواجهة هذا التهديد المتنامي. إذا توقف المرء للحظة ليركز عبر سحب الموقف الدفاعي والسياسي، والإحراج الشخصي، والتعزيزات السمعية بدوافع سياسية التي تحدث على جانبي الجدالات المستمرة، فإن أحد الأشياء الأولى التي سيلحظها هو أن وجه الحرب والعالم قد تغير بشكل كبير وأن طريقتنا في التعامل معه لم تتغير.

نحن نتحرك نحو فترة يجري فيها تطوير أساليب جديدة للحرب، وسيتم استخدام هذه الأساليب ضدنا بالفعل، ولا أتحدث هنا عن بعض التكنولوجيا الجديدة اللامعة؛ بل أتحدث عن "شكل متسامي من الحرب"، حرب العقل. يجري خوضها بالفعل بطرق جديدة بالكاد يمكن التعرف عليها. في هذا النمط من الحرب، تُخاض المعارك بالمعلومات والإنشاءات العقلية، وتكشف عن دروز ضعف لم تُعرف من قبل، وأولها كيف نُفاهِم التهديد نفسه. هذه بضائع شعبنا ووسائل الإعلام والمتشككون المعلنون (الذين يُفضل تسميتهم "المُشكِّكون في الأصل")، على وجه الخصوص، على استعداد تام لبيعها أو المتاجرة بها أو الاستفادة منها على حساب الإجراءات العقلانية. هذا ضار ليس فقط بموضوع ما وراء الطبيعة، ولكن بجميع الأشكال الجديدة لأنشطة مكافحة الاستخبارات ومكافحة الإرهاب.

لقد سئمت حقاً، سئمت جداً، من إثبات ما هو صحيح في الرؤية عن بعد ولماذا يجب على الناس الانتباه إليه. الكفاية كفاية. إما أن تركب الحصان أو تبتعد عن الطريق. إذا لم نجد طريقة لاستخدام ما نعرفه بالفعل عن التطبيق الصحيح للمشاهدة عن بعد لصالحنا، فسيفعل شخص آخر - وهذا توقع سهل للغاية. كل ما يتطلبه الأمر هو الشجاعة والإرادة لاتباع القواعد.

لذا، بعد أن قلت ما سبق، لماذا يجب أن أفعل ذلك؟ لماذا أُدمِّر مسيرة مهنية جيدة تماماً كضابط استخبارات في الجيش، وأتحمل الكثير من السخرية واللاعقلانية، وأخوض مثل هذا التحدي؟ هل كان ذلك لمجرد أن أصبح معروفاً باسم "جاسوس نفسي"؟ هل كان لأتمكن من تسمية نفسي "المشاهد عن بعد رقم 001"؟ بالكاد. (لقد كان هذا مشروعاً سرياً مدفوناً في أعماق الجيش). لقد فعلت ذلك للأسباب نفسها التي فعلها الآخرون. لقد كان ضرورياً للغاية وكان يجب القيام به.

السبب وراء هذا الكتاب بأكمله هو التحدث عن كيف ولماذا اتخذت هذا القرار، في مواجهة احتمالات ساحقة، ومخاوف مشلولة، وصعوبات قاهرة، وحواجز مذهلة، وضد نصيحة جميع المقربين مني تقريباً. الإجابة المختصرة هي أنه بناءً على ما قرأته في وثيقة سرية ذات صباح في أواخر عام 1977، شعرت أن واقع الرؤية عن بعد كان أهم من أن يُتجاهل.

كان رأيي آنذاك ولا يزال أن الرؤية عن بعد هي أكبر تهديد لأمتي، وفي الوقت نفسه، ربما تكون أعظم اكتشاف في تاريخ جنسنا البشري على الإطلاق. الرؤية عن بعد، عند استخدامها بشكل صحيح، لديها القدرة على تقديم مساهمات مدمرة وخلاقة على نطاق واسع في تطورنا.

في ذلك الوقت، كانت لدي مسؤولية تجاه قائدي، وتجاه جيش الولايات المتحدة، وفي نهاية المطاف، تجاه السكان الذين أقسمت على الدفاع عنهم. اخترت الاضطلاع بتلك المسؤولية على الرغم من المشكلات التي عرفت أنها تلوح في الأفق. ربما يمنح قراءة هذا الكتاب بعض التبصر في سبب اتخاذي لهذا القرار ولماذا ما زلت أشعر الآن أنه كان قراراً صائباً.

شكر وتقدير

لم يكن هذا الكتاب ممكناً لولا مساهمات وجهود عدد من أقرب وأعز أصدقائي. أحتاج أن أشكر إدوين ماي، وهو زميلي والأخ. باربرا بوين، التي ليست صديقتي فحسب، بل هي أيضاً أفضل وكيل ومحرر يمكن للمرء أن يتمناه. وإلى بالين غينير، أدين بشكر خاص. لا يمكن أن تُقارن صداقتك إلا بصدقك الصريح والواضح. من فضلك لا تتوقفي أبداً عن كونك الشخص الذي أنت عليه.

بين الحين والآخر، يأتي شخص يمكنه فعل السحر بالكلمات المكتوبة. أنا ممتن إلى الأبد لـ فرانك ديماركو لعمل سحره على مخطوطتي. سأحسد دائماً قوتك بالكلمات وسأحاول التعلم منك.

بالطبع، لا يمكن لأي كاتب على هذا الكوكب أن ينهي مخطوطة دون الدعم اللامتناهي من شريكه. زوجتي الجميلة، نانسي، وحبها غير المشروط ورعايتها العاطفية هما السببان الوحيدان لوجود هذا الكتاب الآن في شكل زمان/مكان. شكراً لك لوجودك دائماً. لم أستطع فعل ذلك بدونك.

وأخيراً، أتوجه بالشكر إلى جميع من هناك الذين يواصلون التحقيق في الرؤية عن بعد ومتابعتها ضمن الحدود والبروتوكولات المناسبة، ومع قدر صحي من التشكك. إنها مهمة صعبة وضعتها لنفسك. أنت تسير باستمرار على حد السكين، في مكان ما بين المبالغة في البيع والتقليل منه، تتعرض للإهانة من أولئك الذين يفرطون في الإيمان به وينتقدك أولئك الذين يفتقرون إلى موهبة العقل المنفتح.

مدخل

بقلم: الدكتور إدوين سي. ماي

خلال مسيرتي المهنية كعالم أبحاث، التي تمتد الآن لثلاثة عقود، التقيت بالعديد من الأشخاص ذوي القدرات النفسية. يتنوعون بين مدعي اليوغا في الهند أو الطامحين في العصر الجديد إلى أفراد ينكرون ذاتهم ولن يعترفوا أبداً بأنهم يمتلكون قدرة نفسية، ومع ذلك يمكنهم تحقيق نتائج مذهلة في اختبارات المختبر أو العمليات الميدانية المعمَّاة مزدوجاً. قلة ثمينة تنجو من صرامة التحقق العلمي، ومن بين الذين ينجحون، جوزيف دبليو مكمونيغل هو الأفضل، بلا منازع.

التقيت "جو" لأول مرة في عام 1979 عندما كان جزءاً من فريق مكون من ستة أشخاص أرسلهم الجيش الأمريكي كجزء من برنامج "نقل التكنولوجيا" في معهد ستانفورد للأبحاث الدولية. ما يعنيه ذلك في الواقع، عند تجريده من المصطلحات العسكرية، هو أننا كنا سنختبر جميع الأشخاص الستة لمعرفة قدرتهم المحتملة على الرؤية عن بعد باستخدام بروتوكول معمًّى مزدوج (أي أن لا المشاهد ولا أي شخص على اتصال بالمشاهد يعرف الهدف)، وصالح علمياً. عندما حان دور "جو"، عمل زميلي هال بوتهوف كـ "شخص منارة" ووقف لكل يوم من الأيام الستة في موقع مختلف اختير عشوائياً لمدة 15 دقيقة تقريباً. كان من المفترض أن يصف "جو" الأجواء المحيطة حيث كان "هال" يقف باستخدام انطباعاته العقلية فقط.

تطلب تحديد ما إذا كان "جو" يمتلك أي قدرة على الرؤية عن بعد وجود مُحكِّم نزيه ومستقل طُلب منه اختيار الهدف من مجموعة من ستة مواقع، واحد منها فقط كان صحيحاً. بطبيعة الحال، يجب ألا يعرف المُحكِّم الإجابة إلا بعد تقييمه. كنت أنا ذلك المُحكِّم لـ "جو". كانت النتائج مختلفة تماماً عما تسمح به الصدفة، وكانت سلسلة المشاهدات الستة عن بعد هي الأفضل في تلك المجموعة من أفراد الجيش. بدأ هذا ما أصبح الآن شراكة لمدة 24 عاماً في محاولة لفهم كيفية عمل القدرات النفسية وكيف يمكن تحسينها.

في بداية "سجلات ستارغيت"، يعرب "جو" عن إحباطه من عدم وجود بروتوكولات علمية جيدة، وهو أمر شائع للأسف في بعض المواد التي يُزعم أنها تمر كرؤية عن بعد صالحة يمكن العثور عليها على شبكة الويب العالمية. "جو" مؤهل بشكل خاص للتحدث في هذه الأمور لأنه بالإضافة إلى مساهمته كمُختبَر، فقد تطور أيضاً ليصبح باحثاً مؤهلاً ومُساهماً بشكل كامل. على حد علمي، "جو" هو "المُختبَر" الوحيد الذي يتأهل كعضو كامل في جمعية علم ما وراء النفس، وهي إحدى فروع الرابطة الأمريكية لتقدم العلوم. جمعية علم ما وراء النفس هي منظمة مهنية ذات متطلبات دخول صارمة ومشددة.

لقد وجدت قراءة "سجلات ستارغيت" متعة خاصة. يمنحنا "جو" لمحة رائعة وصادقة ليس فقط عن مسيرته المهنية المتعددة الأوجه ولكن بنفس القدر من الأهمية، يشاركنا رؤية حميمة للعديد من المحن والمتاعب والنجاحات في حياته الشخصية. يتضح من كتابة "جو" أن هناك العديد من القصص الأخرى المثيرة للاهتمام والمهمة والمضحكة في بعض الأحيان التي يجب سردها، ولكن سيتعين علينا الانتظار لكتب أخرى.

من منظوري كصديق مقرب وباحث مشارك لـ "جو"، يظهر شيئان من "سجلات ستارغيت". الأول وربما الأهم هو التعقيد الكبير للأداء النفسي الذي يتراوح بين التفاصيل التقنية للتجربة الجيدة والعوامل النفسية الحاسمة. لقد رأينا مراراً وتكراراً أن بعض الناس يصبحون مستهلكين للعملية وبطريقة ما "يفقدون عقولهم". في هذا الصدد، "جو" مرتاح لفشله بقدر ما هو مرتاح لنجاحاته ويتعامل مع العملية النفسية بهدوء. نمزح معاً حول أننا تحت "مراقبة الأنا"، وقد أعطاني "جو" الإذن بـ "علاج اللوح الخشبي": أي ضربة على الرأس إذا رأيته يفقد صوابه.

ثانياً، على الرغم من أنه لم يُصرح به مباشرة، تُظهر لنا "سجلات ستارغيت" التضحية الشخصية والجسدية الهائلة والعمل الشاق المطلوب لتصبح الأفضل في مجالك. بالطبع، نتوقع أن هذا صحيح بالنسبة لجميع الأداءات البشرية الاستثنائية تقريباً. لننظر إلى نجم كرة القدم أو عازف الكمان الموهوب.

ما يُميز "جو" كشخص ذي قدرة نفسية عن الآخرين هو التقييم المفصل والمستقل، سواء في المختبر أو في الميدان. لكي يكون صالحاً علمياً، لا يكفي أن ترفع لافتة كشخص يُعلن ذاته كممارس نفسي. بدلاً من ذلك، يجب تقديم المادة النفسية للتحليل النقدي ونشر النتائج في مجلات خاضعة لمراجعة الأقران.

في عالم تطبيقات الاستخبارات الحقيقية، يكون التقييم العلمي أكثر صعوبة بكثير. يقدم "جو" مثالين حيث اختبر عميل عسكري عملية استخباراتية كانت فيها "الحقيقة على أرض الواقع" معروفة بنسبة 100 بالمائة. سجل "جو" نتائج استثنائية في استهداف مسرع للإلكترونات ونشاط دعم، وعلى جهاز ميكروويف عالي الطاقة. أفضل شهادة على تفوقه في العمليات الحقيقية باستخدام الرؤية عن بعد هي وسام الاستحقاق الذي ناله "جو". عند تقاعده من الجيش، مُنح هذا الشرف لتقديمه كمية هائلة من المواد الدقيقة والمفيدة لمجتمع الاستخبارات.

باختصار، جوزيف دبليو مكمونيغل هو أكثر شخص ذي قدرة نفسية جرى اختباره وتوثيقه في التاريخ. في "سجلات ستارغيت"، يروي "جو" القصة، التي كانت أحياناً مؤلمة، وأحياناً مبهجة، ولكنها دائماً آسرة، لكيفية وصوله إلى هناك.

ــــالدكتور إدوين سي. ماي، رئيس مختبرات الأبحاث الأساسية، بالو آلتو، كاليفورنياــــ

الفصل الأول: الطفولة: المتاعب والتجربة

أختار عام 1962 كنقطة بداية، ولكن لوصف الأشياء التي أتذكرها، والتي حدثت قبل ذلك بكثير. إذا حاولت تذكُّر نقطة أقدم من ذلك، فستصبح تعقيدات التفاصيل غارقة في ضباب المشاعر الطفولية النامية. أتذكر أشياء من وقت سابق، لكن أقاربي لم يصدقوا ذلك، مقتنعين بأنه كان يجب أن أكون صغيراً جداً.

كانت إحدى شخصياتي المفضلة تحمل اسم أختي التوأم، وهي عمتي مارغريت. بعد ظهر أحد أيام صيف عام 1962، بعد عيد ميلادي السادس عشر بقليل، كنا نتحدث عن الذاكرة، وكم يمكن للمرء أن يتذكر أو لا يتذكر، وهو موضوع أكثر من مثير للاهتمام بالنسبة لي الآن لأنه في وقت لاحق من الحياة، عانت من داء ألزهايمر.

قلت إنني أستطيع أن أتذكر عندما كانت تحملني وأنا طفل صغير، وهو أمر قالت إنها لا تستطيع تصديقه. أخبرتها أن ذاكرتي تضمنت أنني كنت محمولاً بين ذراعيها بينما كنت مستلقياً على ظهري، مما كان سيجعلني أقل من عام. أتذكر بوضوح أنني كنت أنظر إلى وجهها وابتسامتها اللطيفة. أتذكر شعوراً بأن هذه هي شخصية الحماية، شخص يحبني كثيراً. ولتأكيد الحدث، ذكرت أنني أتذكر أيضاً أنها كانت ترتدي في ذلك الوقت زياً أبيض بالكامل مع قبعة كبيرة ذات حافة عريضة مصنوعة من القش الأبيض. كان هذا غير عادي، لأنه بخلاف ذلك لم أتذكر رؤيتها ترتدي قبعة من أي نوع في أي وقت آخر. قلت إن القبعة كانت مميزة، لأن لمعان ضوء الشمس كان يمر عبر الثقوب المنسوجة الصغيرة، ويعكس الضوء كما لو كان عبر أوجه مئات الألماس.

ضحكت واتهمتني باختلاق الذاكرة. أصررت على أن الحدث وقع في الهواء الطلق، لأنني تذكرت أن ضوء الشمس الساطع كان موجهاً مباشرة إلى وجهي في بعض الأحيان. طمأنتني، بينما أكدت لي أنها لم تكن تمتلك أبداً قبعة قش بيضاء بالكامل.

بعد بضعة أسابيع، تلقيت مكالمة هاتفية منها. قالت إنه إذا توقفت لبضع دقائق، فسيكون لديها شيء تريد أن تشاركه معي. لم تخبرني عبر الهاتف بماهية هذا الشيء، مما جعل الأمر برمته يبدو غامضاً للغاية - خاصة وأنني لم أتذكر حتى مناقشتنا السابقة.

وصلت إلى منزلها بعد المدرسة في اليوم التالي وقامت بإخراج حقيبة صغيرة من الرف العلوي في الخزانة بشكل كبير. ثم استخرجت صورة من كومة كبيرة بداخلها. أخبرتني أنها عثرت على الصورة بالصدفة أثناء البحث عن شيء آخر. ناولتها لي ويداها ترتجفان.

صُدمت بما رأيت. كانت تقف في وسط الصورة، تحمل أختي التوأم وأنا بين ذراعيها اليمنى واليسرى. كانت الصورة ملونة، وهو أمر غير عادي لتلك الفترة، وكانت عمتي ترتدي ملابس بيضاء بالكامل، وتضع قبعة قش بيضاء بالكامل ذات حافة عريضة ومنسوجة بدقة. قالت ملاحظة مكتوبة بقلم رصاص على ظهرها إنه كان يوم تعميد أختي وأنا. كان عمرنا أقل بقليل من ثلاثة أشهر. قالت إن الصورة التُقطت ظهراً وقد أقرضها أحدهم القبعة من أجل إبقاء وجهينا في الظل.

أعتقد أن هذا صدم عمتي أكثر مما صدمني. لكن ما فعله بي كان مثيراً للاهتمام. كانت رؤية الصورة مثل صاعقة برق مرت عبر رأسي. أيقظت جزءاً من عقلي لم أعهده من قبل. فجأة امتلأت بالعشرات إن لم يكن المئات من الصور، ومضات من أشياء أتذكرها، ومضات من أشياء لم يكن لها أي معنى بالنسبة لي على الإطلاق. صور لم تكن لدي حتى تلك اللحظة. كان العديد من هذه الصور عادية، لكن بعضها كان مخيفاً في سياقه. كان الأمر كما لو أن الباب إلى ذكرياتي المبكرة فُتح فجأة. كما لو كان بالسحر، تذكرت فجأة أحداثاً كانت محجوبة عن إدراكي سابقاً.

أعلم أن هذا لن يكون حدثاً مهماً بالنسبة للبعض. ولكن بالنسبة لشخص كان لديه حجب شبه كامل للذكريات قبل سن الخامسة، كان هذا تطوراً مهماً.

فجأة وجدت نفسي أتذكر بصور شبه مثالية ونابضة بالحياة وقتي كطفل يبلغ من العمر ثلاث سنوات في مزرعة جدي في ستون ماونتن، جورجيا. يمكنني تذكر ألوان الجدران في المنزل ذي الإطار الخشبي الصغير، وتصميم أرضية المنزل المزرعة، وحتى الاتجاه الذي كان عليك أن تمشي فيه للوصول إلى حديقة الشاحنات، والحظيرة، وحقول الذرة. أتذكر بوضوح الرائحة داخل الحظيرة، ورائحة بغال جدي، ونتانة حظيرة الدجاج - حتى حقل الصرف الصحي المفتوح والكريه خلف المنزل المزرعة. كان لدي تذكر فوري لصوت آلة تجريد كيزان الذرة اليدوية، وطقطقة الحطب في موقد الخشب في المطبخ، وقطف الحشرات من نباتات السبانخ في الحديقة، وجمع حشرات الحفر في التربة الرملية الدافئة تحت الشرفة، وفطائر جدتي محلية الصنع - وخاصة الراوند. يمكنني حتى أن أرى، عائداً أمامي، المسمار المثني الذي كان جدي يعلق عليه قبعته بجوار باب المطبخ.

قفزت ذكريات الصيد قبالة رصيف قديم في بركة جبلية خلف كابينة عمتي وعمي في فرانكلين، نورث كارولينا، إلى وضوح متلألئ: الأخشاب الطويلة التي تدعم الغرفة الخلفية على ارتفاع 25 قدماً فوق المنحدر؛ أنا، أجلس على الرصيف، أحمل عصا صغيرة وبضعة ياردات من خيط قطني أبيض ودبوس أمان كخطاف. قضيت الكثير من الوقت في إطعام كرات صغيرة من عجينة الخبز للأسماك الصغيرة التي أعرفها الآن باسم البُريم، حتى غفوت. عندما استيقظت، كانوا يطبخون السمك في المطبخ، سمك قالوا لي إنني اصطدته. (كان عمري أربع سنوات عندما زرناهم لأول مرة، لذلك صدقتهم).

في إحدى المرات أتذكر أنني مُنحت مجرفة بلاستيكية صغيرة، ومعولاً، ومسحاة. طلبوا مني الخروج والحفر بحثاً عن الذهب على طول الممر الدائري في مقدمة الكابينة. (لسوء الحظ، لا أتذكر العثور على أي شيء).

كانت هناك صور ومشاعر أخرى، ليست مريحة تماماً. أتذكر أنني كنت أقل من أربع سنوات وكنت أُثَبَّت بقوة وأُربَط من كاحلي و رسغيّ، ممدداً على ظهري، بينما كانت كائنات مجهولة الملامح ذات عيون كبيرة تُجري عملية جراحية لي. كان الألم لا يصدق ولا يمكن وصفه. أتذكر الصراخ حتى أغمي عليّ، ثم الاستيقاظ لأجدهم ما زالوا يعملون عليّ، والصراخ مرة أخرى حتى الإغماء. استيقظت في صندوق، يشبه إلى حد كبير القفص. كانت هناك قضبان من حولي وشبكة ثقيلة ممتدة عبر القمة. كان بإمكاني سحب نفسي، لكنني لم أتمكن من الخروج. كانت ساقاي متذبذبة وضعيفة، وكنت أتألم بشكل رهيب، جسدي الصغير غارق في الألم، وصرخت حتى بح صوتي لدرجة لم أعد أستطيع الصراخ. بعد ذلك تتلاشى الصور.

بالطبع، لم أتحدث عن هذه الصور مع عمتي. كانت مزعجة للغاية، ومخيفة جداً لدرجة لا يمكن التفكير فيها. حاولت إعادة دفنها، لكني لم أتمكن من القيام بذلك. ظلت هذه الصور تطاردني لسنوات. كنت أعاني من كوابيس متكررة كنت أعيش فيها تلك الصور والذكريات من جديد. كائنات ضخمة، ترتدي بدلات من قطعة واحدة، بلا وجوه وعيون كبيرة، كانت تأتي في الليل وتأخذني صارخاً إلى غرفة مضاءة ساطعة حيث كنت أُثبَّت ممدداً على ظهري. كانت المسامير الكبيرة تُدفع في ذراعي، ثم يمكنني الشعور بالألم المبرح. كان جسدي يغرق فيه حتى يغمى عليّ في حلمي، أو أستيقظ من الكابوس المتكرر غارقاً في العرق.

لم أطرح الأمر على والديّ إلا بعد أن عدت من جولتي الأولى في جنوب شرق آسيا. صُدمت والدتي. قالت إن الأطباء وعدوها بأنني لن أتذكر التجربة أبداً لأنني كنت أصغر من أن يحدث ذلك عندما حدث. ثم روت أحداث عملية جراحية كبرى خضعت لها عندما كان عمري أقل من أربع سنوات. كانت جراحة تصحيحية، نتيجة ولادتي قبل الأوان بأكثر من شهرين.

عندما جئت إلى العالم، كان وزني حوالي رطل واثني عشر أونصة (ما يقارب 800 جرام)، بينما كانت أختي التوأم، مارغريت، تزن رطلاً ونصف (ما يقارب 680 جرام). في يناير من عام 1946 لم يكن من المفترض أن ننجو. لولا الجهود البطولية لطبيب عائلتنا، روبرت ماير، ربما لم نكن لننجو. على أي حال، انتهى بي الأمر إلى الحاجة إلى جراحة. في ذلك الوقت، كانت هناك على ما يبدو أسئلة في أذهان بعض الأطباء بخصوص كمية مسكنات الألم التي يجب إعطاؤها لطفل صغير كهذا. كان الإجماع هو، القليل جداً أفضل بكثير من الكثير. كان الاعتقاد هو أن الأطفال الصغار جداً لن يتذكروا التجربة على أي حال. حسناً، خمن ماذا؟ لقد كانوا مخطئين.

كان التأثير الفوري لهذه الذكريات المستعادة مرعباً وغامضاً وموسعاً للعقل في آن واحد. بعد فترة وجيزة، كنت أتذكر فترات وأحداثاً كاملة. اكتشفت أنني كنت أيضاً أربط الأحداث التي أتذكرها بتأثيراتها طويلة المدى، وهي أحداث حدثت في أعمار كنت فيها أصغر من أن أفهم، أو أصغر من أن أعرف.

هل كان هذا تأثيراً لإعادة تقييم الذكريات بعقل مراهق؟ أم أن هذا هو الوعي النفسي الذي بدأ مبكراً؟ في ذلك الوقت لم أكن أعرف أي شيء عن الأداء النفسي. كنت أعرف فقط أنني كنت أتذكر كميات كبيرة، بعضها جيد وبعضها سيئ. لذلك، شاركته مع الشخص الوحيد الذي يمكنني أن أثق به بالكامل، وهي توأمي.

كانت والدتي شخصاً معقداً. في الأصل لم تكن تقترب من الكحول. يمكنني أن أرى منذ سن مبكرة جداً أنها فهمت الآثار التي يتركها الكحول على الشخص، وكانت مصممة على حماية أطفالها منه. كانت أيضاً ذكية للغاية. طالبة متفوقة طوال المرحلة الثانوية، كان يجب أن تذهب إلى الكلية وتصبح معلمة أو تتبع مسيرة مهنية في العلوم الإنسانية. كان لديها الكثير من الموهبة الطبيعية في الفن والأدب، وفي السنوات الأولى استمتعت بالموسيقى كثيراً. طوال المرحلة الثانوية كانت قائدة لفرقة موسيقية، وكانت منخرطة جداً في الموسيقى والفنون. لا يزال لدي جميع أوسمتها وجوائزها الشرفية للولاية للكتابة والمناقشة. أشكرها على أي ذكاء أو قدرات طبيعية ولدت بها.

أي شخص يعرفها سيخبرك أن مشكلتها الوحيدة في الحياة كانت الوقوع في حب والدي بعمق. كانت قد بلغت الثامنة عشرة للتو، وكان والدي في السابعة والعشرين عندما تزوجا. التقاها في متجر "بوردينز" متعدد الأقسام في ميامي، حيث كان يعمل في قسم الأثاث. التقيا في موسم عيد ميلاد بينما كانت تعمل بدوام جزئي كمغلفة هدايا. وقعا في الحب بشغف وتزوجا على الفور تقريباً. ونتيجة لذلك، وصلت أنا وأختي في غضون عام.

كأم جديدة، كانت مرعوبة. أعتقد أنها أدركت بعد فوات الأوان أنها لن تكون قادرة أبداً على تغيير والدي. لأنه كان يفتقر إلى التعليم الرسمي وكان مدمناً على الكحول، فلن يتمكن أبداً من تحقيق أي شيء أفضل مما حققه بالفعل - كاتب مخزون في متجر متعدد الأقسام. لا حرج في ذلك، باستثناء أنه ضمن حداً أدنى دائماً من الدخل، والعيش في "المشاريع" (ما يسميه معظم الناس الأحياء الفقيرة)، ومعارك قبيحة حول المشروبات الكحولية. أعتقد أنه في خضم هذا الإدراك وجدت نفسها فجأة أماً جديدة لتوأمين.

لسنوات عديدة كرهت والدتي حقاً. كرهتها بسبب سعيها الدؤوب والمضني للانضباط والسيطرة، وبسبب موقفها المفرط في الحماية. كانت تلاحظني أنا وتوأمي مثلما تلاحظ أنثى النمر صغارها. ونتيجة لذلك، كانت دائماً أكثر صرامة معنا مما كانت ستكون عليه مع طفل غريب.

لكوني صغيراً، ودون فهم لما كان يحدث بالفعل، لم أستطع أن أرى الخوف في عينيها في كل مرة أخرج فيها أنا أو أختي إلى الفناء للعب. يمتلك الأطفال البالغون من العمر خمس سنوات تقديراً قليلاً للمخاطر المرتبطة بالنشأة في حي فقير. صُمم الإطار المعدني في نوافذ المنزل لمنع الوصول السهل إلى غرف نومنا. تلك النوافذ ذات القضبان المنيعة ومزاليج الأبواب الثقيلة والقضبان المتقاطعة عند نقاط الدخول إلى مسكننا كانت بلا معنى بالنسبة لي. اعتقدت أن الجميع يعيش بهذه الطريقة.

العيش في كوخ له امتيازاته. لا يستدعي الفقراء مبيدي الحشرات، لذلك كان منزلنا مليئاً دائماً بصراصير فلوريدا. كنت أرى هذه الخنافس الكبيرة - التي يتراوح طولها بين ثلاث وأربع بوصات والمنتجعات على الطيران الذاتي - على أنها مجرد مصدر إزعاج. إذا مشت على فمك أثناء نومك، فقد توقظك، أو قد لا تفعل. كانت الحيلة هي تعلم النوم وفمك مغلق.

كان لدينا أيضاً ما أطلقنا عليه "جرذان المستنقعات". كان متوسط وزنها يزيد عن رطلين (ما يزيد عن 900 جرام)، وكانت تنتقل داخل وخارج بالوعات الشوارع المواجهة للمنزل. كانت تبدو إلى حد كبير مثل حيوانات المرموط الصغيرة ذات الوركين الضيقين. كطفل كان جائعاً في العادة، كنت أعتقد دائماً أنها قد تكون وجبة رائعة. على الرغم من أنها قبيحة إلى حد ما، إلا أنها كانت مجرد آفات مزعجة، شيء تتعامل معه فحسب. كنا نحتفظ بعصا مكنسة في زاوية بجوار الباب الأمامي. لم أكن أعرف في ذلك الوقت، ولكن هذا هو السبب في أن معظم الناس الذين يعيشون في الأحياء الفقيرة لم يكن لديهم قطط كحيوانات أليفة: يمكن أن يصبح الصياد هو الفريسة. إذا كان لديهم كلاب، فستكون كبيرة وبغيضة، قادرة على الدفاع عن نفسها. بطبيعة الحال، كانت والدتي ترى دائماً هذه القوارض كتهديد مباشر لصغارها. لم أكن أعرف عن داء الكلب في ذلك الوقت، أو أي من الأمراض الأخرى التي تحملها.

كانت هناك مشاكل أخرى. في سن الخامسة، لم أستطع أن أربط الجبيرة على ذراعها بدفاعها غير الناجح عن مصروف الطعام لأسبوع من متشرد مدمن على المخدرات. كيف يمكنني أن أتخيل أنها عاشت في رعب على نفسها، ويجب أن تكون قلقة بشأننا؟ كان هذا أبعد من إدراكي في هذا السن المبكر.

لذلك، عندما اختفيت من الشرفة الأمامية لمدة عشرين دقيقة، أو بدأت محادثة مع شخص غريب، أو طاردت كرتي في الشارع، لم يكن هناك طريقة يمكنني بها فهم الغضب الذي كان يبدو أنه يتولد بداخلها. لم يكن هناك طريقة يمكنني بها رؤية أنه كان حقاً الحب المدفون داخل الخوف هو الذي دفعها إلى العقاب.

في بعض الأحيان، كانت مخاوفها، التي تفاقمت بسبب عدم فهمي لسبب طلبها سلوكاً معيناً مني، تزيد من إشعال النيران بداخلها. في وقت مبكر، أدى ذلك إلى صفعات شديدة على المؤخرة إما بيدها أو بفرشاة شعر ذات مقبض طويل. في وقت لاحق، عندما كبرت، وأصبحت أصعب في التعامل، وبدا أنني أكثر تصلباً أو غير متأثر بخيارها المبكر للأدوات، انتقلت إلى حزام، وسرعان ما تحولت من هناك إلى ضربة مفتوحة اليد على الوجه. لا بد أنها آذتها أكثر مما آذتني، حيث تحولت بسرعة إلى ضربة ظهر اليد. أتذكر كمراهق أنني ضُربت بقوة ولعدة مرات لدرجة أنني كنت أشعر بطنين في أذني وأنفي أو شفتي كانت تنزف. من الغريب أنني لا أستطيع أن أتذكر الجُرم الذي أدى إلى مثل هذا الانتهاك.

على أي حال، تعلمت أن أفضل طريقة للتعامل مع الأمر هي الوقوف هناك وتقبله بصلابة. اعتقدت بالخطأ أنه من خلال عدم البكاء أو التفاعل بطريقة علنية، كنت أُظهر قدرتي على "تقبل الأمر مثل الرجل". في الواقع، أدى عدم تفاعلي إلى توليد شعور أكبر بالخوف فحسب، مما زاد من صراعها الداخلي، مما أدى إلى ضربات أكثر تواتراً وأكثر عنفاً. سرعان ما تحولت علاقتنا من علاقة حب إلى مسابقة حول من يمكنه السيطرة على الآخر من خلال قوة الإرادة المطلقة. ربما كانت لديها القوة والحجم، لكنني سرعان ما طورت قدرة على قراءتها.

هنا حيث اكتشفت ولادة قدرتي الطبيعية كشخص ذي قدرة نفسية. أعتقد، كما يُصنع الفولاذ في النار، أن قدرتي على قراءة البشر صُنعت في الألم عندما كنت طفلاً. على مر السنين، بدأت أُظهر قدرة شبه خارقة على قراءة أفعال والدتي قبل أن تعرف هي نفسها ما كانت ستفعله. بالنظر إلى الوراء، يجب أن أقول إنها كانت التطور الطبيعي لمهارة البقاء.

قد يشعر البعض أنني أخون والدتي بكتابة هذا. لكن ما أبلغه لا علاقة له بمدى حبي أو عدم حبي لوالدتي. له كل علاقة بفهم ما دفعها، وبالتالي ما كان يمكن أن يدفعني. من الصعب للغاية فهم من أين انبثق السلوك النفسي لشخص ما، لذلك أقدم هذا التاريخ كأصل محتمل.

كنت أنا وأختي مارغريت توأمين بكل معنى الكلمة. كانت تبدو دائماً تعرف ما يدور في ذهني كما كنت أعرف ما يدور في ذهنها. كانت هي، بالطبع، لكونها أنثى، دائماً أكثر نضجاً مني بقليل في أي عمر تقريباً. لكنها لم تكن لديها درجة التفاصيل في التذكر التي كانت لدي. لذلك، تحدثنا عنها. في بعض الأحيان، في ما اعتبرناه "ليالٍ سيئة"، كنا نتحدث حتى الساعات الأولى من الصباح. كانت هذه هي طريقتنا للحفاظ على عقولنا.

كان العقل ثميناً حول منزلنا في بعض الأحيان، نتيجة مباشرة للوالدين اللذين كانا مسيئين عاطفياً في أحسن الأحوال - ومسيئين جسدياً في أسوأ الأحوال. كانا مدمنين على الكحول. أقول هذا دون أي حقد على الإطلاق. إنه مجرد تصريح انعكاسي يستند إلى حقيقة. كان الأمر بالطبع أكثر تعقيداً في الوقت الذي كنا نعيش فيه. كانت مفاهيمي بالتأكيد مختلفة تماماً عندما كنت طفلاً. في ليلة سيئة حقاً، ساد الكحول، ولم يسد العقل.

أتذكر العديد من الليالي عندما كنت مراهقاً مبكراً، أستلقي في السرير وأدعو أن يحدث شيء، أن يأتي غريب ويتبناني أنا وأختي، ويأخذنا للعيش في مكان آخر. أي مكان كان سيكون لطيفاً، أي مكان آخر غير هناك. لعقلي الطفولي، حتى الغريب كان أفضل من والديّ.

لقد تخلصت منذ فترة طويلة من تلك الرغبة، وفي الإدراك المتأخر يمكنني أن أرى كيف يمكن أن تكون الضغوط التي تُعاني في سن مبكرة مثل الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة مختلفة بشكل كبير عن تلك التي نتحملها في مرحلة البلوغ اللاحقة. نحن مجهزون بشكل أفضل للتعامل معها في سن لاحقة. ولكن، في ذلك الوقت بدا الأمر أكثر من مجرد طلب معقول. إذا فهم الآباء حقاً الضغط الذي يجلبونه على حياة أطفالهم، فلن يكونوا "متهورين" في بعض ردودهم. إذا عرفوا كيف يمكن أن يدفع ذلك أطفالهم إلى قبول غريب حتى على تفضيلهم لهم، حسناً... من الأفضل عدم الذهاب إلى هناك.

في الليالي القاسية حقاً، كانت أختي مارغريت تتلقى الأمر بأسوأ مما كنت أتلقاه أنا بكثير. كون المرء ذكراً يمنحه قدراً من الحماية لا تحظى به الإناث تلقائياً في الثقافة الأمريكية. ففي أمريكا، يُفترض أن الذكور أكثر صلابة بطبيعتهم— فالذكور غالباً لا تظهر عليهم آثار الأذى الداخلي العميق الذي يحدث عندما تُصفع وجوههم بعنف بظهر يد شخص بالغ. كما أن ردة فعلنا على ضربة حزام على الجزء الخلفي من الساقين لا تكون كتلك التي تظهرها فتاة صغيرة.

أنا أتحدث عن والدتي، وليس عن والدي. لست متأكداً ما إذا كان الكحول هو السبب، أم الاختلاف في طبيعة علاقتهما بنا، لكن الروابط بين الأطفال والوالدين داخل منزلنا كانت تختلف بشكل كبير عما قد يتوقعه المرء عادة.

لطالما كان والدي رجلاً مهذباً، لا تنتابه نوبات غضب غير مفهومة إلا عندما يكون مخدراً تماماً بفعل السكر. كان والده قد تركه عندما كان في الصف السابع— في حدود عام ألف وتسعمائة وخمسة وعشرين. وبما أنه كان الأكبر سناً، شعر بالمسؤولية تجاه والدته وإخوته وأخته، فترك المدرسة ليصبح رجل المنزل والمُعيل الأساسي. كان وضعه معقداً بعض الشيء وهو طفل، لأنه كان مصاباً بـ "شلل الأطفال" وكان يرتدي دعامات على ساقيه. لم أكن مقتنعاً أبداً بأنه ترك المدرسة فعلاً لأن الأسرة كانت بحاجة إلى الدعم. ربما كان قد سئم من أن يُنادى بـ "الأعرج" أو "المُشوَّه". على أي حال، هذا ما أخبرني به ذات مرة وهو غارق في سحابة دافئة من أبخرة البوربون الراقية.

قام بالعديد من الأعمال، لكن العمل الذي أحبه أكثر من غيره حقاً هو العمل كحامل عصي الجولف في نوادي بالم بيتش وميامي الريفية. أعتقد أنه أحب حمل حقائب الجولف لرجال العصابات الذين كانوا يترددون على الجنوب خلال أشهر الشتاء. قال: "لم يشعروا بالتهديد أبداً من طفل صغير يرتدي دعامات على ساقيه، يمكنه أن يُبقي فمه مغلقاً".

لم أُشِر أبداً إلى جوانب "اللعب بالنار" في انخراطه المريح مع رجال العصابات. كان يترك لي دائماً انطباعاً بأنه شعر أن افتقاره إلى التعليم الرسمي لم يسمح له بفرص متساوية عندما يتعلق الأمر بالعمل. وهذا منطق ضعيف نوعاً ما في نظري.

أخبرني والدي ذات مرة أنه كان في الحفرة الرابعة عشرة في بالم بيتش مع "آل كابوني" واثنين من رجاله، ربما حراسه الشخصيين، عندما سمعوا فجأة صوت سيارة تقترب على العشب. عندما اقتربت، بدأ المحرك في إصدار أصوات انفجار خلفي. غطس الجميع في مصائد الرمل، ساحبين الأسلحة من حقائب الجولف الخاصة بهم.

ضحكت أنا.

لكنه لم يضحك. لم يبتسم أبداً. مواصلاً قصته، أخبرني كيف أنهم بعد عام واحد قاموا بقتل شخص بالأسلحة الرشاشة في الحفرة المجاورة. سواء كان ذلك صحيحاً أم لا لم يكن مهماً، على الأقل بالنسبة لي. اكتشف والدي في وقت مبكر أنه يمكن أن يكسب الكثير من المال من حمل حقائب الجولف لرجال العصابات.

كما كسب والدي الكثير من المال من المراهنات مع "الأشقياء". كان يراهن على أنه يستطيع أن يتجاوزهم في الرمي من نقطة الانطلاق. حسناً، لم يتجاوز وزنه أبداً مائة وخمسة وأربعين رطلاً وهو مبلل بالكامل ـــــ نتيجة لامتلاكه نصف كتلة العضلات الطبيعية في ساقيه. وكل من يلعب الجولف يعلم أن المسافة من نقطة الانطلاق تُعزى دائماً تقريباً إلى تحويل الوزن في الوركين والساقين. لكن والدي كان يمتلك قوة هائلة في الجزء العلوي من جسده من جراء جره لدعامات ساقيه. أيضاً، لم يكونوا يعلمون أن والدي قضى كل وقته الاحتياطي تقريباً في ميدان التدريب على ضرب الكرات مجاناً. ونتيجة لمراهناته، كان يقود سيارته الخاصة في سن السادسة عشرة، ويحمل قنينة صغيرة مليئة بالمسكرات في جيب سرواله الخلفي. خلال أوائل الثلاثينات، كان يسير ومعه حزمة من فواتير العشرين دولاراً محشوة في جيبه، وهو أمر كان غير عادي للغاية ـــــ خاصة لشخص في مثل عمره.

في فترة ما خلال تلك المرحلة، قرر التخلص من دعامات ساقه ـــــ وهو خطأ دفع ثمنه غالياً في وقت لاحق من حياته. وقد أدى ذلك إلى تشوه كبير في قدمه اليسرى، مما كان يسبب له ألماً لا يُطاق تقريباً في الوقت الذي كنت فيه مراهقاً. كان هذا هو السبب الرئيسي لذهوله الكحولي. كان دائماً غارقاً في سحابة أبخرته الخاصة قبل غروب الشمس، خاصة بعد العمل في أيام الأسبوع، وبدءاً من شروق الشمس في معظم عطلات نهاية الأسبوع.

كلما شعرت أنني أمر بوقت عصيب، أفكر في والدي وفي حياته.

على مر السنين، أدركت أن أحد أعظم أسباب إدمان الكحول بين الفقراء هو استخدام الخمر كعلاج ذاتي. كأمة، لا يمكننا أن نستمر في تجاهل الحاجة إلى الدعم الطبي المجاني للفقراء ونتوقع منهم ألا يقعوا ضحايا للكحول والمخدرات المحظورة. إنها حلقة مفرغة ذات علاج بسيط جداً. لقد شاهدت والدي يدمر نفسه ومن حوله بهذه الحلقة، ورأيت أناساً طيبين آخرين يقعون ضحية لذلك أيضاً.

كانت هناك أيام جيدة أيضاً. أتذكر عندما كنت في التاسعة، عندما كنا نعيش في مشاريع ميامي السكنية. كانت منازل حكومية مزدوجة قديمة بُنيت بعد الحرب، وتقع قبالة شارع التاسع والسبعين والشارع الشمالي الغربي الثاني، وهي منطقة تُسمى الآن "هايتي الصغيرة". في إحدى الليالي، أحضر والدي غريباً معه إلى المنزل. كان والدي يعمل في وظيفة ثانية في شاطئ ميامي، حيث التقى بالرجل، وفي إحدى الأمسيات قرر دعوته إلى المنزل لمشاركتنا وجبة.*

كان الغريب رجلاً قصيراً وممتلئ الجسم وذا شعر داكن. عندما رأيته لأول مرة، شعرت بالأسف عليه على الفور. أتذكر أنني نظرت إلى وجهه وتساءلت من أين جاءت كل تلك الندوب. كان أنفه مجرد إشارة إلى ما كان عليه—كان نوعاً ما مسطحاً في مكانه. كانت أذناه قبيحتين حقاً، مغطاة بكتل متصلبة من الأنسجة المتندبة. كان من الممكن أن يكون رجلاً مخيفاً، لولا طبيعته اللطيفة والمعطاءة جداً. كان لطيفاً ومحباً بقدر أي إنسان قابلته على الإطلاق. عندما التقينا لأول مرة، نزل على ركبتيه ونظر إليّ مباشرة في عيني، وتحدث معي بهدوء شديد. لقد عاملني باحترام كبير، وهو أمر لم أكن معتاداً عليه كطفل صغير جداً. ترك لي انطباعاً بقوة لا تُصدق ويقين؛ كان لديه ثقة فطرية وكان هناك جوهر حقيقي من اللطف فيه. عُرِّف الغريب إليّ باسم "روكو فرانسيس مارشيجيانو". بالطبع، في ذلك الوقت كان معروفاً للكثيرين باسم "مدمر بروكتون"، وكان معظم العالم يعرفه باسم "روكي مارسيانو"—بطل العالم في الملاكمة للوزن الثقيل الذي لم يهزم.

ما لم أكن أعرفه في ذلك الوقت هو أن والدي كان يعمل بدوام جزئي كشريك تدريب له في الشاطئ حيث كان يتدرب. على طبق من السباغيتي وصلصة اللحم في مطبخنا، أخبرني السيد مارشيجيانو أن والدي كان رجلاً صغيراً، لكنه كان سريعاً ويمكنه أن يتحمل الضربات ويُوجّهها أيضاً. لم أفهم ما قصده في ذلك الوقت. لم أكن أفهم ما هي الملاكمة.

على الرغم من حجمه ووزنه، والمشاكل الواضحة في ساقيه، كان والدي مقاتلاً ممتازاً. (هذا شيء لم أكتشفه إلا في وقت لاحق). معظم من عرفوا والدي كانوا يعلقون دائماً على مدى لطفه وهدوئه. أفترض أن هذا يأتي مع الثقة بأنك تستطيع الاعتناء بنفسك. بعد فترة طويلة من انضمامي إلى الجيش، اعترف أخيراً بالقتال بالقبضات العارية من أجل المال في بعض مواقف السيارات الخلفية للمشاريع في ليالي السبت. كان سراً احتفظ به عن الكثير من الناس. لست متأكداً أنه فاز بكل معاركه، لكني نادراً ما رأيته بعين سوداء أو شفة مقطوعة. لكني لا أستطيع أن أقول الشيء نفسه عن حالة يديه. لاحقاً في حياتي، بدأ الأمر منطقياً بالنسبة لي.

أتذكر مرة عندما كان عمري حوالي عشر سنوات أن اثنين من أعضاء العصابات المحلية ضربوني بقسوة. عدت إلى المنزل بأنف مكسور، وعيناي سوداوين ومتورمتين ومليئتين بالدموع. رفض والدي السماح لي بدخول المطبخ، وسد الباب الشبكي بجسده. نظر إليّ، وبصوت صارم قال: "عد عندما يكون الدم على مفاصل يديك، ثم سأسمح لك بالدخول". تبع ذلك إغلاقه للباب الداخلي و قفله بعنف.

استغرقت حوالي ساعة تقريباً لأجد أحد الأطفال الذين اعتدوا علي. اقتربت منه من الخلف، جانبه الأعمى، وانقضضت عليه فحسب. ضربته بقبضتي حتى نفد أنفاسي. عدت إلى المنزل بالدم على مفاصل يدي. سمح لي والدي بالدخول. أثناء معالجة جروحي في الحمام، قال لي: "الأمر لا يتعلق بالفوز أو الخسارة. المهم فقط أن تقف في وجههم. إذا تعرضوا للأذى كلما تحرشوا بك، فسوف يتوقفون". على الرغم من اضطرابي في تلك الليلة، اكتشفت أنه كان على حق. من تلك النقطة فصاعداً، لم أتراجع أبداً عن أي شجار. يبدو أن عدد المشاجرات التي خضتها قد تباطأ بشكل غامض، وتوقف في النهاية تماماً.

الرجل الذي كان له تأثير عظيم عليّ مثل والدي كان شقيق والدي، "وليام توماس مكمونيغل". بسبب لون شعره، كان بالنسبة لي هو عمي "الأحمر". خدم في البحرية خلال الحرب الكبرى—الحرب العالمية الثانية—يقود قوارب الإنزال التي أوصلت قوات المارينز إلى الشاطئ. أخبرني والدي أنه في إحدى الجولات، تلقت سفينته الصغيرة ضربة مباشرة من مدفعية الشاطئ وغرقت دون الوصول إلى الشاطئ. زحف عمي "الأحمر" إلى الشاطئ مع الناجين وقضى قدراً لا بأس به من الوقت في الأدغال قبل أن يتم إجلاؤه إلى مكان ما في بورنيو. رأيت ذات مرة صورة بالأبيض والأسود له وهو يقف بين امرأتين داكنتين جداً من بورنيو، تزن كلتاهما أكثر من أربعمائة رطل، بعظام تمر عبر أنوفهما، وترتديان الأعشاب المنسوجة. كانت هذه الصورة من النوع الذي يتجاوز أي شيء يمكن أن ينتجه خيالك.

كنت أعتقد دائماً أنه "مختلف" بطريقة غريبة، لكني لم أستطع أبداً أن أحدد لماذا شعرت بذلك. بعد الخدمة في جنوب شرق آسيا، فهمت تلك الاختلافات.

لقد كان مفرط التيقظ، يميل إلى النفقات المفاجئة والباهظة، ومهووساً تقريباً بامتلاك ما يكفي من الطعام. في أيام الأحد، كان يشوي ثلاث أو أربع دجاجات مع كل الإضافات ويفتح منزله للعائلة والجيران. كان قلبه كبيراً مثل المحيط ولطيفاً مع كل من قابله، على الرغم من أنه بالنسبة لشخص غريب عابر قد يبدو صاخباً وغاضباً في معظم الأوقات، بل وحتى عدوانياً. بدا دائماً وكأنه يعيش وكأنه قد يموت في أي لحظة.

لاحقاً، عندما انضممت إلى الجيش، سحبني جانباً وقال لي ألا أثق بالحظ أبداً. طلب مني أن أستمع إلى حدسي، وأن أنتبه إلى "الصوت الصغير" الذي دفنته في داخلي، وألا أشك أبداً في صدقه. وأخبرني أيضاً أنه إذا لم أكن متأكداً مما إذا كان يجب أن أطلق النار أم لا، فعليّ أن أطلق النار أولاً، وأطلق النار بهدف القتل، وأقوم بتسوية الأمر لاحقاً. لا يزال بإمكاني تذكر نظرة عينيه عندما أخبرني بذلك. كان الأمر أشبه بالنظر مباشرة إلى عيني نمر على وشك قتل فريسته.

وُلدت أختي الثانية، ماري، قبل بضعة أشهر من عيد ميلادي الثامن، وقبل بضعة أشهر من لقائي بالسيد "مارشيجيانو". اليوم لا يمكنني أبداً التعبير عن الحب الذي أحمله في قلبي لأخواتي، لكن في ذلك الوقت شعرت أن يوم ميلادها كان أسوأ يوم في حياتي. في ذلك الوقت، كان الشيء الجيد الوحيد في الأمر هو أنني تمكنت من قضاء المزيد من الوقت مع والدي بينما كانت والدتي في المستشفى، ولم أكن مُراقباً. عندما عادت إلى المنزل، حاملة "ماري" بين ذراعيها، تسلقت الشجرة في فناء منزلنا الخلفي وأخبرت الجميع أنني لن أنزل حتى يعيدوا أختي "ماري" إلى الأطباء. جلست متخفياً عالياً في الشجرة لساعات، حتى حل الظلام أخيراً من حولي. في نهاية المطاف، غير الجوع وبعوض فلوريدا بحجم اليعسوب رأيي. لقد فكرت أنه يمكنني التعايش مع وجود "هذا الشيء" في المنزل، طالما لم يكن عليّ أن أنظر إليه. لو كنت أعرف آنذاك كيف ستسير السنوات الثلاث التالية في النهاية، لربما كنت قد غادرت المنزل.

باختصار، في سنواتها القليلة الأولى، كانت أختي الصغيرة الحلوة "ماري" صراخة كبيرة. كانت تصرخ طلباً لزجاجة الحليب عندما كانت جائعة. كانت تصرخ لتغيير حفاضها عندما كانت مبللة. كانت تصرخ ليتم حملها كلما رأت إنساناً آخر. ولكن لسبب غريب، كلما رأتني، كانت تتوقف فجأة. لذا لم يكن هناك تفكير بالنسبة لبقية أفراد العائلة: أنا وماري قضينا الكثير من الوقت معاً. أينما ذهبت، ذهبت ماري. أصبحت جزءاً دائماً يركب على وركي. كصبي في حي صعب، كان هذا يعني أنه كان عليّ أن أكون أكثر صرامة بكثير لأستمر في ذلك. بالنظر إلى الوراء، أنا متأكد الآن أن ماري لم تفتح عينيها حتى وصلت إلى المنزل من المستشفى. عندما فعلت ذلك، مثل طائر صغير حديث الولادة، فإن أول شيء رأته قد انطبع في ذهنها—وحدث أن كنت أنا.

كان لدى ماري فضول لا يُشبع تقريباً. مهما كنت أفعل، كانت تدفن أنفها فيه. مارغريت كانت أختي التوأم الفعلية، نصفي الآخر، رفيقة طفولتي، أياً كان—لكن ماري كانت ظلي، دائماً موجودة أمامي مباشرة.

في الحقيقة، تصرفت مارغريت كـ "الظل" أكثر بكثير. من بين جميع الأشخاص الذين عرفتهم على الإطلاق، كانت هي الأكثر ذكاءً. لم يُقَس معدل ذكائها رسمياً أبداً، ولكن لو حدث ذلك، أراهن أنه كان سيُكتشف أنه في حدود المائة وخمسين. كل ما لم أكن أعرفه—وكان ذلك كثيراً—كانت هي تعرفه. في سن السابعة، كانت تقرأ الكتب من قسم المراهقين في المكتبة المحلية، وهو أمر شجعته والدتي بالفعل. قبل أن تبلغ الثانية عشرة، كانت تصمم وتقطع وتخيط ملابسها الخاصة، مما كان مصدر ارتياح لوالدتي، التي صنعت كل ما كنا نرتديه تقريباً.

نفسياً، كانت أكثر موهبة مني بكثير. كنا نناقش رؤى عالم سري داخل عالمنا الخاص. لكننا كنا نحتفظ بهذه المناقشات لأنفسنا دائماً. لم تكن تتحدث أبداً تقريباً أمام والديّ، أو أي شخص بالغ آخر. كانت تقف دائماً في الظل وتُراقب.

منذ اليوم الأول، كانت المفضلة لدى والدتي. دائماً مطيعة، دائماً متقدمة بخطوة على الجميع، ودائماً تفعل الشيء الصحيح، ولم تكن أبداً مشكلة. لم أستطع رؤية ذلك في ذلك الوقت، لكنها كانت متناغمة بشكل مطلق ومثالي مع بيئتها بأكملها، وهو شيء لا يمكن للمرء القيام به إلا بـ "القدرة الخارقة". الجانب السلبي، بالطبع، هو أنه بهذه الطريقة تفقد هويتك بسرعة.

منذ البداية كان هناك "مارغريتتان": التي عرفها الجميع وتلك الحقيقية، التي كنت أنا وحدي أعرف عنها. كنا مرتبطين روحياً وعاطفياً، وفي كثير من الحالات عقلياً. عندما كانت تتألم، كنت أتألم. عندما كانت تضحك، كنت أضحك. ولم يكن علينا أن نكون معاً لنتشارك ذلك.

تبادلنا أعمق أسرارنا مع بعضنا البعض. بعض هذه الأسرار حذرتها من عدم الكشف عنها للآخرين أبداً، وخاصة البالغين. كنت أعرف بشكل حدسي أن بعض هذه الأسرار ستُخيف الناس وتدفعهم إلى تصرفات سنندم عليها نحن الاثنان. لا يريد الناس أن يتجول طفلهم ويخبر الآخرين أنه يمكنه رؤية أشخاص لا يستطيع أي شخص آخر رؤيتهم، ويمكنه التحدث والتفاعل معهم، أو يمكن أن يخبره هؤلاء الأصدقاء غير المرئيين متى ستحدث الأشياء قبل أن تحدث فعلاً. أخبرتني مارغريت عن هذه التجارب. أنا، من ناحية أخرى، كنت أخبرها فقط عن "أرنب صغير" كان يأتي في الليل لتهدئتي عندما شعرت بالوحدة أو الخوف. النقطة المهمة هي أنني فهمت أن هذه كانت أسراراً خطيرة بين الأشقاء وليست شيئاً يجب أن يسمعه الكبار. للأسف، لم تستطع مارغريت أن تعيش مكتومة الصدر بتلك الأسرار. ففي حدود عيد ميلادنا الثاني عشر، بدأت ثورتها الهادئة ضد الأبوين، والكنيسة، والمجتمع بأكمله... ولكن المزيد عن ذلك لاحقاً.

اعتنقت والدتي المذهب الكاثوليكي عندما كنت في الثامنة. أعتقد الآن أن هذا التغيير المفاجئ كان ناتجاً عن عدد من الأحداث الكبرى في حياتها.

أولاً، كانت تُعامل معاملة سيئة (عاطفياً على الأقل) من قبل إخوتها وأخواتها. لم يكن هذا واضحاً لي تماماً. لم أدرك إلا في وقت متأخر جداً أن عائلتها بأكملها كانت تكنّ كرهاً شديداً لوالدي. أفترض أن السبب الرئيسي كان إدمانه الكحول وعجزه عن تحسين الوضع المالي للأسرة. كانت تُرى هذه كنقاط ضعف، وهذا صحيح، ولكن لا ينبغي أن تكون سبباً لقطع علاقتها العاطفية بها. حقيقة أن جميع أقاربي كانوا من الميثوديين وأن والدي كان كاثوليكياً ربما لم تزد الأمر إلا اشتعالاً. أعتقد أن هذا الكره الكامن لوالدي كان يثقل كاهل والدتي دائماً. كأطفال، كنا عمياناً عن الآثار التي كان يتركها هذا على والدتنا، لكنه كان محسوساً بالتأكيد على المستوى الطاقي.

ثانياً، أدركت والدتنا أنها إذا أرادت أن توفر أفضل تعليم ممكن لأطفالها، فسيتعين عليها إخراجنا من المدرسة الحكومية المجاورة للمشاريع السكنية، وإلحاقنا بأقرب مدرسة كاثوليكية، التي كانت تبعد أميالاً عن المنطقة التي نعيش فيها والتي تعصف بها الفاقة.

كانت مدرسة "القديسة مريم" الكاثوليكية تقع بمحاذاة موقع كاتدرائية ميامي المخطط لها حديثاً، وكانت تقع خارج منطقة الأحياء الفقيرة التي كنا نعيش فيها. وكانت أبرشية القديسة مريم أيضاً تبرم صفقات لمن لا يستطيعون دفع الرسوم الدراسية، وذلك بجعل الأطفال يعملون في المدرسة أو الكنيسة بعد ساعات الدراسة.

بالنسبة لي، كان تغيير المدارس أمراً مزعجاً حقاً. فجأة أُجبرت على المشي لأكثر من ميل للوصول إلى المدرسة كل يوم، ذهاباً وإياباً، واضطررت لاحقاً للقيام بدور المرافق والحامي لأخواتي الصغيرات. قد لا يبدو هذا شيئاً عظيماً، لكن صدقني، لقد كان مصدر إزعاج كبير. على سبيل المثال، كانت ماري تمشي أحياناً المسافة بأكملها وهي تغمض عينيها بشدة، لمجرد إجباري على إمساك يدها. بالطبع، كان هذا سبباً في إحراجي التام أمام جميع الفتيان في الحي الذي كان علينا المرور به. حتى يومنا هذا، لا تزال تدعي أن السبب في ذلك هو أن عينيها كانتا حساسيتين للشمس، التي كانت في وجهنا ونحن ذاهبون إلى المدرسة وعائدون إلى المنزل. هي جادة تماماً في هذا الادعاء ولا يمكن الجدال فيه، لكني ما زلت أعتقد أن السبب كان هو تمكنها من إمساك يدي. على أي حال، لم أعد أرى في ذلك الآن مصدر إزعاج. (أعتقد أنني نضجت منذ ذلك الحين).

مثل مارغريت، لطالما اعتقدت أن أختنا ماري كانت أذكى مني بكثير، والسبب في ذلك في الغالب هو أنه كلما قررت ماري خداعي أو تمويهي بشيء ما، كان الأمر ينجح دائماً على ما يبدو.

أختي الثالثة، إليزابيث، كانت "الطفلة الصالحة". في كل عائلة هناك طفل لا يمكن أن يخطئ. تلك كانت "بيث". كانت تبتسم دائماً وملتصقة بجانب والدي دائماً. تعلمت إحدى تلك الحقائق الأسرية الأساسية وهي لا تزال تتأرجح حول المنزل بالحفاضات—أنك إذا سيطرت على الذكر المهيمن في الأسرة، فإنك تسيطر على كل شيء. لماذا انجذبت بهذه السرعة إلى جانب والدي، لا أعرف. لكنني أعرف أن العلاقة بينها وبين أبي كانت فريدة. لسبب ما، تشكلت الرابطة بينهما بهذه الطريقة فحسب.

واحدة من أحب ذكرياتي عن "بيث" هي مشاهدتها وهي تدخل الغرفة كطفلة صغيرة. كانت دائماً تذكرني بـ "ظبية صغيرة" تدخل إلى فجوة في غابة بخطوات خفيفة. في الواقع، لسنوات، عندما كانت حافية القدمين، كانت تمشي فقط على أطراف أصابعها. كانت تدبُّ على أطراف أصابعها إلى الغرفة وعيناها الكبيرتان تمسحان كل شيء، وكانت تبدو دائماً مسيطرة على قرارها بالبقاء أو عدم البقاء، والمشاركة أو عدم المشاركة، حسب مزاجها.

كانت "بيث" تجلس دائماً على مسافة قريبة من أبي. كان يتحرك، وكانت تتحرك معه مباشرة. أعتقد أنه بالنسبة لها، كان يمثل دائماً شعوراً بالحماية. كانت تشارك مجاله الطاقي. صحيح أيضاً أن هذه كانت حماية جيدة جداً ضد الأم. بحلول الوقت الذي ولدت فيه "بيث"، كانت والدتنا قد استسلمت للقتال ضد إدمان والدي الكحول وانضمت إليه عند القنينة. ونتيجة لذلك، كانت هناك زجاجات مخبأة في جميع أنحاء المنزل. بل إنهم كانوا يخفونها عن بعضهم البعض.

كنت قلقاً دائماً بشأن ضعف "بيث". لكن في السنوات اللاحقة، أظهرت لي القوة الحقيقية. تزوجت صغيرة جداً، كما فعلت والدتي، لكنها تجنبت جميع حقول الألغام التي لم تتجنبها والدتي. أتذكر لقائي الأول بخطيبها—شعر طويل في أواخر الستينات، وهي علامة أكيدة على "الاضطراب". ومع ذلك، لا يزال "جيمي" زوجها حتى اليوم. سيكون من الصعب العثور على رابطة أكثر صلابة. لقد قامت بتربية عائلة جيدة من الأبناء وكانت دائماً موجودة من أجلهم. قد تبدو هادئة وهي بالتأكيد روح لطيفة، لكنها أيضاً صخرة، تشبه تلك التي لا تجدها إلا في أساس أقدم وأكثر حكمة.

سقطت والدتي في النهاية في معركة ضد القنينة. في بداية تلك البيئة، ولدت أختي الصغرى، "كاثلين". كانت "كاثي" صغيرة جداً ومستقلة جداً. كانت أيضاً "مسترجلة" إلى حد كبير. كانت تبلّي بلاءً حسناً للغاية في ألعاب القوى والمسار، ولدهشة الجميع تقريباً (والذعر المعتاد) كانت تظهر دائماً مهاراتها البهلوانية في غرفة المعيشة المزدحمة بشكل مفرط، وتقوم بمناورات مثل الشقلبات العكسية فوق طاولة القهوة الزجاجية على الأرضية الرخامية الزائفة. كانت أيضاً على الأرجح الأقسى من بين أخواتي. لم يعرف الكثيرون أن "كاثي" كانت تحمل دائماً موس حلاقة مستقيم منذ سن مبكرة. لم يكن لدي أي فكرة، حتى أرتنيه لي مرة واحدة بعد عودتي من أول جولة لي في الخارج. هل كانت ستستخدمه أو هل يمكنها استخدامه؟ نعم، على الأرجح، أعتقد أنها كانت ستفعل. من أين تعلمت أن تفعل ذلك؟ حسناً، للأسف ربما كان ذلك بسببي. لقد حملت واحداً مرة أيضاً. في أوائل سنوات مراهقتي، كنت أتجول مع اثنين من الأصدقاء، نقضي وقتاً طويلاً في الشوارع. نصحني الصديق الذي كنت أتجول معه كثيراً بحمل موس حلاقة مستقيم للحماية، ففعلت. قال إنه لن يقف أحد في وجه شخص يحمل موس حلاقة مستقيم.

كان لهذا الشاب أب مسيء للغاية يستخدم قبضتيه كعقاب على أصغر المخالفات. كان صديقي سريعاً حقاً ويمكنه عادة تجنبه، لكنه حوصر في غرفته ذات ليلة ولم يكن لديه مكان يهرب إليه. سحب الموس على والده في عمل يائس للدفاع عن النفس. كان خطأه الرئيسي هو عدم قدرته على استخدامه. قضى حوالي أسبوع في المستشفى وكان في وضع سيئ حقاً. تعلمت من تلك الحادثة أنه إذا حملت سلاحاً وسحبته، فمن الأفضل أن تكون مستعداً لاستخدامه. إذا كنت تعرف أنك لا تستطيع استخدامه، فلا تحمله. رميت موس الحلاقة الخاص بي في حاوية قمامة وحملت فقط "قبضات فولاذية" في جيب سترتي. لم أجد مشكلة في استخدام تلك.

استغرق الأمر بعض الوقت، لكن ميولي العنيفة أدركتني أخيراً. عادت أختي مارغريت إلى المنزل من المدرسة بعد ظهر أحد الأيام وبلوزتها ممزقة بشدة. أخبرتني أخيراً أن إحدى العصابات المحلية قد تحرشت بها. دون الدخول في حالة غضب مطلقة، سحبت بهدوء مضرب البيسبول الصلب الخاص بي من خزانتي وانطلقت عبر الحي إلى مبنى شقة زعيم العصابة. ضغطت على جرس بابه، وعندما فتح الباب الداخلي، أرجحت المضرب عبر الباب الشبكي. ربما ما أنقذ حياته هو المشغولات الحديدية المزخرفة أمام الشبك. تركته فاقد الوعي وأمسكت بعضوين آخرين من العصابة قبل أن تلقي الشرطة القبض عليّ. في دقيقة كنت واقفاً هناك وبمضرب في يدي وفي الدقيقة التالية كنت ملقى على ظهري في موقف السيارات أرى النجوم، ناظراً إلى شرطي ضخم جداً.

كان الشرطي الذي نزع سلاحي جندياً سابقاً في المارينز، وبطل أوكيناوا في الجوجيتسو، والذي، الحمد لله، كان لديه أخت أيضاً. مقابل عدم اعتقالي وتوجيه تهم لي، كان عليّ أن أوافق على بدء أخذ دروس في الفنون القتالية منه. وافقت لأن الأمر بدا رائعاً حقاً. ولكن عندما بدأ تعليمي، بدأ يرشدني إلى فهم الدفاع باليد المفتوحة وما يعنيه "ميثاق الشرف للمحارب". تعلمت بسرعة أن كونك قادراً على فعل شيء لا يعني دائماً أنه يجب عليك ذلك. يتطلب الأمر أحياناً شجاعة أكبر للابتعاد بدلاً من جعل الموقف السيئ أسوأ.

تقبلت التدريب كالبط يتقبل الماء. كان هذا هو نوع التدريب الذي تمنيت دائماً وجوده لأخواتي أيضاً. الآن تُشجع الفتيات الصغيرات على ممارسة هذا النوع من التدريب. في ذلك الوقت، لم يكن الأمر كذلك.

كان لـ "سكر" والدينا آثار عديدة علينا نحن الأطفال. عندما كان أحد الوالدين فقط ثملاً، كان الآخر غاضباً دائماً وكان شخصاً نتجنبه بأي ثمن. كانت هناك بضع مرات كانا فيها كلاهما صاحيين، وكانت تلك الأوقات ممتعة ومُبهجة. ومع ذلك، كان الأمر أسهل عندما كان كلاهما ثملاً معاً. خلال تلك الأوقات، كنا متروكين لأنفسنا إلى حد كبير وكان يمكننا الذهاب إلى أي مكان أو فعل أي شيء نريده تقريباً.

كوننا متروكين لأنفسنا كان يعني توفير طعامنا وملابسنا بأنفسنا، ورعاية بعضنا البعض عندما نمرض، و—خلال الفترة القصيرة التي كنت فيها في المنزل بينما كانت أخواتي يكبرن—توفير الحماية التي أستطيع توفيرها في الحي. لم يكن أي من هذا مهمة سهلة، على الأقل من وجهة نظري، وفي معظم الأوقات كان يتركني محبطاً ومرهقاً وغاضباً وحانقاً على الحياة بشكل عام. بطريقة ما تمكنا من التدبير. بما أنني كنت ذكراً، شعرت دائماً أن أخواتي كنّ يواجهن صعوبة أكبر، ولم يكن هناك سوى القليل جداً يمكنني فعله حيال ذلك. شعرت أحياناً بالعجز حيال ما كنّ يمررن به ولطالما شعرت أنهن يستحقن أفضل. على الرغم من أنني أعرف أن هذا نتاج لوجودي في دور أبوي بدوام جزئي، إلا أنه من الصعب التخلص منه. ولأكون صادقاً تماماً، لست متأكداً أنني أريد ذلك حقاً.

ربما كانت سنوات الدراسة الثانوية هي أصعب فترة في حياتي. كان الالتحاق بالمدرسة الثانوية في "رئيس الأساقفة كورلي"، وهي مدرسة للبنين فقط في ميامي، أمراً صعباً. كانت عائلتنا قد انتقلت مرة أخرى، هذه المرة إلى الأطراف الخارجية لمدينة "أوبالوكا". كان مشروعاً جديداً تماماً للفقراء، طريقة المدينة لتطهير مناطق وسط المدينة—وتوفير عقارات للشركات التي تحتاج إلى مساحة. بُني المشروع الجديد في أقصى الشمال الغربي للمدينة، على بعد حوالي ثلاثين ميلاً شمال وسط ميامي. كان مختلفاً عن الأماكن الأخرى التي عشت فيها، ويرجع ذلك في الغالب إلى أنه كان جديداً. حتى ذلك الحين لم أكن أعرف أنه يمكنك العيش في "حي فقير جديد". كان في أقصى حافة المدينة، ويسند إلى ما كان آنذاك "مستنقعاً".

لم يكن هناك الكثير من رموز العصابات المرسومة على الجدران بعد، وجميع الأضواء الخارجية كانت لا تزال تعمل، لكنه كان يتطلب تنقلاً طويلاً إلى المدرسة كل يوم—أقل بقليل من عشرين ميلاً في اتجاه واحد. لم يكن هناك سوى طفل آخر، "فرانك"، يعيش بعيداً عن المدرسة مثلي. في معظم الأيام، كان يقلني على دراجته النارية وكنا نلتقي بالشباب الآخرين الذين كنا نتسكع معهم في ما كنا نسميه "الزاوية". كانت محطة وقود صغيرة على الزاوية المقابلة لمدرسة البنات فقط، "نوتر دام"، التي كانت مدرستنا الشقيقة. لم تكن المحطة تفتح حتى تبدأ المدرسة، لذا كان يمكننا التسكع هناك وتبادل رسائل الحب، والقيام ببعض التقبيل (هذا هو التقبيل، لقرائي الأصغر سناً)، وتدخين السجائر دون عائق.

كنا نقضي الكثير من الوقت في التحدث والتواصل الاجتماعي مع صديقاتنا حتى جرس فصلهن الأول. كنت عادة أقوم بدور ساعي البريد—أي حامل الرسائل من الأولاد الآخرين إلى فتياتهم أو العكس. (لم تكن لدي صديقة ثابتة حتى وقت متأخر من سنوات دراستي الثانوية). التسكع في الزاوية أعطاني وقتاً للتسلل في بضع سجائر قبل صفي الأول. لقد كان قس كاثوليكي هو من تسبب في أن أبدأ التدخين فعلياً. كنت في الخامسة عشرة، أقوم بتوصيل بعض الأغراض في مقر الأبرشية في أحد أيام السبت، وذلك لتعويض جزء من الرسوم الدراسية، عندما دخل "الأب نيل" وألقى إليّ علبة كرتونية من السجائر. كانت من نوع "تشيسترفيلد" غير المصفى. سألته عما يريده مني أن أفعل بها. فكان رده: "دخنها. هذا ما يفعله الرجال". وهكذا تعلمت، عن طريق الخطأ، أن الرجال الرائعين يدخنون. بدأت التدخين لأنني اعتقدت أنه يجعل مظهري لائقاً. لم أدرك في ذلك الوقت أن الرقي الحقيقي يكمن في عيش المرء وفقاً لمنطقه الخاص. أتمنى الآن لو أنني لم أفعل.

كما أعارني "الأب نيل" سيارته للمواعيد الغرامية في سنوات دراستي الأخيرة. كان يرمي لي المفاتيح ليلة السبت ويطلب مني أن أعيدها بأقل قدر ممكن من "الخطيئة" على المقعد الخلفي. لقد كان رجلاً مهيباً نوعاً ما. أعني، من ذا الذي يجرؤ على العبث في المقعد الخلفي لسيارة قس؟

لا بد أن راهبات مدرسة "سيدة العذراء" كنّ على علم بتجمعنا مع فتياتهن في تلك "الزاوية"، حتى لو كنا بعيدين عن أنظار المدرسة. كنّ دائماً يقرعن جرسهن الأول قبل جرسنا بحوالي عشر دقائق، مما كان يمنحنا القدر المناسب من الوقت للوصول إلى فصولنا التي تبعد ستة مبانٍ على الطريق. في فترات بعد الظهر والصباح التي لم يظهر فيها "فرانك"، كنت أُجبر على إيصال نفسي من وإلى المدرسة بأي طريقة أستطيع. كنت أحصل أحياناً على ركوب مجاني إلى موقف حافلات يبعد عشرة أميال أخرى جنوباً مع الرجل الذي كان يقل والدي إلى العمل. كان يقود سيارة "فورد" قديمة ويدخن الغليون. كان دائماً يميل إلى الأمام وهو يحشو غليونه أو يعبث به وسط الزحام الشديد، بينما يقود السيارة بمرفقيه. في أكثر من مرة، تركتُ آثار أظافري محفورة على لوحة القيادة عندما كان يضغط فجأة على المكابح لتجنب الاصطدام الخلفي على الطريق السريع المنجز حديثاً. لم يكن أحد آخر يركب في المقعد الأمامي لهذا السبب تحديداً.

كنت قد أقسمت لوالديَّ أنني لن ألجأ إلى التلويح للسيارات لتقلني مجاناً، لكن هذه كانت الطريقة الوحيدة تقريباً التي تمكنت بها من الوصول إلى المدرسة في الوقت المحدد. بالنظر إلى الوراء، يجب أن أقول إن هذا كان على الأرجح أغبى شيء فعلته في حياتي. لمدة أربع سنوات، كنت أحصل على ركوب من غرباء تماماً، أحياناً بعد حلول الظلام، ودائماً في أسوأ الأجزاء الممكنة من المدينة. ربما كان هذا هو المكان الذي بدأت فيه أولاً بصقل قدراتي الباطنية. كنت أعتمد كلياً على الحدس عند اتخاذ قرار ما إذا كان ينبغي عليّ الركوب في سيارة تتوقف لاصطحابي أم لا. إذا شعرت بإحساس معين عميق في أسفل بطني، كنت ألوح لهم بالرفض وأبتعد عن السيارة.

لكن ليس كل نظام مثالي. في ست مناسبات على الأقل، لم أتبع قواعدي الخاصة ووجدت نفسي في موقف كان يمكن أن يؤدي إلى ورطة خطيرة. أقل هذه المواقف إثارة للمشاكل نتج عنه كسر في عظم رسغي بسبب قفزي من المقعد الأمامي على الرصيف بسرعة خمسة وأربعين ميلاً في الساعة. كنت قد قبلت الركوب مع رجل بدا في البداية مهذباً ولطيفاً. ولكن عندما انعطف فجأة إلى شارع مظلم ومد يده يمسك بي، علمت أن الوقت قد حان للفرار. بعد ذلك، كنت دائماً أصعد إلى السيارة حاملاً زجاجة مشروب غازي، أو أحتسي قدحاً من القهوة الساخنة. كان تدريب الجودو والجوجيتسو الذي تعلمته من صديقي الشرطي والجندي السابق في المارينز يستحق العناء. لقد نشأ حل الكثير من مشاكلي من خلال ازدياد إلمامي بالفنون القتالية. علمني صديقي كيف أطبقها في الشارع. وبدمج ما تعلمته منه عن الدفاع عن النفس مع غريزتي الطبيعية المتنامية في استشعار المشاكل قبل أن تبدأ، بدأت مشاكلي تتلاشى. هناك أيضاً ثقة تُولد من المعرفة، وأنا متأكد أن لغة الجسد لعبت دوراً كبيراً في التعامل مع أي مشكلة محتملة. إذا درست الحيوانات، يمكنك أن ترى ذلك في الطريقة الخفية التي يغيرون بها وقفتهم. كما في القطط، فإن التغيير الطفيف في وضعيتها يصرخ عالياً للقطط الأخرى: "لا تعبث معي".

لم تكن سنوات دراستي الثانوية مثيرة جداً. فقد اختفت أختي التوأم بشكل أساسي من حياتي. لم يخبرني أحد حتى بمكان وجودها بعدما أرسلوها إلى "بالتيمور" لتلد طفلها. أفترض أنهم شعروا بأنهم يحمونني بطريقة ما. عرفت غريزياً أن شيئاً ما كان خطأ، لكن لم أستطع فهمه بنفسي تماماً. بعد ذلك، ومع دخولها المستشفيات والاعتقالات التي يفترض أنها للحماية، أصبح مكان وجودها سراً من أسرار الدولة.

مع تقدمي في السن، بدأت أفهم الغضب الذي كانت تحمله والدتي في داخلها. لم يجعل ذلك الإساءة صحيحة، لكنه فسَّرها. كان والدي قد تدهورت حالته لدرجة أنني لم أكن متأكداً حقاً من أنه سيصمد. ليس لدي أي ذكرى له وهو في وعيه خلال سنوات دراستي الثانوية. كان عادة "نصف سكران" بحلول الوقت الذي يصل فيه إلى المنزل في المساء وكان دائماً يغيب عن الوعي بعد العشاء بوقت قصير جداً، مما يعني أنه كان فاقداً للوعي عندما أصل أنا إلى المنزل.

كانت والدتي بدأت تعاني من مشاكل في الغدة الدرقية والكبد والكلى (نتيجة الكحول، أنا متأكد). كانت لديها أيضاً مشكلة في القلب، لكنها أبقت ذلك سراً عن الجميع. كنت أستطيع أن أستدل على تدهور صحتها من الطريقة التي كانت تطهو بها وجباتنا. كانت الأطعمة إما غير مطبوخة جيداً أو محروقة تماماً. لا يوجد حل وسط. ولأن الكثير من المال كان يذهب للمسكرات، كانت الوجبات بالكاد تكفي لشخصين بالغين، ناهيك عن أخواتي الثلاث وأنا. لذلك توقفت بالفعل عن تناول الطعام في المنزل. كنت أقوم بأعمال متفرقة في مطعمين محليين مقابل وجبة طعام، أو أغسل سيارة أو اثنتين مقابل مال الطعام.

آمل لو كان لي أن أقول إن حياتي الاجتماعية في المرحلة الثانوية كانت كحياة أقراني، غير أنها لم تكن كذلك قط. فقد كنت دوماً ذلك الفتى الذي جاء من قلب تلك التجمعات السكنية المعدمة.

لقد كانت قبلتي الأولى لحبيبتي الأولى عبر باب سلكي، وقد حدث ذلك في عيد ميلادي الحادي عشر ـــكان اسمها تيريزا. تيريزا لامنغتون، وكانت هي أيضاً توأماً. كان اسم شقيقها برونو. كانا ينحدران من المنطقة الناطقة بالفرنسية في مقاطعة كيبيك الكندية، ولم يكن أي منهما يتحدث الإنجليزية بطلاقة. وأعتقد أن لغتها كانت الجاذبية الأساسية التي أسرتني في ذلك الوقت. لهجة فرنسية، كثيرة . حسناً... أنت تدرك ما أعنيه. ولكن، ما الذي يمكن أن يدركه فتى في الحادية عشرة من عمره؟ أتذكر أنها كانت تملك شفتين ناعمتين جداً وعينين داكنتين، وكان يحدث اضطراب في أحشائي كلما اقتربت منها. مضى على ذلك وقت طويل، لكنه من الأشياء التي لا يمكن أن تُمحى من الذاكرة أبداً

ذكريات وأحلام على الطريق

لطالما كان والد مارسيا شخصية مترددة لا يبدي رأيًا قاطعًا، أما والدتها فكانت خبيرة في فن التخريب الخفي كنت أرى الأمور على ما يرام معها حتى أتيت ذات مساء سبت لأصطحب مارسيا إلى سينما السيارات. كنت حينها أقود سيارة فورد من طراز عام 1952 اشتريتها من تاجر خردة وأصلحتها بنفسي.

كانت والدة مارسيا تقف بجوار السيارة، تردد ما تقوله الأمهات حين تخرج بناتهن في موعد، من قبيل: "كونا حذرين، وعودا إلى المنزل مبكرًا"، وما إلى ذلك. وعندما أدرت المحرك للانصراف، وضعت مارسيا قدميها على أرضية السيارة ودفعت لتتمكن من سحب تنورتها القصيرة للأسفل كما تفعل النساء عادة. فجأة، انقلب المقعد الأمامي بأكمله إلى الخلف، مشكلاً ما بدا لي، وأنا واثق، كأنه سرير مثالي.

حاولت أن أشرح بأنني أصلحت المقعد الأمامي بمسامير رديئة، لكن هذا التبرير قوبل بآذان صماء. ومنذ تلك اللحظة فصاعدًا، بدت والدتها وكأنها تقف في الطريق دائمًا، وقد أصبح من الصعب حقًا أن نحظى بلحظة خاصة. أما الجانب المضيء في الأمر، فكان هو حصولي على فرصة لقيادة سيارة والدتها لحضور الأفلام طوال الوقت؛ لقد كانت سيارة ثندربيرد جديدة تماماً ذات مقاعد منفصلة.

صدمة الحياة الجامعية

تخرجت أخيرًا في يونيو من عام 1964 وحصلت على منحتين جزئيتين من جامعتين. وفي النهاية، وقع اختياري على الجامعة الأقرب إلى المنزل، وهي جامعة ميامي، والسبب ببساطة هو أنني لم أكن أستطيع تحمل تكلفة استئجار شقة.

"يا لها من فوضى عارمة!" كانت تلك أول كلماتي بمجرد أن جلست في فصلي التمهيدي لطلاب السنة الأولى. كان أمامي على الطاولة كومة من الكتب الدراسية التي كنت قد كددت وعانيت لأسبوعين تقريبًا لتوفير ثمنها. وها أنا جالس، لا أستطيع تبين ما يقوله الأستاذ في مقدمة القاعة. كان الجميع يصرخ ويتحدث مع الآخرين في نفس اللحظة.

الأستاذ، الذي بدا غافلاً تمامًا عن الضوضاء التي تدور حوله، استمر في الحديث وكتب شيئًا على السبورة لم أتمكن من رؤيته. بدا وكأنه يجري حوارًا مع الهواء. وكانت القشة الأخيرة، عندما ألقى طالب نحيل البنية، ذو عظام دقيقة ووجه مرقط بالنمش، بطاقة تعريف على مكتبي، وطلب مني أن أحفظ الرقم المدون عليها، والذي كان رقم هويتي الجامعية.

أدركت حينها أنه على الرغم من صعوبة المرحلة الثانوية بالنسبة لي، إلا أنني كنت على الأقل أستطيع رؤية معلمي والتحدث إليه مباشرة هناك. وقفت، ودسست كومة كتبي نحو الطالب الجالس بجواري، وقلت شيئًا على غرار: "خذ ما تشاء منها." ثم خرجت. لم يكن بوسعي على الإطلاق أن أتحمل أربع سنوات من هذا المشهد.

الذكريات الأولى والحب الضائع

بعد تلك التجربة العابرة للتعرّي غير المقيد، واعدت عشرات الفتيات المختلفات لسبب أو لآخر طوال المرحلة الثانوية. أظن أنني واعدت هذا العدد الكبير لعدة أسباب. أولاً، كنت أبحث عن الحب. كنت أدرك أنني أفتقر إليه في حياتي، لكني لم أكن أعرف كيف يجب أن يكون شكله في الأساس. ثانيًا، كنت مفتونًا بالفوارق الجسدية؛ لقد كنّ مختلفات تمامًا، الواحدة عن الأخرى.

بعض الفتيات اللاتي واعدتهن لم يكنّ يتحدثن الإنجليزية بكلمة واحدة. إحداهن كانت فتاة جميلة جدًا من فنزويلا، ذات شعر أشقر طويل ومسترسل يصل إلى خصرها، وعينان زرقاوان شاحبتان تشبهان قطع الرخام المشقوق. كانت لا تتحدث سوى الإسبانية، ومهاراتي فيها كانت ركيكة للغاية. كانت جدتها تذهب معنا في المواعيد دائمًا، وكانت إنجليزيتها مقبولة. كنا نسير يدًا بيد إلى السينما، بينما كانت جدتها تتهادى خلفنا بعشر خطوات.

تشاركتُ أيضاً في مواعيد مزدوجة مع شاب لا بد أنه كان يواعد حفيدة "آل كابوني". يا لها من ليالٍ! كنا نجوب المدينة بسيارة ليموزين سوداء كبيرة أمامنا وأخرى خلفنا، وكلتاهما تحملان رجلين ضخمين بقبعتين داكنتين. لطالما فكرت بأن هذا الشاب يمتلك شجاعة عظيمة ليتودد لحفيدة رجل مافيا تحت أعين "العملاق" وإخوته المتيقظة. لم يتحدث هؤلاء الحراس، ولم يتدخلوا أبدًا، ولم يبتعدوا عنّا لأكثر من ثلاثة أمتار.

قابلت حبي الجاد الأول بالصدفة المحضة. أقنعني أصدقائي بالذهاب إلى حفلة راقصة في إحدى المدارس الثانوية الكاثوليكية الأخرى. كانت الحفلة برعاية فرع محلي من منظمة الشباب الكاثوليكي. رأيتها تقف في الجهة المقابلة من ساحة الرقص عندما دخلت، وعرفت على الفور أنها الفتاة المناسبة لي. حقيقة أنني لم أكن أبلغ من العمر سوى خمسة عشر عامًا لم تبدُ مهمة. كما أنني لم أترك حقيقة أنني لم أتعلم الرقص أبدًا تعيق طريقي. كان اسمها آرلين جاكمان. واعدنا بعضنا بانتظام لعامين تقريبًا، ثم ذهبت إلى منزلها ذات صباح سبت، وأخبرني والدها أنها تزوجت سرًا من شاب آخر كانت تراه منذ فترة. لقد شعرت بانهيار تام. لم أتوقع ذلك أبدًا. لا أرى لنفسي نصيباً في التنبؤ، على ما يبدو. لقد تعلمت منذ ذلك الحين أنه يمكنك أن تتنبأ بأي شيء تقريبًا باستثناء ما يخص نفسك.

انتقامًا، قفزت من فتاة إلى أخرى لقرابة ستة أشهر، ثم وقعت في الحب مرة ثانية وبشغف مع شابة تدعى مارسيا بينيديكت. استحوذت على عامي الأخير بالكامل في المدرسة. ولكن بقدر ما أحببتها، كان من الصعب أن نكون معًا. إذا كنت تتخيل شخصين يأتيان من طرفين متقابلين تمامًا في جميع النواحي، فكنا نحن هذين الشخصين بالتأكيد. كنا نتشاجر بعنف حول أتفه الأمور، لكننا كنا نحب بعضنا البعض بعمق أيضًا. منحني هذا الأمر المزيد من البصيرة في العلاقة التي كانت قائمة بين أمي وأبي، على الأقل في بداية حياتهما معًا. ولكوني أكبر سنًا وأكثر حكمة الآن، أعرف أن أيًا من هذه العلاقات لم يكن ليصمد. فالنوع الذي كنت أبحث عنه من الحب لم يكن النوع الذي كان بوسعهن تقديمه. كنّ ملاذات آمنة في وقت الحاجة، ولهذا أنا ممتن إلى الأبد. أما الحب الحقيقي، فكان بعيدًا بمسافة عمر، وخارج نطاق فهمي آنذاك.

الفصل الثاني: من التجنيد إلى الدراسة

في الوقت ذاته، كنت أعلم أنني لا أستطيع العودة إلى وظيفتي الصيفية، التي كانت تتلخص في العمل في مستودع لتفريغ عربات الشحن تحت شمس فلوريدا الجميلة. كان علي أن أبتكر خطة أفضل.

لقد أحببت ميامي، خاصة في سنواتي الأولى. كنت في وضع فريد كوني من الجيل الخامس من سكان ميامي. لذلك كنت أعرف عن المدينة أشياء لا يعرفها معظم الناس في سني. كان أول منزل سكنته وأنا طفل صغير هو منزل جدتي القديم، الذي كان يقع بالقرب جدًا من نهر ميامي. (حيث كان المنزل، يوجد الآن مخرج طريق سريع). كان الخشب الخارجي للمنزل قد تشبع بلون بني مبقع بسبب سنوات لا تُحصى من الإهمال والأعاصير. كان هو نفس المنزل الذي عاشت فيه والدتها ووالدة والدتها. هذا المبنى المكون من طابقين كان في الأصل صالونًا وقاعة رقص في أوائل القرن التاسع عشر. أتذكر أنني كنت ألعب في الفناء الأمامي، الذي كان مليئًا بتماثيل قديمة لنساء شبه عاريات يرتدين أزياء يونانية خيالية. وبحلول الوقت الذي كنت ألعب فيه، كانت التماثيل قد انغرست بعمق داخل جذوع أشجار البلوط الحية القديمة جدًا والمحاطة بأشجار الميموزا، حيث غلفت الأشجار معظم التماثيل، ولو جزئيًا. أتذكر، عندما كنا نعيش هناك، أن والدي قرأ شيئًا في صحيفة المساء يشير إلى أن عدد السكان قد تجاوز 100,000 أخيرًا، وقال لأمي ببعض الدهشة: "المدينة كلها ذاهبة إلى الهاوية!"

وها أنا الآن خريج مدرسة ثانوية، الوحيد في فصلي الذي لن يذهب إلى الجامعة. معضلة مثيرة للاهتمام: إذا لم تكن الجامعة هي الحل، فماذا إذن؟

كان الجميع يدركون بمهارة الاحتمال المتزايد لاندلاع حرب في فيتنام. وكثيرون ممن كانوا يقرأون المكتوب على الجدار كانوا يفعلون ما بوسعهم لتجنب هذا الموقف. لم تكن لدي أي أفكار جدية حول هذا الأمر بأي شكل من الأشكال. لا أتذكر حتى أنني كنت أعرف أين تقع فيتنام على الخريطة.

إذن، ما العمل؟

والمثير للدهشة، أنني لم أضطر للانتظار طويلاً للإجابة. جاءت الإجابة بينما كنت واقفًا في موقف حافلات بعد حوالي أسبوع من تركي وظيفتي. كان لدي ما يقرب من نصف دولار في جيبي باستثناء أجرة الحافلة. كانت بالتأكيد إحدى تلك الأوقات التي اتخذت فيها قرارًا فطريًا بحتًا.

كان الوقت متأخرًا جدًا، بعد الحادية عشرة، وبينما كنت واقفًا هناك، نظرت إلى القمر. كان قمر ميامي رتيباً، ليس بدراً تماماً ولكنه يغمره توهج برتقالي عميق، ما تعلمت أن أسميه منذ ذلك الحين قمر "الدم والرمل"، يبدو أكبر من الحياة. قال صوت خافت في أعماق ذهني: "يا ترى كيف يبدو هذا المشهد على الجانب الآخر من العالم الآن؟"

في تلك اللحظة عرفت أنه يجب علي أن أغادر المنزل، أغادر ميامي، بل أغادر فلوريدا. علمت في قلبي أنني سأشق طريقي بنفسي. وصلت الحافلة بعد وقت قصير من اتخاذ القرار، واشتريت تذكرة إلى محطتها الأخيرة.

كان علي أن أمشي الأربعة أميال الأخيرة للوصول إلى المنزل. في تلك المسيرة، والقمر يؤنسني، توصلت إلى عدد من الخطط لمغادرة المنزل. أستطيع أن أقول الآن أن معظمها كانت غبية إلى حد كبير.

إذا كنت قد زرت فلوريدا من قبل، فستعرف أن أصعب عقبة يجب التغلب عليها في البداية هي مجرد الخروج من الولاية.

في ذلك الوقت، ومع تحديد السرعة بـ 55 ميلاً في الساعة، كان الأمر يستغرق يومين تقريبًا بالسيارة. كنت بحاجة إلى إيجاد طريقة للخروج من المدينة تضمن رحلة سريعة، وإلا فمن المحتمل أن أفقد شجاعتي... فالأنماط القديمة هي الأصعب في الكسر.

ما استقر رأيي عليه في النهاية كان بسيطًا: سأقوم بالتسجيل في إحدى الخدمة العسكرية. كنت في الثامنة عشرة، لذلك لن أحتاج إلى إذن والديّ. لم تكن فيتنام مصدر قلق كبير بعد. إلى جانب ذلك، كان يُشاع أن الوحيدين الذين يتم إرسالهم إلى هناك هم القوات الخاصة.

في الصباح الباكر من اليوم التالي، اتصلت باثنين من أصدقائي واتفقنا على أن نلتقي في وسط المدينة، في ساحة المحكمة، مباشرة بعد الغداء. كانت ساحة المحكمة أطول مبنى في ميامي في ذلك الوقت، وهناك كانت تقع مكاتب التجنيد العسكرية.

لم يكن مفاجئًا أن المجندين كانوا جميعًا متشابهين إلى حد كبير. كان أي منهم يمكنه أن "يبيع الماء في حارة السقايين". أعني، بعد كل شيء، يجب أن يكونوا بهذه المهارة على الأقل إذا كانوا سيتحدثون مع شخص لإقناعه بأن يكون "وقود مدافع" طوعيًا. كان عقلي لا يزال شابًا في ذلك الوقت، ولم أستطع رؤية الصورة الكبيرة. لذلك، قضيت ما يقرب من نصف ساعة مع كل مجند واستمعت باهتمام لعرضه. يا له من إغراء كانوا يضعونه! في البداية كان لدي ميل قوي نحو القوات البحرية، لأن عمي "ريد" والعديد من أقاربي البعيدين قد أدوا خدمتهم مع البحرية في "الحرب الكبرى". ولكن كان واضحًا لي أن مجند البحرية كان ينسج حكاية خيالية مبالغًا فيها، إن لم يكن يكذب علنًا. ولم يكن حتى يحاول إخفاء ذلك! "أوه نعم، وفتاة في كل ميناء، والسفر إلى أماكن غريبة، وأي وظيفة تريدها."

كان مجند القوات الجوية سيئًا بنفس القدر. لقد وعد بأشياء مثل غرفة خاصة مع حمامك الخاص خلال التدريب الأساسي، وأن الجميع يمكنهم التقدم بطلب للانضمام إلى مدرسة الطيران. أعتقد أنه ببساطة نسي إخباري أن الطيران يتطلب شهادة جامعية لمدة أربع سنوات للبدء، والشهادة المتقدمة أفضل.

أما مجند سلاح المشاة، فكان يقدم ما بدا وكأنه عضوية في نادٍ فاخر، مع ربما بعض المعارك المجيدة لإكمال جولتك في الخدمة. هل تعرف كم عدد المعارك الشهيرة التي شارك فيها مشاة البحرية منذ فجر التاريخ؟ ربما أخبرني، لكني نسيت منذ ذلك الحين. أتذكر فقط أن عددهم كان كبيرًا بشكل مخيف، وجعل الأمر برمته يبدو وكأن التعرض لإطلاق النار ممتع في صحبة رفاق جيدين، تحت حماية "الأم المشاة".

بذل المجندون قصارى جهدهم لجذب انتباهي من خلال ثني الواقع. الحقيقة كانت ستكون أفضل. تعلمت من إخوة الصليب المقدس واليسوعيين أن الحقيقة تكون مريرة في بعض الأحيان، ولكن من الأسهل بكثير التعامل معها. والحقيقة هي أنه لا يهم في أي فرع من فروع الخدمة ترتدي الزي. الرجل الشريف هو رجل شريف، وأي شخص يخدم بلده يجب أن يُحترم لذلك. وهناك العديد من الطرق لخدمة الوطن لا تشمل ارتداء الزي الرسمي.

فاجأني مجند الجيش. لم يقدم أي عرض مبيعات فاخر، ولم يزين الحقائق أو يتطرق فقط إلى النقاط الجيدة. نظر إليّ مباشرة في عيني وسألني عما إذا كنت أعرف ما هو "مطلق الرصاص".

بالطبع، لم أكن أعرف. أعتقد أنني ربما تمتمت ببندقية أو شيء من هذا القبيل. مد يده ونقرني بلطف على صدري بإصبعه السبابة اليمنى وهمس بالكاد: "أنت. أنت مطلق للرصاص. وأيضًا، صائد للرصاص".

شعرت ببرد الموت يمر بجوار شعر ذراعي. وفي الوقت نفسه، شعرت بتحدٍ غير مباشر. من الصعب وصف الشعور الذي كان ينتابني. لكني عرفت في ذلك الوقت أن هذا الرجل يقول لي الحقيقة. إذا انضممت إلى الجيش، فإن أقل ما يمكن أن أتوقعه هو التعرض لإطلاق النار، وبلا شك الاضطرار إلى إطلاق النار في المقابل.

كان هذا الاندفاع من الأدرينالين كافيًا لإدخالي في مقعد بجوار مكتبه، حيث خضعت لاختبارات القبول في الجيش، وبعد ذلك وقعت على السطر المنقط. أخبرني أن لدي أسبوعين لتسوية أي شؤون شخصية، وبعد ذلك سأتوجه إلى التدريب الأساسي في فورت جاكسون، كارولينا الجنوبية. والأهم بالنسبة لي، أنني سأتوجه قريبًا إلى خارج الولاية وبعيدًا عن المنزل، وهذا كان هدفي وخطتي بالكامل.

عندما التقيت بأصدقائي بعد ذلك بوقت قصير، وجدت أن صديقي المقرب، جيمي باورز، قد وقع مع البحرية. أما البقية فقد تراجعوا بالكامل.

الوداع الأخير والقرار

إن القول بأن والدتي كانت منزعجة للغاية سيكون بخسًا لحقيقة الأمر. لقد كانت غاضبة تمامًا. أخبرتني بعبارات لا لبس فيها أن أعود إلى مركز التجنيد وأعيد لهم أوراقهم اللعينة. رفضت، بالطبع.

كانت لحظة أيقونية، متجمدة في الزمن، لن أنساها أبدًا. فجأة وجدت نفسي وجهًا لوجه مع مخاوفها التي لم تظهر من قبل. كانت رؤية النور في عينيها يتغير مثل مشاهدة جمرة تموت ببطء في وجه ريح شمالية باردة. بينما كان ذلك النور يتلاشى ببطء من عينيها، عرفت أن كل الغضب الذي بذلته حتى تلك اللحظة كان طريقتها في التعامل مع إحباط حياتها. وقفت هناك وشاهدتها وهي تخرج أنفاسها ببطء، وتدير ظهرها، وتمشي بعيدًا. شعرت بشيء ينكسر في أعماقي في ذلك اليوم، لكنني لم أتمكن أبدًا من تحديد ما يمكن أن يكون. لقد علمت فقط أن رابطًا ذا مغزى بيني وبين والدتي قد انقطع إلى الأبد. هل يمكن أن يكون هذا هو حبل السرة الذي انقطع؟ عند التفكير في الماضي، يجب أن أقول إنه كان أشبه بخط تغذية رئيسي لقلبي.

المثير للدهشة، أن والدي لم يبدُ منزعجًا على الإطلاق. بينما كان مرتبكًا بعض الشيء بقراري، لأنه كان يعتقد دائمًا أنني سأنضم إلى البحرية، إلا أنه كان داعمًا جدًا بخلاف ذلك.

لماذا الجيش؟

حاولت شرح أسبابي، لكنني عرفت وأنا أنطق بها أنها ستقع على آذان صُمّت بالفعل. بمعنى ما، كان فخورًا بي، أفترض، ربما كان يشعر بالغيرة قليلاً.

كان قد حاول الانضمام إلى الجيش في بداية الحرب العالمية الثانية، لكنهم اكتشفوه في أسبوعه الثالث من التدريب الأساسي وهو يحاول إخفاء قدمه المشوهة بسبب شلل الأطفال. ونتيجة لذلك، تم تسريحه بشرف لمصلحة الخدمة وأُرسل إلى المنزل. لقد شوه هذا إلى الأبد النظرة التي كان يحملها عن نفسه. وقد زاد هذا تعقيدًا حقيقة أن معظم أصدقاء طفولته ورفاق معسكر التدريب قُتلوا في حادث حافلة أثناء انتقالهم من التدريب الأساسي إلى مهمتهم الأولى.

يمكنني تفهم وجهة نظر الجيش في تسريحه، لكنني تساءلت دائمًا لماذا لم يتمكنوا من إنشاء فئة خاصة لأشخاص مثل والدي. كان يمكنهم دائمًا استخدام هؤلاء الأشخاص لملء وظيفة داخل البلاد، مما من شأنه أن يريح جنديًا إضافيًا لائقًا للخدمة في الخارج، خاصة في وقت الحرب. كان سيخفف من بعض أوجه القصور التي يعاني منها الجيش في بعض فئات الوظائف الأقل شأناً، أو من خلال ملء هذه الفئات، أوجه القصور التي يعانون منها في الوحدات القتالية.

في زيارة إلى روسيا عام 2000، بينما كنت واقفًا في مركز إعادة تأهيل في مستشفى للمحاربين القدامى خارج موسكو، كنت أنا والجنرال القائد الروسي نناقش رجلاً فقد ساقيه بسبب لغم في الشيشان. لقد اندهشت، وأنا أشاهده يلعب التنس بأقدام اصطناعية، وعلقت على إعادة تأهيله. عندما أخبرني الجنرال أن الرجل على وشك التسريح من المستشفى، سألت عما إذا كان سيحصل على معاش إعاقة. قال الجنرال إن ذلك غير ضروري، لأنه سيعود للخدمة الكاملة مع وحدته الأصلية. بمزيد من الدهشة، سألت لماذا. أخبرني أنهم شعروا أنه من الأكثر إنسانية أن يظهروا للرجل أنه لا يزال ذا قيمة بعد إصابته كما كان قبلها. وأضاف: "نحن لا نتخلص من الناس كما يفعلون في العديد من البلدان". بينما سيجد الكثيرون هذا التعليق قابلاً للنقاش، يمكنني أن أرى القيمة في الاستمرار في استخدام رجل مدرب جيدًا لوظيفة يفهمها. بالطبع، سيعمل الرجل في دور غير قتالي، لكن كبرياءه سليم، ويمكنه مشاركة المعرفة القيمة مع من حوله والتي قد تضيع إلى الأبد لولا ذلك. أعتقد أن والدي والعديد من الآباء الآخرين الذين حُرموا من هذه الإمكانية صُنِّفوا بشكل غير عادل وعانوا بسبب ذلك.

لكن في ذلك الوقت، ما كان يقلق كلا والديّ، وظل غير معلن بالطبع، هو التهديد المتزايد لحرب شاملة في جنوب شرق آسيا. تقبل والدي قراري بمزيج من الفخر والخوف الخفي. الجزء الصعب بالنسبة لي كان إخبار أخواتي. عندما تجندت، افترضت تلقائيًا أن كاثي كانت صغيرة جدًا لدرجة أنها لن تتذكر الكثير عن الأمر، وهو ما اكتشفت لاحقًا أنه غير صحيح على الإطلاق. كانت أختي التوأم، مارغريت، في مستشفى/مدرسة للشابات الجامحات في مكان ما في وسط فلوريدا. كانت ماري وبيث هما اللتان كنت أقلق بشأنهما أكثر من غيرهما. من سيحميهما إذا لم أعد موجودًا؟ على من يمكنهما الاعتماد عندما يكون والداي قد فقدا السيطرة على أنفسهما؟ كان ترك أخواتي هو الجزء الأصعب على الإطلاق. لكنني عرفت أنني إذا بقيت، فسيكون الأمر مسألة وقت فقط حتى يطحنني الحي، أو أجد نفسي متزوجًا من وظيفة لا تعد إلا بنفس نوع الحياة التي عاشها والداي. كنت بحاجة إلى المغادرة. كان علي أن أخرج وأجد طريقي الخاص في الحياة، وكنت بحاجة إلى القيام بذلك في مكان آخر غير ميامي. (هذه الخطوة الأولى، على الرغم من أنها كانت فطرية، كانت أيضًا مخيفة جدًا، وتم اتخاذها ببعض الجهل).

بالطبع تعلمت بعد ذلك بكثير أن بقاء أخواتي لم يكن موضع شك أبدًا. كنّ قادرات على التكيف مع ظروف حياتنا مثلي تمامًا، وبينما ربما كنت قد أحدثت فرقًا في بعض الأمور، كان عليهن أيضًا أن يجدن طريقهن الخاص في الحياة، بالإضافة إلى طريقهن للخروج.

بداية التدريب والتحول

بدأت يومي الأول بعيدًا عن المنزل بطريقة مذهلة بشكل فريد. ما مقدار المتاعب التي يمكن أن يقع فيها الشخص أثناء ركوبه قطارًا من ميامي إلى فورت جاكسون، كارولينا الجنوبية؟

أضف ستة مجندين آخرين يبحثون عن القليل من الإثارة في المرة الأولى التي يغادرون فيها المنزل، والإجابة هي: الكثير.

توقف القطار لأول مرة، لمدة تزيد قليلاً عن عشر دقائق، شمال ميامي مباشرة في ما كان آنذاك بلدة صغيرة وهادئة تسمى فورت لودرديل. كان هذا وقتًا كافيًا للمجند الأكبر سنًا في مجموعتنا للتسلل إلى متجر لبيع المشروبات الكحولية وشراء نصف دزينة من عبوات المشروب الروحي. كنا قد جمعنا أموالنا، لكن أفضل ما يمكنه فعله هو أرخص علامة تجارية يمكن أن يجدها. مع هذا النوع من المشروب، الرخص نسبي، ولكنه على الأقل وجد زجاجات عليها ملصقات. بمجرد عودتنا على متن القطار، اكتشفنا أنه ليس لدينا ما هو مناسب لشربه به. لذلك، قمنا برشوة أحد المضيفين ليحضر لنا شيئًا يمكننا خلطه. أحضر لنا جرتين كبيرتين من مشروب الكوول-إيد بنكهة البرتقال.

لتفادي الإطالة، لا بد أن الأمر كان مزعجًا جدًا للشرطة العسكرية أن تنقل أجسادًا فاقدة الوعي من القطار في كولومبيا، كارولينا الجنوبية، وجميعهم الستة بوجوه مبتسمة كبيرة ومشرقة بلون البرتقال تتجعد عند زوايا أفواههم. لحسن الحظ، مثلي مثل الآخرين، ليس لدي أي ذاكرة على الإطلاق لوصولنا. ومع ذلك، يمكنني أن أخبرك أنه بغض النظر عن مدى صعوبة التنظيف، فإن الأمر يستغرق حوالي يومين حتى تتلاشى بقع مشروب الكوول-إيد البرتقالية. لم أشعر بالمرض أبدًا بقدر ما شعرت به في تلك الأيام القليلة الأولى في فورت جاكسون. مرحباً بك في عالم الرجولة.

لا يتطلب الأمر الكثير من الحدس لتجاوز التدريب الأساسي. ما عليك سوى فعل ما يُطلب منك وإبقاء رأسك منخفضًا. لقد سمع الجميع أنه مهما فعلت، يجب ألا تتطوع أبدًا لأي شيء. حسنًا، هذا صحيح. سألوا مرة عما إذا كان أي شخص يعرف أي شيء عن البخار والهندسة. رفعت يدي لأنني قمت ببعض الأعمال على قارب في ميامي مُجهز بمحركات بخارية. انتهى بي الأمر بتشغيل خرطوم بخار داخل حاوية نفايات أثناء تنظيفها بفرشاة سلكية. كانت تلك آخر مرة أتطوع فيها لأي شيء، على الأقل في التدريب الأساسي.

تخرجت بسهولة، وحصلت على شارة الخبير بالبندقية والحربة، وكنت رامياً ماهرًا بالمسدس الأوتوماتيكي طراز كولت 45. لم أكمل دورة الحربة في الواقع. كسرت مقبض بندقيتين من طراز إم-14 قبل أن يعطوني الثالثة ويطلبوا مني الاستسلام والجلوس في الظل. والمثير للدهشة بالنسبة لي، أنني أصبحت خبيرًا من خلال إخافة فني إصلاح الأسلحة.

في الأسبوع الذي تخرجت فيه، أصدروا أوامر بإرسال جميع زملائي في الفصيل إلى التدريب الفردي المتقدم. لم أتلق شيئًا. بدلاً من ذلك، استدعاني قائد سريتي إلى غرفة النظام وأبلغني أن الجيش قرر إلغاء نظام أسلحتي من المخزون. (كان من المفترض أصلاً أن أتلقى تدريباً متقدماً على البندقية عديمة الارتداد عيار 106 ملم، وتحديداً نظام أسلحة يسمى سايدويندر، الذي كان يحتوي على ستة براميل مثبتة فوق مسارات مفتوحة).

لم أكن أعرف في ذلك الوقت، ولكنني اكتشفت بعد ذلك بكثير، أن سجلاتي ودرجات اختباري قد تم مراجعتها من قبل الاستخبارات العسكرية، وبما أنني سجلت ضمن أعلى ثلاث فئات مئوية، فقد تم اتخاذ قرار بتجنيدي. لم يخبروني بذلك مباشرة بالطبع، لقد طلبوا مني ببساطة الخروج والبحث عن تخصص عسكري مهني آخر. لسبب ما، تحتاج الاستخبارات العسكرية إلى أن تكون سرية للغاية بشأن كل شيء، حتى التجنيد. لو كانوا يعلمون مدى تحملي للمشروبات، أنا متأكد من أنهم كانوا سيتخذون قرارًا مختلفًا.

على أي حال، قضيت بضعة أيام أبحث في أنحاء فورت جاكسون، بحثًا عن شيء أود القيام به بالفعل في الجيش. أثناء بحثي عن هذا التخصص المهني الجديد، قضيت فترة ما بعد الظهيرة جالسًا في قاعة بيرة تابعة لمجمع تبادل الجنود، أشرب بيرة خفيفة من إبريق. انضم إليّ في النهاية على الطاولة شخص غريب يرتدي ملابس مدنية. بعد بضع كؤوس قضيناها في تجاهل بعضنا البعض، بدأنا محادثة أخيرًا. عندما اكتشف أنني كنت أبحث عن تخصص مهني جديد، أعطاني بطاقته وطلب مني المرور على مكتبه لإجراء محادثة. بعد أسبوع من الجلوس في الانتظار، دون أن يتصل بي أحد من عدد من الاحتمالات التي لم تتحقق أبدًا، قبلت عرضه.

بالطبع لم يخطر ببالي أنه قد يكون هو السبب وراء عدم اتصال أي شخص بي، وأن لقاءنا بالصدفة لم يكن كذلك على الإطلاق. كنت لا أزال ساذجًا جدًا في ذلك الوقت. لذلك توقفت أخيرًا عند مكتبه لإجراء محادثة، قدم لي عرضه، وقبلت. لكن القرار لم يكن سهلاً كما أجعله يبدو الآن.

في الأصل كنت قد تطوعت لعامين من الخدمة، وأربع سنوات في الاحتياط للوفاء بالتزامي لمدة ست سنوات. أرادت الاستخبارات العسكرية التزامًا بالخدمة الفعلية لمدة أربع سنوات كحد أدنى. كان هذا الشرط يرجع في المقام الأول إلى أن التدريب الفردي المتقدم في الاستخبارات كان أطول بحوالي أربعة أضعاف من أي من مدارس التدريب الفردي المتقدم الأخرى. اعتمادًا على ما كنت مؤهلاً له في الاستخبارات، كان من الممكن أن أقضي عامين آخرين في حضور الفصول الدراسية.

وافقت على العامين الإضافيين وسُمح لي باختيار وظيفتي الجديدة عن طريق رمي سهم على عجلة مقسمة إلى قطاعات بحجم فطيرة، وعليها ألقاب وظيفية. بدا الأمر غير متطور، لكنه كان عكس ذلك تمامًا. كانوا يعرفون النسب المئوية لمعدل التعبئة الذي يحتاجونه لكل تخصص مهني، وقسموا العجلة إلى هذه النسبة المئوية بالضبط من التغطية، وكانت بعض أشكال الفطائر أكبر بكثير من غيرها.

أدار العجلة وتركت السهم يطير. ضرب سهمي الخط البنفسجي الرفيع جدًا الذي يفصل بين التخصصات المهنية المختلفة. ضحكت وبدأت أرمي السهم مرة أخرى، لكنه أوقفني، وأبلغني أن الخطوط البنفسجية التي تفصل الألوان الأخرى هي أيضًا تخصص مهني. لكن كل ما سيخبرني به هو أنها كانت في استخبارات الإشارات. بعد أسبوع كنت في طريقي إلى التدريب في فورت ديفنز المشمسة، ماساتشوستس، حيث كانت الأوراق تتغير بالفعل في أوائل الخريف.

دروس القوة والمخاطر

في ذلك الوقت، عند دخول أراضي فورت ديفنز، كان المرء يرى قاعدة عسكرية جميلة، وإن كانت صغيرة، في منطقة نيو إنجلاند العريقة. كانت مباني المدرسة القديمة المكونة من ثلاثة طوابق والمبنية من الطوب الأحمر تحيط بساحة استعراض مفتوحة ومرصوفة تقع عبر الشارع من ساحة استعراض أكبر مغطاة بالعشب وقد بدأت تتحول إلى اللون البني. وكانت هذه الأخيرة تصطف أمامها صفوف من المنازل الكبيرة المبنية من الطوب الأحمر، والتي كانت مخصصة لإسكان ضباط الرتب الميدانية. كانت الصورة المثالية للسلام والهدوء.

بالطبع، سرعان ما سيكتشف المرء الثكنات الخشبية القديمة المكونة من طابقين التي كنا نقيم فيها نحن الجنود المبتدئين. بُنيت هذه الهياكل على عجل للحرب العالمية الثانية، وكان المقصود منها أن تكون أماكن إقامة مؤقتة فقط، لا تزيد مدتها عن أربع أو خمس سنوات على الأكثر. هل ذكرت أنهم لم يضعوا أي عزل في الجدران في الأربعينيات؟ مع ظهور فيتنام في الأفق، كانوا يضعون طبقات جديدة من الطلاء على المباني، على أمل أن تستمر في أداء الغرض منها دون أن تسقط.

عندما وصلت في أواخر الخريف، كان الطقس لا يزال منعشًا بشكل رائع، ولكن كان يمكن للمرء أحيانًا أن يتذوق لذعة الشتاء في الهواء. كان يمكن للمرء أيضًا أن يعرف أن القاعدة كانت تستعد لحرب فيتنام لأنهم بدأوا للتو في إدارة الفصول الدراسية ليلاً ونهارًا، أو بعبارة اليوم، على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع، لدفع ضعف عدد الجنود عبرها كالمعتاد. تم تعييني في فصيل ليلي. كطالب في مدرسة ليلية، كنت أحضر الفصول الدراسية من الرابعة بعد الظهر حتى منتصف الليل.

اسأل أي شخص التحق بالمدرسة في فورت ديفنز عما كانت عليه، وسيخبرك أنها كانت بيئة تعليمية صعبة قدر الإمكان. خلال أسبوعي الثالث، شهدت شخصيًا أول حالتي انتحار لطالبين في مجموعتنا. قام أحدهم—أفترض أنه جندي مبتدئ، بسبب أكمامه الخالية من الرتب—بقفزة شبه مثالية من الحاجز العلوي، مرتطمًا بالرصيف بفرقعة عالية، تشبه إلى حد كبير ما تتوقعه إذا أسقطت بطيخة من ثلاثة طوابق على الخرسانة. شنق طالب آخر نفسه في مرحاض الثكنة باستخدام حزامين من القماش بعد بضعة أسابيع. كلاهما سجل عشرة درجات كاملة على مقياس الانتحار. (لطالما أردت أن أعرف كيف تم الإبلاغ عن هذه الأمور للآباء. "لقد ضحى ابنكم بحياته في خدمة وطنه عن طريق..." ربما لا ينبغي لي أن أذهب إلى هناك).

من الصعب فهم سبب رغبة شخص ما في الانتحار، خاصة في بيئة تدريب. ولكن، بعد أن مررت بنفس التدريب، يمكنني الآن أن أقول إن الانتحار ليس ممكنًا فحسب، بل هو خيار قابل للتطبيق.

كان أحد الأشياء الأساسية التي كان من المتوقع أن نتعلمها في وقت مبكر هو كيفية نسخ وفهم شفرة مورس الدولية بدقة. في البداية بدأوا بتعريفنا على الحروف الأبجدية الفردية، والتي كنا نستمع إليها بسماعات الرأس بسرعة حوالي ثلاث كلمات في الدقيقة. ستكون هذه سلسلة من خمسة عشر حرفًا، حرف واحد كل أربع ثوانٍ، ليس صعبًا على الإطلاق. كانت ترجمة "ديت-داه" إلى الحرف "أ" سهلة للغاية، خاصة بهذه السرعة. لاحقًا أضافوا رموزًا خاصة مثل علامة "&" أو أحرفًا خاصة بلغات مختلفة. كانت السيريلية مؤلمة، لكن بعض الأحرف الخاصة في لغات أخرى أكثر غرابة كانت أكثر صعوبة. طوال الوقت كانوا يزيدون سرعة الإرسال. مع زيادة السرعات، ارتفع مستوى الصعوبة أضعافاً مضاعفة، خاصة عندما أضافوا أرقامًا مقطوعة وبدأوا في التمييز بين مجموعات الحروف/الأرقام وإشارات "ك" & "ز" الدولية، وكلها مختلطة مع بعضها البعض.

كانت إشارات "ك" & "ز" عبارة عن رموز مختصرة من ثلاثة أحرف لأشياء مثل: "أنت تستخدم الكثير من طاقة الإرسال"، "يرجى التكرار - كان إرسالك الأخير مشوشًا"، أو "انتهى الإرسال والوداع"، وما إلى ذلك.

ما يجعل فهمها صعبًا هو أنها تُرسل عادةً بسرعة كبيرة لدرجة أن الحروف تندمج كلها معًا ولا يمكنك فهمها إلا من خلال إيقاعها أو نغمها الفردي، والذي يكون خارج الإيقاع تمامًا مع كل شيء آخر يتم إرساله. نظام صعب التعلم في البداية.

تطور الجميع تقريبًا إلى مستوى إتقان يصل إلى سرعات تصل إلى ثماني كلمات في الدقيقة أو أربعين حرفًا كل ستين ثانية. كان إنتاج نسخة خالية من الأخطاء تقريبًا يجعل الأمر أكثر صعوبة قليلاً، ولكن كان هذا متوقعًا أيضًا. في النهاية وصل الجميع إلى عشر كلمات - خمسين حرفًا في الدقيقة.

بعد ذلك، كان مستوى الصعوبة هائلاً تقريبًا. فوق عشر كلمات في الدقيقة، لم يعد لديك ترف الاستماع إلى الإرسال الفعلي ثم ترجمته إلى الحرف المناسب من خلال الصياغة. يجب أن يصبح طبيعة ثانية، شيء لا تفكر فيه حتى قبل القيام به، مثل قيادة سيارة يدوية بعد عشرين عامًا.

مثل العديد من من حولي، علقت عند عشر كلمات في الدقيقة لما يقرب من أربعة أسابيع. بعد الجلوس ثماني ساعات في اليوم أمام آلة كاتبة لا أفعل شيئًا سوى محاولة نسخ أكثر من عشر كلمات في الدقيقة بشفرة مورس، يمكنني أن أخبرك أن الانتحار يبدأ في الظهور وكأنه أهون الشرين. ومع ذلك، اكتشفت أخيرًا الحل لمشكلتي بشكل حدسي.

تقع بلدة آير الصغيرة، ماساتشوستس، خارج البوابة الرئيسية لـ فورت ديفنز مباشرة. كما هو الحال في معظم المدن العسكرية، يحتوي الجزء الداخلي من المدينة الصغيرة على العديد من الحانات التي تلبي احتياجات الجنود.

معظمها أماكن مهملة، حيث كان الشرب والشجار يوفر الترفيه ليلة الجمعة والسبت. أي شخص ذهب إلى فورت ديفنز تعرض للكمة في حانة ومطعم "واغون ويل" ليلة سبت. وإذا لم يكن هناك، فهناك الكثير من الأماكن الأخرى للاختيار من بينها.

سمعت أنه إذا زرت حانة فندق آير وأنت ترتدي زيك العسكري، فلن يطلبوا منك بطاقة هوية. لذلك، ذهبت إلى هناك ظهر يوم أربعاء، قرب نهاية أسبوعي الرابع. كانت نيتي هي أن أصبح ثملًا تمامًا وأتغيب عن الدروس في تلك الليلة. كانت النتيجة، بالطبع، ستكون إعادة تعيين فورية إلى وحدة قتالية وواجب في مكان حار ورطب في مكان ما في جنوب شرق آسيا، لكنني تجاوزت نقطة الاهتمام.

بحلول الساعة 4:00 مساءً كنت ثملاً جدًا. كنت أشرب وألعب البلياردو طوال فترة ما بعد الظهر، وفقدت أي رغبة في التغيب عن الدروس لأنني نسيت سبب وجودي هناك. لذلك، استقلت سيارة أجرة إلى مبنى المدرسة وتسللت مع بقية فصيلي عندما وصلوا للمدرسة الليلية. تعثرت في الفصل، وسرعان ما جلست على مقعدي على طول الجدار وجهزت جسدي حتى لا يسقط عندما أغفو.

حدث شيء مفاجئ. بسبب استمراري في الشعور بالآثار الرئيسية للمشروب، لم أتمكن من متابعة ما كنت أسمعه في سماعات الأذن، وكانت المتابعة بأصابعي على مفاتيح الآلة الكاتبة مستحيلة. في الواقع، كان الأمر مضحكًا جدًا وجعلني أضحك. فجأة، كان الأمر كما لو أن شخصًا ما وصل إلى داخل رأسي وقلب مفتاحًا. بدأت أصابعي تستجيب لأصوات شفرة مورس التي كنت أسمعها، دون أن أفكر في الأمر، وفجأة كنت أعمل على وضع التشغيل التلقائي الكامل.

في تلك الليلة، تجاوزت سرعات عشرة، واثني عشر، وخمسة عشر، وثمانية عشر، وعشرين كلمة في الدقيقة، كل ذلك في أمسية واحدة. من تلك النقطة، أصبح الأمر سهلاً للغاية. بحلول يوم الجمعة من الأسبوع التالي كنت أعمل بخمسة وعشرين كلمة في الدقيقة بسهولة. مر أسبوعان آخران وتخرج صفنا أخيرًا: 33 من أصل 48 ممن بدأوا ظلوا في المسار. تخرجت الأول في فصلي. بقدر ما كنت فخورًا، لم أكن أعرف في ذلك الوقت أن هذا لم يكن شيئًا جيدًا.

بعد سبعة أيام، كان الجميع في صفي في طريقهم إلى مهامهم الخارجية، وغالبيتهم، بالطبع، متجهون إلى سايغون. تم إعادة تعييني لمزيد من التدريب في مكان عبر القاعدة أطلقنا عليه اسم المنطقة "ج" . لقد سمعت عن المنطقة "ج" . في الواقع، معظم الطلاب سمعوا عنها. كان الاسم المستعار للمكان هو "كوريا الصغيرة"، لأن كل التدريب تقريبًا كان يتم في الخارج وليس داخل المباني، مما جعل أي شكل من أشكال التدريب مزعجًا للغاية في شتاء ماساتشوستس النموذجي. كان مجمع التدريب في المنطقة "ج" محاطًا بسياج مزدوج يعلوه سلك شائك، ومليء بجميع أنواع المعدات المثبتة على ظهور الشاحنات ومركبات الجيب. كانت هناك أيضًا منطقة مليئة بالعشرات من أنظمة الهوائيات المختلفة. لطالما اعتقدنا نحن الطلاب أن المنطقة "ج" هي المكان الذي يرسلونك إليه إذا لم تتمكن من النجاح في مبنى المدرسة الرئيسي، لكن الأمر كان عكس ذلك تمامًا. كانت المنطقة "ج" وعدد من المدارس الخاصة الأخرى تقتنص الأفضل.

كان حجم الفصل في المنطقة "ج" صغيرًا بشكل مدهش. في صفي تم تعيين ثمانية آخرين؛ أربعة منهم كانوا من رقيبات القوات الخاصة، واثنان من المدنيين (على الأقل، اثنان بدون زي رسمي)، واثنان من أفراد القوات البحرية. كانت المفاجأة الأخرى هي ترقيتي إلى أخصائي من الدرجة الرابعة. لذلك، كنت أشعر بالرضا في ذلك اليوم الأول، حتى بدأوا الفصل. كان ذلك عندما أخبرونا أن كل ما تعلمناه القيام به بآلة كاتبة، سنتعلمه الآن بقلم رصاص، أو كما أطلقوا عليه، "عصا". ليس هذا فحسب، بل كان من المتوقع أن نتعلم كيفية إرسال شفرة مورس بالسرعة التي يمكننا بها استقبالها. إذا كنت تريد فهم مستوى الصعوبة المعني، اجلس وحاول كتابة 100 حرف في الدقيقة باليد، ناهيك عن ترجمتها من أو إلى شفرة مورس الدولية. أو حاول النقر على لحن أغنية على الجانب الأيمن من فخذك أثناء قيادة مركبة جيب عسكرية عبر البلاد وخارج الطريق، أو الأفضل من ذلك، أثناء الركض.

إلى جانب تعلم الإرسال والاستقبال، تعلمنا كل ما يمكن أن يرغب فيه المرء معرفته عن أجهزة الإرسال، واستخدام أنظمة التشفير، وكيفية تحديد موقعها. تضمنت الدورة حتى أسبوعين من استخدام المسطرة المنزلقة وتطبيقها واستخدام كتب اللوغاريتمات.

لقد كانت عشرة أسابيع مرهقة، لكنني تخرجت مرة أخرى الأول في الفصل، وشاهدت مرة أخرى زملائي في الفصل يحزمون أمتعتهم ويغادرون لمهام خارجية، جميعهم في منطقة سايغون، بينما كنت تحت أوامر للجلوس والانتظار.

مهمة جديدة وخيانة الحدس

بعد عشرة أيام، وصلت أوامري أخيرًا. لم يكن لها أي معنى. طُلب مني تسليم جميع ملابسي العسكرية، ثم نُقلت بالسيارة إلى متجر ملابس رجالية في وورسيستر، ماساتشوستس، حيث أُمرت بإنفاق 250 دولارًا على الملابس المدنية. بحلول الظلام، وجدت نفسي جالسًا في الظلال الخلفية لطائرة نقل عسكرية من طراز س_123 متجهة إلى نقاط جنوبية، وما زلت لا أعرف إلى أين تم تعييني بالضبط.

توقفت الطائرة مرتين في الطريق، وكلاهما في مناخات أكثر حرارة تدريجيًا. في أحد التوقفات، التقطنا منصة معدات متجهة إلى نفس المكان الذي كنت أسافر إليه. كانت المعدات مغطاة بالقماش ومختومة، لذلك كان من المستحيل رؤية ما هي. لم يتطوع أي شخص على متن الطائرة ليخبرنا إلى أين كنا متجهين، لذلك لم أسأل. في النهاية، مع شروق الشمس من الأفق الشرقي، هبطنا على مدرج صغير جدًا تحدّه على كلا الجانبين ما بدا أنه محيط. أنزلوني أنا والمنصة، ثم سارت الطائرة بسرعة إلى المدرج وأقلعت. وجدت نفسي جالسًا بمفردي مع بعض طيور البحر، على صخرة في وسط اللا مكان، بجوار كوخ من الصفيح. كان الجو حارًا ورطبًا وخاليًا من الحياة البشرية.

لم أضطر للانتظار طويلاً. بعد الجلوس في الحرارة والرطوبة لمدة عشر دقائق تقريبًا، توقفت شاحنة صغيرة من طراز فورد إكونولاين واستقبلني بترحيب حار رئيسي الجديد، الموظف المسؤول سال كورادو. كان يرتدي ملابس مناسبة للمناسبة بقميص تي شيرت أبيض، وسروال قصير بلون أسمر، وصندل شاطئي - كانت تُسمى آنذاك "فليب فلوب". كان يرتدي قبعة بيسبول لتغطية شعره الخفيف والمتراجع. الخبر السار هو أنه لم يكن مسلحًا.

قال وهو يمد يده ويصافحني: "مرحبًا بك في إليوثيرا في جزر البهاما".

كان شعوري بالإحباط شبه طاغٍ. لقد أمضيت وقتًا وجهدًا كبيرين في محاولة الابتعاد عن ميامي قدر الإمكان، والآن وجدت نفسي هنا على بعد خمس عشرة دقيقة بالطائرة من المنزل! حسنًا، على الأقل لم تكن جنوب شرق آسيا.

أعوام في أوروبا: بين الجبال والأسرار

قضيت الأعوام الثلاثة التالية في أنحاء مختلفة من أوروبا. كانت مهمتي الأولى في الوحدة الميدانية بـ باد آيبلينغ. كانت هذه القاعدة فريدة من نوعها، إذ صُممت خصيصًا لدعم الجيش الأمريكي في أوروبا، بالإضافة إلى وكالة الأمن القومي ووكالات أخرى يجب ألا نذكر أسماءها. داخل المجمع المُحصّن، كانت توجد منطقة أكثر سرية وتقييدًا، وداخلها كان هناك مرفق أشد سرية وتقييدًا. كان هذا هو المكان الذي عملت فيه لدعم إحدى تلك الوكالات.

كانت باد آيبلينغ فريدة أيضًا في كونها نفس الموقع الذي احتُجز فيه شقيق والدتي كأسير حرب خلال الحرب العالمية الثانية. ذهبت إلى المنطقة التقريبية من المطار حيث قال إن معسكر الأسرى كان يقع، وكانت عبارة عن حقل عشبي ضخم تبلغ مساحته حوالي ستين فدانًا. بحثت فيه بالحدس، ووجدت منطقة مليئة بالأبازيم والأزرار من زي القوات الجوية للجيش الأمريكي مدفونة في التراب. كان قد أخبرني عن مدى سوء الظروف في المعسكر في نهاية الحرب، وعن المجاعة والبرد. لا أستطيع أن أتخيل كيف كان الحال أن تكون محاصرًا خلف الأسلاك الشائكة لسنوات، ومحاطًا بما يبدو أنها قمم جبلية لا يمكن التغلب عليها، مغطاة بالثلوج على مدار العام. لحسن حظه، لم يكن يعلم أن لا أحد في العائلة كان يعلم أنه أسير حرب. كان قد أُبلغ عن فقده في المعركة، ومصيره مجهول. طوال تلك السنوات، لم تترك خالتي منزلها، مدركة أنه لا يزال على قيد الحياة، بغض النظر عما قاله لها أي شخص. ربما الطبيعة الحدسية موروثة؟

بالنسبة لي، كان العيش على حافة جبال الألب التيرولية مريحًا للغاية. لذلك، قضيت عطلات نهاية الأسبوع في تسلق الجبال، والتزلج على الأنهار الجليدية، والتنزه في الغابات، وشرب الكثير من البيرة. (طلب مني خالي أن أتبول في نهر الراين من أجله، وهو ما فعلته بلطف، وأرسلت له صورة، وظهري للكاميرا، تيار أصفر دقيق يتقوس في الماء).

بعد حوالي عام، دخلت مكتب قائد الموقع الحدودي وتطوعت للخدمة في موقع حدودي. وفي نهاية المطاف، تم تعييني قائدًا لموقع حدودي صغير بالقرب من باساو، في ألمانيا، بمنطقة بافاريا. هناك أدرت مفرزة من ثمانية عشر فردًا يقومون بعمل سري على الحدود، على بعد مائة ميل من أقرب قاعدة أمريكية. في ذلك الوقت، كنت أصغر قادة المواقع الحدودية رتبة وسنًا في أوروبا. كانت مسؤولية هائلة أخذتها على محمل الجد.

كانت المفرزة تقع في ضواحي قرية تسمى بوكينغ، والتي تقع مباشرة شرق ميونيخ على طول نهر روت، وكانت مكانًا ريفيًا يغلب عليه المزارع والمباني الحجرية التي تعود إلى قرون عديدة. كانت مهمة صعبة بالنسبة لي، لأنني كنت أصغر من معظم الأفراد المعينين، لكن رتبتي كانت أعلى منهم. كنت أيضًا الشخص الوحيد المعين المتزوج. كان هناك تردد كبير في تعيين شاب بهذا العمر لهذه المهمة، لكنهم شعروا أن زواجي سيوازن الأمر. وكما اتضح، كانت هذه المهمة صعبة بشكل مضاعف على زوجتي حديثة الزواج. بصرف النظر عن حفلات المفرزة العرضية، لم يكن هناك أي شخص آخر يتحدث الإنجليزية في دائرة نصف قطرها مائة ميل. كنت أترك سو لفترات طويلة بمفردها في الشقة بالبلدة، حيث كان عليها تدبر أمورها بنفسها، وهو اختبار قاسٍ لأي زواج، ناهيك عن زواج جديد.

كان الوقت الذي قضيناه معًا دائمًا مع مواطنين ألمان، أو ضباط صف ألمان كبار وزوجاتهم. لقد كانوا دائمًا ودودين وساحرين للغاية، ويفتحون منازلهم لنا في صداقة، لكن سو لم تكن مرتاحة أبدًا. كزوجة شابة تواجه صعوبة في اللغة، بدت وكأنها أصبحت أكثر خجلًا من الاتصال الخارجي.

كان من الصعب أيضًا أن تكون مسؤولًا عن مفرزة نائية ولديك عائلة. كان جميع الرجال الآخرين المعينين عازبين، وكانت زوجتي شابة جميلة جدًا. لذا، كان حضور حفلات المفرزة مرهقًا للغاية، خاصة بالنسبة لي. كنت أتفهم رجالي، لذا لم تكن الغيرة هي التي جعلتني حذرًا. كنت أعرف أيضًا أن زوجتي كانت تقضي ساعات طويلة بمفردها، وهو وضع خطير تحت أي ظرف من الظروف.

قد يبدو أنني لم يكن لدي سوى القليل جدًا من الوقت لحياتي العائلية. حسنًا... هذا صحيح. تطلبت متطلبات مهمة استخباراتية نشطة أيامًا تجاوزت في بعض الأحيان ثماني عشرة ساعة، وكانت هناك دائمًا أزمة من نوع ما. كان الوضع برمته سيئًا حقًا، وبعد أن قمت بهذا النوع من العمل لمدة عشرين عامًا، يمكنني الآن أن أفهم لماذا قيل دائمًا: "لو أرادك الجيش أن يكون لديك زوجة، لأصدر لك واحدة." أي رجل لديه مسيرة مهنية في الجيش ويتقاعد مع نفس المرأة التي بدأ معها يجب أن يجثو عند قدميها ويعبدها إلى الأبد، إذ من المحتمل أن لديها من الشجاعة ما يفوقه.

تجربة الاقتراب من الموت والتحول الروحي

بينما كنت معينًا في بوكينغ كقائد للمفرزة في عام 1970، مررت بشيء غيرني بعمق وبشكل دائم. مررت بما يمكن تسميته بـ تجربة اقتراب من الموت الكلاسيكية.

في إحدى ليالي الجمعة في يوليو، التقيت بزوجتي ورجل آخر من المفرزة في نزل صغير (فندق ومطعم صغير تقليدي) عبر نهر إن في بلدة تسمى براوناو آم إن. كنا نلتقي لتناول العشاء. طلبنا مشروبات ما قبل العشاء. بعد أن تناولت بضع رشفات من مشروبي، بدأت أشعر بالغثيان الشديد. لم أرغب في أن أكون مريضًا في المطعم، فاستأذنت وحاولت الخروج. عندما وصلت إلى الباب الأمامي وحاولت دفعه للفتح، كان هناك صوت يشبه الفرقعة ووجدت نفسي واقفًا على الطريق المرصوف بالحصى في الخارج، أشاهد بفضول المطر يمر عبر يديّ.

توالت الأحداث بعد ذلك وكأنني كنت خارج حدود الواقع تمامًا. غادرت مخاوفي الأولية وسرعان ما حل محلها الفضول. انجرفت لأرى ما كانت تدور حوله الضجة عند الباب ووجدت نفسي أحدق في جسدي، ملقى نصفه في المزراب ونصفه خارجه. شاهدت صديقي يسحبني إلى حضنه ويحاول أن يدخل إصبعه في حلقي. كنت قد أصبت بتشنجات وكان يحاول منعني من بلع لساني. اكتشفت لاحقًا أنه لم ينجح وأنني عضضت إصبعه حتى منتصفه تقريبًا. شاهدتهم يحملون جسدي في سيارة، وتابعت السيارة وهي تعود عبر الحدود إلى ألمانيا، وإلى مستشفى يقع في باساو. بمجرد وصولي إلى المستشفى، سرعان ما شعرت بالملل مما كان يفعله الطبيب والممرضات لمحاولة إنعاشي. شعرت وكأنني بدأت أنجرف صعودًا نحو السقف، ثم انقلبت بلطف إلى الخلف، حيث وجدت نفسي فجأة أسقط في فتحة نفق واسعة.

تراجعت غرفة الطوارئ، وأصبحت أصغر وأكثر خفوتًا في المسافة بينما كنت أتسارع هبوطًا في النفق. عندما تلاشت عن الأنظار، حاولت أن أحول انتباهي إلى المكان الذي كنت أسقط فيه. لكن بدا أنني فقدت التركيز في تلك النقطة. فجأة شعرت بالدفء الشديد في كل مكان، خاصة عبر مؤخرة رقبتي. اجتاحني شعور بالوخز في كياني كله، يشبه الشحنة الكهربائية تقريبًا، لكنه لم يكن مزعجًا على الإطلاق. استمرت المشاعر في النمو بداخلي، حتى دخلت فجأة فضاءً جديدًا، كان مليئًا بالضوء الأبيض والأكثر سطوعًا الذي لم أختبره من قبل. غمرني إحساس مفاجئ بالفرح والراحة والحب. شعرت وكأنني وصلت أخيرًا إلى الوجهة النهائية، المكان الوحيد الذي يمكنني أن أشعر فيه بالكمال والتمام، حيث يمكنني ببساطة أن أكون دون أي شروط أو احتياجات أو رغبات.

ثم وجدت نفسي أستعرض حياتي بأكملها، الجيد والسيئ. رأيت جميع الطرق التي خذلت بها نفسي أو الآخرين. اختبرت جميع الجوانب غير البناءة وغير الخلّاقة في حياتي حتى تلك اللحظة. كان الأمر أشبه باستعادة كل لحظة في حياتي حتى تلك النقطة، باستثناء أنه مر بسرعة لا تُصدق. أصبحت مدركًا تمامًا لجميع مشاعر ونوايا جميع الأشخاص الذين تفاعلت معهم طوال حياتي. عندما انتهى الأمر، كنت مليئًا بالحزن الأكثر إثارة للدهشة. لم يكن حزنًا على ما فاتني أو لم أفعله، بل حزنًا على جميع الأوقات التي أسأت فيها الفهم، أو فكرت فيها بشكل خاطئ أو متسرع في شخص ما، أو لم أنتبه عندما احتاجوا مني شيئًا كان يمكنني أن أقدمه. كان الأمر مؤلمًا للغاية، ولكنه كان مطهرًا جدًا. وبعد ذلك غمرني شعور مكثف بالغفران. كان شعورًا بالحب غمرني، يغسل روحي، ويزيل الفساد والشعور بالذنب والغباء.

في تلك اللحظة، قال صوت في ذهني إنني لا أستطيع البقاء، يجب أن أعود. لم يكن وقت موتي قد حان. حاولت الجدال معه، لكن دون جدوى. كان هناك صوت فرقعة مفاجئ ثانٍ وجلست على سرير المستشفى ونظرت حولي.

تحرك الجيش بسرعة كبيرة. بسرعة لدرجة أن الرجال الذين عملوا معي في المفرزة اعتقدوا أنني ميت. في اليوم التالي، نقلني الجيش إلى عيادة خاصة في ميونيخ ونقل زوجتي إلى مساكن عسكرية في قاعدة قريبة من هناك. اضطررت إلى الخضوع للعديد من الاختبارات لتحديد مقدار الضرر الذي لحق بدماغي نتيجة للحادث. اكتشفت أنه بعد أن أصبت بالتشنجات وبلعت لساني، لم أستطع التنفس، لذلك لم يمض وقت طويل بعد توقف تنفسي حتى توقف قلبي. وصلت إلى مستشفى باساو ميتًا سريريًا.

كان التواجد في عيادة ميونيخ مخيفًا. كنت أعاني من العديد من تجارب الخروج من الجسد التلقائية التي لم يكن لدي أي سيطرة عليها. لاحظت أيضًا أنه يمكنني قراءة عقول أولئك الذين يعتنون بي. لم أكن أسمعهم يفكرون بالفعل، ولا كنت أقرأ أفكارهم حرفيًا، لكنني كنت ألتقط جوهر الموضوع أو فكرته العامة. كان الأمر أشبه بالرؤية من خلال طبقة علوية إلى طبقة أخرى تحتها.

في البداية حاولت التحدث عما كان يحدث مع بعض الأطباء والممرضات. سرعان ما أصبح واضحًا أنهم لم يصدقوني. كنت أتعلم أنني إذا كنت أنوي الخروج من العيادة، فسيتعين علي على الأقل التصرف بشكل طبيعي. لذلك، اتخذت قرارًا بالاحتفاظ بالتجارب لنفسي.

المشكلة الوحيدة في هذا القرار هي أنه بمجرد أن تخوض تجربة الاقتراب من الموت، يكاد يكون من المستحيل التصرف بشكل طبيعي مرة أخرى. إنها تغير لون الضوء الذي ترى به الأشياء. بالإضافة إلى ذلك، فقدت خوفي من الموت وبدأت أتعمق في العالم الميتافيزيقي - وهو شيء لم أكن مألوفًا به ولا مرتاحًا للقيام به. قضيت وقت فراغي في البحث عن وكتابات بعض الفلاسفة العظماء وقراءتها، وقرأت نسخًا من التناخ اليهودي، والأبوكريفا والعهد الجديد المسيحي، والقرآن الإسلامي، ومختارات كونفوشيوس، وريغ فيدا الهندوسية، ودهامابادا البوذية، والتي يجب أن أعترف بأنني انجذبت إليها أكثر. حتى أنني اشتريت مجموعة من "الكتب العظيمة" وبدأت في قراءة هوميروس وأفلاطون وأرسطو، متصفحًا 54 مجلدًا. وجدت بعض كتابات مدام بلافاتسكي وجين روبرتس (سيث) وكارلوس كاستانيدا، على الرغم من أنني واجهت صعوبة كبيرة في استيعاب كل المواد في كرة واحدة عارية من الحقيقة. الأشياء التي كانت مهمة جدًا بالنسبة لي سابقًا أصبحت ثانوية أو تافهة. بدأت أجزاء من شخصيتي تتلاشى وتحل محلها عناصر أخرى كانت غريبة تمامًا بالنسبة لي. بدأت أنظر إلى الواقع بطريقة مختلفة تمامًا. كنت أعتز بالنظر إلى الناس مباشرة في أعينهم. لكن الآن، لم أكن أنظر في أعينهم فحسب، بل كنت أرى أرواحهم أيضًا. ليس بطريقة حكم، ولكن بنوع مختلف من التعاطف. كان الأمر كما لو أن بصيرتي الداخلية أصبحت فجأة صافية كالبلور، لم تعد مُرشحة من خلال عبئي الأكبر من التاريخ القديم، ولكنها مستنيرة إلى حد ما بمصادري المعرفية المكتشفة حديثًا.

بعد أن تم تسريحي من مركز النقاهة وأُعلنت أنني بخير، أُعطيت وظيفة أخرى في مدينة ميونيخ، أعمل لصالح الاستخبارات العسكرية، حتى أُعيَّن في مهمتي التالية.

في غضون ذلك، وفي ظل الوضوح الجديد لعقلي الخارق، تمكنت من اكتشاف من دس شيئاً في مشروبي تلك الليلة في الفندق الصغير. أعرف من هم. يجب أن يعلموا أنه على الرغم من أنه كان اختياري أن يذهبوا دون عقاب، إلا أنه يجب ألا يعتبروا هذا أبدًا علامة ضعف من جانبي. أعرف من هم وأين يعيشون حتى اليوم. إنه اختياري أن أترك الأمر يستريح وليس اختيارهم.

الفصل الرابع: الوصول إلى القمة

عند مغادرة ألمانيا، تركت زوجتي في منزلها في ميامي، بينما كنت أحضر مدرسة متقدمة في المنطقة "ج" مرة أخرى، في فورت ديفنز. لم يكن هذا باختيارها أو اختياري. سُمح لي بنقل واحد فقط من أوروبا إلى مهمتي التالية، وبدلاً من أن تجلس وتنتظرني في القاعدة الجديدة، شعرت أن وجودها بالقرب من منزلها ووالديها وأصدقائها قد يساعد في تخفيف بعض الصعوبات التي عانت منها لمدة ثلاث سنوات في ألمانيا. سأكتشف لاحقًا أن هذا أيضًا كان خطأً، لكن البصيرة اللاحقة سيد قاسٍ.

كانت مدة المدرسة التي كنت أحضرها أربعة أشهر فقط، ولم التحق بها إلا لأن مستشاري المهني في وزارة الجيش قال إنها ستبقيني في الولايات المتحدة. ما لم يخبرني به هو أنه مع المدرسة الإضافية، سأكون مؤهلاً للعمل كضابط صف في التخطيط والعمليات. بعد أربعة أشهر في ثلوج وجليد ماساتشوستس، وبدلاً من أوامر دائمة لقاعدة للجيش، أُعطيت أوامر مؤقتة إلى محطة مزارع فينت هيل، فيرجينيا، حيث تم تعييني للعمل كضابط صف كبير في مشاريع خاصة لكل من وكالة الأمن القومي ووكالة الاستخبارات المركزية. القيمة الوحيدة لذلك التعيين هي أنني تمكنت من أن أكون بالقرب من زوجتي عندما ولد ابننا، سكوت.

في ذلك الوقت، لم يُسمح لي بالبقاء في الغرفة أثناء الولادة الفعلية، لكنني تمكنت من حمله في غضون ساعة من ولادته. كان الأمر مذهلاً للغاية. في ذاكرتي، كان الأمر أشبه بحمل نجم صغير ودافئ بين يديّ، جزء من الطاقة الكونية. كان جميلًا للغاية. (يجب أن أعترف بأنني كنت آمل أن تمتلئ المنطقة المسطحة في مؤخرة رأسه في النهاية). قضيت الأشهر الأولى من حياته أشاهده ينمو. لا تزال لدي ذكريات شبه مثالية لجسده الصغير وهو ينام على معدتي، ووجهه للأسفل، يسيل لعابه بقعًا صغيرة في زيتي الرسمي. لكنني كنت أعيش في خوف دائم من إرسالي مرة أخرى إلى جنوب شرق آسيا. كان عام 1972 ولم يبدُ مرجحًا أن الحرب ستنتهي أبدًا. كان لدي أصدقاء مهنيون عائدون لمهامهم الثالثة، لذلك كنت أعرف أنها مسألة وقت فقط. كنت أجلس على حافة سريري في ظلمة الليل خوفًا مما هو قادم. شعرت بالتحطم والارتياح عندما وصلت الأوامر، بتعييني في شمال تايلاند. لم أكن أعرف حتى أن لدينا قوات في أقصى شمال تايلاند. على الرغم من أنها لم تكن فيتنام، إلا أن ترك سكوت وسو كان أشبه بقطع قلبي بحربتي الخاصة.

من الجزء الأخير من عام 1971 حتى أوائل عام 1975، كانت تايلاند نقطة ساخنة لعمليات الاستخبارات لدعم الحرب التي كانت تتلاشى في فيتنام. تم تعييني في وحدة خارج مدينة أودون ثاني، تايلاند. كان صديقي القديم ستيف من البهاما أيضًا في البلاد في ذلك الوقت، لكنه كان في الجنوب بالقرب من مطار بانكوك، يدرب الجنود التايلانديين على تقنيات استخباراتية خاصة.

كان الوقت الذي قضيته في تايلاند جيدًا وسيئًا. كانت الأوقات التي قضيتها في العمل (والتي لست حرًا في مناقشتها) فظيعة، ولكن عندما لم أكن أعمل، تمكنت من قضاء الوقت في العيش في إحدى القرى المحلية. اللحظات التي شاركتها مع سكان تلك المنطقة الشمالية لا تزال محفورة بعمق في ذهني وروحي. عبر نهر ميكونغ مباشرة شمال فيينتيان في لاوس، كانت تُشن حرب سرية بنجاح ضد الصعاب الهائلة. لو كنا قد استخدمنا نفس أساليب الحرب في جمهورية فيتنام، لا يسعني إلا أن أعتقد أن الأمور كانت ستنتهي بشكل مختلف هناك.

لقد وفر لي وقتي في تايلاند خلفية طبيعية تقريبًا للسعي وراء الميتافيزيقيا. كان سكان الجبال، الذين أتيحت لي الفرصة للعيش معهم بشكل متقطع، مهتمين جدًا بالسحر والغموض. كانت طريقة هبوط الطيور على الأشجار تخبرهم بقصص حول المكان الذي يجب أن يصطادوا فيه أو متى وأين يجب أن ينتقلوا.

فتحت رحلتي هناك أبوابًا جديدة لفهم البوذية، والأسطورة الحية، وطقوس الشامان للتعاليم الروحانية. تعلمت أن هناك قوة حقيقية في نقش صلاة على جلدك بقلم حبر جاف، أو ربط تعويذة واقية مصنوعة من العظام والريش، أو حتى خيط بسيط، حول ذراعك العلوي. تعلمت أن قلب أي رجل لا يساوي أكثر أو أقل من قلب آخر، وأن بعض القلوب في أصغر الأجساد أعظم من تلك الموجودة في أكبرها.

القرية التي عشت فيها لبعض الوقت (كلما لم أكن أعمل) كان بها العديد من الأطفال الصغار يركضون عراة في المرج. كانوا يشيرون إلي وينادونني بأسماء تعادل تقريبًا شبحًا أو خيالًا، لأن بشرتي لم تكن داكنة مثل بشرتهم. اعتاد الأطفال محاولة فرك الجلد الداكن الذي كانوا متأكدين من وجوده تحت الطبقة السطحية. كانوا يحبسون أنفاسهم عندما أستحم في النهر، في انتظار رؤية الشحوب ينزلق من جسدي.

كمثال فريد على مدى صغر هذا العالم الذي نتشاركه جميعًا حقًا، سأقفز إلى الأمام للحظة. في عام 1998، خضعت لعملية جراحية ثانية في القلب المفتوح. تفاقمت بسبب عدد من المضاعفات، لذلك قضيت بضعة أيام إضافية في وحدة العناية المركزة في مستشفى جامعة فيرجينيا. في إحدى الليالي، متأخرًا، بعد تغيير المناوبة، دخلت ممرضة الليل وحدتي للقيام بمهامها المعتادة. عرفت أنها تايلاندية، لذلك قدر استطاعتي من وضع نصف الاستلقاء، رفعت يدي في إيماءة صلاة فوق جبهتي وانحنيت في تحية رسمية. صاحت قائلاً: "سا وادي كروب" (تحية تايلاندية).

لقد شعرت بالإطراء الشديد لأنني عرفت أنها تايلاندية وردت بالمثل بابتسامة وتحية مماثلة. سألتها من أين في تايلاند أتت، فقالت إنها من قرية صغيرة جدًا، أصغر من أن يعرفها أي شخص خارج شمال تايلاند. ضغطت عليها على أي حال. لدهشتي الكاملة، قالت إنها من نفس القرية التي عشت فيها قبل سنوات عديدة.

كان من المحبب والعاطفي أن أعرف أن واحدة من هؤلاء الأطفال الصغار الذين جلسوا ذات مرة عراة على حجري تحت أشجار الغابة في شمال تايلاند كانت تعتني بالمعدات عالية التقنية التي تعتمد عليها حياتي الآن.

الأزمة الثانية والطلاق

خضعت لتجربتي الثانية لاقتراب من الموت بينما كنت معينًا هناك. كان لدينا طبيب ميداني علاجه التلقائي لأي شيء تقريبًا هو حقنة من البنسلين، عادة تسعة ملايين وحدة، تُعطى في الأرداف بإبرة قياس 20. استيقظت ذات صباح وأنا أعاني من حمى طفيفة وشعرت بالقشعريرة. أبلغته وتلقيت علاجه المعتاد. على مدى الأسبوع التالي، ساءت حالتي تدريجياً. وصلت إلى نقطة لم يعد بإمكاني فيها الاحتفاظ بالماء. كانت حالة الجفاف التي أعاني منها سيئة للغاية لدرجة أنني لم أستطع الجلوس في سريري. أنقذني صديق طيار من الخطوط الجوية الأمريكية كنت قد شربت معه، حيث نقلني إلى بانكوك في طائرة قديمة من طراز دي سي-3. تم تسليمي بواسطة سيارة إسعاف إلى المركز الأمريكي للأمراض الاستوائية، وهو فندق أربع نجوم مُحوّل. تم تشخيص إصابتي بالتهاب الكبد ب. قضيت ما يقرب من ثلاثة أشهر مستلقيًا على ظهري أتلقى حقنًا من دواء تجريبي تحت الجلد أو في الأيدي المتقابلة كل صباح. عندما تم تسريحي، نقلوني إلى دير بوذي للراهبات، حيث تعافيت. كنت قد هزلت ووصل وزني إلى حوالي 129 رطلًا. أطعمتني الراهبات بعضًا من أسوأ أنواع الشاي الذي شربته على الإطلاق، لكنهن أوصلنني في النهاية إلى نقطة تمكنت فيها من المشي. عندما عدت إلى الوحدة، أُمرت بالبقاء في القاعدة الرئيسية والعمل نصف يوم فقط. كان علي أيضًا اتباع نظام غذائي صارم للغاية استمر لمدة عامين، لا بيرة، لا شاي، لا مشروبات مسكرة، ولا حليب، وتقليل شديد في تناول الدهون واللحوم والزيوت. كان الأمر صعبًا.

خلال مهمتي في تايلاند تمت ترقيتي إلى رقيب من الدرجة الأولى، وبعد ذلك تقدمت على الفور بطلب ضابط صف (برتبة خاصة). تم رفض طلبي، لأنهم قالوا إنني أصغر من أن أحصل عليها. كان عمري 27 عامًا، ولدي تسع سنوات من الخدمة، وكلها (بصرف النظر عن وقتي في المدارس) قضيتها في الخارج، وهو ظرف لم يكن على وشك التغيير. بعد شهرين من دفع الأوراق في مكتب إدارة القيادة والتحكم في المهمة، غادرت تايلاند.

مررت بـ ميامي لمدة ثلاثين يومًا في الطريق عائدًا إلى أوروبا. في تلك المرحلة، كنت قد قضيت أقل من ثلاثة أشهر مع ابني أو زوجتي منذ ولادته. من الصعب شرح كيف يؤثر هذا على شخص ما. خلال وقتي في تايلاند، انسحبت من الجميع. كان الألم العاطفي الذي كنت أتعامل معه نتيجة التواصل مع زوجتي عن طريق الرسائل فقط ورؤية صور ابني فقط يقطعني إلى الصميم. لا يمكنني إلا أن أتخيل ما كان يفعله هذا بهما. كانت لدي مهمة نشطة وصعبة في بعض الأحيان لشغل وقتي، بينما كان عليهما الانتظار فقط. علمت من نبرة رسائلها أنها كانت تمر بوقت عصيب. كنت في عذاب بسبب ذلك. زادت حساسيتي المتزايدة الأمر سوءًا. كنت أشعر بألمها من خلال الصفحات التي أمسكها في يدي. عندما عدت أخيرًا إلى المنزل، ما وجدته لم يكن مشجعًا ولا مفاجئًا. في غيابي، تغير شيء ما بشكل كبير في علاقتنا.

كان واضحًا لي أنها كانت ترى شخصًا آخر أثناء غيابي. ليس هذا فحسب، بل إنها انخرطت أيضًا مع مجموعة من الأشخاص الذين كانوا يميلون بشدة إلى الحب غير المقيد والحفلات الصاخبة وتعاطي التبغ. بدلاً من الغضب، أردت التمسك بما كان لدي من القليل: اخترت تجاهل الماضي والتركيز على المستقبل. اعتقدت أن نقلها معي إلى أوروبا، وإبعادها عن المنطقة، سيغير الأمور. وصلنا بعد شهر إلى ما كانت آنذاك أكبر موقع لجمع المعلومات الاستخباراتية العسكرية في العالم، أوغسبورغ، ألمانيا.

بسبب خبرتي السابقة في إدارة المفارز المعزولة، استدعاني قائد الموقع الحدودي لإجراء مقابلة. كان هو المسؤول عن حوالي اثني عشر موقعًا لجمع المعلومات الاستخباراتية عن بعد على طول الحدود مع ألمانيا الشرقية ودول الكتلة الشرقية الأخرى. كان يريدني بشدة أن أتولى مسؤولية موقع كان يسبب له المتاعب. رفضت بلطف. كنت أعرف أن زواجي لن يتحمل هذا النوع من الضغط، وكنت بحاجة إلى وقت لمحاولة معالجة المشاكل في علاقتي بزوجتي. وافق على مضض على تعييني في مكان آخر، مما يضمن حياة منزلية شبه طبيعية.

حاولت قضاء أكبر قدر ممكن من الوقت مع كل من ابني وزوجتي. أخذته إلى الملعب كثيرًا، وقضينا ساعات نلعب الألعاب على أرضية الشقة التي كنا نعيش فيها في مساكن القاعدة.

مرة أخرى، لإثبات مدى ضآلة ما يمكن أن يلتقطه المتنبئ عندما يتعلق الأمر به، كانت مفاجأة كاملة عندما عدت إلى المنزل من العمل ذات يوم بعد شهر أو نحو ذلك لأجد زوجتي قد حزمت حقائبها وتخرج من الباب ومعها ابني. لم أستطع ثنيها عن المغادرة. إن القول بأنها كانت ضربة مدمرة سيكون بخسًا. كنت أعرف غريزيًا أن هناك شيئًا خاطئًا، لكن لم أكن لأفكر أبدًا في أنها ستنهض وتتركني وتأخذ ابني معها. لقد تحطمت تمامًا. ومما زاد الطين بلة، أن أحد الأسباب التي ذكرتها لعدم قدرتها على البقاء معي بعد الآن هو أنني كنت أقضي وقتًا أطول مع سكوت مما كنت أقضيه معها. لم يبدُ أن هناك إجابة واحدة لوضعي، وكنت شبه عاجز عن التفكير العقلاني.

في اليوم الذي غادرت فيه، ذهبت إلى قائدي وطلبت إعادة تعيين طارئة إلى الولايات المتحدة. رُفض هذا الطلب. قال بشكل أساسي إن مشاكلي ليست مشاكل الجيش.

كان موقفه مفاجئًا لي تمامًا. لقد قدمت كل شيء ما عدا حياتي للجيش الأمريكي، وعندما طلبت المساعدة لم أتلق سوى موقف عدائي. ما كنت أواجهه في الواقع كان تجربة شائعة في السنوات الأخيرة من خدمتي: يطلق عليها اسم الغيرة. قائدي، مثل العديد من الآخرين في الوحدة، لم يذهب أبدًا إلى جنوب شرق آسيا. لهذا السبب، عوملت بشكل مختلف وكان ذلك واضحًا. لست متأكدًا حقًا مما إذا كانت غيرة شخصية أم مجرد غضب لعدم خدمته جولة بنفسه، لكنها بالتأكيد أحدثت فرقًا في كيفية معاملتي أنا والعديد من قدامى المحاربين في جنوب شرق آسيا. كانت الحرب تتلاشى بسرعة. لذلك، بدا أولئك الذين لم يخدموا محرجين من ذلك.

ما زلت آمل في العثور على طريقة للعودة إلى زوجتي وابني، ذهبت إلى الصليب الأحمر الأمريكي وطلبت منهم التدخل نيابة عني. لقد حاولوا، لكنهم فشلوا. في يأس، حاولت حتى الذهاب إلى الرقيب الأكبر في الكتيبة، لكنه لم يرغب في رؤيتي. أخبرني كاتبه أن وضعي قد تقرر بالفعل من قبل قائد سريتي، لذلك لم يكن هناك شيء آخر يمكنه فعله. لن يطلب من قائد الكتيبة التدخل.

بقيت في حالة من البرزخ عقليًا وعاطفيًا لمدة شهر تقريبًا، مع القليل جدًا من التذكر لما كنت أفعله أو إلى أين كنت ذاهبًا على أساس يومي. قضيت قدرًا كبيرًا من الوقت في نادي ضباط الصف الكبار.

العودة إلى الذات وتغيير المسار

قرب نهاية الأسبوع الخامس، كان هناك طرق على بابي. كانت حماتي وأختها. لقد سافرتا جوًا في محاولة لإقناعي بعدم رفع دعوى طلاق. شعرتا أنه مع مرور الوقت، يمكن شفاء الأمور. لسوء الحظ، لا أتعافى جيدًا عندما يفصلني عن ابني آلاف الأميال من المحيط. لا أتعافى جيدًا بشكل خاص عندما أعرف في قرارة قلبي أن هناك رجلًا آخر يحظى باهتمام زوجتي. كنت غاضبًا وغير عقلاني، لكنني تمكنت من أن أطلب منهما بلطف المغادرة. إذا أرادت زوجتي أن تنجح الأمور، فسيتعين عليها أن تخبرني بذلك. في قلبي كنت آمل أن تأتي وتخبرني بهذا بنفسها. حملت أملًا في أنها ستغير رأيها.

لم أكن أعلم أن حماتي كانت متجهة إلى الولايات المتحدة لتقديم نصيحة متابعة لزوجتي، "تخلصي من هذا الكسول".

تلقيت أوراق الانفصال في الشهر التالي من قاضٍ في ميامي. لم يكن لي رأي في الحضانة أو أي شيء آخر. تم إصدار فاتورة لي بالفعل مقابل الإجراءات وأمرتني المحكمة بدفع 350 دولارًا شهريًا لإعالة الطفل، نصف دخلي الشهري. كان بإمكاني محاربة ذلك بموجب قانون الجنود والبحارة، الأمر الذي كان سيطيله في المحاكم لأشهر، إن لم يكن سنوات. بدلاً من ذلك، دفعت المبلغ ببساطة.

بينما يمكن قول الكثير عن كيف حدث كل شيء، لم أتحدث مع أحد عن الأمر. صحيح أن زوجتي اختارت تركي، وأنها اختارت أن تأخذ ابني بعيدًا عني، وأنها رفعت دعوى انفصال وطلاق، وكذلك الحضانة. لكن صحيح أيضًا أنني وضعتها في طريق الأذى، وتوقعت منها أن تتحمل ما كنت أتحمله، وملأت حياتها بالتوتر والصعوبة. ربما يجب أن تكون هناك دورة تدريبية للنساء اللواتي يقعن في حب الجنود، بعنوان "تحذير: هذا ما ستكون عليه الأمور".

لم أقل الكثير عن ذلك لأي شخص. أعتقد في قلبي، يمكنني أن أدرك ما كان يجب أن يكون عليه الحال بالنسبة لفتاة شابة من ميامي، تخرجت للتو من المدرسة الثانوية، أن تُنقل إلى بلد أجنبي حيث لا تعرف اللغة، وما إلى ذلك. ولكن بقدر ما افتقدتها، كان ابني هو الذي غذت براءته قلبي. لقد كان الرفيق الصغير الذي أحببت الهروب إليه أكثر من غيره عندما كنت في المنزل. كان بإمكاني قضاء ساعات معه ولم يكن يبدو كافياً أبدًا. بما أنني لم أكن أبدًا في المنزل بالقدر الذي أردته، فربما بدا الأمر في نظر زوجتي وكأنه نوع من المنافسة. الشعور بأنها لم تحصل على ما يكفي من الاهتمام، إلى جانب التحديات الأخرى التي واجهتها، والبريد السري الذي لم يكن من المفترض أن أعرفه من صديقها في الولايات المتحدة، لم يحسن الوضع. في السنوات اللاحقة، بمجرد أن خفت حدة الألم الشخصي، مضينا كلانا للعيش في حياتنا الخاصة... لكن المأساة الحقيقية كانت فقدان ابني. لقد كان حقًا نور حياتي، وأعلم أنه نشأ بعيدًا عني على ما يبدو وهو يعتقد أو يصدق، على الرغم من الرسائل التي كتبتها له في البداية، والتي أُعيدت غير مفتوحة، أن كل القصص التي كان يسمعها كانت على الأرجح صحيحة. في ذلك الوقت كان هذا كل ما يمكنني فعله.

بعد بضع سنوات، قضيت أسبوعًا في ميامي في إجازة، متوقفًا بسيارة مستأجرة عبر الشارع من المنزل الذي كان يعيش فيه. كانت زوجتي السابقة سو قد تزوجت من صديقها وعاشوا جميعًا معًا في شقة مزدوجة في منطقة ميامي شورز. جلست لساعات أشاهده يلعب في الفناء، وأراقب تفاعله مع زوج والدته (والذي بدا صحيًا ومحبًا)، بينما كنت أحارب الرغبة في الكشف عن وجودي. كنت في حالة حرب مع نفسي، أتساءل عما إذا كان الظهور المفاجئ في حياته لن يقوض كل الاستقرار الذي يتمتع به الآن. في النهاية، ابتعدت وأنا أشعر وكأنني تعرضت للطعن بأسلوب هارا كيري بسكين صدئ وأنني بطريقة ما أستحق الألم الذي أشعر به. لقد دمرت حياة سو وحياتي؛ شعرت أنه ليس لدي الحق في تدمير حياة سكوت أيضًا، على الأقل أكثر مما فعلت بالفعل.

بقيت في مساكن مرافقة لأنه لم يكن لديهم مكان لي في مساكن ضباط الصف الكبار العزاب، وقضيت ما يقرب من ثمانية أشهر أعمل في مبنى المحطة الميدانية الضخم خارج أوغسبورغ مباشرة. كان الأمر ممتعًا، لأنني كنت دائمًا مخمورًا تقريبًا. أعتقد أنها كانت إحدى طرق التعامل (أو عدم التعامل) مع المشاعر التي كنت بحاجة إلى دمجها. بما أنني كنت مخمورًا في الكثير من الوقت، لم أكن أعمل حقًا أيضًا. كانت هذه حالة سهلة للحفاظ عليها في ألمانيا، وهي أرض أكواب البيرة بحجم اللتر. كما أن المحطة الميدانية كانت كبيرة جدًا وكان هناك الكثير من الناس، يمكن للمرء أن يضيع في الزحام.

من الواضح أنني كنت أيضًا في حالة تعافٍ، وهو ما يميل إلى جذب النساء الوحيدات إلى الرجل. أقمت عددًا من الحفلات في مسكني التي استاء منها بشدة الأزواج المتزوجون والعائلات الذين يعيشون في نفس الدرج. كنت أدعو عشر نساء أو أكثر إلى حفلي، وأترك لهن انطباعًا بأنه سيكون هناك الكثير من الرجال أيضًا، ولكن عندما يصلن إلى الباب يكتشفن أنني أنا وهن فقط. بمجرد أن اكتشفن أنه ليس لدي أهداف جسدية في ذهني، كنا نقضي وقتًا ممتعًا، نلعب ألعابًا مثل مونوبولي والورق، بينما ندير جهاز الاستريو بأقصى صوت بيس، وكل ذلك يسبب ضررًا كبيرًا في إمدادات مشروبي الروحي. أعلم أن جيراني اشتكوا إلى الشرطة العسكرية، لكن المشكلة هي أن معظم النساء اللواتي دعوتهن كن من أفراد الشرطة العسكرية. في بعض الصباح، كنت أجد غرباء تمامًا نائمين في حوض الاستحمام الخاص بي، على أريكة غرفة المعيشة، أو أكثر من واحدة تتقاسم سرير غرفة الضيوف. عند التفكير في الماضي، أعتقد أنني كنت أحاول إصلاح صورتي الشخصية عن رجولتي، ولكن دون أي شكل من أشكال الالتزام. في النهاية، أرهقت نفسي بالحفلات وبدأت في الإقلاع عن الشرب. أدركت أنه سيتعين علي إما تصحيح حياتي، أو أنتهي ذات صباح بتفجير دماغي في ملعب الجولف بمسدسي 45 الأوتوماتيكي. بذلت جهدًا متضافرًا لإعادة الهيكلة إلى حياتي والقيام بواجباتي كضابط صف.

بعد بضعة أشهر، التقيت بزوجتي الثانية، الأخصائية من الدرجة الرابعة مارغريت ماري مورفي، أثناء العمل في مناوبة ليلية متأخرة. عندما التقيت بها، كان زملاؤها في العمل يسمونها في الواقع ميرف. بما أنني لم أكن أعرف أننا سنتزوج في النهاية، أصبحنا صديقين جيدين للغاية. كنا نلتقي في المطعم المحلي الصغير بالقرب من شيريدان كازيرن، في أوغسبورغ، بعد العمل في مناوبة منتصف الليل (من منتصف الليل حتى 8:00 صباحًا). لقد أحببت حقًا العمل في تلك المناوبات المتأخرة لأنه كان هناك عدد أقل من الناس هناك، وكانوا أقل رتبة، وكانوا يتركونك وشأنك إذا أنجزت العمل. عندما التقينا في المطعم، كنا نستهلك البيض المخفوق مع لحم الخنزير، ونشرب لترين من البيرة لتناول الإفطار، بينما نكتب رسائل إلى الوطن. كانت هي عادة تقوم بكتابة الرسائل، وكنت أنا أقوم بالمزيد من الشرب والمشاهدة. لقد اعتنت بي جيدًا. كانت دائمًا توصلني إلى مسكني عندما كنت مخمورًا وتمكنت من إبقائي بعيدًا عن المشاكل مع السكان المحليين.

أخرجني مهرجان أكتوبرفيست في ذلك العام من حالة الركود. التقينا جميعًا في منزل صديق حيث قمنا بـ "التسخين" على مشروبات مختلطة مصنوعة في أكواب بحجم اللتر. أنت تعرف أن شربك خارج عن السيطرة عندما لا تهتم بمدى حجم الكوب الذي يخلطون فيه مشروبك. تناولت اثنين من تلك قبل أن نتجه إلى المدينة ومهرجان البيرة. أنا من قاد السيارة، لأنني كنت (نسبيًا) الأكثر اتزانًا في المجموعة. قضينا ست ساعات في مهرجان البيرة، ننتقل من خيمة إلى خيمة، نرتشف البيرة من المزيد من أكواب اللتر، ونتناول جرعات سريعة من مشروب شتاينهاغر بينهما. في هذه النقطة يصبح الأمر ضبابيًا إلى حد ما لسبب ما. ولكن، وفقًا للتقارير، اصطحبت الجميع لتناول العشاء في مكان ليلي باهظ الثمن على قمة مبنى في وسط مدينة أوغسبورغ، أحد تلك المطاعم الدوارة الجديدة.

تناولنا العديد من زجاجات النبيذ مع الوجبة، والتي يؤكد لي الجميع أنها كانت ممتازة. أكدوا لي أيضًا أنني كنت الأكثر اتزانًا في المجموعة وكنت رجلاً لطيفًا ومثاليًا. كانت المشكلة هي أنه عندما أيقظتني الخادمة في غرفة فندق غريبة في ظهر اليوم التالي، لم أستطع أن أتذكر أين كنت أو أين تركت سيارتي. في الواقع، لم أستطع أن أتذكر الكثير مما حدث بعد الساعة 7:00 مساءً. علاوة على ذلك، كنت أعرف أنني تعرضت للسرقة. كنت قد بدأت الأمسية السابقة بما يقرب من 280 دولارًا في جيبي، لكن كان لدي الآن خمسة دولارات وبعض الفكة.

وجدت سيارتي بعد أربعة أيام، بعد أن قضيت الكثير من الوقت أتجول في أوغسبورغ بحثًا عنها. كنت قد أنفقت كل أموالي في شراء العشاء الذي كان الجميع ممتنين له بإفراط. لكن التجربة برمتها أرعبتني. كيف يمكن لشخص أن يتصرف بشكل طبيعي تمامًا، متزن تمامًا، ويتصرف كرجل لطيف ومثالي، وليس لديه أي ذاكرة عن ذلك؟ ماذا لو قتلت شخصًا ما بينما كان وعيي غائبًا؟

بينما قد تكون هذه فكرة غريبة إلى حد ما بالنسبة لمعظم المدنيين، إلا أنها ليست كذلك بالنسبة لجندي قضى وقتًا في منطقة قتال. لا يتطلب الأمر الكثير في بعض الأحيان لإثارة نوع رد الفعل الذي يؤدي إلى موت سريع، خاصة إذا لم تكن واعيًا بما تفعله أو إذا تم تغيير تحكمك الذاتي عن طريق الشرب. كان من الممكن أن ينتهي بي المطاف بالسجن المؤبد دون أي علم بارتكاب الجريمة! فكرة مخيفة تمامًا.

قللت شربي على الفور إلى لا شيء تقريبًا، ربما بيرة أو كأس نبيذ مع العشاء.

بداية جديدة في الشمال والزواج الثاني

يقولون إن أفضل طريقة لتغيير شيء ما هي أولاً تغيير الإعداد. لذلك في الشهر التالي، بعد الإقلاع التام عن الشرب وتعديل سلوكي، طلبت اجتماعًا مع قائد الموقع الحدودي وتطوعت بخدماتي في موقع تجميع ناءٍ. تم نقلي على الفور إلى شليسفيغ آم زي، التي كانت آنذاك قرية صغيرة بالقرب من الحدود الدنماركية.

كانت شليسفيغ مكانًا رطبًا وكئيبًا. في الشتاء كان هناك القليل جدًا من ضوء الشمس، وكان كل شيء مغطى دائمًا بالضباب والندى والمطر. خلال الصيف انعكس الأمر، حيث لم يحل الظلام تمامًا فوق الأرض. كانت القرية الفايكنغية الصغيرة المثالية. كان مكانًا على مضيق بحري عميق، حيث كانوا لا يزالون يبنون قوارب رائعة للأوروبيين والأمريكيين الأثرياء.

كانت مهمتي هناك جيدة في البداية. كنت قائد المفرزة واتخذت جميع القرارات. كنت قد حللت محل ملازم أول، الذي كان قد "أضاع" مكونًا رئيسيًا لنظام تشفير. (وجدته لاحقًا مسمرًا فوق باب كوخ مدير مكب النفايات. لا تزال عليه مجموعة المفاتيح السرية).

الحدث المخيف حقًا الوحيد كان حارسي الخاص الذي كاد أن يطلق النار عليّ ذات ليلة عندما فاجأته بدخولي مبنى العمليات في الساعة 3:00 صباحًا. كان قد أعاد لتوه تحميل مسدسه 45 الأوتوماتيكي ووضع طلقة في حجرة الإطلاق. عندما فتحت الباب فجأة ودخلت، فاجأته وانطلقت البندقية، تاركة ندبة صغيرة عبر إبطي الأيسر. من الجيد أنني رفعت ذراعي وأنا أصرخ عليه. أعتقد أن ذلك أرعبه أكثر مما أرعبني، إذا كان هذا ممكنًا.

في النهاية، أصبحت المفرزة واحدة من الأفضل في أوروبا. كانت تحظى باهتمام كبير، لدرجة أنهم عينوا في النهاية نقيبًا كقائد وحل محلي. أثناء وجودي هناك، تقدمت مرة أخرى بطلب للحصول على ضابط صف برتبة خاصة، ومرة أخرى رُفض. قالوا إنني كنت مطلوبًا حيث كنت.

بعد وقت قصير من وصول النقيب، تم تعيين ضابط إمداد برتبة خاصة أيضًا. بعد ذلك بوقت قصير، وصل ملازم أول، أصبح ضابط العمليات. كان كل هؤلاء الأشخاص يقومون بالوظيفة الواحدة التي كنت أقوم بها بمفردي لما يقرب من عام. كان واضحًا لي أنه مع إغلاق جميع القواعد الاستخباراتية الأخرى في أوروبا وتوحيدها في أوغسبورغ، وانسحاب الأفراد من الشرق الأقصى، كانوا ينفدون من الأشياء التي يمكن للضباط القيام بها.

ونتيجة لذلك، كان لدي الكثير من الوقت للتسكع. سمح لي هذا بالقيام بعدد من الرحلات إلى أوغسبورغ خلال عطلات نهاية الأسبوع الطويلة. بدأت أرى ميرف مرة أخرى، والتي عرفتها الآن باسم بيغي، حيث أخبرتني أن عائلتها تخاطبها بهذا الاسم.

في النهاية، أنهت بيغي وقتها في الجيش، وبدلاً من إعادة التجنيد، استقالت. بعد زيارة قصيرة لمنزلها في سانت لويس، ظهرت على باب شقتي في شليسفيغ. عشنا معًا هناك حتى جاء طلاقي أخيرًا. عند التفكير في الماضي، ربما كان الزواج منها أسوأ شيء يمكن أن أفعله لها أو لي. لكن هذا ما فعلته مع ذلك. كنت لا أزال أبحث بشدة عن الحب، أو على الأقل ما فهمته أنه كذلك.

مباشرة بعد الزفاف، بدأ كلانا يحاول بشدة تغيير الآخر. على الرغم من أننا لم نفعل ذلك قبل الزفاف أبدًا، بدأنا نتشاجر مع بعضنا البعض تقريبًا من ذلك اليوم الأول. كان من الأفضل لنا لو بقينا صديقين مقربين فقط. أكرر نفسي، أن تكون متزوجًا من زوج معين في مفرزة نائية هو على الأرجح أكثر شيء مدمر يمكن أن يحدث لزوجة عسكرية. وها أنا ذا، أضع بيغي في نفس الظروف التي أدت إلى تفاقم علاقتي بزوجتي الأولى. في النهاية، أثر الإجهاد الزوجي عليّ. طلبت إعادة تعيين إلى منطقة أوغسبورغ. على الأقل هناك، ستكون بين عدد أكبر بكثير من الأمريكيين، ولن أضطر بعد الآن إلى تلبية احتياجات مجموعة من الضباط الذين حاولوا التلاعب بطريقتهم للوصول إلى منصب الرئيس في المفرزة.

بعد يومين من عودتي إلى أوغسبورغ، طُلب مني زيارة العقيد ديفيد سكوفيلد، الذي كان الرجل المسؤول عن الأمن المادي وشؤون الأفراد في محطة أوغسبورغ الميدانية. قال إنه تابع مسيرتي المهنية في المفارز بعناية فائقة وأعجبه طريقتي في التعامل مع المشاكل الأمنية. هل سأفكر في العمل لصالحه؟ وافقت، على الرغم من أنني كنت أعرف أن ذلك سيغضب الآخرين في تخصصي المهني.

أعظم إهانة لزملائك في السلاح هي التخلي عن تخصصك المهني الأساسي للحصول على وظيفة أخرى، أو هكذا يبدو. ولكن في ذلك الوقت، لم أكن أهتم حقًا. كنت منهكًا من كل التقلبات العاطفية مع زوجتي الثانية، وأردت فقط وظيفة لطيفة ومستقرة لن تسبب الكثير من المتاعب لزواجي. كنت أيضًا سئمت من المسؤولين في هيكل تخصصي المهني، لأنهم تجاهلوا طلبي الثالث للحصول على رتبة ضابط صف برتبة خاصة.

يجب أن أشير إلى أن التقدم بطلب للحصول على رتبة ضابط صف برتبة خاصة ليس بالمهمة السهلة. إنه ينطوي على ما يقرب من ثلاثمائة صفحة من المواد، بما في ذلك كحد أدنى صور كاملة بالزي الرسمي، وأوراق طبية، وأوراق تعليمية، وأوراق اختبار، وعشرات التوصيات المكتوبة خصيصًا من عقداء مساعدين وما فوق، بالإضافة إلى تاريخك العسكري بأكمله، ونماذج تكميلية لفحوصات أمنية إضافية. إذا تم قبول طلبك، فيجب أن تجلس أمام مجلسين، حيث يتم استجوابك بشأن تخصصك المهني، وتتنافس مع العشرات من الآخرين من ذوي القدرة المماثلة لنفسك. واحد من كل مائة طلب ينجح في النهاية. لقد كانت عملية مرهقة مررت بها بالفعل ثلاث مرات. في هذه المرة لم أكن مؤهلاً مثل العديد من الآخرين، على الرغم من أن لدي ضعف الخبرة الميدانية لأي شخص آخر يتقدم بطلب. لذلك، قررت الانتقال إلى قسم الأمن. قبلت عرضه.

كان العمل في قسم الأمن شيئًا مختلفًا تمامًا. قضى أحد ضباط الصف الكبار في مكافحة الاستخبارات قدرًا كبيرًا من الوقت في تعليمي ما أحتاج إلى معرفته من وجهة نظر مكافحة الاستخبارات. لقد علمني أيضًا كيفية قطع وتشكيل أدوات فتح الأقفال الخاصة بي، وعلّمني كيفية استخدامها. علمني الفروق بين آليات القفل عالية الأمان لمختلف البلدان. تعلمت ما يجب البحث عنه كنقطة ضعف أمنية وكيف يمكن الاستفادة من نقطة الضعف هذه أو التلاعب بها.

كنت أقضي المزيد والمزيد من الوقت بعيدًا عن المنزل، في مهمة أو أخرى، أسافر من موقع إلى آخر، أزور منطقة حدودية أو مدينة أو أخرى. لذلك لم تكن حياتي المنزلية تتحسن. ومع ذلك، كان عقلي يتحسن. لا يوجد شيء أكثر حدسية في عمل الاستخبارات من الأمن المادي. تبدأ في تطوير شعور بشيء خاطئ قبل وقت طويل من معرفة ما هو الشيء الذي يلفت انتباهك بالفعل. هذا مفيد بشكل خاص عندما تبحث عن الشخص الذي يتظاهر في حشد من الناس. أصبحت جيدًا جدًا في الوظيفة وبقيت فيها حتى الجزء الأخير من العام التالي.

في خريف عام 1977، تقدمت مرة أخرى بطلب للحصول على رتبة ضابط صف برتبة خاصة، المرة الرابعة. في هذه المرة كان لدي مشكلة إضافية تتمثل في عدم رغبة قائدي في التوقيع عليها. كان العقيد فلين قد تولى منصب قائد المحطة الميدانية وكان توقيعه مطلوبًا لتقديم ملفي. لكنه رفض التوقيع عليها. قال: "لأنني إذا أظهرت لك هذا التفضيل، فسيتعين علي أن أظهر الشيء نفسه لأي شخص آخر يريد التقديم".

كنت أظن أن السبب الحقيقي يعود إلى أنني أحرجته ذات صباح أثناء تفتيش أمني للأفراد خلال تغيير المناوبة. استخدمت بطاقة مزورة تحمل صورة شمبانزي ذكر ضخم على واجهتها، ودخلت مباشرة إلى منشأته للمعلومات المصنفة والمحمية. أعتقد أنه شعر أن التقرير الأمني اللاحق عكس صورة سيئة عن كيفية إدارته لمحطته الميدانية. لقد فشل في فهم أننا نتقاضى أجورنا لاختراق تلك المنشأة بهدف تحسين دفاعاتها. على أي حال، لم يكن الأمر مهمًا. رُفض طلبي للمرة الرابعة، هذه المرة بسبب كوني متقدمًا في السن. بعد أكثر من اثني عشر عامًا في الخارج أخوض غمار "القتال النبيل"، أصبحت الآن أعتبر متقاعدًا. قد أذكر أنهم رَقَّوا ثلاثة آخرين إلى رتبة ضابط صف قمت أنا بتدريبهم.

في الواقع، يقدّر الجيش بسرعة الأشخاص الذين ينجزون العمل دائمًا وبشكل جيد. المشكلة هي أنهم، بفعلهم ذلك، يجعلون أنفسهم أكثر قيمة للوظيفة التي يقومون بها. ومن ثم، كلما تقدم شخص يقوم بوظيفة قيّمة بطلب ترقية، مثل التعيين في رتبة ضابط صف، فهذا يعني أن الجيش سيضطر إلى نقلك وفي الوقت نفسه إعفائك من الوظيفة القيّمة التي تقوم بها بالفعل بشكل جيد. في مجال الاستخبارات، يقضي ضابط صف كبير أو ضابط عادي ما معدله خمس إلى ست سنوات في الخارج، وعند هذه النقطة يتم نقلهم عادةً إلى مهام داخل البلاد، حيث يقومون بتدريب أشخاص آخرين. ما لم أكن أعرفه في ذلك الوقت هو أن عملي الميداني كان يعتبره الكثيرون استثنائيًا بما يكفي لإبقائي في الخارج أقوم به. لقد كنت أكثر قيمة في مهمة نشطة في الخارج مما كنت سأكون عليه في الداخل. لذلك، رفضوا طلبي للحصول على رتبة ضابط صف مرة أخرى.

قضيت عامًا في القيام بمهام الأمن المادي ومكافحة الاستخبارات على طول حدود الكتلة الشرقية، وحصلت على واحدة من أولى ميداليات الخدمة الجديرة بالتقدير التي مُنحت في محطة أوغسبورغ الميدانية. كانت ميدالية جديدة أُنشئت في عام 1969 للاعتراف بالإنجاز أو الخدمة الجديرة بالتقدير والمتميزة في وضع غير قتالي. وهي تحتل مرتبة بين ميدالية الخدمة الجديرة بالتقدير للدفاع وميدالية الثناء للخدمة المشتركة كجائزة غير قتالية. بعد أكثر من اثني عشر عامًا في الخارج، تلقيت أخيرًا أوامري الأولى بإعادة تعييني داخل البلاد، إلى وحدة دعم قتالي تقع في فورت براغ، كارولينا الشمالية.

أي شخص كان في الجيش سيخبرك أنه بعد أكثر من اثني عشر عامًا في الخارج يقوم بمهمة حقيقية، فإن مثل هذا التعيين هو بمثابة توجيه مسدس إلى رأسك. اتصلت بفرع إعادة التعيين في وزارة الجيش لمناقشة الأمر. كان من الواضح تمامًا أن التعيين كان انتقامًا لي لعملي خارج تخصصي المهني الأساسي.

اتصلت بكل من يمكنني التفكير فيه في منطقة واشنطن العاصمة لطلب المساعدة في تجنب التعيين، ولكن دون جدوى. كنت سأذهب إلى فورت براغ ولن يوقف ذلك شيء سوى الانتحار.

بمجرد أن تكون في الجيش لفترة كافية، تعرف أنه لكل قاعدة هناك قاعدة مضادة، ولكل "لا" هناك طريقة لـ "نعم" للقيام بالأشياء. أخذت إجازة لمدة أسبوع تقريبًا من العمل وقضيت الوقت كله محاولًا إيجاد طريقة للهروب من الذهاب إلى فورت براغ. في النهاية، اكتشفت إجابة لمشاكلي. كنت أحتاج فقط للتطوع لشيء لا يمكنهم رفضه.

في يوم العمل التالي، أرسلت رسالة عبر قناة غير رسمية إلى مكتب شؤون الموظفين، وزارة الجيش، واشنطن العاصمة، أسأل فيها عن المؤهل اللغوي المحدد الذي تعتبره وزارة الدفاع الأشد حاجة إليه. كان ردهم هو اللغة الصينية الماندرين.

تحققت من مكتب التعليم الخاص بي وأُبلغت أن اختبار مهاراتي اللغوية كان منخفضًا بنقطتين عن التأهل للماندرين. لذلك، رتبت لإعادة الاختبار في فترة ما بعد الظهر التالية. سجلت بفارق نقطة واحدة عن العلامة الكاملة في إعادة الاختبار وقدمت طلبي لإعادة التعيين في مدرسة اللغات في مونتيري بـ كاليفورنيا، لدراسة الماندرين.

في اليوم التالي، تلقى مكتب شؤون الموظفين في أوغسبورغ، ألمانيا، إلغاءًا بـ التلكس لأوامري بالذهاب إلى فورت براغ وتعديلًا لها، ينص على التعيين في مونتيري، كاليفورنيا، لـ الصينية الماندرين. مع تنهيدة طويلة، حسبت أنني على الأقل لن أذهب إلى فورت براغ. كنت قد بدأت بالفعل في التخطيط لتعييني النهائي في أول مهمة لمجموعة المساعدة العسكرية إلى بكين، الصين، والتي كانت تدور في فلك الشائعات. افترضت أن قضاء ثلاث إلى ست سنوات في الصين سيكمل مسيرتي المهنية. قد أجد حتى وظيفة جيدة أتحدث فيها الصينية في مكان ما بعد تركي الخدمة.

عندما عدت إلى الولايات المتحدة بعد شهرين، قضيت إجازتي في سانت لويس، بالقرب من عائلة بيغي. أردت منها البقاء في سانت لويس بينما كنت في مونتيري لأنني افترضت أن ذلك سيكون أفضل لكلينا. سأكون ساهرًا أدرس لغة جديدة، ولن تشعر هي إلا بالملل. إلى جانب ذلك، كنا نتشاجر بعنف ولم يكن ذلك سيساعد دراستي.

في منتصف إجازتي في سانت لويس تقريبًا، تلقيت مكالمة هاتفية من مقر قيادة الاستخبارات والأمن في أرلينغتون، فيرجينيا. تعرفت على الصوت. كان يخص كبير ضباط الصف برتبة خاصة المسؤول عن تخصصي المهني. لم يطيل الحديث. إذا بدأوا الإجراءات اللازمة لترقيتي إلى ضابط صف برتبة خاصة، فهل سأتخلى عن تعييني في مونتيري وأقبل إعادة تعيين في المقر؟ كان يخطط للتقاعد وكانوا بحاجة إلى شخص ليحل محله.

لم أصدقه، وقلت له ذلك. أردت تأكيدًا من سلطة أعلى. بعد لحظات، تلقيت مكالمة من الجنرال روليا، قائد القيادة، الذي سألني إذا كنت سأقبل كخدمة شخصية له. دون تردد قبلت، وبعد أسبوعين كنت في أرلينغتون أبحث عن شقة.

المقر والتحول إلى التكنولوجيا

كانت وظيفتي الجديدة ساحقة تقريبًا، لا تشبه أي شيء جربته من قبل. كضابط صف برتبة خاصة حديث العهد، كنت أدخل وظيفة شغلها لأكثر من عقد من الزمان كبير ضباط صف متقدم جدًا. كان منصبي الجديد هو ضابط المشاريع الأقدم لنائب رئيس الأركان لاستخبارات الإشارات والحرب الإلكترونية في القيادة، وكنت أتحمل مسؤولية تخصصي المهني على مستوى العالم. وجدت نفسي فجأة مدفونًا في جبل من الأوراق. كانت هناك مشاكل في التدريب والمعدات والأفراد تمتد عبر الكرة الأرضية، وعدد من برامج البحث والتطوير بملايين الدولارات قيد التنفيذ بالفعل، وبرامج جديدة قيد الإعداد، ومشاكل لم يتم تناولها بعد.

في غضون بضعة أشهر من وصولي إلى المقر، وجدت شقة في ريستون، على بعد حوالي 25 ميلاً من عملي في أرلينغتون، لذلك تمكنت بيغي من الانضمام إليّ. كنت محظوظًا، لأنهم سمحوا بالكلاب. كنت قد أحضرت كلبي الدلماسي، بارني، من ألمانيا معي. لقد أصبح أحد أفضل أصدقائي، دائمًا بجانبي عندما لا أكون أعمل. لسوء الحظ، لن نبقى جميعًا معًا لفترة طويلة.

تطلبت معظم مشاريع البحث والتطوير التي وجدت نفسي أعمل عليها معرفة وثيقة بالحواسب. لذلك، تم إرسالي إلى مدرسة المعالجة الآلية المتقدمة للبيانات في فورت بنيامين هاريسون، إنديانا.

في الأصل، رفضني مكتب شؤون الموظفين، لأن الشرط الأساسي للالتحاق بالمدرسة كان الحصول على شهادة في علوم الحواسب، وهو ما لم يكن لدي. ولكن، مدفونًا ضمن التفاصيل الدقيقة كان هناك استثناء. لقد تخلوا عن هذا المطلب لكبار ضباط الصف. بالطبع، لم يكن الجيش ينوي أبدًا أن ينطبق هذا الاستثناء على الأشخاص الذين تمت ترقيتهم إلى ضابط صف برتبة خاصة من خارج مجال المعالجة الآلية للبيانات. ولكن، بما أنه لم يذكر ذلك تحديدًا، فقد تقدمت بطلب بموجب الاستثناء وتم قبولي.

قضيت الأشهر الستة التالية في فورت بنيامين هاريسون أُعلَّم كل ما يمكنني تعلمه عن الحواسب. عندما وصلت لأول مرة، اقترح المدير المساعد للمدرسة أن أعيد حزم حقائبي والعودة إلى وحدتي. أخبرني أنه لم يسبق لأحد بدون شهادة في علوم الحواسب أن التحق بالمدرسة، وأن فرصتي في أن أتمكن من مواكبة صفي، دون أي خلفية على الإطلاق في الحواسب، كانت ضئيلة. رفضت الفكرة تمامًا وقلت له إن الأمر سيتطلب أمرًا مباشرًا. أعتقد أنه تركني لأشاهد نفسي أفشل. عملت سبعة أيام في الأسبوع وست عشرة ساعة في اليوم، أعمل بلا توقف. لدهشة الجميع، بمن فيهم أنا، تخرجت بنجاح. عندما عدت إلى أرلينغتون، انغمست بالكامل في وظيفتي، والتي كانت تتمثل في بناء صناديق سوداء فريدة من نوعها تعتمد على الحواسب وإدارة مواقعنا ومواردنا العديدة في الخارج.

البداية السرية لمشروع الرؤية عن بعد

بعد عام تقريبًا من وصولي إلى محطة قاعة أرلينغتون، في وقت ما خلال شهر أكتوبر من عام 1978، سلمني مشرفي المباشر، رالف ماهس، ملاحظة غامضة نوعًا ما. طلبت مني الملاحظة الحضور في الساعة الواحدة بعد الظهر إلى غرفة غير مستخدمة في الطابق الثالث من مبنى المقر. قال إنه ليس لديه أي فكرة عما يدور حوله الأمر، لكن الطلب جاء من نائب رئيس الأركان.

عندما حضرت إلى الغرفة في وقت لاحق من ذلك اليوم، التقيت بضابطين من الاستخبارات العسكرية يرتديان ملابس مدنية. قدّم الأصغر سناً الأكبر باسم سكوتي وات، ثم عرّف عن نفسه باسم فريد أتووتر. (يُعرف الآن باسم سكيب، وهو جاري). سألني فريد إذا كنت أعرف لماذا أنا هنا، وبالطبع قلت لا.

فتحوا حقيبة ورموا عددًا من الوثائق المصنفة وغير المصنفة على سطح المكتب، وطلبوا مني إلقاء نظرة عليها، وهو ما فعلته. كانت هناك العديد من الوثائق التي تتناول البرامج النفسية في البلدان الأخرى وقصاصات صحف تحتوي على بعض نفس الموضوع. أخذت وقتي في النظر إلى المواد. عندما انتهيت، سألوني عن رأيي في المواد. كيف كان شعوري؟ هل أعتقد أنها مزيفة؟

في ذلك الوقت، كنت متأكدًا تقريبًا من أنني أتعرض لـ كمين. كان لدي رد فعل غريزي غريب تجاه المادة الموجودة على الطاولة، بالإضافة إلى شعور كبير بالحذر فيما يتعلق بالرجلين الواقفين أمامي. جعلني أشعر بالحذر الشديد، وعلى أهبة الاستعداد. لذلك، عندما أجبت، فعلت ذلك بشيء مثل، "لست متأكدًا من أنني أصدق أيًا من هذا، ولكن إذا كان نصفه فقط صحيحًا، فيجب النظر فيه". ثم سألوني أين أعمل، وهو ما أخبرتهم به، ثم حذروني من مناقشة الموضوع مع أي شخص آخر، حتى مشرفي المباشر، وهو ما وافقت عليه. سألني السيد ماهس لاحقًا عن سبب الاجتماع، وأخبرته ببساطة أنه كان مسحًا يجريه أفراد أمن العمليات. بدا ذلك يرضيه.

مرت أسابيع عديدة لم أسمع خلالها شيئًا. ثم بعد ظهر أحد الأيام بينما كنت أعمل على بعض جداول التطوير، تلقيت مكالمة هاتفية من سكوتي وات. أخبرني مباشرة أنني قدمت جميع الإجابات الصحيحة وأنهم يريدونني الآن لحضور اجتماع أكبر. سيتم إخطاري بمكان وزمان انعقاده. عندما سألته عن الغرض من الاجتماع، أجاب بأنه لا يستطيع مناقشة الأمر عبر الهاتف؛ سيتعين علي الحضور لمعرفة ذلك. أخبرني أن أقول للسيد ماهس إن حضوري الاجتماع كان بناءً على تعليمات رئيس الأركان. يمكنني أن أرى من رد فعل رالف عندما أخبرته أنه كان يستاء من استدعائي لاجتماعات سرية لا يعرف سببها. لم أتمكن حقًا من لومه، حيث كنا غارقين في عمل يكفي لإبقاء ستة أشخاص مشغولين بشكل غير عادي.

كانت بداية عامي الثاني من التعيين في مقر قيادة الاستخبارات والأمن. كان القائد الجديد، اللواء فريز، قد رقاني للتو من ضابط صف برتبة خاصة إلى كبير ضباط صف برتبة خاصة، وكنت أبدأ عامي الثاني في ما كان يعتبر الوظيفة العليا ضمن تخصصي المهني العسكري.

لتوضيح اتساع ونطاق الوظيفة دون انتهاك أي تصنيف للموضوع، دعنا نساوي وظيفتي بشيء في العالم المدني. من حيث المسؤولية، كنت أشبه بـ مدير تطوير المنتجات لشركة مصنعة كبرى. بينما قد يبدو مثل هذا المثال غير مناسب للوهلة الأولى، فإنه يوضح مستوى المسؤولية التقنية والتشغيلية المتناسبة مع وظيفتي.

لوضع الأمر في منظوره المناسب، يجب أن تفهم أنني شاركت تلك المسؤولية مع رجل اسمه رالف ماهس، وهو مدني حكومي كبير. ظاهريًا، سبب وجود مدني كبير داخل مكتب عسكري، وخاصة مقر، هو لضمان الاستمرارية بين أشخاص مثلي والأشخاص الذين حلوا محلي. بما أنني كنت ضابطًا في الجيش، ويتم نقل ضباط الجيش عمومًا من محطة إلى أخرى على أساس دوري، فإن تعيين مدني حكومي كبير هو وسيلة لضمان عدم إعادة اختراع العجلة. (ومع ذلك، يجب أن أضيف أن هذا قد يكون صحيحًا أو لا يكون صحيحًا فيما يتعلق بمكتبي الخاص، لأن كبير ضباط الصف الذي حللت محله فعليًا شغل الوظيفة لفترة تجاوزت الخمسة عشر عامًا. تجدر الإشارة أيضًا إلى أن رالف كان أيضًا كبير ضباط صف متقاعد شغل نفس الوظيفة قبل تعيينه كمدني كبير). لذلك، بينما قد أبدو على السطح أكثر أهمية مما كنت عليه بالفعل في العملية، كانت هناك استمرارية وخبرة في مكتبي تعود ربما إلى تاريخ الخطيئة الأصلية لآدم، وكنا جميعًا ضباط صف برتبة خاصة نشأنا من نفس الضلع. هذا يعني أيضًا أنني كنت أتلقى تدريبًا، وهو ما سيكون له تأثير كبير على علاقاتي هناك لاحقًا، نتيجة لتدخلي في مشروع الرؤية عن بعد.

على أي حال، أدرت أنا ورالف التخصص المهني عالميًا. هذا يعني أننا كنا مسؤولين عن كل ما حدث تشغيليًا أو تقنيًا، حاضرًا أو مستقبلاً. لمساواتها بمثال التصنيع، هذا يعني أننا كنا مسؤولين عن جميع العناصر التي يتم تصنيعها، وسبب شكلها وعملها بهذه الطريقة، وأين سيتم بيعها أو استخدامها، وكيف يتم تدريب الناس على استخدامها، ومن سيستخدمها، وماذا يمكنها أو قد تكون قادرة على فعله، مأهولة أو غير مأهولة، محلية أو نائية.

كنا مسؤولين عن التوصل إلى التصاميم والقدرات للمركبات التي قد تحل محل و/أو تحمل العناصر، وكيف وأين سيتم تصنيعها، وما هو توزيعها النهائي، وكيف سيتم دفع ثمن النماذج الجديدة أو من قبل من. بالإضافة إلى ما ورد أعلاه، كنا مسؤولين عن تنسيق جميع عمليات التصنيع والتمويل والإنتاج الداخلية والخارجية. تفاعلنا وتنسيقنا بشكل مباشر الاتفاقيات مع شركات تصنيع الأجزاء/القطاعات الفرعية الأخرى (في هذه الحالة خدمات أخرى لها تخصصات مهنية مماثلة)، وقررنا الأسواق التي سيتم تناولها، ومتى سيتم تناولها، وكيف سيتم تناولها.

تخيل كل الأشخاص والتمويل والبرامج والمعدات والتدريب الذي يتطلبه القيام بكل ذلك، وستكون قد غطيت ما يقرب من نصف الوصف الوظيفي، الجانب التقني. الموازنة بين هذا وذاك كانت الجانب التشغيلي. عندما تفكر في الجانب التشغيلي، كل ما يمكنني اقتراحه هو أن تبدأ بالكلمتين التاليتين: التهديد والعالم. هذا يعطيك نوعًا من الفكرة عما كانت عليه وظيفتي.

الآن لماذا هذا مهم؟ حسنًا، أريد أن أوضح نقطة محددة للغاية. ضمن تخصصي المهني، أو مجموعة أقراني، كنت أجلس في مقعد القائد. لم تكن هناك أي وظائف أفضل أو أكثر تطلبًا أو أكثر احترامًا من تلك التي كنت أجلس فيها. كنت أعمل بجوار سارية العلم، أقضي عشرة إلى اثني عشر ساعة في اليوم مع الكثير من العمل الإضافي في عطلة نهاية الأسبوع، أتعامل مع تحديات لا تصدق، وأحب كل دقيقة منها. لم يكن لدى أي شخص آخر في مجالي إمكانية الوصول إلى هذا التعرض والخبرة.

لكنني تخليت عن كل شيء.

في ومضة رائعة من البصيرة، قلت ما قلته وغيرت حياتي إلى الأبد. في تلك اللحظة الزمنية الصغيرة، سمحت لصوت صغير من مكان عميق داخل رأسي أن يخبرني بما يجب علي فعله. هل سيفعل ذلك مدير تطوير المنتجات لشركة جنرال موتورز؟ ربما لا. حسنًا إذن، لماذا فعلت أنا؟

في وقت لاحق، أعتقد أن الأمر كان يتعلق بعملية اختيار ذاتي. الطريقة التي تم بها التواصل معي، والمواد التي عُرضت علي، والسياق الذي قُدمت فيه والذي كان شبه تهكمي، فعل كل ما هو ممكن لضمان أنني أنصرف تمامًا عن أي اهتمام بالخوارق. في المناقشات اللاحقة، أشار الرجلان ذوا البدلتين (سكيب وسكوتي) إلى أن كل ذلك كان جزءًا من مخطط متقن كان لديهما لتحديد وتجنيد الأشخاص الحساسين (الروحانيين)، لكنني لم أقتنع بذلك. عند القراءة لاحقًا ستفهم السبب.

الفصل الخامس: المشروع الخاص

إذًا، من كان هذان الرجلان؟ وكيف انتهى بي المطاف جالسًا على كرسي في غرفة معقمة في مقر قيادة الاستخبارات والأمن للجيش الأمريكي؟ بدأت قصتهما قبل بضع سنوات بتقرير يطفو في مجتمع الاستخبارات كتبه محلل وكالة الاستخبارات المركزية يُدعى الدكتور كينيث كريس في عدد شتاء عام 1977 من "دراسات في الاستخبارات"، وهي نشرة داخلية صادرة عن وكالة الاستخبارات المركزية. في هذا التقرير، تحدث الدكتور كريس عن تجارب في شيء يسمى الرؤية عن بعد، والتي كانت جارية في معهد ستانفورد للأبحاث (المعروف الآن باسم معهد ستانفورد الدولي للأبحاث) منذ عام 1972. في هذه التجارب، اشتهر رجل يُدعى بات برايس، وهو ضابط شرطة متقاعد، بوصفه لداخل المواقع التشغيلية المراقبة لوكالة الأمن القومي، فضلاً عن توفير معلومات تتعلق بمواد الكلمات المشفرة المخزنة داخل الملفات الموجودة في تلك المواقع. تم تضمين مثال لأحد رسومات بات، وهي رافعة، في نهاية الملحق أ، والمشار إليها في وثيقة كين كريس. كانت الرافعة جزءًا من موقع اختبار نووي سوفيتي قدم بات أيضًا رسومات لأجهزة تحت الأرض لم يكن معروفًا بوجودها وقت رؤيته عن بعد.

أصبح معروفًا لاحقًا أن السيد إنغو سوان كان يقدم دعم الرؤية عن بعد في نفس الفترة الزمنية. سوان هو شخص روحاني يقيم الآن في نيويورك. وهو أيضًا مؤلف للعديد من الكتب البارزة في المجال الخوارقي، روائية وغير روائية. إنه فنان استثنائي وقد أنتج لوحات ومطبوعات مرغوبة من قبل الناس في جميع أنحاء العالم. إنه أيضًا خبير في العديد من المهارات الأخرى التي يصعب حصرها. بينما كانت لدينا خلافاتنا واختلافاتنا، أحب أن أفكر فيه على أنه صديق أيضًا. إنه بالتأكيد رائي عن بعد استثنائي، وربما يعرف عن المهارات البشرية الفائقة أكثر من أي رجل آخر على قيد الحياة اليوم. إنه أيضًا أخ في السلاح، حيث خدم في الجيش عندما نادته بلاده.

في الجيش، ربما قرأ الكثيرون هذا التقرير، لكن شخصًا واحدًا فقط فهم أهميته حقًا. كان هذا هو الملازم الأول فريدريك أتووتر، المعروف الآن لأصدقائه باسم سكيب. لقد فهم بوضوح الإمكانات التي مثلتها هذه الوثيقة، فضلاً عن التهديد المحتمل للأمن القومي. في ذلك الوقت، كان الملازم أتووتر ضابط مكافحة استخبارات يعمل في مجموعة الاستخبارات العسكرية 902، الواقعة في فورت جورج جي ميد، ميريلاند. أما الرجل الآخر في غرفة المقابلة معي في ذلك اليوم فكان الرائد وات، المعروف لأصدقائه باسم سكوتي. نظرًا لتخطيه مرتين للترقية، شعر أصحاب القرار أنه لا يمكن أن يتضرر بالارتباط بمثل هذا المشروع. لذلك تم تعيينه كمشرف متطوع.

ما لم أكن أعرفه في ذلك الوقت، ولكن سأكتشفه لاحقًا، هو أن مهمتهم الأصلية الموكلة إليهم كانت تحديد وتجنيد رائين عن بعد محتملين لاختبار الدرجة التي يمكن بها تعليم الرؤية عن بعد وتنظيمها واستخدامها لأغراض جمع المعلومات الاستخباراتية. في رأيي، بناءً على تفاعلاتي المبكرة جدًا، كان سكوتي وسكيب منقسمين إلى حد كبير حول ما إذا كانا يعتقدان أن الرؤية عن بعد ستكون فعالة أم لا. كان واضحًا لي أن سكيب جاء من خلفية كانت فيها إمكانية الوظيفة الروحانية حقيقية جدًا، وبينما لم يكن سكوتي مغلقًا أمام الاحتمال، أعتقد أنه اعتبر تحققها في نهاية المطاف أمرًا بعيد المنال أو حتى مشكوكًا فيه.

حقيقة أن هذين الضابطين الاستخباراتيين المحترفين للغاية يمكن أن يختلفا بشكل جذري حول الموضوع ولكنهما منفتحان بما يكفي لمحاولة التحقق منه هو دليل على براعة ومهارة أولئك الذين تم تجنيدهم للقيام بمهمة الدفاع عن الأمة. لست متأكدًا من أنني كنت سأتمتع بنفس الشجاعة في ظروف مماثلة.

على الرغم مما سبق، لا ينبغي للمرء أن يفترض تلقائيًا أن الجيش الأمريكي كان يشجع مثل هذا الاستكشاف، لأنه، كما سيكشف الوقت، لم يكن كذلك. منذ البداية، تم توخي عناية كبيرة للحفاظ على الجهد سريًا قدر الإمكان. لم يتم ذلك فقط لاعتبارات الأمن العادية، ولكن أيضًا لضمان أن السخرية التلقائية التي تتولد دائمًا تقريبًا عن الموضوع لا تقتل الجهد في مراحله المبكرة.

في البداية لم يعرف أحد في الواقع كيفية تجنيد شخص روحاني. لم تحدد أي وثائق أو دراسات ما الذي تحتاج للبحث عنه في شخص روحاني. الطريقة الوحيدة حقًا لمعرفة ذلك كانت اختبار شخص ما مباشرة، وهو اقتراح مكلف، حتى في ذلك الوقت، ولكن خاصة عندما تبدأ في توظيف علماء يعملون في منطقة خليج سان فرانسيسكو.

تمكن سكيب من العثور على وثيقة قدمت بعض الأفكار حول السمات العامة التي يُزعم أنها موجودة لدى الأشخاص الذين يُعتقد أنهم روحانيون. يتم تقديم هذا في الملحق ب. بشكل عام، اقترحت أشخاصًا محبوبين، يميلون إلى البحث عن إجابات للمشاكل خارج نطاق المألوف، وناجحين على ما يبدو في حياتهم المهنية، وذوي مبادرة ذاتية. قد تولد خلفيات ضباط الاستخبارات الناجحين في حد ذاتها المزيد من المشاكل في تضييق الخيارات. عادة، إذا نجا ضابط استخبارات في مسيرة مهنية، فإن ذلك وحده يشهد على قدرته. ولكن، كانت نقطة بداية على الأقل.

على مدى فترة طويلة من الزمن، قاموا بفحص السجلات وتضييق الاحتمالات على أولئك الذين أوصى بهم كبار المشرفين داخل المقر. كان أحد هؤلاء المشرفين هو مشرفي أنا، رالف ماهس. أتذكر ذلك اليوم جيدًا. وصلت إلى العمل مبكرًا جدًا، كما هي عادتي، صنعت أول قدر من القهوة وبدأت في العمل من خلال كومة العمل الجديد المكدسة في صندوق الوارد الخاص بي. جاء رالف إلى مكتبي وأخبرني أن اثنان من الجواسيس يريدان مقابلتي بعد ظهر اليوم التالي في مكتب فارغ في نهاية القاعة. سألته لماذا، وقال فقط إنهما مهتمان بإجراء مقابلة معي. ضغطت عليه، أسأل عن سبب المقابلة، وكرر أنه ليس لديه أدنى فكرة. سأكتشف لاحقًا أنه في الواقع لم يكن يعلم في ذلك الوقت، على الرغم من أن القائد، الجنرال فريز، أبلغه بشكل غير مباشر في وقت لاحق أن الأمر يتعلق بشيء له علاقة بالخوارق. لم أعرف هذا على الإطلاق إلا لأن رالف أبعدني بعد بضعة أشهر وحذرني من أن تدخلي في مثل هذا الجنون يعرض روحي ومسيرتي المهنية لخطر كبير، وهو رد فعل مخيف نوعًا ما ولكنه نموذجي لما كنا نحاول القيام به في مشروع البوابة النجمية.

اقتربت من المقابلة بحذر. بشكل عام، يتم استدعاء شخص لإجراء مثل هذه المقابلة مع شخصين يرتديان ملابس مدنية لواحد فقط من عدد قليل من الأسباب. أولاً، كان دائمًا تقريبًا بالاقتران مع تحقيق في خلفية زميل في العمل قد يكون معرضًا لخطر فقدان تصريحه بسبب بعض الإجراء أو التقصير الذي اعتقدوا أنك قد تكون شاهدته أو كان لديك وصول إخباري إليه. لا أحد يحب أن يوضع في موقف الاضطرار إلى الإبلاغ عن شخص ما، خاصة عندما تعرف بالفعل أنه لا يوجد شيء علني بما يكفي لإحداث أي نوع من التنبيه على شاشتك الخاصة. ثانيًا، يمكن أن تكون له علاقة مباشرة ببعض الأفعال أو التقصير من جانبك. فكرة أكثر رعبا بالنظر إلى أنني لم أتذكر أي شيء قد أكون فعلته يستدعي التحقيق.

لا يدرك معظم الناس أن الأشخاص داخل الخدمة العسكرية وفروع الاستخبارات يمكن أن يتم استهدافهم، ويتم استهدافهم بشكل متكرر، للقيام بعمل شائن لصالح خدمات الاستخبارات المعادية، أو أحيانًا لأشخاصهم.

كتب بيتر غروس كتابًا بعنوان "عملية رولباك: حرب أمريكا السرية خلف الستار الحديدي". منه أقتبس عميل مكافحة استخبارات شيوعي له أهمية، صموئيل غينسبرغ، المعروف أيضًا باسم والتر ج. كريفتسكي، يبلغ لجنة مجلس النواب للأنشطة غير الأمريكية عن الأنشطة غير المناسبة لأعضاء الحزب الشيوعي. "غالبًا ما يحدث أن يقدم عضو في الحزب معلومات... لأفراد لا يعرف هويتهم، دون أن يدرك أنه يشارك بذلك في التجسس"، مما يعني أنه يمكن إغراء الناس للقيام بأشياء يعتقدون أنها صحيحة وهي في النهاية خاطئة.

وثالثًا، اكتشف النظام طريقة يمكنهم استخدامك بها لن تتطوع لخدماتها أبدًا، وهو شيء حدث في مناسبات عديدة عندما كنت متمركزًا في الخارج، وشيء كان دائمًا تقريبًا غير سار بشكل رهيب في نتيجته.

لذلك، فإن القول بأنني دخلت المقابلة بعصبية سيكون بخسًا.

كما أشرت بالفعل، اتبعت الصوت الصغير في مؤخرة ذهني، وفي ذلك الوقت أجبت بأكثر طريقة صادقة ممكنة. شعرت بصدق أنه إذا كانت الوظيفة الروحانية حقيقية، فإنها ستشكل تهديدًا خطيرًا جدًا لأمن أمتنا ويجب أن نعرف عنها قدر الإمكان. كانت إجاباتي مثالية بقدر ما يمكن للمرء أن يأمل، حيث وقعت في منتصف الطريق تقريبًا بين موقف سكيب وسكوتي بشأن الأمر، مما ضمن لي مقابلة ثانية.

ابتعدت عن المقابلة الأولى متسائلًا عن غرابة قسم مكافحة الاستخبارات لدينا أكثر من نواياهم طويلة المدى. لو أخبروني أنهم كانوا يخططون للتحقيق بالفعل في استخدام الوظيفة الروحانية كأداة لجمع المعلومات، فربما كنت سأفعل ما يفعله معظم الآخرين، وألجأ إلى شكل من أشكال السخرية، يليه الضحك في طريقي للخروج من المكتب. بدلاً من ذلك، غادرت في حيرة كما دخلت. عندما عدت إلى مكتبي، عدت إلى القضايا الأكثر دنيوية في وظيفتي، مثل معرفة كيفية إنفاق مائتي مليون دولار من أموال دافعي الضرائب بحكمة. لم أكن أعلم أنه سيحدث الكثير في وقت أقرب بكثير مما كنت أتوقع.

إذا سُئلت في عام 1978 أين سأكون في عام 2002، أو ما الذي قد أكون فعلته في غضون ذلك، فمن المؤكد أنني لن أكون قد أجبت بدقة. روحاني أم لا، لم يكن هناك أي تلميح على الإطلاق للظروف التي دفعتني إلى المسار الذي اتبعته في النهاية.

(في الواقع، لإثبات عمق هذا اللغز، انهار النظام السوفيتي القديم، وأنا جالس في فندق في موسكو أعمل على هذه الفقرة بالذات، وهو شيء لم يكن ليصبح احتمالًا بعيدًا حتى في عام 1978. ناهيك عن حقيقة أنني قدمت للتو ورقة بحثية عن الخوارق في جامعة موسكو، والتي كانت مكتظة بما لا يصدق).

الاجتماع الثاني وبداية الشك

حدث الاتصال الثاني بعد أسبوعين تقريبًا. تلقيت مكالمة من سكوتي يطلب مني السفر إلى فورت ميد لحضور اجتماع مع بعض الآخرين فيما يتعلق بالمناقشة التي أجريناها سابقًا. ذكر أنه لا يجب أن أتحدث عن الموضوع، لأنه حساس، وإذا طلبت من شخص ما التحدث إلى رئيسي، يمكن ترتيب ذلك. أوضحت أنه من الصعب علي أن آخذ وقتًا من وظيفتي دون سبب استثنائي، لذلك سيتعين على شخص ما على الأقل التحدث مع رالف نيابة عني. بعد أقل من ساعة، تم استدعاء رالف إلى مكتب رئيس الأركان حيث أخبرني أن رئيس الأركان يريدني أن أحضر اجتماعًا سيعقد في غرفة مؤتمرات مجموعة الاستخبارات العسكرية 902 في نهاية الأسبوع. سألته عما يشير إليه، وقال إنه لا يعرف، لكن رئيس الأركان أوضح بجلاء أنه يجب علي الحضور وأن الأمر مهم للجنرال القائد. لم يرفع رئيس الأركان نظره عن مكتبه.

أُعجبت بمدى النفوذ الذي كان يتمتع به سكوتي على ما يبدو داخل القيادة، فقررت الذهاب. بعد يومين، قمت بالقيادة مبكرًا ذات صباح إلى فورت ميد لمعرفة ما كان يدور حوله الاجتماع.

وصلت قبل خمس عشرة دقيقة تقريبًا، وتم إدخالي إلى غرفة مؤتمرات مجموعة الاستخبارات العسكرية 902، وهو مكان مثير للإعجاب، بألواح خشبية ثقيلة، ومعدات "غرفة حرب" مناسبة، مدفون بعمق داخل مبنى من الطوب القديم وطبقات من الأبواب الأمنية. فوجئت بوجود حوالي ثمانية عشر شخصًا آخرين أيضًا. تذكرت رؤية عدد قليل منهم في قاعات مبنى المقر، لم أكن أعرف أيًا منهم شخصيًا. كان بعضهم يرتدون ملابس مدنية وكان بعضهم يرتدون زي البحرية أيضًا. شعرت ببعض خيبة الأمل لأن ذلك جعلني أشعر بالضعف إلى حد ما. إذا كان سكوتي ينوي التحدث عن الموضوع الذي ناقشناه سابقًا، فمن المؤكد أنني لن أكون مرتاحًا للقيام بذلك أمام غرفة مليئة بالغرباء.

ولكن، ربما كان هذا جزءًا من الخطة، جعل الجميع يشعرون بعدم الارتياح قدر الإمكان ومعرفة من سيصمد. بالطبع، كانت تلك الأفكار بعيدة كل البعد عن الوضوح في ذلك الوقت.

لزيادة تعقيد الأمور، عندما دخل سكوتي وسكيب الغرفة، كانا يحملان العديد من الوثائق المصنفة، والتي نثراها عبر سطح الطاولة. تناولت هذه الوثائق تقييمات محددة للتهديد تتعلق بجهود البلدان الأخرى في الخوارق، وهو شيء جاء كمفاجأة تامة لي. بعد أن كنت مترددًا في البداية في مناقشة الموضوع، سرعان ما أصبحت فضوليًا بشأن ما كانت تفعله هذه البلدان الأخرى وكيف كانت تفعله. كما يمكن تخيله، كانت المعلومات غامضة وغير مفصلة للغاية، وتعتمد في الغالب على الشائعات أو التلميحات التي تم تلفيقها من تقارير من مصادر ثانوية أو ثلاثية، تُعزى إلى مصادر موثوقة وغير موثوقة. ولكن، سيكون من العدل أن نقول إنها كانت مثيرة للاهتمام للغاية. على أي حال، فقد أثارت فضولي بالتأكيد عندما تحركت لإلقاء نظرة فاحصة. أفترض أن جزءًا من الخطة كان السماح لنا بقراءة ومناقشة المعلومات لمعرفة رد فعلنا. كان الصوت الصغير في مؤخرة ذهني يتحدث إلي بهدوء شديد مرة أخرى، وكان يقول: هذا جزء من الاختبار. كن حذرًا هنا. لا تصدق كل ما يُعرض عليك. كن حذرًا هنا.

ونتيجة لذلك، كنت حذرًا بشأن ما سأقوله أو لن أقوله للآخرين داخل الغرفة. لم أثق أو أشك في الموجودين. تبنيت موقف "دعنا ننتظر ونرى".

بعد حوالي ساعة، عاد سكوتي وسكيب إلى الغرفة مع الرائد كينان، الذي سأعرف لاحقًا أنه الضابط الذي بدأ، جنبًا إلى جنب مع سكيب، التحقيق الاستباقي في الوظيفة الروحانية. أعلن أنه نظرًا لأننا أتيحت لنا فرصة لقراءة بعض المواد ومناقشتها فيما بيننا، يجب أن نكون قادرين على الإجابة على سؤاله الأول. لا يمكنني إلا أن ألخص سؤاله الأول، الذي كان شيئًا مثل ما يلي: "هل يشعر أي منكم بعدم الارتياح بشأن الموضوع؟"

من الواضح أنه سيكون بخسًا كبيرًا أن نقول لا. ارتفع عدد كبير من الأيدي. هذا فاجأني نوعًا ما، لأنني لم أشعر بالانزعاج بشكل خاص من المادة نفسها. ما جعلني أكثر عدم ارتياح هو حقيقة أنه قد يكون هناك بعض التهديد الخطير الذي يشكله مثل هذا الاحتمال. في مناقشاتي مع بعض الآخرين الحاضرين، انجذبت نحو شخصين، رجل باسم كينيث بيل (كين)، وملفين رايلي (ميل). بدا كلاهما مرتاحين للمادة، بل كانا واقعيين بشأنها. كان موقفهم الواقعي بمثابة تشجيع لي أكثر من عدمه. ساعد ذلك في إبقاء الأمور في نصابها. قال الصوت الصغير داخل رأسي:

اهدأ. أصمد لفترة أطول قليلاً وشاهد إلى أين يتجه هذا.

لذلك جلست مرتاحًا في مؤخرة الغرفة بفكرة أنني سأرى في النهاية إلى أين يتجه كل هذا. (أو، طريقة أخرى للنظر إليها، إلى أي مدى سيأخذني هذا؟)

ثم قال الرائد كينان: "يمكن لأولئك الذين يشعرون بعدم الارتياح المغادرة. أحذركم من أنه لا يجب عليكم مناقشة أي شيء ربما رأيتموه هنا اليوم. سيُطلب من أولئك الذين يبقون التوقيع على اتفاقيات لحماية ما أنتم على وشك العثور عليه أو سماعه أو رؤيته".

بقيت.

ما يثير اهتمامي عند التذكر هو عدد الأشياء التي لاحظتها في ذلك الوقت ولكن لم أفكر فيها حقًا إلا الآن. كانت هناك ملاحظات مثيرة للاهتمام قد تكون مهمة أو لا تكون، ولكن ربما يجب ملاحظتها، ببساطة لأنها حدثت.

1.) كان هناك غلبة للرجال. من بين ما يقرب من ثمانية عشر شخصًا حاضرًا، كانت امرأتان فقط. لا أعرف إحصائيًا ما إذا كان هذا هو نفس مزيج الذكور/الإناث الذي كان موجودًا في المقر في ذلك الوقت. في حين أن هذا ممكن، فإن الصوت الصغير في مؤخرة رأسي يخبرني أنه ربما ليس صحيحًا. منذ البداية، كان لدي شعور بوجود رد فعل سلبي تجاه النساء داخل المشروع، وهذا لم يتركني أبدًا. وقد تأكد ذلك من خلال الإجراءات التي حدثت والتي سأناقشها لاحقًا. على أي حال، اختارت المرأتان الحاضرتان البقاء، وبجميع المقاصد والأغراض بدتا حاسمتين في تفكيرهما، وحذرتين مثل أي من الذكور.

2.) كان كل شخص حاضرًا يتوخى الحذر. كان واضحًا أن الموضوع كان مزعجًا للكثيرين، ليس بقدر ما كان عليه بالفعل، بل بقدر ما يمثله. إذا كنا عرضة بطريقة ما للوظيفة الروحانية، فلن تكون هناك أي خزائن أو أقفال كافية لمنع الوصول إلى أثمن أسرارنا. في الواقع، هذا يعني أننا كنا جميعًا عرضة للانكشاف، بغض النظر عن وظائفنا أو مسؤولياتنا. كان هناك شخص ما في مكان ما ربما يصل إلى أفكارنا. كان هذا تهديدًا خطيرًا بما يكفي ليجعل دم المرء يتجمد عند التفكير، وكانت فكرة أنا متأكد من أن معظم الحاضرين قاوموها بنشاط. بدلاً من ذلك، كانت رغبتي وأملي أن يكون ما سنكتشفه في النهاية هو أن لا شيء من هذا حقيقي، لا شيء منه يعمل حقًا، ويمكننا جميعًا أن ننام بسعادة وراحة في أسرتنا ليلاً، مقتنعين بـ حصانتنا. لكن الصوت الصغير في مؤخرة رأسي، على الرغم من أنه لم يكن مرتاحًا لذلك، لم يكن يدفعه إلى أبعد من ذلك على الأقل.

3.) كما قلت سابقًا، يكاد يكون من المستحيل معرفة من هو روحاني ومن ليس كذلك دون اختبار مباشر. كان هذا هو الحال بالتأكيد في ذلك الوقت، وعلى حد علمي لا يزال هو الحال اليوم. لقد سمعت آخرين يزعمون أنهم يستطيعون معرفة ذلك، لكنني لم أر ذلك يتجلى أبدًا. إنه أحد الأسباب التي جعلتنا لاحقًا في المشروع نجد أنفسنا متورطين مع أشخاص لم يكونوا روحانيين بقدر ما كانوا مجانين. كما هو الحال مع كونك روحانيًا، يعتقد الكثيرون أنهم يستطيعون معرفة ما إذا كان شخص ما مجنونًا أم لا. ولكن إذا اعتقد أي شخص أنه بالنظر إلى شخص ما يمكنه معرفة ما إذا كان مجنونًا أم لا، فلدي أخبار لهم. لا يجب على شخص ما أن يحدق في الفضاء ويسيل لعابه من زاوية فمه لإظهار الجنون. (في الواقع، لقد فعلت ذلك بنفسي عدة مرات، بعد قضاء أسابيع في الميدان تحت شمس حارقة في رطوبة 100 في المائة، ثم تناول بيرة مثلجة أمامي ببساطة). لذا، فإن الاختبار هو ضرورة مقبولة، وفي ذلك الوقت، كان كذلك أكثر من ذلك.

عند التفكير في الماضي، أود أن أقترح أيضًا أن أولئك منا الذين قرروا البقاء في ذلك اليوم كانوا في الواقع يمرون بعملية اختيار ذاتي واضحة ومنهجية للغاية. مرة أخرى، أود أن أنسب هذا التفكير المعقد إلى الرائد كينان أو سكوتي أو سكيب، لكن لا يمكنني ذلك. أعتقد أنه كان متزامنًا أكثر من كونه مخططًا.

على أي حال، فإن أولئك الذين بقوا فتحوا أنفسهم للمستوى التالي من الاستثمار، وهي مقابلة مباشرة مع الأشخاص من معهد ستانفورد الدولي للأبحاث، الذين تم إبقاؤهم مخفيين سرًا حتى تلك اللحظة.

كان الدكتور هال بوتهوف وراسل تارغ ينتظران في الكواليس لتقديم أول تعرض لنا للرؤية عن بعد، والذي كان عبارة عن فيلم لضابط شرطة متقاعد، السيد بات برايس، يقوم بجلسة نموذجية للرؤية عن بعد للمتجه للخارج. المتجه للخارج هو شخص سافر بالفعل إلى موقع تم اختياره عشوائيًا وتفاعل معه. في هذه الحالة، كان الهدف هو فناء المركز الطبي بجامعة ستانفورد.

العرض المذهل والقرار المصيري

مع عدم وجود أي شخص في الغرفة قد رأى رؤية عن بعد من قبل، فإن القول بأنها أحدثت ضجة كبيرة سيكون بخسًا. تم اقتياد بات برايس إلى غرفة مغلقة في الطابق العلوي من مختبر فيزياء الراديو التابع لمعهد ستانفورد للأبحاث، حيث تم الاحتفاظ به لمدة نصف ساعة تقريبًا، بينما اختار هال بوتهوف عشوائيًا مظروفًا معتمًا مغلقًا من درج آمن. حمل بوتهوف المظروف إلى موقف السيارات وصعد إلى سيارة مع المصور. بعد القيادة في حركة المرور لفترة من الوقت، توقف على حافة الطريق، وفتح المظروف، وقرأ التعليمات بالداخل، والتي وجهته للقيادة إلى المركز الطبي بجامعة ستانفورد، والمشي حول الفناء الداخلي. يحتوي الفناء الداخلي على نمط مميز للغاية، وبعض الأنماط المثيرة للاهتمام على الجدران.

بالعودة إلى الغرفة التي لا نوافذ لها على بعد أميال قليلة، كان بات برايس يجلس مع راسل تارغ أمام كاميرا، بينما طلب منه راسل رسم تصوراته حول المكان الذي قد يقف فيه هال.

أظهر الفيلم برايس وهو يرسم فناءًا مغلقًا، بأنماط مماثلة لتلك الموجودة داخل فناء المركز الطبي. حتى التخطيط تم تقديمه بتقدير واضح جدًا لعلاقات الحجم بين الأشياء والمسافات داخل الفناء. لا يصدق! يمكن للمرء أن يفترض أنه إذا كنت على دراية بالمنطقة، وهو ما لم أكن عليه في ذلك الوقت، فلن يكون هناك مشكلة في تحديد المكان الذي كان يقف فيه هال بالفعل، بغض النظر عن مدى كبر منطقة البحث.

كانت هذه الإمكانية التي تم إثباتها مذهلة ومخيفة في آن واحد. جعلتني أشعر وكأن بابًا جديدًا للواقع قد فُتح للتو. في الوقت نفسه، شعرت بتدفق الماء المثلج عبر الجانب السفلي من ذراعي. من وجهة نظر التجسس، كنا عرضة للخطر بشكل واضح للغاية. ما مقدار التفاصيل التي يمكن لشخص مثل برايس تقديمها عن موقع هدف محدد؟ هل كان هناك آخرون مثل برايس؟ كان رأسي يمتلئ فجأة بالأسئلة والإمكانيات. والسؤال الأعظم على الإطلاق، ماذا كنت أفعل في الغرفة وكيف سأشارك في هذا العالم الغريب الجديد من الرؤية عن بعد؟

بعد انتهاء الفيلم، طُلب منا مواصلة مراجعة المواد التي تم تقديمها، حيث سيتم إجراء مقابلة مع كل واحد منا على حدة. أتذكر أنني جلست على طاولة المؤتمر مقابل النقيب كينيث بيل، الذي كان آنذاك ضابط مكافحة استخبارات.

كان هناك رجل آخر التقيته في ذلك الوقت، والذي سأعرف اسمه جيدًا لاحقًا، ملفين رايلي. كان رقيب أركان ومحلل صور فوتوغرافية. تحدثنا بأصوات منخفضة جدًا عن الاحتمالات الواضحة التي تم تقديمها لنا للتو. أتذكر أننا كنا جميعًا غير مصدقين إلى حد ما بما رأيناه. كنا متفقين، في أننا بينما كنا على استعداد للانفتاح، احتفظنا بالحكم على الموضوع أو صدقه بناءً على أدلة أخرى قد تُعرض علينا في وقت لاحق. في النهاية، حان دوري للمقابلة.

عندما دخلت الغرفة لأول مرة، فوجئت برؤية هال فقط حاضرًا. اعتقدت أن كلاهما سيجري المقابلة. كما اكتشفت لاحقًا، لقد فوجئوا بعدد الأشخاص الذين تم تحديد موقعهم والذين قرروا البقاء وإجراء المقابلة. أعتقد أنهم لم يعتادوا على العثور على هذا العدد الكبير من ذوي العقول المنفتحة في مكان واحد، أو على الأقل ليس هذا العدد الكبير من الرائين عن بعد المحتملين. كان عليهم تقسيم المجموعة لإجراء المقابلات.

سألني هال قليلاً عن خلفيتي، والتي شاركتها بصراحة. لم أشعر أنني كنت أكثر انفتاحًا على الموضوع مما قد يكون عليه أي شخص آخر. في الواقع، ربما كنت سأجيب بأنني شعرت بنفسي غير مصدق قليلاً. عندما تواجه احتمالية الوظيفة الخوارقية، فإن ميلك الطبيعي هو "عدم التصديق". ما كنت أخفيه جيدًا بالطبع هو حقيقة أنني مررت بتجربة اقتراب من الموت قبل سبع سنوات في أوروبا. لقد تعلمت بسرعة كبيرة أن معظم من في الجيش الأمريكي لديهم انفتاح ضئيل جدًا على مثل هذه التجربة، وعلى حد علمي، سيكون هؤلاء العلماء أقل ميلًا للاعتقاد بتجاربي.

من الواضح أن هال قد عُرضت عليه ورقة معلومات عني وبدأ مناقشته ببعض الأسئلة العامة حول خلفيتي. أين نشأت؟ ما نوع الخلفية العامة التي كانت لدي؟ ما هي مشاعري العامة حول الاحتمالات التي عُرضت علي في فيلم برايس؟ أتذكر أن إجاباتي كانت كلها حذرة للغاية. سمحت له بمعرفة أنني كنت فضوليًا جدًا بشأن ما رأيته، وفي الوقت نفسه لست متأكدًا تمامًا من أنني صدقته. حاولت السير على حد السكين، إذا جاز التعبير، دون إعطاء أي معلومات قد توضح كيف أثرت علي بعمق، ولا ما قد أؤمن به بالفعل بشأنها. بقيت على الحياد قدر الإمكان.

بعد حوالي خمس عشرة دقيقة مما أسميه محادثة عامة، نظر هال إليّ مباشرة في عيني وسأل: "هل سبق لك أن مررت بأي شيء يمكن مساواته بحدث خارق؟"

كان ميلي الأول هو الكذب والرد بالنفي. لكن الصوت الصغير في أعماقي لن يسمح لي بهذا الحماية. كان يقول: الآن ليس وقت الخجل. أجب الرجل.

لذلك فعلت.

"حسنًا، في الواقع، مررت بتجارب مماثلة في حياتي. منذ أن مررت بتجربة الاقتراب من الموت في عام 1970".

يمكنني أن أرى بالفعل الضوء في عيني هال يضيء على الفور. لم يبدُ مصدومًا من الرد على الإطلاق، ولكنه بدا وكأنه يتوقعه. ثم أعطيته تلخيصًا موجزًا جدًا لتجربتي، وألمحت إلى حقيقة أنه منذ ذلك الحين، يبدو أنني أستشعر الأشياء أحيانًا، أو أعرف أشياء، إما قبل حدوثها مباشرة أو عن أحداث لا يمكنني الوصول إليها بالمعنى الطبيعي. سألني إذا كنت على استعداد لإجراء اختبار من قبلهم في مختبرهم في كاليفورنيا.

مرة أخرى، قفز ذلك الصوت الصغير إلى الأمام وأجاب بدلاً مني.

قل نعم، تباً!

"نعم، بالطبع."

كان هال سعيدًا وقال إننا سنتحدث مرة أخرى. عدت إلى غرفة المؤتمرات.

بمجرد إجراء المقابلة مع الجميع في الغرفة، وهي عملية استغرقت ما يقرب من ساعتين، عاد سكوتي وات وأبلغنا أننا كنا جميعًا داعمين جدًا للعملية. قيل لنا إن بعضنا قد يتم الاتصال به في المستقبل والبعض الآخر قد لا يتم الاتصال به. يجب أن نعود إلى وحداتنا ووظائفنا ولا نناقش أي شيء حدث. ودعت أولئك الذين التقيت بهم وعدت إلى محطة قاعة أرلينغتون، حيث أنهيت اليوم وأنا مشتت بشدة بما تعرضت له. لم أكن أعلم في ذلك الوقت أن الأحداث كانت تسير في اتجاه سيغير حياتي إلى الأبد. لم أكن أعرف في ذلك الوقت أن هذه التغييرات ستتطلب في النهاية تدمير مسيرتي المهنية، طلاقًا من زوجتي الثانية، وتغييرًا كاملاً آخر في تصوراتي عن الواقع.

ستجلب لي هذه التغييرات قدرًا كبيرًا من التعرض داخل جميع وكالات الاستخبارات الرئيسية لحكومتنا تقريبًا، وستدفعني إلى قاعات كل من مجلس الشيوخ ومجلس النواب في حكومتنا، وستؤدي في النهاية إلى ظهوري على جميع الشبكات الوطنية، وكذلك الشبكات الرئيسية في العديد من البلدان الأخرى. لو كنت أعرف في ذلك الوقت المدى الذي سأتأثر به، فأنا متأكد من أنني كنت سأختار مسارًا آخر للعمل.

أحد أكثر الجوانب إثارة للقلق في الرؤية عن بعد هو الحاجة التي يشعر بها الناس لاتخاذ موقف منها. هذه المواقف هي حتمًا متطرفة. عند التعرض لأول مرة للرؤية عن بعد المثبتة علميًا، عادة ما يتفاعل الناس إما بعدم تصديق ويلجأون تلقائيًا إلى السخرية، أو يحدث العكس، ويُثار فضولهم.

في الحالة الأولى، يؤدي هذا إلى ما هو عادة هجمات شرسة وشخصية على نزاهة الرائي عن بعد أو سمعته أو تاريخه. في الثانية، يغرق الرائي بطلبات لإثبات شخصي: "حسنًا، أرني! أريد أن أرى ذلك بنفسي". على الرغم من وجود أدلة علمية كافية لملء غرفة، فإنهم إما يريدون تدمير الاحتمال (الرائي) أو المطالبة بإثباته. هذا يضع عبئًا ضخمًا وغير عادل على الموضوع أو الرائي، مما يؤدي إلى قدر كبير من التوتر.

معاناة لا تُطاق

في حالتي الخاصة، وبسبب سمعتي التي اكتسبتها في كثير من الأجهزة التي عملت على دعمها، وتاريخ المشروع وإسهاماتي فيه، وكذلك مشاركتي الطويلة في الأبحاث، أصبحت هذه التجربة مُحنة لا تُطاق. المطالب التي تُفرض عليَّ قد تجاوزت الآن كل حد معقول.

أجد نفسي باستمرار بين المِطرقة والسندان. فإذا لم أذعن لمطالبهم بتقديم برهان حي عبر عرض عملي، تُكال لي التهم بالاحتيال، أو ما هو أسوأ، اتهامي بالغش في أعمالي السابقة. وإذا قمتُ بالعرض وفشل (وهو أمر وارد الحدوث بنسبة ما)، تُوجه لي الاتهامات نفسها بالاحتيال، أو يُقلل من شأن المهارة بوصفها "كان تخمينًا موفقًا في السابق" أو "لا بد أنه كان حظًا". أما إذا نجحت، ففي كثير من الحالات يبتعد الشخص ويرفض التحدث معي مرة أخرى، كونه يرى أن عملي لا بد أنه صنع شيطانيٌّ، أو ببساطة، الأمر يُرعبه إلى حد لا يستطيع تحمله.

قِلة قليلة هي التي سلكت الطريق الصحيح أو الوسط، وأقرّت بإمكانية وجود شيء يحدث يفوق حدود الفهم الحالي، وأنه يتطلب المزيد من الدراسة والتمحيص، أو الحذر في استخدامه وتطبيقه.

عندما تتعامل مع هذه الظروف لمدة ثلاثة وعشرين عامًا، فإنها تبدأ في استنزافك. أضف إلى ذلك حقيقة أن عروضي العلنية غالبًا ما يستغلها الآخرون ويستخدمونها دليلًا على قدراتهم، في حين أنهم لا يمتلكون أدنى مقدرة على الاستشعار، فتبدأ في إدراك السبب الذي قد يدفعني، لو كنتُ أمتلك رؤية واضحة لمكاني الآن، إلى عدم الانخراط في هذا البرنامج من الأساس. الإحباط الذي تسببه هذه التجارب يكون أحيانًا ساحقًا. ليس من واجبي أن أجعل كل من يحتك بالاستشعار عن بُعد مرتاحًا تجاهه، ولا يجب عليّ إثباته لأي شخص سوى لنفسي.

عندما يتعلق الأمر بفهم الفروقات الكامنة بين ماضي شخص يؤمن بالظواهر الخارقة وآخر لا يؤمن بها، فإن الناس يشيرون دائمًا تقريبًا إلى تجربتي الاقتراب من الموت على أنها الحدث المرجّح الذي أثّر في إيماني، وربما يكون السبب الرئيسي لانفتاحي على الخوارق، وربما السبب في أن حدودي المعرفية مختلفة نوعًا ما عن المألوف.

لكنني أعارض بشدة هذا التصور. يتطلب بناء الهيكل الفلسفي والروحي للفرد أكثر بكثير من مجرد تجربة واحدة. لا شك أن تجربة الاقتراب من الموت لها تأثير عظيم، لكنها أشبه بـ "القشة التي قصمت ظهر البعير" وليست حدثًا تحوليًا منفردًا. في حالتي، رجعتُ إلى حياتي مرارًا وتكرارًا في محاولة لتحديد ما الذي يجعل الأمور مختلفة بالنسبة لي عندما يتعلق الأمر بالخوارق. لا أستطيع العثور على زاوية واحدة كان لها هذا التأثير المحدد.

على أي حال، مرت أسابيع وتلاشت ذكرى أحداث ذلك اليوم. لم تكن الأوضاع في المنزل تتحسن في علاقتي بزوجتي، لذا انغمستُ بشكل أعمق في عملي. قابلت هي ذلك بالبحث عن عمل والعثور عليه في شركة نشر صحف في منطقة ريستون.

الفصل السادس

مُستشعر جديد

تلقيتُ اتصالًا هاتفيًا بعد أسابيع عديدة من "سكوتي وات". قال: "حسنًا، لقد قلتَ كل ما هو صحيح". لم أكن متأكدًا مما يعنيه في ذلك الوقت، ولكنه أخبرني لاحقًا أن الأشخاص الذين يظهرون حرصًا مفرطًا على الانضمام إلى الوحدة يتم استبعادهم خوفًا من أن يخفي حماسهم عدم استقرار كامن قد يسبب مشكلات لاحقًا. لم أتأكد أبدًا من صحة هذا القول، ولا أعتقد أنهم هم أنفسهم كانوا متأكدين. سألني إذا كان بإمكاني القدوم إلى المكتب في الوحدة ٩٠٢، فوافقت، دون أن تكون لديّ أدنى فكرة عن السبب.

يوم الاثنين التالي عندما زرت المكتب، أُخبرت أن الترتيبات تُجرى لإرسالي إلى كاليفورنيا لزيارة الدكتور بوتهوف وراسل تارغ. سيتم إعطاء رئيسي، رالف، قصة غطاء مناسبة. ستكون الرحلة لمدة أسبوعين، وهي مدة طويلة جدًا بالنظر إلى كمية العمل والالتزامات التي كانت لدي في ذلك الوقت. هذا أقلقني كثيرًا، لأنني لم أكن متأكدًا من قدرتهم على فعل ما قالوه بالفعل.

أحد الجوانب الطريفة في الرحلة هو أنه كان من المفترض أن أسجل دخولي إلى المختبر في معهد الأبحاث الدولي باسم "سكوتي وات"، "لحماية هويتي". المشكلة هي أن المعهد كان لديه موظفة استقبال واحدة فقط، ولم تجد صعوبة في تحديد أن الأفراد الخمسة الذين تبعوني لاحقًا، والتي كانت إحداهن امرأة، لم يكونوا جميعًا يحملون اسم "سكوتي وات". كنت قد عملت في مهمات حية خارج البلاد لسنوات عديدة. أزعجني كثيرًا عدم وجود موقف أكثر جدية.

تركتُ رئيسي يعتقد أنني ذاهب إلى كاليفورنيا لاختبار بعض المعدات في مختبر الإشارات الإلكترونية لصالح رئيس الأركان، ووصلتُ مبكرًا صباح يوم الاثنين إلى مكتب استقبال مختبر الفيزياء اللاسلكية في معهد الأبحاث الدولي. سجلتُ الدخول باسم "سكوتي وات"، وانتظرتُ بضع دقائق فقط قبل أن يرحب بي الدكتور بوتهوف، الذي قام بعد ذلك بجولة لي في مرافق المختبر. كانت تتكون في الغالب من مكاتب لموظفي الأبحاث في طابق واحد وغرفة فعلية للاستشعار عن بُعد بدون نوافذ في الطابق العلوي. كانت منطقتهم بأكملها معزولة عن بقية المبنى بقفل أمني. أمضيت اليوم الأول بأكمله في التعرف على المرافق والحديث بشكل عام عن الاستشعار عن بُعد والأفكار حول كيفية اعتقادهم أنه قد يعمل.

بينما كان واضحًا أن الجميع يشعرون أن الاستشعار عن بُعد يعمل، لم تكن هناك فكرة واضحة عن كيف أو لماذا. هذا زاد من فضولي في الواقع. سمعتُ العديد من القصص عن بات برايس وإنغو سوان كانت رائعة، لكنها لم تعطني أي دلائل إضافية حول كيفية تمكني من القيام بالاستشعار الخاص بي. أمضيتُ بقية فترة ما بعد الظهر مسترخيًا في مسبح في فندق الحورية الصغيرة على بعد بضعة مبانٍ من مرفق المختبر. (كان كل شيء على مسافة قريبة سيرًا على الأقدام، وهو أمر لطيف).

في صباح اليوم التالي، أبلغتُ عن وصولي في الساعة الثامنة صباحًا للقيام بأول استشعار عن بُعد مقرر له في الساعة التاسعة والنصف. كانت هذه هي الحقيقة الأولى التي تعلمتها بالفعل عن الاستشعار عن بُعد: أهمية ما أسموه "وقت الصعود". كما شُرح لي آنذاك، كان "وقت الصعود" يعني تحديد وقت معين للاستشعار الفعلي بحيث يكون لديك متسع من الوقت لـ تصفية ذهنك وتبني موقف مناسب يركز على النجاح، أو على الأقل توقع النجاح.

في مسيرتي المهنية، لم يكن هناك أي مجال لـ "وقت الصعود" أو تعديل الموقف استعدادًا لحدث ما. في عالمي، كانت الأحداث تحدث ببساطة، وعادة ما تكون بتحذير قليل جدًا. يمكن أن تكون، وعادة ما تكون، أزمات خطيرة، وكنت مُدربًا على التعامل معها بهذه الطريقة. إذا تبع ذلك فشل، فستجد نفسك بسرعة تقوم بشيء أقل تطلبًا. لذلك، لأكون صادقًا، اعتقدت أن فكرة "وقت الصعود" كانت غريبة، ولم أقتنع بها تمامًا. كانت تبدو وكأنها ما كنا نسميه "الزخرفة" ــــ إضافات لجعل شيء يبدو جميلًا... ولكن "إذا كنت في روما، فافعل ما يفعله الرومان" ــــ لذلك وصلتُ في الثامنة صباحًا بالضبط.

أُخذتُ مباشرة إلى غرفة الاستشعار عن بُعد في الطابق الثالث، حيث ارتحتُ مع راسل تارغ. أغلق الباب، خفف الأضواء، وسألني عن رأيي في الاستشعار عن بُعد أو العالم الخارق بشكل عام. شعرتُ أنه كان يحاول تهيئة الأجواء ومحاولة جعلي مرتاحًا. لسوء الحظ، بدأتُ أشعر بـ قلق الأداء يتسلل إلى خلفية ذهني. حتى الآن، لم يخبرني أحد بأي من الأسرار التي كان من المفترض أن تمكنني من القيام بالاستشعار. بالتأكيد، يجب أن تحصل على تلميح أو شيء من هذا القبيل؟ على أي حال، جاريتُ الأمر.

في تمام الساعة التاسعة والنصف صباحًا، قال راسل إن "المنطلق" (الشخص الذي يذهب إلى الموقع المستهدف) ربما يكون في موقع الهدف ويمكننا البدء. كان من المفترض أن يكون "المنطلق" شخصًا سأركز عليه ذهنيًا، على أمل أن يتم تمرير معلومات دقيقة بعد ذلك. في ذلك الوقت، جُعلتُ أعتقد أنه لم يكن أحد متأكدًا مما إذا كان وجود إنسان آخر في الموقع ضروريًا لتمرير المعلومات أم لا. في الواقع، كانوا يعلمون بالفعل أن ذلك ليس ضروريًا، لكنهم كانوا يعلمون أيضًا أن وجود "منطلق" في الموقع كان أكثر ملاءمة لمساعدتي على الإيمان بما كنت على وشك القيام به. كانوا يحاولون مساعدتي في إقناع نفسي بأن من الممكن القيام بالاستشعار. كانوا يعلمون أنه ممكن، ولكن في ذلك الوقت، لم أكن أعلم أنا. كان هال بوتهوف هو المنطلق لهدفي الأول.

يمكن العثور على وصف مفصل لهدفي الأول، الذي كان متحف الفن بجامعة ستانفورد، في كتاب "رحلة العقل" (ماكمونيغل ١٩٩٧). لا يوجد سبب للخوض في الكثير من التفاصيل حوله، بخلاف القول بأن ما تمكنتُ من تخيله كان دقيقًا بما فيه الكفاية لتحقيق تطابق المركز الأول (أعلى فئة تطابق).

تخطينا يومًا بين كل استشعار عن بُعد، مما أتاح لي وقتًا كافيًا لمعالجة النتائج ومناقشتها مع أي شخص كان مشاركًا في التجارب. على مدار الأسبوعين، لم أتمكن أبدًا من تجاوز اعتقادي بأنني كنت أختلق المعلومات، أو ببساطة أنظر في خيالي وأبلغ عما أجده هناك. في نهاية إقامتي، أجروا تحكيمًا مستقلًا لجميع الجلسات الست مجتمعة وأخبروني أن لدي خمسة تطابقات من المركز الأول وتطابق من المركز الثاني، وهي واحدة من أفضل سلاسل النتائج التي شاهدوها على الإطلاق. أصبحت الآن رسميًا "مُستشعرًا عن بُعد". عدتُ إلى وظيفتي في المقر أكثر ارتباكًا مني غير ذلك.

بعد أسبوع، طُلب مني الحضور إلى مكتب مشروع الاستشعار في فورت ميد بعد ظهر يوم الأربعاء من ذلك الأسبوع نفسه. كان رالف متوترًا حيال ذلك، ولكن بما أن التوجيه جاء من رئيس الأركان، لم يكن هناك الكثير ليقوله حقًا. أبلغتُ عن وصولي في فورت ميد واكتشفت أن واحدًا من الأفراد الستة الأصليين كان بالفعل في معهد الأبحاث الدولي يستمتع بمسبح فندق الحورية الصغيرة.

كان النقيب كين بيل موجودًا بالفعل عند وصولي. لم يكن قد ذهب إلى المعهد بعد، لذا قال إنهم طلبوا منه المساعدة في الجلسات التدريبية التي كنا سنقوم بتشغيلها. باستخدام البروتوكول نفسه الذي تم استخدامه في المعهد، تم اختيار مظروف مغلق محفوظ في خزانة عن طريق رمي زوج من النرد، وغادر "منطلق" ـــ كان سكوتي وات في هذه الحالة ـــ إلى موقع سري. في هذه الحالة، لم يكن هناك "وقت صعود"، ولا مرفق خاص. اكتفينا بما كان متاحًا. أغلقنا الباب وتمددتُ على الأريكة الجلدية القديمة!

تصرف فريد أتووتر كـ "مُراقب"، وراقب كين بيل. تمددتُ على الأريكة وأغلقتُ عيني، محاولًا عزل محيطي وكذلك عوامل التشتيت. كان هذا صعبًا للغاية. كان بإمكاني سماع أصوات الناس المكتومة عبر الجدران الداخلية، بالإضافة إلى أصوات خطى الأقدام على الأرضية العارية خارج الباب مباشرة. كانت الطيور تزقزق في الشجيرات خارج النافذة ولم يكن هناك تقريبًا أي دوران للهواء في الغرفة الصغيرة. حتى كان هناك صوت تدفق مياه المراحيض في الحمامات في الطابق العلوي. لكنني بذلتُ قصارى جهدي. في ذلك الوقت لم أشعر أنه يجب عليّ أن أشتكي؛ إما أن ينجح الأمر أو لا.

بعد حوالي عشرين دقيقة، أبلغني فريد أن سكوتي الآن في أي موقع من المفترض أن يكون فيه، ويجب أن أحاول وصفه. كان لدينا مسجل صغير قيد التشغيل وبعض الأوراق البيضاء للرسم عليها. فتحتُ عقلي لأي شيء يقدمه خيالي ولم أحصل على أي شيء على الإطلاق ـــ كان عقلي فارغًا، صفر، لا شيء، العدم! بعد حوالي خمس دقائق من الصمت اختلقتُ أشياء. كانت عامة قدر الإمكان ـــ مبنى كبير قريب، عشب، أرصفة، شوارع، أعمدة هاتف، إلخ. بعد التعرق لمدة خمس عشرة دقيقة، اعترفتُ بأن ليس لدي الكثير، ولكن ما قدمته كان كل شيء تقريبًا.

لم يرتجف فريد أبدًا. شكرني على المعلومات وطلب مني رسم بعض تصوراتي. أنهينا الجلسة.

بعد عودة سكوتي، خرجنا جميعًا وتكدسنا في السيارة الحكومية وقمنا بالقيادة عبر القاعدة إلى أمام مرفق مبنى التبادل البريدي للقاعدة. كان مبنى جديدًا نسبيًا، يمتد عبر واجهة موقف سيارات كبير جدًا. ولكن، لم يكن هناك أي شيء على الإطلاق يتعلق به في جلستي. كنت مُحبطًا تمامًا.

ثم دخل الكثير من الشك إلى ذهني ـــ هل كانت فترتي في كاليفورنيا مُدبرة؟ هل نظروا إلى نتائجي واصطحبوني إلى مكان بدا وكأنه يتطابق؟ قالت ذاكرتي لا. لم يتم عرض أي من المواد الخاصة بي على "المنطلق" إلا بعد أن تم اصطحابي إلى الموقع المستهدف ثم عدت إلى المبنى. هل يمكن أن يكون غياب "وقت الصعود" هو السبب؟ ربما. كان لدي دافع لإجراء بعض الارتباطات العامة جدًا بمعلومات الاستشعار الخاصة بي ـــ قلتُ مبنى كبير، وها هو، أليس كذلك؟ حسنًا... نوعًا ما. تركت الأمر يذهب. لقد كان فشلًا تامًا ولا يشبه على الإطلاق النتائج التي حصلت عليها في الساحل الغربي. شعرتُ بخيبة أمل كبيرة وارتباك من التجربة بأكملها. شعرتُ أنني أضعت وقت الجميع وكذلك وقتي.

عندما عدنا إلى المكتب تحدثنا عن ذلك. كان سكوتي موضوعيًا حيال الأمر. شعرتُ أن موقفه كان أنه ربما لن ينجح الأمر حقًا وقد ثبت أنه كان على صواب. لم يقل ذلك في الواقع، لكن كان بإمكاني الشعور بأنه غير متفاجئ إلى حد ما بكل هذا. فريد، من ناحية أخرى، كان داعمًا جدًا. أخبرني أنني بذلت جهدًا جيدًا وأنه يمكننا توقع الفشل في بعض الأحيان وألا أقلق بشأنه. سأنجح في المرة التالية. أنهينا اليوم وعاد الجميع إلى المنزل.

حسنًا ـــ كان فريد مخطئًا. مع مرور الأسابيع وانتهى الآخرون الخمسة من فتراتهم في معهد الأبحاث الدولي، استمررتُ في الحضور بعد ظهر يوم الأربعاء وكنا نجري جلسات تدريب. عادة ما كنا اثنين منا نحضر في اليوم نفسه. في أيام الأربعاء كان عادة كين بيل وأنا، ولكن في بعض الأحيان كان يكون هناك ضابط صف متقاعد من البحرية، هارلي ترينت.

انسجمتُ أنا وكين منذ البداية. كان ضابط استخبارات مضادة جدي التفكير يتعامل مع كل شيء بمنطقية شديدة، وكان من السهل رؤية أنه يأخذ هذا الأمر على محمل الجد. ومع ذلك، استغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى ينفتح ويتحدث معي عن تجاربه الخاصة بخلاف تلك التي شاركناها في الجلسات الجماعية. كان واحدًا من أفضل الأشخاص الذين عرفتهم في تطوير قدرته على التأمل. يحمل تلك القدرة إلى فنونه القتالية وهذا يشكل مزيجًا قاتلًا. في نهاية المطاف، أصبحنا أصدقاء مقربين جدًا ولا نزال كذلك حتى اليوم. كان كين يعيش في مساكن القاعدة في فورت ميد، وكان بإمكانه تقريبًا المشي إلى العمل.

كان هارلي رجلًا ضخمًا يتمتع بروح دعابة جافة جدًا، وكان يحب جمع المطبوعات الأصلية للطيور المرسومة يدويًا، وكان يرى نفسه نوعًا من المخترع. كان يعمل كموظف مدني حكومي في المركز الوطني لتفسير الصور. وصفت "موسوعة الجيش الأمريكي" في عام ١٩٩٠ المركز بأنه مرفق تديره وكالة الاستخبارات المركزية، ومكلف بتحليل صور الاستطلاع عبر الأقمار الصناعية. أصبحنا أيضًا أصدقاء مقربين جدًا مع تقدم المشروع.

في إحدى رحلاتي إلى منزله في ميريلاند، تركتُ زوجتي، بيغي، تشرب الشاي مع زوجته بينما اصطحبني هو إلى أسفل التل في الفناء الخلفي ليريني ملكة النحل الجديدة ومستعمرتها. كنا نقف هناك دون أي حماية بينما رفع هو الغطاء برفق عن الخلية واستخرج اللوح المركزي، حيث كان عشها يقع. كان جنودها متحمسين نوعًا ما وكانوا يحومون حولنا نحن الاثنين، ويهبطون على وجوهنا، ويستكشفون داخل آذاننا وأنوفنا. أشار إليها بهدوء بإصبعه وشرح أنه طالما أنك تسلط عليها موجات لطيفة ووقائية، فإن الآخرين سيتركونك وشأنك. وجدتُ أنه كان على حق. ومع ذلك، عندما بدأ في إعادتها إلى الخلية، ظهرت بيغي في قمة التل، وعندما رأتَنا مغطيين بالكامل بالنحل، أطلقت صرخة: "يا إلهي!" بحلول الوقت الذي أعدنا فيه تغطية الخلية وخلصنا أنفسنا، كانت عينيّ وأنفي قد تورمتا إلى ضعف حجمهما الطبيعي. جلسنا بعد ذلك في الشرفة الخلفية بينما أرتني زوجته الإيطالية كيفية صنع علاج منزلي للسعات النحل. هكذا كان هارلي، أكبر من الحياة، ودائمًا يستكشفها.

على مدى شهرين، قمتُ بـ ٢٤ جلسة تدريب، لم تتجاوز أي منها جودة محاولتي الأولى. كان الأمر محبطًا للغاية. كان بإمكاني رؤية بعض الآخرين يحققون نجاحات طفيفة في جهودهم، ولكن بالنسبة لي لم يكن هناك سوى الفشل.

في محاولتي الخامسة والعشرين، حدث شيء. أتذكر أنني كنت جالسًا في الغرفة الصغيرة أحاول عزل الضوضاء المحيطة، وأركز على محاولة تخيل ما يمكن أن يكون الهدف، عندما انزعجتُ فجأة بما شعرتُ به كنوع من الضوضاء الغريبة التي لم تكن في الغرفة. فكرت: "هل يمكن أن يكون هذا في رأسي؟" ذكرتُ الأمر. كان مرتبطًا بطريقة ما بمبنى مفتوح الواجهة به نوع من الأشياء المعدنية ذات اللون الأخضر الليموني المضحك. بدا كل شيء غريبًا جدًا، لكنني أبلغتُ بواجبي عن كل شيء على أي حال. في نهاية الجلسة، قمتُ ببعض الرسومات التي بدت وكأنها منطقية بالنسبة لي، ولكنها لم تصور في الواقع أي شيء كنت على دراية به. عاد "المنطلق" وصعدنا جميعًا في السيارة للسفر إلى موقع الهدف. لم أتوقع أكثر من فشل آخر. عندما توقفنا أمام مبنى الإطفاء بالقاعدة، تمكنتُ فجأة من رؤية كل شظايا جلستي تتجمع في مكانها. كان الأمر أشبه برؤية معلومات جديدة فجأة وتذكرها، كل ذلك في الوقت نفسه. لم يكن مثاليًا، لكنني علمتُ أنني حققت اتصالًا مهمًا بالهدف. نظر إلي فريد وقال: "الآن أعتقد أننا نعرف ما كنت تخبرنا به." وابتسم.

بطريقة غريبة جدًا، شعرتُ فجأة وكأن كل ما اختبرته في كاليفورنيا قد عاد إليّ وهبط في حِجري مرة أخرى. فجأة، أصبح كل شيء متصلًا في رأسي. كان الأمر كما لو أنني علمتُ فجأة أن هناك مفتاحًا خاصًا هناك في مكان ما في عقلي، وبينما لم أكن متأكدًا تمامًا من كيفية تشغيله، علمتُ أنه يمكنني العثور عليه مرة أخرى. من تلك النقطة فصاعدًا، بدأتُ في التحسن بشكل ملحوظ من جلسة تدريب إلى أخرى.

الفصل السابع

أزمة

استمرت الأسابيع في المرور وكان الجميع يتحسنون تدريجيًا. لم يكن هناك شخص واحد يتفوق على الآخر، لكننا كنا جميعًا نجد مهارتنا الخاصة ونصقلها بطرق مختلفة قليلًا. في النهاية تمكنتُ من مقابلة بقية الطاقم أيضًا.

كان الرقيب ميل رايلي هو جندنا المجند الوحيد. كان مُفسر صور قام بعمل مماثل لـ هارلي، ولكنه عمل في مبنى في فورت ميد. كانت وظيفته هناك في المقام الأول أمن العمليات. من البداية كان بإمكاني أن أرى أن هناك احتكاكًا بينه وبين سكوتي. لم أكن متأكدًا أبدًا مما إذا كان ناتجًا عن الشخصية أو بناءً على حقيقة أن ميل كان مجندًا. على أي حال، استمر طوال الفترة التي قضاها ميل مع الوحدة وكان سكوتي حاضرًا. ما أعجبني في ميل هو حقيقة أنه قضى وقتًا في أوروبا يطير بمهام جمع سرية عبر ألمانيا الشرقية. كنت على متن عدد قليل من تلك الطائرات وكنتُ أفضل شخصيًا إبقاء قدمي على الأرض. كنت أعلم أنه قد أُطلق عليه النار أكثر من مرة. كان يعلم ما يعنيه أن تضع حياتك على المحك، وهو أمر لم تتح الفرصة للجميع للقيام به أثناء خدمة البلاد.

كان المشاركان الآخران اللذان خاضا تجربة الاستشعار في معهد الأبحاث الدولي مدنيين. بما أنهما يفضلان إبقاء اسميهما سريين، سأشير إليهما بـ فرانك ونانسي. كان فرانك عميل استخبارات مضادة عمل انطلاقًا من المقر في محطة أرلينغتون هول وعملت نانسي في المرفق نفسه مثل هارلي، كمُفسرة صور في الساحة البحرية في واشنطن العاصمة. إلى جانب هؤلاء الستة الأصليين، كان هناك أربعة مشاركين آخرين، اثنان منهم موظفون مدنيون حكوميون واثنان ضباط استخبارات. نظرًا لحساسيتهم بشأن احتمال الكشف، سيبقى هؤلاء المشاركون غير معروفين.

في وقت مبكر من المشروع واجهنا خللًا كبيرًا. نصح ضابط يعمل في مكتب مساعد رئيس الأركان للاستخبارات في الجيش، اللواء إد طومسون، بأننا ربما نعمل ليس امتثالًا للتوجيهات المتعلقة باستخدام البشر. منذ تورط وكالة الاستخبارات المركزية في أوائل الخمسينيات بتجارب عقار (إل إس دي) والتحكم في العقل، كانت جميع البرامج التي تستخدم أشخاصًا حساسة لتلبية متطلبات معينة لاستخدام البشر، وضمان أن جميع المشاركين قدموا موافقة مستنيرة بشأن مشاركتهم. كان علينا جميعًا ملء كومة من النماذج، والتي تم إرسالها، جنبًا إلى جنب مع طلب سري، لتشغيل المشروع عبر النظام إلى الجراح العام للجيش. شعر الكثيرون أن هذا المطلب غبي ويستغرق وقتًا طويلًا، لكنني لم أشعر بذلك. كان واضحًا بالنسبة لي من المشكلات التي كنت أواجهها في التكيف مع بعض التجارب أن شخصًا أقل استقرارًا قد ينزلق إلى الهاوية. لذلك توقفنا عن التدريب لمدة شهرين تقريبًا بينما كانوا يعالجون الأوراق. اكتشفتُ لاحقًا أن الجانب العلمي من المشروع أخذه في الواقع على محمل الجد في معهد الأبحاث الدولي. كانوا سيؤسسون فعليًا لجنة رقابة على استخدام البشر للحفاظ على اليقظة على تجاربهم وأساليبهم — وهو أمر لم يتم القيام به أبدًا في الجانب العسكري.

قبل ذلك، كانت هناك بعض الأحداث المضحكة خلال تجاربنا التدريبية في فورت ميد. بصفتي "منطلقًا" لأحد المستشعرين الآخرين، رسمتُ كهدف متجر هدايا سياحي صغير على أحد الطرق السريعة الرئيسية المؤدية إلى واشنطن العاصمة. عندما وصلت إلى هناك، قالت التعليمات أن أقضي من خمس عشرة إلى عشرين دقيقة في النظر إلى الهدايا ثم أعود، وهو ما فعلته. لم أكن أعلم أن المالك، الذي كان جالسًا في مكتب خلفي، كان يراقبني على نظام شاشة أمنية. عندما عدتُ، صعدتُ أنا وفريد والمستشعر في السيارة لزيارتنا العائدة، والتي كانت جزء التغذية الراجعة لتمرين الاستشعار عن بُعد. نزلنا جميعًا على متجر الهدايا، نتجول بين الممرات نفحص الأشياء، ولكن بالطبع لا نشتري. لاحظ المالك، الذي كان لا يزال في مكتبه، أنني قد عدتُ وهذه المرة أحضرتُ أصدقاء. شعر بأن مكانه "يُراقب أو يستهدف"، فاتصل بالشرطة المحلية. عندما توقفت سيارة الشرطة بالخارج، غادر المستشعر والمُراقب المتجر على الفور دون إبلاغي. تم "القبض عليّ" واستجوابي.

"ماذا تفعل؟ أين رفاقك؟ لماذا تراقب هذا المتجر؟"

كان عليّ أن أفكر بسرعة.

ضحكتُ وقلتُ إنني مستشار أعمل لوحدة إنتاج من لوس أنجلوس. يستخدمونني للبحث عن مواقع تصوير محتملة للسيناريوهات التي يدرسونها.

تألق وجه المالك من احتمال أن يتم النظر في متجره ليكون مشهدًا في فيلم. قام بسرعة بطرد الشرطة، قائلًا إنه ارتكب خطأ. قضيتُ ما يقرب من ساعة في مكتب المالك أشرب القهوة معه وأتحدث عن السيناريو وما قد يكون مطلوبًا. غادرتُ ووعدتُه بإرسال بطاقتي ومعلومات عن الفيلم إذا قرروا تصويره في منطقة ميريلاند.

عندما عدتُ إلى المكتب، ضحك الجميع على ما حدث. في الحقيقة، كان موقفًا صعبًا، وواحدًا ربما لم أكن لأتمكن من الخروج منه بالكلام.

في مناسبة أخرى، كانت "المنطلقة" لأحد المستشعرين العسكريين امرأة. كان الهدف المحدد المختار مطعمًا بواجهة غريبة. ما لم نكن نعرفه، ولكن ربما كان يجب علينا أن نعرفه، هو أنه كان معروفًا للشرطة أيضًا كموقع تبيع فيه العاملات الجنسيات بضاعتهن. بعد الوقوف على الزاوية لمدة عشرين دقيقة تقريبًا، تم "القبض عليها" ومضايقتها من قبل ضابطين يقومان بواجبهما. عادت إلى المكتب مذعورة تمامًا. وغني عن القول، لم تكن هناك تغذية راجعة مباشرة لذلك المستشعر.

خلال فترة التوقف هذه، التزمتُ بمحطة أرلينغتون هول وعملتُ بدوام كامل في مكتبي هناك. أتذكر أنني كنت قلقًا، بينما كنا جميعًا ننتظر الموافقة من الجراح العام، من أن المشروع لن يستمر. بدا الأمر غير معقول ألا يستمر، بالنظر إلى أننا كنا نحظى بالدعم الكامل من قائدنا الخاص في قيادة استخبارات وأمن الجيش، العميد ويليام روليا؛ ورئيس أركان الجيش الجنرال ماير؛ ووزير الجيش كليفورد ألكسندر. في الواقع، كنتُ مندهشًا نوعًا ما من مستوى الاهتمام الذي حظي به مشروع صغير كهذا. لم يكن الوصول إلى المشروع خاضعًا للتحكم بمستوى التصريح الأمني فحسب، بل تم تصنيفه كعملية "وصول بالاسم فقط". هذه ليست مسألة ثقة، ولكنها مسألة التحكم في الوصول فقط لأولئك الذين لديهم حاجة مباشرة للمعرفة. وعادة ما يتم تخصيص هذا للمشاريع الأكثر حساسية، حيث تكون مسائل الحياة والموت دائمًا في متناول اليد أو يكون العملاء في غطاء عميق وفي خطر كبير. كنا نعلم أن الروس يعملون مع وسطاء نفسيين. أفترض أن الآخرين كانوا قلقين من أنه إذا سمع الروس بما كنا نفعله، فقد يتخذون إجراءات لتحييد منشأتنا بطريقة ما. كان هذا تجاوزًا كبيرًا للخيال بالنسبة لمعظمهم، ولكنه احتمال حقيقي للغاية في أذهان الآخرين. أفترض أن الأمر كان يعتمد على مدى شعور المرء بأن المشروع حقيقي.

في الأصل قيل لي إن المشروع، الذي سُمي أولًا "أمنية الجندول"، تمت الموافقة على تشغيله لمدة ثلاث سنوات، في المقام الأول كـ وظيفة لأمن العمليات. كان من المقرر استخدام السنة الأولى للتدريب، والثانية لجمع المعلومات من خلال استهداف عمليات الاستخبارات الأمريكية التي كانت الحقيقة الأرضية معروفة لها، وسيتم قضاء السنة الثالثة في تحليل النتائج وتقييم التهديد المحتمل. قيل لي إنني سأشارك فقط عند الحاجة، وعلى الأكثر بعد ظهر يومين في الأسبوع. كان هذا كافيًا لإغضاب رئيسي، الذي أُمر بالسماح بغيابي من قبل رئيس الأركان، ولم يستطع فعل شيء حيال ذلك. بينما كان هذا صحيحًا في جوهره — لم يستطع فعليًا فعل أي شيء حيال ذلك رسميًا، باستثناء التعايش معه — كان بإمكاني رؤية المشكلة تبدأ في الظهور في سلة بريدي الوارد، مع ملاحظات صغيرة تقول أشياء مثل: "أحتاج منك أن تفعل (أيًا كان الأمر في ذلك الوقت)، إذا لم تكن مشغولًا جدًا في قضاء الوقت مع رئيس الأركان." عادة، كنتُ أتجاهل الملاحظات، لكنها بدأت تظهر بشكل متكرر. ما لم أكن أعرفه في ذلك الوقت هو أن رالف كان يفكر بالفعل في تقاعده في غضون ثلاث أو أربع سنوات وكنتُ أنا ربما أحد ضباط المراسيم الذين يتم إعدادهم ليحلوا محله. كان أحد الأسباب لإحضاري إلى المكتب هو تدريبي لليوم الذي سأتقاعد فيه من الجيش، وعندها سأكون بديلًا مؤهلًا وطويل الأجل.

لم أكن متعاونًا وكنت خائفًا من أن يبدأ ذلك في الظهور في تقرير تقييم ضابطي السنوي. ترددتُ لعدة أشهر، محاولًا أن أقرر ما إذا كان يجب عليّ الاستمرار في المشروع الخاص أم لا، مخاطرًا بمسيرتي المهنية. جعلتني سلسلة من الأحداث أتخذ القرار أسهل بكثير مما كنت أعتقد.

بعد ثمانية أشهر من بدء المشروع، بدأت دقة استشعارنا مقابل الأهداف ذات الحقيقة الأرضية تُلفت الانتباه في مكتب مساعد رئيس الأركان للاستخبارات. كانت بعض التفاصيل التي تمكنا من تقديمها حول عمليات الاستخبارات الأمريكية الجارية مخيفة بصراحة. في الوقت نفسه، بدأنا نلاحظ مستوى غير عادي من الاهتمام يُظهر تجاه مكتبنا من قبل آخرين داخل المبنى. كنا الغرفة الوحيدة المغلقة والمختومة ذات الوصول الخاص داخل مبنى مغلق ومتحكم فيه بالوصول الخاص. لم يُسمح للأشخاص الذين لديهم أعلى مستويات التصاريح الأمنية بالدخول خلف بابنا الأخضر، ولكن رتبة أولئك الذين سُمح لهم لم تكن تمر دون أن يلاحظها أحد. تم اتخاذ قرار بأنه للحفاظ على سلامة العملية، سيتعين علينا العثور على مكان آخر للعمل منه.

في ذلك الوقت، كان فورت ميد بالفعل يعاني من زيادة في عدد الموظفين وكانت المساحة في حدها الأدنى. لم تكن هناك مبانٍ قائمة بذاتها في أي مكان في القاعدة يعرفه أحد. ومع ذلك، بعد زيارة إلى مكتب هندسة القاعدة، اكتشفنا بعض المباني التي تم إدانتها وكان من المقرر تدميرها وشيكًا. كانت هذه مدرسة طهاة قديمة كانت موجودة خلال الحرب —— الحرب الكبرى —— الحرب العالمية الثانية. كانت المدرسة القديمة تتكون من ستة مبانٍ من الثكنات من طابقين، ومبنى إداري من طابق واحد، ومرفق مطعم للجيش. كانت فارغة ولم يتم شغلها ربما لمدة خمسة عشر عامًا. تطلب الأمر الذهاب إلى قائد القاعدة، لكننا نجحنا في فرض تجميد على التدمير، وانتقلنا إليها. كان الموقع ممتازًا، يقع تحت بستان من أشجار البلوط الحي الضخمة في حقل كبير مقابل مستشفى كمبروغ للجيش مباشرة.

كان المبنى ٢٥٦١ هو مرفق المطعم القديم (قاعة طعام الجيش)، وكان في الأساس غرفة طويلة ومفتوحة. كان أول شيء فعلناه هو إزالة الأرقام من المباني. عندما تدخل، كان الثلث الأول عبارة عن بلاط من الطين الأحمر، قدم مربع، والذي كان في الواقع أسود من سنوات من الشحوم والأوساخ. كانت هناك منطقة مرتفعة في البلاط حيث كانت الأفران والمواقد الضخمة موجودة، وشفاط فولاذي عملاق علوي لإزالة الأبخرة. مقابل الجدار كانت هناك لوحة حديدية سميكة جدًا وكبيرة جدًا كانت في الأصل درعًا حراريًا للأفران. كانت يبلغ ارتفاعها حوالي ستة أقدام وتبدأ من الأرض وتمتد حوالي اثني عشر قدمًا على طول الجدار مقابل باب الدخول. كان المكان قذرًا، به ثقوب في الجص، ولم نتمكن من معرفة لون غطاء الأرضية الفعلي. ذكرني بقاعات الطعام القديمة في فورت جاكسون التي كانت تُهدم عندما التحقت بالتدريب الأساسي في عام ١٩٦٤. قضينا عطلة نهاية أسبوع بأكملها ننظف الأرضيات ونصلح الجدران. كان علينا أيضًا إعادة ترقيع بعض أنابيب التدفئة التي كانت تمتد على طول الجدار، والتي كانت مغطاة بغلاف بدا بشكل مريب وكأنه الأسبستوس (الحرير الصخري). كان لا بد من كشط معظم البلاط الأحمر نظيفًا، باستخدام كاشطات الطلاء، (نزولًا على أربع)، ثم إعادة فركه بالصوف الصلب. إجمالًا، كان عملًا مقرفًا جدًا. أعتقد أن معظمهم كانوا سيفاجأون برؤية الكثير من الرتب تقوم بالعمل الشاق.

استخدمنا مناطق البلاط المرتفعة لدعم صفنا الطويل من الخزائن الفولاذية؛ تم استخدام منطقة القمامة للتخزين؛ حصل الحمام الواحد على ملصق هيكل موحد (ربما الأول في فورت ميد)؛ وأصبحت غرفة التخزين القديمة مكتب سكوتي وات الجديد. كان الجدار الخلفي خلف مكتبه عبارة عن منحدر تحميل بأبواب فولاذية مزدوجة، لذلك كان علينا تعليق ستارة لقطع تيار الهواء عبر ظهره خلال الشتاء. بمرور الوقت استمررنا في الإضافة إلى المبنى، جدار هنا، فواصل مكتبية مؤقتة هناك، أثاث أجمل، مكاتب، كراسي، طاولات، إلخ. ولكن في البداية كان متقشفًا جدًا.

عبر الطريق الصغير كان المبنى ٢٥٦٠. كان به غرفة دخول أمامية؛ ثلاث غرف استشعار؛ غرفة مراقبة، حيث يمكن للمرء مراقبة جلسة باستخدام الصوت فقط؛ وغرفة استراحة، التي ملأناها بأثاث أكثر راحة ومصابيح ذات ترددات شاملة. حولها فريد في النهاية إلى دفيئة صغيرة بها أكثر من بضعة عشرات من النباتات. بذلنا جهودًا كبيرة لضمان أن عددًا قليلًا جدًا من الزوار قد يرى ذلك المبنى المحدد. كان هو المكان الذي حدث فيه الاستشعار ولم نرغب في إزعاج مشاعرنا تجاه المكان. في النهاية، أصبحت الغرفة الأمامية مكتب ضابط العمليات ومنطقة مكتب ميل.

كل العمل الذي قمنا به كان في وقت خارج العمل وعطلات نهاية الأسبوع. هذا يعني رحلة تستغرق ساعتين ونصف في كل اتجاه بالنسبة لي، وتأثيرًا أكبر في المنزل. لم أكن منفتحًا تمامًا بشأن ما كنت أفعله مع بيغي، مما أدى فقط إلى مزيد من المشكلات بيننا. لكن الاختلاف في جو الاستشعار عن بُعد بين المبنى الجديد والقديم كان مثل منتصف الليل ومنتصف النهار. لجميع المقاصد والأغراض، اختفينا عن وجه الكوكب.

كانت المظاهر الخارجية الوحيدة التي تغيرت هي الأبواب والنوافذ. تم تركيب أقفاص أمنية عبر النوافذ وتم طلاؤها لتندمج مع المحيط، وتم استبدال الأبواب الخشبية في الغالب بأبواب فولاذية وأقفال أمنية عالية الجودة. لم يكن هناك أبدًا أكثر من ثلاث أو أربع سيارات مدنية متوقفة في الأمام، وكان الجميع يرتدون ملابس مدنية، لذلك أثرنا فضولًا قليلًا جدًا. بدون أرقام مبانٍ، نادرًا ما كان لدينا زوار لا ينتمون إلى المكان.

في نهاية عام ١٩٧٨، خضع مشروعنا لتغيير كبير. حتى تلك النقطة، كنا نقوم فقط بتقييم فعالية الاستشعار مقابل الأهداف المعروفة. كانت بعض تقاريرنا تُمرر في مناطق البنتاغون وكان يُنظر إليها باهتمام كبير. كانت دقة استشعارنا مقابل العديد من هذه الأهداف مذهلة، خاصة وأن الأشخاص في البنتاغون الذين حددوا الأهداف بالإحداثيات هم فقط من عرفوا ما كان يقع بالفعل في تلك المواقع. حتى أن بعض الأهداف تم تحريفها عمدًا لمعرفة ما سيحدث.

على سبيل المثال، تم تسليمي صورة علوية لحظيرة طائرات محاطة بطائرات وقيل لي إن هناك شيئًا داخل المبنى يثير الاهتمام. كانت مهمتي هي استهداف المبنى وإخبارهم بما هو.

في البداية غضبت من الطلب. فالقيام بالاستشعار عن بُعد دون أي معلومات مُسبقة على الإطلاق أمر صعب بما فيه الكفاية، ولكن الآن كانوا يعرضون عليّ صورًا للمباني التي كنت أستهدفها، مما سبب لي مشكلة هائلة مع التداخل العقلي. ومع ذلك، استرخيتُ مرة أخرى على الأريكة الجلدية البالية واستعديتُ بإغلاق عيني ومحاولة الاسترخاء، وإفراغ عقلي. كنت قد قطعت شوطًا طويلًا في سبعة أشهر فقط وسأفعل ما بوسعي. حاولتُ أن أنسى المبنى تمامًا وتحديتُ نفسي بفتح عقلي فقط للهدف الذي يثير الاهتمام. هذا كل ما أرادوا معرفته حقًا، ظللت أقول لنفسي، لذلك هذا كل ما سأشغل نفسي به.

بعد حوالي عشرين دقيقة، أخرجتُ نفسي من مكان عميق من التأمل وفتحتُ عقلي ببطء. كان أول شيء رأيته في عيني عقلي هو ما بدا وكأنه جهاز منظار قصير وممتلئ من نوع ما مع شكل من أشكال منفذ الرؤية البصري. بدأتُ في رسمه ووصفه بأكبر قدر ممكن من التفصيل. سرعان ما ظهر ما بدا وكأنه طبقتان من داخل مركبة مع ما بدا وكأنه مقاعد مدرعة. كان هناك نوع من الكمبيوتر العسكري المقوى مدمجًا به لوحة مفاتيح معدلة، والتي حاولتُ رسمها أيضًا. في نهاية المطاف، بدأتُ أتلقى صورًا لما بدا وكأنه رصاصات أو قذائف كبيرة جدًا ملقاة على جوانبها (مما يدل على وجود محمل آلي)، وكلها تتبع نوعًا من المسار المنحني. اختفت إلى الجزء الخلفي من المقاعد. واصلتُ رسم ما كنت أراه في رأسي، عنصر واحد يقود بطريقة ما إلى التالي، لا أعرف حقًا بالضبط ما كنت أقدمه. في النهاية جف خط إشارة المعلومات وكان عليّ التوقف. جلستُ هناك في حالة ذهول نوعًا ما، وشعرتُ وكأن طاقتي قد استنزفت تمامًا.

نظرتُ إلى رسمي وضحكتُ بصوت عالٍ. علقتُ قائلًا: "هذا بالتأكيد لا يبدو وكأنه أي طائرة رأيتها في حياتي". وافق فريد لكنه لم يبدُ خائب الأمل مني. بحلول هذا الوقت، كان قد أصبح حكمًا جيدًا جدًا على متى أكون على اتصال بموقع الهدف ومتى لا أكون.

بعد أسابيع عديدة، اكتشفت ما حدث. كان الجيش يستعد لنشر دبابته الثقيلة الجديدة، أبرامز إكس إم-١. في ذلك الوقت، لم تكن هناك سوى نماذج أولية موجودة ولم يُسمح إلا لعدد قليل بالوصول إليها. لقد أوقفوا واحدة داخل حظيرة طائرات وأحاطوا الحظيرة بالطائرات كاختبار لمعرفة مدى تأثير المعلومات المُسبقة على المستشعر عن بُعد.

مشكلة أخرى في الانتقال إلى الأهداف التشغيلية كانت متطلباتهم الزمنية. كانوا يأتون دائمًا بـ موعد نهائي أو وقت. كما هو الحال في معظم العمليات، كنا عادة آخر من يتم إخطاره، ولن يكون هناك سوى القليل جدًا من الوقت للاستجابة. لذلك كان الضغط هائلًا، خاصة على المستشعرين. بدأتُ أحمل هذا الضغط معي إلى شقتي وكانت علاقتي ببيغي تسوء. لم نعد نتحدث عن أي شيء تقريبًا. كنت مقطوعًا عن العالم الخارجي للأخبار، لذلك كانت المواضيع الحالية مستبعدة، ولم يكن لدينا أي أصدقاء مشتركين. لم يكن لدى معظم أصدقائها أي فكرة عن الجيش، ناهيك عن الاستخبارات، وربما كانوا سيصابون بالذهول تمامًا لو عرفوا ما كنت أفعله. كان أصدقائي، بالطبع، مقتصرين على كين، ميل، فريد، سكوتي، وهارلي. أبعد من ذلك، لم يكن هناك سوى عدد قليل من المشاركين بدوام جزئي الذين كانوا يأتون بين الحين والآخر لتناول فنجان من القهوة، أو للعمل على هدف محدد، وكانت تلك الزيارات تصبح أقل تكرارًا.

خلال هذه الفترة نفسها، وصلتنا أخبار مفادها أنه في وقت ما في العام التالي، كان من المتوقع أن يسقط المختبر الفضائي الأمريكي من مداره ويتفكك. لمجرد الحصول على استراحة من بعض الاستهدافات الأكثر جدية التي كنا نقوم بها، أخذتُ الأمر على عاتقي كمشروع شخصي. في محادثة أجريتها مع هال بوتهوف عندما كنت في كاليفورنيا، قال إن إحدى أفضل الطرق لإثبات الاستشعار عن بُعد ستكون القيام بهدف لم يكن له إجابة بعد. في هذه الحالة، لم يكن أحد على هذا الكوكب يعرف متى أو أين سيخرج من مداره ويضرب الأرض.

كتبتُ على بطاقة صغيرة، وضعتها تحت زجاج مكتبي: "متى وأين سيعيد المختبر الفضائي الأمريكي دخول الغلاف الجوي؟" بدت مهمة مستحيلة.

اعتقد سكوتي أنه هدف لا يمكن الإجابة عليه، لأنه لم يحدث بعد. أخذتُ الأمر على عاتقي على أي حال.

بعد العمل على المشكلة على مكتبي لبضعة أيام، قررتُ أن القضية كانت أكثر تعقيدًا مما تبدو. لم تكن إجابة بسيطة مثل، هنا ومتى. ولكن، في النهاية أنتجتُ خريطة قدمتها لسكوتي وأرسلتها أيضًا إلى هال بوتهوف في معهد الأبحاث الدولي. كنت قد اخترت بقعة في أستراليا حوالي ثلثي الطريق غربًا، عبر الساحل الشرقي وأعلى حوالي ثلث الطريق من الساحل الجنوبي، ورسمتُ فيها منطقة على شكل إجاصة تمتد من الطرف الضيق غربًا إلى طرف أكبر بكثير. قمت بتغميق الطرف الضيق وقلت إن هذا هو المكان الذي ستصطدم فيه قطع المركبة الأساسية، مع كون منطقة الطرف الأكبر هي حقل الحطام الذي سينتشر على مساحة حوالي ١٥٠٠ ميل بعرض حوالي ستين ميلًا. كان ذلك في الجزء الأخير من عام ١٩٧٨. توقعتُ أن يحدث إعادة الدخول في حوالي الخامس من يوليو ١٩٧٩.

أعاد المختبر الفضائي الدخول من مدار الأرض في الحادي عشر من يوليو ١٩٧٩. أخطأت منطقة التأثير الأساسية بحوالي ستين كيلومترًا، حيث كانت المنطقة التي اخترتها أبعد قليلًا إلى الشمال. أخطأتُ أيضًا تاريخ إعادة الدخول بستة أيام وبضع ساعات ودقائق. الشيء الغريب الآخر كان مسار حطامي. لسبب ما كنت قد قلبته بمقدار ١٨٠ درجة خارج التوجه الصحيح. كان هذا شيئًا بدأتُ ألاحظه في بعض رسوماتي. حدث ذلك بشكل متكرر لدرجة أنني قررت أنه لا بد أن يكون له علاقة بالتخطيط المادي لدماغي. بدلًا من محاولة معرفة سبب حدوثه، بدأتُ ببساطة في تصحيحه عن طريق رسم كل شيء بالعكس ومقلوبًا. شعرتُ بخيبة أمل لأن نتائجي تم تجاهلها تقريبًا. لم يقل لي سكوتي كلمة واحدة حيال ذلك. ولكن، في المرة التالية التي رأيتُ فيها هال، بعد بضع سنوات، قال إنها كانت واحدة من أكثر التنبؤات إثارة للإعجاب التي شاهدها على الإطلاق. أعتقد أن المشكلة داخل الوحدة كانت أن لدينا الكثير من المهام التشغيلية للقلق بشأنها لدرجة أنهم فعلوا كل ما في وسعهم لثنينا عن الاستشعار من النوع الحر. كان بإمكاني فهم ذلك، ولكن مع ذلك، كان من الجيد أن يلاحظ شخص ما أن مادتي المتعلقة بالمختبر الفضائي كانت إدراكًا مسبقًا ودقيقة.

في الوقت نفسه، لم أكن أعلم أن دبابة "إكس إم-١" الخاصة بي قد أضيفت إلى قائمة متزايدة من الأهداف المذهلة التي كانت تتراكم في كتاب إحاطة يتم تمريره على أعلى المستويات. أكثر من مجرد الجيش بدأ يلاحظ. نتيجة لذلك، اتخذ اللواء طومسون، مساعد رئيس الأركان للاستخبارات، قرارًا بالسماح لوكالات أخرى بتكليف وحدتنا، على أساس تشغيلي، لأغراض جمع أخرى غير مجرد أمن العمليات. بوضع المال وراء قراره، خصص ثلاثة مناصب دائمة للموظفين للوحدة وزاد التمويل. تم تغيير اسم المشروع إلى "لهيب الشواء". أدى هذا إلى تغييرات أخرى أيضًا. تم دمج العمل الذي يتم القيام به في معهد الأبحاث الدولي مع مشروع جمع المعلومات الخاص بنا، مما أدى بشكل أساسي إلى مضاعفة أصول الاستشعار عن بُعد ومكننا من الحصول على دعم بحثي أيضًا. طُلب مني أنا وميل رايلي وكين بيل الانتقال إلى المشروع بدوام كامل. لذلك أصبحت هذه لحظة حاسمة للحقيقة بالنسبة لي. كان عليّ الآن أن أقرر ما إذا كنت أرغب في الاستمرار في المشروع أو الاستقالة منه.

ترددتُ لما يقرب من أسبوع بشأن القرار. لم يكن لدي أي شخص يمكنني مناقشته معه. كان جزء مني ملتزمًا بالجيش وما تم تدريبي عليه في الأصل للقيام به. كنت أعلم أن مكتبي في المقر بحاجة إليّ وبحاجة إليّ بشدة، ولكن في الوقت نفسه، كنت أعلم أن هذا الشكل الجديد من جمع المعلومات الاستخبارية كان يثبت أنه أكثر بكثير مما اعتقده أي شخص على الإطلاق. في النهاية، تلخص اختياري في أي قرار سيسبب أقل قدر من الضرر وما هو أعلى احتمال للضرر الذي قد يحدث نتيجة لأي قرار اتخذته. مهما قررتُ أن أفعله، لن يكون هناك تراجع.

في تخصصي العسكري، كان هناك ٢٩ ضابط مرسوم آخر يعتبرون مؤهلين مثلي. في ذهني لم أكن لا يمكن الاستعاضة عني. قد يسبب ذلك بعض المشكلات، ولكن في النهاية سيجدون الوسائل لاستبدالي. كنت أعلم أن ذلك سيسبب قدرًا كبيرًا من الغضب، على الرغم من أنني لم أدرك في ذلك الوقت حجمه بالفعل. من ناحية أخرى، إذا كنا نؤدي هذا الأداء الجيد في الاستشعار عن بُعد، فإن دول الكتلة الشرقية قد تكون تؤدي على الأقل بالقدر نفسه من الجودة. هذا يعني أننا بحاجة إلى الضغط بقوة ومعرفة ما إذا كان بإمكاننا على الأقل اكتشاف دفاع ضد ذلك. كنت أعرف بالتجربة أنه لم يكن من السهل العثور على شخص في الجيش يتمتع بهذا النوع من الموهبة اللازمة للقيام بالاستشعار. كنت أعرف أيضًا، بناءً على ما لاحظته بالفعل، أنه حتى عندما يجدونهم، سيكون من الأكثر صعوبة حملهم على الالتزام بالمشاركة حتى على أساس دوام جزئي، ناهيك عن دوام كامل. إذا ابتعدتُ عن المشروع الآن، فقد يستغرق الأمر أشهرًا لاستبدالي وربما لا يمكن استبدالي.

بعد المعاناة من القلق لعدة أيام، علمتُ أخيرًا أنه سيتعين عليّ ببساطة تحمل العواقب وإجراء التغيير في التعيينات. لم تكن لدي أي فكرة عن حجم الضيق الذي سيسببه ذلك بين الكثير من أصدقائي طوال مسيرتي المهنية.

بعد عطلة نهاية أسبوع طويلة، ذهبتُ مباشرة إلى مكتب رئيس الأركان وأخبرته بما سيكون قراري. أعتقد أنه فوجئ. نصحني بإعادة النظر، وأخبرني أنني إذا فعلتُ ذلك، فسأكون أتسبب في ضرر لا يمكن إصلاحه لمسيرتي المهنية. أخبرته أنه، نظرًا للظروف، لا يمكنني ألا أفعل ذلك. قال إنه سيستدعي رئيسي ويخبره أنهم يعيدون تعييني في مشروع سري ذي أهمية وطنية.

فعل رئيسي بالضبط ما اعتقدت أنه سيفعله ـــ لقد توقف ببساطة عن التحدث معي. كان بإمكانك تقريبًا الشعور بـ الحرارة تنبعث من جسده عندما يدخل المكتب. قمتُ بصمت بتنظيف مكتبي وحزمتُ حقيبتي. بينما كنتُ متجهًا نحو الباب، أوقفني وسألني عما إذا كنت متأكدًا تمامًا من أن هذا هو ما أردته. أخبرته أنه لم يكن حقًا ما أردته، ولكنه كان شيئًا يجب القيام به، وكنت في وضع يسمح لي بالقيام به. أدار ظهره لي ولم يقل وداعًا أبدًا.

ما يجب فهمه هو المنافسة الشرسة بين الخدمات التي توجد عندما يتعلق الأمر بقضايا معينة تتعلق بالموظفين. في حالتي الخاصة، احتوى المجال الذي عملت فيه على عدد قليل جدًا من الضباط ـــ وجميعهم كانوا ضباط مراسيم. استغرق الأمر ما معدله تسع إلى اثني عشر عامًا من الخبرة لإنتاج شخص يمكنه شغل أحد مناصب ضباط المراسيم لدينا، وبعد ذلك لم يتم اختيار سوى واحد من كل اثني عشر ممن تقدموا بطلب. كان هذا بسبب المعرفة الواسعة بالتكنولوجيا المطلوبة لتلبية متطلبات الوظيفة. كنا قد دخلنا مؤخرًا عصر الكمبيوتر وكانت معظم معداتنا الإلكترونية تتقلص بسرعة من مآوٍ بحجم شاحنات نصف طن محمولة على شاحنات مليئة بالرفوف الإلكترونية، إلى حقائب سفر. كان فهم الميكانيكا التنموية والبرمجيات، وتكامل المهام، والدعم، والإصلاح، ومتطلبات التدريب، يدفع المغلف الفكري لمعظم الأشخاص المشاركين إلى الحد الأقصى. كان وجود ضابط مرسوم يفهم التفاصيل المعقدة على المستوى الشامل، وقادر على الوفاء بهذا الدور، ثم مغادرته للقيام بمشروع شخص آخر يعتبر أسوأ خطيئة ممكنة. كنتُ خائنًا في نظر أولئك الذين تركتهم خلفي وتمت معاملتي وفقًا لذلك.

ربما لم يعرفوا الأسباب التي شعرتُ أنني يجب أن أذهب من أجلها، أو ربما لم يفهموا ما توصلتُ إلى فهمه بشأن التهديد. لم يكن ذلك مهمًا. هذه هي طبيعة الأمور.

لقد آلمني حقًا مغادرة مكتبي القديم. كنتُ أغير ما كان يقودني بشكل أساسي لأكثر من ١٣ عامًا. لكنني فعلت ما كنت أفعله دائمًا مع الأشياء الكريهة أو القبيحة أو المؤلمة —— دفنتها في مكان ما داخل رأسي. كان تركيزي بالكامل يجب أن يكون على المشكلات الجديدة التي سأواجهها. هذا ما يفعله الجنود.

الفصل السابع

أزمة (بداية)

استمرار العمل في لهيب الشواء

كان مكتب مشروع "لهيب الشواء" مأهولًا آنذاك بسكوتي (الرئيس)، وفريد (ضابط العمليات)، وميل، وكين، وأنا كـ مستشعرين، وسكرتيرة. كانت السكرتيرة شابة فائقة الجمال ومتمكنة جدًا من مهاراتها المكتبية، ويمكنها تفريغ أشرطة الجلسات من محتواها، فضلًا عن إنجاز الأعمال الورقية المعتادة للمكتب. تقاسم سكوتي وفريد الواجبات في مجالات مسؤولية بعضهما البعض، لذا كانا يتبادلان الأدوار إذا غاب أحدهما وتطلب الأمر اتخاذ قرار. وبينما كنا نحن وفريد مقتنعين من خلال التجربة بأن الاستشعار عن بُعد هو أداة جمع معلومات فريدة وأنه يعمل، على الأقل في معظم الأوقات بدرجة قابلة للاستخدام، كان سكوتي هو المشكك العنيد في المنزل.

بينما كنا نتقدم في العمل على أهداف مجهولة، كان سكوتي يحاول باستمرار اختبارنا بطريقة ما ليثبت لنفسه أن هذا يحدث بالفعل وأننا لا نتآمر كمجموعة ونحاول خداع الجميع. على الرغم من أن هذا كان احتمالًا قائمًا، إلا أن المرء لم يكن بحاجة إلا إلى مراقبة محاولتين أو ثلاث للاستشعار عن بُعد ليرى أنه لا توجد معلومات كافية متاحة لأي شخص تسمح بتخمين إجابة صحيحة، ناهيك عن إنتاج نوع التفاصيل التي كنا ننتجها. كان سكوتي يأتي باستمرار إلى مكتبي ويتحداني بأمور يبتكرها بنفسه.

في أحد الأيام، جاء إلى مكتبي وفك غلاف حزمة من أوراق اللعب بعناية، ثم هزها في يديه. سحب ورقتي الجوكر وورقة التعليمات من العبوة وبدأ في خلط الأوراق. طوال الوقت كان يراقبني بعناية فائقة.

شاهدته وهو يخلط الأوراق ثماني أو تسع مرات، ثم وضعها على حافة مكتبي. قال: "اقطعها"، ففعلتُ، أربع مرات عرضيًا من الخارج إلى الداخل. حدقنا فيها كلانا لبضع ثوان. ثم قال: "إذا كنت نفسيًا حقًا، يجب أن تكون قادرًا على فرزها مقلوبة حسب اللون." لا أعرف لماذا، ولكن هذا أغضبني حقًا. لذا، التقطتُ الأوراق وقمتُ بتوزيعها بسرعة في كومتين. أشرتُ إلى الكومة اليسرى وقلت: "هذه هي الأوراق الحمراء." كانت الورقة السوداء الوحيدة في الجانب الأيسر هي الآص البستوني. وكانت الورقة الحمراء الوحيدة في الجانب الأيمن هي الآص القلبي.

قلت: "أُووه". التقطتُ الأوراق وقمتُ بخلطها ست مرات أخرى، ثم جعلته يقطعها، وأعدتُ توزيعها في كومتين. هذه المرة كانت جميع الأوراق الحمراء على اليسار وجميع الأوراق السوداء على اليمين.

لم يقل سكوتي كلمة واحدة. لقد التقط الأوراق للتو وعاد إلى مكتبه. نظر كين بيل إليّ من مكتبه، وبصوت ينطوي على عدم تصديق، سأل: "كيف بحق الجحيم فعلت ذلك؟"

أجبت: "لا علم لي على الإطلاق."

لم أكن أعرف بصدق. جلست في المنزل في وقت لاحق من تلك الليلة أفرز الأوراق لمدة ساعة، وأفضل ما تمكنتُ من فعله كان حوالي ٧٥ في المئة في أي جولة معينة.

بعد عام، استدعاني سكوتي إلى مكتبه، أنا وبقية العاملين في القسم. كان قد اكتشف نوعًا جديدًا من الألغاز. كان يشبه كثيرًا لوحة لعبة "النقاط الخمسة"، بخمسة ثقوب عرضًا وصف من الصفوف ربما يصل إلى ثلاثين في الطول. جاءت مع ثمانية دبابيس ملونة مختلفة تتناسب مع الثقوب. كان الصف الأول يحتوي على غطاء أسود داكن، والذي كان سيخفي دبابيس الصف الأول. كانت فكرة اللغز هي وضع صف البداية وعدم إخبار أي شخص بما هو. يمكن أن يكون أي مزيج من ألوان الدبابيس، أو حتى كل الألوان لون واحد، أيًا كان ما تريد وضعه هناك. بمجرد إعداده، كان على الخصم أن يخمن ألوان الدبابيس. على سبيل المثال إذا كان الصف الأول:

أحمر أخضر أسود أصفر أبيض

وخمن الشخص:

أحمر أسود أصفر أخضر أبيض

سيقوم الشخص الذي يتحكم في اللغز بوضع دبوس أبيض حيث كانوا على صواب تمامًا، ودبابيس سوداء حيث كانوا على خطأ. لذلك، سيرى اللاعب:

أبيض أسود أسود أسود أبيض

سيخبرهم هذا أن تخمينهم للدبوس الأول والأخير كان صحيحًا، وسيستمرون في التخمين حتى يتمكنوا من تسميتها جميعًا بالترتيب المناسب.

كان سكوتي قد أعد اللغز بالفعل وكان موضوعًا في منتصف مكتبه. أعلن أنه لعبها مع زوجته لساعتين في الليلة السابقة وأن أفضل نتيجة مطلقة كانت ثلاث حركات. قال إنه وفقًا للكتيب، كانت ثلاث حركات استثنائية. نظر إليّ وطلب مني أن أعطيه الألوان بالترتيب الصحيح وسنرى مدى جودتي.

في البداية، شعرتُ بالغضب منه، لأنه كان من الواضح أنه يهدف إلى وضعي في مكاني، أو يثبت بطريقة أخرى أنني كنت محظوظًا فقط. حقيقة أنه دعا كل من كان في الداخل للمشاهدة كانت تزيد من الإهانة.

"هيا، جو، افعلها." وكزني كين على كتفي.

كان يقدم لي الدعم في الواقع، لأننا أصبحنا أصدقاء مقربين جدًا وكان لديه الكثير من الثقة بي.

لذا، أغلقتُ عيني وأخرجتُ نفسي في زفير طويل وبطيء. أصبح عقلي فارغًا تمامًا. استرخيتُ وبدأتُ أعزل بقية العالم.

بعد حوالي خمس دقائق من الصمت التام وأنا جالس هناك، وعيناي مغلقتان وأنا أتأمل، قال سكوتي: "حسنًا، هل ستقوم بهذا، أم لا؟"

فتحتُ عيني وقلت بهدوء شديد: "أنا أنتظر منك أن تمرر لي الإجابة." لم يكن هذا صادقًا تمامًا، لكنني كنت أعرف أنه سيجعله يشعر بعدم الارتياح.

ضحك نوعًا ما على ذلك ولكنه أغلق عينيه لثانية، ثم فتحهما بسرعة. "حسنًا. لقد مررتها، ما هو التركيب؟"

دون تردد لثانية أعطيته الألوان الخمسة بالترتيب، ونهضتُ، وخرجتُ من مكتبه. لم أنتظر حتى ردًا. ساد الصمت في المكتب بينما رفع الغطاء البلاستيكي الأسود ببطء. بحلول الوقت الذي وصلتُ فيه إلى مكتبي، كان بإمكاني سماع صوت خافت يقول: "يا إلهي، لقد فعلها!" الذي انجرف نوعًا ما عبر الغرفة. خرج كين من الغرفة مبتسمًا من الأذن إلى الأذن. كانت تلك هي المرة الأخيرة التي اختبرني فيها سكوتي.

لقد أحببتُ سكوتي كثيرًا. أحببته لأنه كان متشككًا شديد المراس، وهو بالضبط ما كان المشروع بحاجة إليه. إذا كان بإمكاننا القيام بهذا النوع من الاستشعار الذي كنا نقوم به تحت إشرافه وباستخدام البروتوكولات المصممة في المعهد البحثي، فمن المؤكد أن هناك شيئًا يحدث. من الصعب التصديق، ولكن اليوم أجد نفسي أطرح أنواع الأسئلة التي كان سكوتي يسألها دائمًا في ذلك الوقت؛ أين الثغرة، أين التسريب، كيف يمكننا جعل هذا أكثر إحكامًا، كيف يمكننا إثبات أن هذا الهراء لا يعمل؟ من المؤكد أن ذلك سيجعل العالم أقل تعقيدًا بكثير إذا لم يكن يعمل.

أسلوب الاستهداف والعمليات

كان الاستهداف يتم بطريقة متدرجة أو تصاعدية. استغرق الأمر وقتًا أطول قليلًا، ولكنه في النهاية كان أفضل طريقة للقيام به، لأنه زودنا بنقاط فحص وتحقق تدريجي على طول الطريق.

كان يتم تسليم الهدف إلى الوحدة وتمريره فقط إلى سكوتي وات. قد يحتوي على صورة لمبنى. وقد ترفق بالصورة سلسلة من الأسئلة أو التوجيهات: صف التصميم الداخلي. ما الذي يتم بناؤه هناك؟ ما هو المدخل/المخرج الأكثر عرضة للخطر؟

كان سكوتي يعد جلسة الاستشعار عن بُعد بوضع الصورة (أو أحيانًا جزء من الصورة كان يقصه بالمقص). في بعض الأحيان كانت الصورة تحتوي على أشياء قد تعطي أدلة، أو أفكارًا حول الهيكل لا يريدنا أن نعرفها. لم يثق أبدًا تمامًا بأي شخص يحمل الظرف، ولا حتى ضابط عملياته. كانت الأسئلة تكون على قطعة من الورق ويتم وضع كل من الصورة والأسئلة بين ورقتين سميكتين من الورق المقوى، أسود من كل جانب.

بمجرد أن أكون أنا وفريد (أو مستشعر آخر) في الغرفة، كان فريد يسحب الظرف من حقيبة ويضعه على الطاولة بيننا، ويقول شيئًا مثل: "هذا هو هدفك. أخبرني بما أحتاج إلى معرفته."

إذا كنتُ أصبت الهدف، كنتُ أصف المبنى بشكل عام ومحيطه. قد أتحدث حتى قليلًا عن التصميم الداخلي أو ما كان يجري في الداخل. إذا لم أكن على الهدف، قد أصف طائرة، أو حدثًا يجري في مترو أنفاق. جمال نظام الاستهداف الأعمى تمامًا هذا هو أنه يمكنك أن تعرف على الفور ما إذا كان المستشعر عن بُعد قد استحوذ على الهدف الصحيح من الجلسة الأولى. إذا تحدثتُ عن حدث مترو الأنفاق، فمن الواضح أنني لم أكن على الهدف وسيتعين عليّ خوض العملية نفسها مرة أخرى لاحقًا. في المرة التالية قد يتم إعادة ترقيم حزمة الهدف أو إعادة تحديدها بطريقة ما لتشجيعي كما لو كنت ألاحق هدفًا جديدًا. إذا قدمتُ وصفًا جيدًا للواجهة الخارجية للمبنى، كان سكوتي يعيد هيكلة الاستهداف من خلال طرح أسئلة محددة بناءً على نصي الخاص.

على سبيل المثال، إذا كنت قد وصفتُ المبنى بشكل صحيح، وذكرتُ غرفة كان يتم فيها بناء شيء ما. كان سيتم عرض الظرف نفسه عليّ وتكون المحادثة شيئًا من هذا القبيل:

فريد: "هل تتذكر هذا الهدف؟"

جو: "نعم."

فريد: "نحن مهتمون بالغرفة التي قلت إن شيئًا ما كان يحدث فيها."

كنتُ بعد ذلك أعيد استهداف الغرفة وأحاول أن أصف بدقة أفضل ما رأيته يحدث في الاستهداف الأول.

كان يتم تلخيص هذه المادة في تقرير وتمريره مرة أخرى إلى المكتب الذي يطلب الدعم. وبما أنهم كانوا الوحيدين الذين عرفوا أو اشتبهوا فيما كان يجري في المبنى، كان يتم مقارنتها بعد ذلك بمعلومات أخرى يمتلكونها وتعتبر إما داعمة أو غير داعمة. على أي حال، كانت تُستخدم لتوليد مؤشرات جديدة لطرق الجمع الأكثر تقليدية، ولكن لم يتم استخدامها أبدًا كمادة قائمة بذاتها، ولا كانت مادة تُغذى للمستشعر بتوقع محدد أو فكرة مسبقة من أي نوع. قد يعيد مستشعرون عن بُعد متعددون زيارة الهدف اثني عشر مرة قبل إصدار ملخص أو تقرير نهائي. في بعض الحالات، كان ما رآه المستشعر واضحًا بشكل ساحق لدرجة أنه تم الإبلاغ عنه على الفور.

التضحية الشخصية والتحديات

لقد تسبب العمل في فورت ميد بدلًا من محطة أرلينغتون هول في زيادة هائلة في عدم الارتياح الشخصي بالنسبة لي. كان أقرب مكان يمكنني تحمل تكلفة العيش فيه براتبي كضابط مرسوم أول أثناء العمل في محطة أرلينغتون هول هو ريستون، فرجينيا. كانت المسافة إلى المكتب من المنزل، اعتمادًا على حركة المرور، ساعة ونصف كحد أدنى في الاتجاه الواحد. أحيانًا كنت أغادر للعمل في أرلينغتون في الساعة الخامسة والنصف صباحًا لمجرد أن أختصر عشرين دقيقة من الرحلة وأتناول فنجانًا مريحًا من القهوة قبل أن ينفجر الجحيم عندما يصل الجنرال إلى العمل في الساعة السابعة والنصف صباحًا. لقد أدى تغيير مواقع العمل إلى فورت ميد إلى مضاعفة مسافة القيادة في حركة المرور ووضعني على الطريق الدائري، الذي كما يعلم كل من يعمل في منطقة العاصمة هو مصيدة موت متحركة. يمكنك تقريبًا صقل قدراتك النفسية بمجرد القيادة عليه كل يوم.

للوصول إلى مكتب فورت ميد بحلول الساعة السابعة والنصف صباحًا، خاصة في الشتاء، كنت أُجبر أحيانًا على المغادرة من ريستون في الساعة الرابعة والنصف صباحًا. إذا تساقطت الثلوج أثناء وجودي في العمل، كان بإمكاني أن أتطلع إلى عدم تناول العشاء في المنزل إلا في حوالي الساعة العاشرة ليلًا. في إحدى الليالي البائسة في منتصف شتاء عام ١٩٧٩، استغرق الأمر مني ساعتين للمرور عبر إشارة مرور واحدة فقط بين مخرج الطريق الدائري والطريق السابع، الشريان الرئيسي إلى ريستون. كانت الطريق قد تجمدت، ولأن معظم الناس الذين يقودون السيارات في منطقة العاصمة لم يسمعوا عن إطارات الثلوج ذات السلاسل أو المسامير، فقد أحرقتُ ربع خزان من الوقود في سيارتي الصغيرة فيات ١٢٤ وأنا أشاهدهم يندفعون للأمام وينزلقون إلى الخلف، أسفل التل الطفيف في الطريق أمام الضوء، واحدًا تلو الآخر. على الرغم من أن الأمر يبدو جنونيًا، إلا أن المكان الوحيد الذي كان بإمكانك التوقف فيه على جانب الطريق هو مركز التسوق الضخم في تايزنز كورنر.

في بعض الأحيان كنت أحاول البقاء في المكتب لانتظار أسوأ جزء من حركة المرور، لكن هذا قد يكون غير صحي للغاية. بحلول الوقت الذي كنت تخرج فيه إلى الطريق كان قد أصبح ما أسميته "ساعة السحر". جميع الأشخاص الذين كانوا يتسكعون في أماكن الشرب والحانات قرروا الخروج إلى الطريق بعد انتظار الفترة نفسها وهم يرتشفون مارتيني فودكا مضاعفًا أو جن وتونيك. كانت حركة المرور أخف، لكن الأشخاص في السيارات المجاورة كانوا إما أكثر عدوانية أو أغبياء بكثير.

كان المغادرة للعمل كل يوم قبل أن تستيقظ زوجتي بساعتين، والوصول إلى المنزل في الوقت الذي تريد فيه زوجتي الذهاب إلى الفراش، له ميل حقيقي إلى تدمير العلاقة. بما أن علاقتنا كانت في طريقها السريع إلى التدهور على أي حال، فقد بدا أن ذلك يساعد بالفعل. لقد أنقذنا من الكثير من الشجار الذي كان سيحدث لولا ذلك لو قضينا المزيد من الوقت معًا.

هذا أثر عليّ كثيرًا. كانت بيغي امرأة جميلة تهتم بي حقًا وكنت أفعل بها بالضبط ما فعلته بزوجتي الأولى — أضع الوظيفة قبل كل شيء آخر. كان قلبي يؤلمني أحيانًا، عندما كنت أنهض للمغادرة أو أعود متأخرًا جدًا لدرجة أنها كانت نائمة بالفعل في السرير. كنت أنظر إليها وهي راقدة بسلام هناك، وأكره نفسي حتى الصميم. ولكن لم يكن يبدو أن هناك أي طريقة لي لـ انتزاع نفسي من هذا الموقف. فكرت في الانتقال للعيش أقرب بكثير من فورت ميد، والذي كان في الواقع سيكون أرخص وأقل تكلفة بالنسبة لنا، لكن لم أستطع الحصول على أكثر من التزام سنوي من أي شخص فيما يتعلق بالمدة التي سيستمر فيها المشروع.

كانت هذه مشكلة متأصلة داخل المشروع طوال الوقت. لقد سُمح لنا أساسًا بالوجود والعمل نتيجة لـ درجة الكفاءة التي أظهرناها في عملنا. إذا لم تكن جهود الاستشعار عن بُعد جيدة إلى ممتازة، فلن ننجو. إذا كانت كذلك، فسيتم الموافقة علينا على أساس سنوي وإعادة تمويلنا وفقًا لذلك. قد تكون هذه هي الطريقة الصحيحة لتشغيل برنامج مشكوك فيه، لكنها لم تكن داعمة جدًا لاتخاذ القرارات الشخصية. كنت أنا الوحيد الذي لا يعيش في مساكن داخل القاعدة في فورت ميد، أو في منزل على بعد بضعة أميال من هناك. كانت الرحلات ذهابًا وإيابًا مرهقة جدًا بالنسبة لي، ولنفسي.

أثرتُ هذه القضية مع سكوتي والرجل الذي حل محله، ولكن قيل لي إنه نظرًا لعدم تمكنهم من ضمان استمرارية البرنامج، لا يمكنهم تبرير نقلي إلى مساكن داخل القاعدة.

العواقب المهنية

خلال الفترة الزمنية نفسها، تلقيتُ مكالمة من "الفرع" في وزارة الجيش، ضابط المرسوم الأول الذي أدار جميع ضباط المراسيم الأوائل في الاستخبارات. كان مكتب مركز الأفراد العسكريين أو مكتب الإدارة المحدد في مقر وزارة الجيش في واشنطن العاصمة، يحتوي على "فرع" محدد احتفظ بسجلاتي الشخصية وكان مسؤولًا عن إدارة مسيرتي المهنية كضابط مرسوم في الجيش. كان هو ـــ أو أحيانًا هي، اعتمادًا على العام ـــ مسؤولًا عن ضمان العدالة في التعيينات والتعرض التشغيلي المتساوي لجميع ضباط المراسيم في مجال الاستخبارات. بدون هذا النوع من الإدارة، فإن ضباط المراسيم الذين يحتاجون إلى مدارس أو خبرة خاصة ربما لن يحصلوا عليها أبدًا، وأولئك الذين يعملون كضابط اتصال لمجموعة المساعدة العسكرية في تاهيتي لن يتناوبوا أبدًا خارج وظائفهم. أما أولئك الجيدون حقًا في حالات القتال فبالطبع سينتهي بهم الأمر في القتال فقط حتى ينفد حظهم أو يتمكنوا من العثور على متطوع ليحل محلهم، أيًا كان ما يأتي أولًا.

على أي حال، اتصل بي وطلب مني إرسال وصف وظيفي لمهمتي الجديدة، لأنها كانت خانة خاصة، تسمى منصب ٩٩. كان لا بد أن يكون المكان الذي شغلته منصب ٩٩، لأنه لم تكن هناك تخصصات مهنية عسكرية تدعو على وجه التحديد إلى "ضابط مرسوم أول جاسوس نفسي". لكن كوني مُسجَّل في منصب ٩٩ كان يعني أن مقر قيادة استخبارات وأمن الجيش كان يُدرجني رسميًا على أنني "فائض عن الحاجة". كان لهذا تأثيران فوريان.

أولًا: كان لا بد من كتابة قصة غطاء معقدة للغاية لما كانت عليه واجباتي اليومية ولماذا كنت أقوم بها، وكلها لا علاقة لها على الإطلاق بتخصصي المهني الأساسي أو أي من تخصصاتي الثانوية ـــ وهو ليس شيئًا سيمر مرور الكرام على الفرع.

ثانيًا: لأنني كنت مُسجَّل كفائض عن الحاجة، تم نقلي تلقائيًا إلى أعلى قائمة النظام لإعادة التعيين. كان هذا بالضبط نوع الأشياء التي كان الأشخاص في الفرع يبحثون عنها دائمًا. كانوا دائمًا في حاجة إلى "جسد دافئ" ليحل محل شخص ما في الخارج؛ أو في جولة شاقة، وهي جولة غير مصحوبة تستمر من اثني عشر إلى ثمانية عشر شهرًا، حيث تقضي الوقت بدون عائلتك؛ أو في وظيفة عادة ما تكون ناقصة العدد بنسبة ٢٠ في المئة أو أكثر، مما يضمن أيام عمل تتراوح بين خمس عشرة وثماني عشرة ساعة.

لذلك، قام مبعوث خاص من مكتب رئيس الأركان المساعد للاستخبارات، مكتب اللواء طومسون، برحلة إلى الفرع وأجرى محادثة مع ضابط المرسوم الأول الذي أدار ملفي، وأخذ نسخة من وصفي الوظيفي الجديد معه.

لسوء الحظ، جعل هذا الأمور أسوأ. كما تم الإشارة إليه بسرعة للمبعوث، كنت واحدًا من (حينها) ٢٣ ضابط مرسوم فقط في تخصصي المهني المحدد (لقد فقدوا ستة بسبب الاستنزاف في عامين ـــ نتيجة للإفراط في العمل) في تخصص مهني لم يتجاوز تاريخيًا نسبة ٧٥ في المئة من التعبئة على مستوى العالم. قالوا إن هناك حاجة ماسة لي لشغل خانة ـــ أحد تلك الأماكن المقترحة، بالطبع، كان المكان الذي أفرغته في محطة أرلينغتون هول. بسبب عبء العمل الهائل الذي تحمله الوظيفة وحدة المهمة، تم تجنبها تاريخيًا مثل الوباء. كانت الطريقة الوحيدة التي حصلوا بها عليّ في المقام الأول في أرلينغتون هول هي رشوتي بمهمة المرسوم وفترة أقصر للترقية إلى ضابط مرسوم أول.

تم وضع مدير ضابط المرسوم الأول على الفور في مكانه بـ أمر مباشر من مكتب مساعد رئيس الأركان للاستخبارات (الذي كان مدينًا له بوظيفته الخاصة) بالتوقف والكف عن متابعة الأمر والتظاهر بأنني غير موجود، وهو ما فعله على الفور، وأصبحتُ عدمًا.

المشكلة في أن تكون عدمًا هي أنه لم يعد لديك شخص يعتني برفاهيتك داخل هيكل تخصصك المهني، لذلك يتم إزاحة مكانك في خط الترقية بطريقة ملائمة. عندما يحين موعد تقارير تقييم الضباط السنوية التي تشهد على قدرتك على القيام بعملك، ولا يتم تقديمها، فلا أحد يهتم. عندما يضيع عدد كبير جدًا من التقييمات، فلا يوجد أمل في رؤية الترقية على الإطلاق.

هدأت العاصفة وقبلتُ النفي التام إلى عالم الظل للبرنامج الخاص، معتبرًا أن مسيرتي المهنية قد ماتت الآن، وهو ما حدث بكل تأكيد.

الفصل الثامن

محاربة النظام

في الجزء الأول من نوفمبر ١٩٧٩، تلقيتُ مكالمة في الساعة الرابعة صباحًا تطلب مني الحضور مباشرة إلى المكتب؛ في الوقت نفسه أُمرتُ بعدم الاستماع إلى أي أجهزة راديو، أو مشاهدة أي تلفزيون، أو قراءة أي تقارير إخبارية حالية في الطريق. على الرغم من أن هذا بدا غريبًا، فقد اتبعتُ أوامري وسافرتُ إلى المكتب في ميد. لذلك، وصلتُ لا أعرف أن السفارة الأمريكية الموجودة في طهران، إيران، قد تم اقتحامها من قبل الثوار الإيرانيين.

كان الظلام لا يزال قائمًا عندما انضم جميع المستشعرين الستة الدائمين والجزئيين إلى ضابط العمليات، فريد، في المكتب. قال إن الأمر سيبدو وكأنه طلب غريب، ولكن تم احتجاز عدد من الأمريكيين كرهائن في موقع خارجي، وهم بحاجة إلى مساعدتنا في تحديد هويتهم. ثم ألقى كومة من أكثر من مائة صورة على سطح الطاولة — أخبرونا من هم الرهائن ومن ليسوا كذلك. غادر الغرفة وتركنا للمشكلة. بدأ هذا مشكلة استمرت عامًا كاملًا وشملت مئات من عمليات الاستشعار عن بُعد الفردية مما استنفد صبر الجميع تقريبًا.

من المستحيل تقريبًا وصف مدى صعوبة استهداف الشيء نفسه مرارًا وتكرارًا، يومًا بعد يوم لـ أشهر متتالية. تصبح مشكلة التغذية المُسبقة، الناتجة عن الاستهداف المتكرر على الأشخاص والمباني والمناطق نفسها، ساحقة. سرعان ما تصبح مرتبكًا جدًا بشأن ما هو حقيقي وما ليس كذلك، وما تخيلته في اليوم أو الأسبوع السابق وما هو حقيقي في استشعارك عن بُعد اليوم. كان لا بد أيضًا من إبقاء كمية المهام التي كانت تأتي من مجلس الأمن القومي، ووكالة الاستخبارات المركزية، والوكالات الأخرى فيما يتعلق بالهدف نفسه منفصلة، وكذلك النتائج. في نهاية المطاف، تم نقل هذه المشكلة إلى مستوى أعلى في البنتاغون.

ما الذي تم استهدافه؟ كل شيء! كل مبنى، كل غرفة، كل شخص في كل غرفة من تلك الغرف، ما كان يفعله الجميع، ما كانوا يرتدونه، ما كانوا يحملونه، ما كانوا يأكلونه، كيف كانت صحتهم، كيف كان يبدو الأثاث، أي نوع من الطلاء أو الصور كان على الحائط. ما هو طول العشب في الساحات بين المباني. أساسًا، أرادوا أن يعرفوا تقريبًا كل ما يمكن للمرء أن يسأل عنه في خمس كتل مكعبة من الفضاء داخل مدينة تبعد آلاف الأميال، على أساس يومي. وما حصلوا عليه كان أكثر مما توقعوا.

لقد حصلوا على موقع منفصل للرهائن الذين لم يكونوا رهائن حقًا وسفارة مختلفة حيث كانوا محتجزين (السفارة الكندية، حيث كانوا في الواقع محميين). حصلوا على أوصاف لثلاثة أفراد لم يكونوا في الحزمة الأصلية من الصور، ووصف لمبنى منفصل كانوا محتجزين فيه (عملاؤنا الذين تم القبض عليهم واحتجازهم في موقع منفصل). كانت أوصاف مخططات الطوابق والغرف دقيقة بما يكفي لإبهار الأشخاص الذين تم إحضارهم والذين غادروا البلاد للتو والذين عملوا فيها سابقًا. تم الإبلاغ عن المواقع المادية الفعلية لكل واحد من الرهائن، وتحديدًا مكان احتجازهم، وكيف كانوا يعاملون، لدرجة أنه عندما تم إطلاق سراح أحد الرهائن مبكرًا لأسباب طبية، وعُرضت عليه المعلومات التي جمعناها، كان غاضبًا. في ذهنه، كانت الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تكون لدينا بها مثل هذه المعلومات الدقيقة هي وجود شخص ما داخل السفارة مع الرهائن، طوال الوقت الذي كانوا محتجزين فيه، وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا يزالون محتجزين؟ لم يُسمح له بمعرفة ذلك.

بينما كان كل هذا يجري، كنا نحن المستشعرون نلتزم بكلمتنا من خلال الاستمرار في تجنب الاستماع إلى أجهزة الراديو، وعدم مشاهدة البرامج الإخبارية أو النشرات الخاصة على التلفزيون، وتجنب الصحف والمجلات الإخبارية. كان التأثير علينا هو أن عالمنا الاجتماعي انهار. كان الأمر أشبه بالتواجد داخل نوع من السجن المصمم ذاتيًا.

تصاعد المهام وتداعياتها

طوال الشأن الإيراني، واصلنا القيام بمهام أمن العمليات، بالإضافة إلى مهام جمع عمليات أخرى لدعم الوكالات الأخرى، وعلى رأسها وكالة الاستخبارات المركزية، ومجلس الأمن القومي، ووكالة استخبارات الدفاع، ومعظم فروع وزارة الدفاع. استمر عبء العمل في النمو بشكل هائل.

في الجزء الأول من عام ١٩٨٠، بدأنا في التقاط أشياء أخرى. كنا نلتقط مناورات عسكرية أمريكية، والتي بدا لنا نحن بعقولنا النفسية أنها مرتبطة بالوضع هناك. كانت تحدث أشياء أخرى في طهران وحولها كانت حساسة للغاية وغامضة أو في غير مكانها على ما يبدو، وتشمل أمريكيين آخرين أو على الأقل أشخاصًا متحالفين مع القضية الأمريكية. عندما بدأنا بالإبلاغ عن هذه الملاحظات الغامضة، كاد أن يتم إغلاقنا. كنا قد تعثرنا بشكل أعمى تمامًا في طريق الاستعدادات لـ محاولة الإنقاذ التي كان يتم التخطيط لها. بدلًا من إيقاف صنبور المعلومات الذي كان يتدفق، اقترحوا أن نركز على هذا أيضًا، وبالتالي نقوم بمهمة لأمن العمليات بالإضافة إلى الاستمرار في التركيز على تلبية المتطلبات الاستخباراتية الأكثر تقليدية.

عندما حدثت عمليات الإنقاذ أخيرًا، تم نقلنا جميعًا إلى طابق واحد من نزل يقع في لوريل، ميريلاند، حيث قمنا بالاستشعار عن بُعد على مدار الساعة، مقدمين وصفًا دقيقة بدقيقة للعملية.

كانت إحدى المستشعرين النساء اللاتي عملن بدوام جزئي تستشعر عن بُعد في وقت الانفجار في صحراء واحد. انهارت بالبكاء، وأبلغت عن حريق هائل، لم تستطع فهم سببه. بعد دقائق رن الهاتف وأخبرنا سكوتي أنه تم إنهاء عملية صحراء واحد بسبب نقص الموارد الباقية.

انزعج المستشعرون كمجموعة من هذا التطور المفاجئ للأحداث، وغادروا الفندق وذهبوا للبحث عن طريقة لتخفيف الضغط الذي كان يتراكم لعدة أشهر. قررنا تخفيف التوتر معًا في الفندق، لذلك اشترينا بضع زجاجات من "التطبيب الذاتي" وأحضرناها إلى إحدى الغرف، حيث بدأنا جميعًا في أن نصبح في حالة سكر مهذب.

وجدنا سكوتي لا نزال نشرب نحن الأربعة في وقت ما بعد منتصف الليل، وكان هناك شيء واحد واضح جدًا، لم نكن نشعر بأي ألم على الإطلاق. كانت المشكلة هي أن هذا شمل جنديًا مجندًا، وكانت إحدى الضباط الثلاثة امرأة ـــ جميعهم يشربون ويتواصلون اجتماعيًا، وجميعهم ثملون معًا. أعتقد أن هذا كان أكثر مما يمكنه تحمله. أمرنا بالذهاب إلى غرفنا والخلود إلى النوم. في اليوم التالي اختار أن يوبخ فقط الجندي المجند (ميل) والمرأة. قرأ لهم القانون بحدة لما اعتقد أنه سلوك غير لائق. في رأيي، كان هذا غير صحيح على الإطلاق وغير مبرر. كنا جميعًا زملاء عمل وأصدقاء مقربين وكنا فقط نخفف الضغط، ونتخلص من نتيجة العمل كـ عبيد نفسيين لعدة أشهر.

نقل ميل نفسه بشكل دائم إلى المبنى الأصغر المقابل للمبنى الذي أقام فيه سكوتي في العمل ورفض مغادرته. المرأة، من ناحية أخرى، أبلغت سكوتي بما فكرت فيه عنه، مهاجمة إياه بنفس القوة التي تلقته بها. كانت ضابطًا في جيش الولايات المتحدة، وكان لديها كل الحق في أن تكون في أي مكان يريد أي ضابط ذكر أن يكون فيه، وتفعل أي شيء يلعنه أي ضابط ذكر أن يفعله. لقد تصرفت بشكل جيد ضمن توقعات السلوك السليم، وإلى جانب ذلك كنا أصدقاءها ولن يسمح لأحد بأن يخبرها كيف تتصرف مع أصدقائها. لقد أحرقت جدران مكتب سكوتي بالكلام وخرجت من المبنى ولم تعد أبدًا. لم يفت ذلك على البقية منا، أنه لم يذكر كلمة واحدة عن الأمر لأي منا. هذا أكد الاختلافات في كيفية إدارة الجيش في ذلك الوقت، وكيف يتم إدارته اليوم. آمل أن تستمر النساء في جيش اليوم في الكفاح من أجل المساواة، على الأقل فيما يتعلق بالمعاملة والاحترام.

بعد بضعة أسابيع، استقال أحد المستشعرين الآخرين بدوام جزئي. قال إنه محترق وسئم، ولن يقوم بأي استشعار عن بُعد بعد الآن. أصبحنا أربعة فقط. زادت المطالب على الاستشعار عن بُعد. كان الإيرانيون قد نقلوا الرهائن إلى مواقع أخرى منتشرة في جميع أنحاء طهران، وكنا بحاجة إلى إعادة تحديد مواقعهم جميعًا والبدء من نقطة الصفر للمساعدة في التحضير لمحاولة إنقاذ رهائن ثانية ـــ ولكن الآن كنا نعمل بـ انخفاض بنسبة ٣٥ في المئة في موظفي جمع المعلومات.

استهدافات جديدة

في حوالي منتصف عام ١٩٨٠، مر جاكي كيث بالوحدة ـــ لمجرد الزيارة، كما قال. في الواقع، كان من المفترض أن يكون على متن طائرة مسافرًا للقاء عميل آخر. عندما دخل المبنى، قابلته وقلت مرحباً. كانت إجابته غريبة الصياغة وقال إنه يشعر، حسنًا... نوعًا ما غريبًا ومتعبًا جدًا. لم يكن هذا من عادته. كان عادة كتلة من الطاقة العصبية الحركية. اقترحتُ عليه أن يتناول فنجانًا من القهوة ويذهب إلى مبنى الاستشعار عن بُعد ويأخذ قيلولة على الأريكة هناك. بعد بضع دقائق جاء فريد يصرخ طالبًا من شخص ما الاتصال برقم الطوارئ.

اندفعتُ عبر الشارع ووجدتُ ميل يقلب جاكي ويتحقق من نبضه. لم يكن هناك نبض. بدأ ميل على الفور الإنعاش القلبي الرئوي، ويتوقف كل ستة دفعات حتى أتمكن من إعطائه التنفس الاصطناعي من الفم إلى الفم. يتم تدريب الكثيرين في الجيش على ذلك، ولكن حتى هذه النقطة لم أكن في وضع اضطررت فيه إلى القيام بذلك. لم يحذرني أحد من أن شخصًا يخضع للإنعاش القلبي الرئوي قد يبدأ أحيانًا بالتقيؤ في فمك. عندما بدأ ذلك يحدث، لم يتردد لا ميل ولا أنا. كنت أتوقف لأبصق على الجانب وكان ميل يستخدم الاستراحة لإعطائه الإنعاش القلبي الرئوي. أعتقد أننا كنا في حالة تركيز، لأنه عندما وصل المسعفون مع سيارة الإسعاف، بدا الأمر وكأن بضع دقائق فقط قد مرت، ولكنها كانت في الواقع حوالي نصف ساعة. كنا نقع مقابل المستشفى مباشرة عبر الشارع، لكن سيارة الإسعاف الوحيدة المتاحة كانت على الجانب الآخر من القاعدة بالكامل. عندما تولى المسعفون الأمر، لاحظت أيضًا أن ميل وأنا كنا بمفردنا. أعتقد أن المنظر كان أكثر من اللازم بالنسبة للآخرين. استدعانا إلى المستشفى في وقت لاحق من بعد الظهر، حيث جلسنا مع أخصائي الشريان التاجي في غرفة الطوارئ الذي قال إن الإنعاش القلبي الرئوي الذي قمنا به كان مثيرًا للإعجاب ويجب ألا نشعر بأننا خذلنا صديقنا. قال إن غازات دم جاكي كانت جيدة بقدر ما رآه على الإطلاق، لكن قلبه قد تضرر بشدة من نوع النوبة القلبية التي عانى منها. لم يكن هناك شيء يمكن لأي شخص فعله بشكل أفضل. لست متأكدًا، لكنني أعتقد أن جاكي كان يبلغ من العمر ٢٩ عامًا عندما توفي. غيوم رمادية بحجم ولاية مينيسوتا خيمت على الوحدة لبعض الوقت. ربما نكون قد فعلنا كل ما في وسعنا، لكن فقدان جاكي آلم في أعماقنا. تعاملتُ مع الأمر بالطريقة التي تعاملت بها دائمًا مع الخسارة على مر السنين. دفنتها واستمررت.

في نهاية عام ١٩٨٠، حدث لنا تسريب أمني كبير، حدث نتيجة لمؤتمر صحفي عقده الرئيس كارتر. عندما ظهر على شاشة التلفزيون الوطني للحديث عن مشكلة رهائن إيران الجارية، تم تصويره وهو يحمل مجلدًا موسومًا "لهيب الشواء". زاد هذا من فضول بعض المراسلين الذين شاهدوا البرنامج. لمعرفتهم أنه لا بد أن يكون متصلًا بشكل مباشر بطريقة ما بمشكلة رهائن إيران، بدأ الكثيرون في البحث عن روابط لـ "لهيب الشواء" وما قد يمثله. تم تشديد الوصول إلى المشروع أكثر عندما تم استبدال اللواء طومسون باللواء آنذاك ويليام إي أودوم. كان قد تولى زمام منصب مساعد رئيس الأركان للاستخبارات في العام السابق، ولكنه كان يصبح أكثر سلبية تجاه استخدام الجيش للوسطاء النفسيين — على الأقل كان هذا هو الثرثرة العامة. في الواقع، كان الأمر أحد تلك الأمور التي يشتهر بها الجيش: "إذا كان يعمل، فلا تعبث به".

تم استبدال القائد العام لقيادة استخبارات وأمن الجيش، الجنرال روليا، أيضًا بالعميد فلين، القائد السابق لمحطة أوغسبورغ الميدانية الذي رفض التوقيع على طلبي الرابع لضابط مرسوم. جاء إلى مشروع "لهيب الشواء" لـ إحاطته التعريفية وشعر على الأرجح وكأنه يخطو إلى أرض دوروثي في فيلم "ساحر أوز". كنت أعلم أنه رجل متدين جدًا وتوقعت (قبل الأوان وبشكل غير صحيح) أنه ستكون لديه مشاكل شخصية حادة مع ما كنا نفعله. لم يكن من غير المألوف أن يخصص الناس قبولهم لما كنا نفعله، بغض النظر عن الأدلة الموجودة. لم تكن الرتبة مهمة أيضًا في هذا الاعتبار أو التفاعل — سواء كان جيدًا أو سيئًا.

في يوم زيارته، بقيتُ عبر الشارع، أشاهد من خلال نافذة وهو يُدخل إلى المبنى الرئيسي. بعد إحاطة شاملة مع المقدم الذي تمت ترقيته حديثًا سكوتي وات، جاء إلى مبنانا لمقابلة بقية اللاعبين. عندما دخل، نظر إليّ للحظة وتجمد. عبرت ابتسامة صغيرة وجهه وقال: "حسنًا... كان يجب أن أعرف أنك ستكون متورطًا في هذه الوحدة." من تلك النقطة فصاعدًا، أصبحنا أصدقاء، وكأن كل خلافاتنا تلاشت في الماضي. لم يبق فلين طويلًا، ولكن كان واضحًا من الإحاطة أنه مسرور بما كنا نفعله وبتقدمنا. شجعنا على الاستمرار، ولكن للتأكد من أننا نراقب البروتوكولات عن كثب.

استمرت مشكلة رهائن إيران في إثقال كاهلنا وواصلنا ضخ الاستشعار عن بُعد لدعم متطلبات مجلس الأمن القومي. كما كُلفنا بمشكلات أخرى ذات طابع عملياتي وأهمية وطنية ـــ ناقش إحداها الرئيس كارتر لاحقًا علنًا. خلال عرض تقديمي لمجموعة من طلاب الجامعات في عام ١٩٩٥، تحدث عن طائرة سوفيتية مفقودة سقطت فوق الكونغو الأفريقي الأوسط، زائير. كان يُعتقد أن القاذفة السوفيتية كانت تحمل أسلحة نووية أو تقنية أخرى، من شأنها أن تثبت أنها مفيدة لأي شخص يمكنه تحديد موقعها ـــ ليس فقط وكالات الاستخبارات الأمريكية والبلدان الأخرى، ولكن أيضًا المنظمات الإرهابية. لذلك، كان هناك الكثير من الأشخاص يبحثون عن هذه الطائرة لبعض الوقت.

بالنظر إلى الأميال المربعة المعنية، وصعوبة التضاريس، كان من الصعب العثور على الطائرة حتى بمساعدة المراقبة والتصوير من الجو. فشلت عمليات البحث تلو الأخرى. تم إحضارها إلى مشروع "لهيب الشواء" كهدف.

سيكون هذا هو الاختبار المثالي. إذا لم يتمكن أي شخص آخر من العثور عليها، فسيتطلب الأمر بعض الوسائل الاستثنائية لتحديد موقع بقايا الحطام.

وضعنا أنا وميل وكين الطائرة في منطقة محددة من زائير، حيث تداخلت مواقعنا الثلاثة في دائرة قطرها ثلاثة عشر كيلومترًا. كما وضع موقع قدمه أحد المستشعرين عن بُعد من معهد الأبحاث الدولي الطائرة ضمن تلك الدائرة. تم إرسال فرق البحث إلى المنطقة وتم تحديد موقع الطائرة على بعد كيلومتر واحد من الموقع الذي قدمه المستشعر عن بُعد من المعهد. كانت جميع المواقع ضمن ثمانية كيلومترات من موقع التحطم. قالت فرق البحث على الأرض إنهم بمجرد دخولهم المنطقة المحاطة بدائرة على الخريطة، بدأوا في مواجهة السكان الأصليين على المسار وهم يحملون قطعًا من الحطام لاستخدامها في بناء أو تعزيز أكواخ قريتهم.

كانت هذه الحادثة تحديداً معروفة للعامة بوصول الاهتمام بها إلى مستويات رئاسية عليا على أقل تقدير. وهي تنسف أيضاً ادعاءات وكالة الاستخبارات المركزية اللاحقة بأن معلومات "الرؤية عن بُعد" لم تُستخدم أبداً كمعلومة قائمة بذاتها، أو لم تُعتمد على مستويات وطنية ذات أهمية استخباراتية.

في الثامن عشر من شهر كانون الأول لعام ألف وتسعمائة وواحد وثمانين، وبينما كنتُ ما زلت أستمتع بالراحة لانتهاء تكليفي بأهداف "الرؤية عن بُعد" المتعلقة بـ (إيران) وأبدأ بالفعل في الاسترخاء مع وتيرة عمل أبطأ بكثير، دخلتُ المكتب فإذا بسكوتي ينتشلني على الفور ويقودني إلى مكتبه. طلب مني أن أجلس هناك ببساطة وألا أتحدث مع أحد، لأن مشكلة قد وُضعت بين أيدينا للتو، ولم يكن يريدني أن أعرف تفاصيلها. جلستُ لبعض الوقت أنتظر.

في نهاية المطاف، جاء فريد واصطحبني، وانتقلنا إلى مبنى "الرؤية عن بُعد". بعد فترة تهدئة، وعندما أعلنتُ استعدادي للمضي قدماً، ناولني صورة رجل وقال إن اسمه هو العميد (دوزير). أخبرني بأن الجنرال قد اختُطف قسراً من شقته في (فيرونا) بـ (إيطاليا)، وطلب مني أن أخبره بمكان وجوده.

في الحقيقة، كان الجنرال قد اختُطف في اليوم السابق، وكانت الأخبار قد بدأت للتو في الانتشار داخل (الولايات المتحدة). لقد اختطفته جماعات إرهابية ماركسية معروفة باسم "الألوية الحمراء"، والذين كانوا يتظاهرون بأنهم سباكون، من منزله في تمام الساعة الخامسة والنصف مساءً من يوم السابع عشر من كانون الأول. كان (دوزير) هو الضابط الأمريكي الأقدم في قاعدة قوات حلف الشمال الأطلسي البرية لجنوب أوروبا، في (فيرونا) بـ (إيطاليا). وكان أيضاً نائباً لرئيس الأركان للإمداد والإدارة.

أحد الخاطفين ضرب (دوزير) بمؤخرة مسدسه على رأسه، وأجبره على الدخول في صندوق، حملوه وجروه بصعوبة إلى شاحنة صغيرة كانت تنتظرهم. كانت الشاحنة من نوع مستأجر ولونها أزرق. أما زوجة (دوزير)، (جوديث)، فقد قُيدت يداها وقدماها بالسلاسل، ولُفَّ فمها وعيناها بشريط لاصق. فتشت المجموعة الشقة، ويُفترض أنهم كانوا يبحثون عن أسلحة ووثائق. لاحقاً، قالت الشرطة إن أربعة أشخاص هم من نفذوا عملية الخطف فعلاً، وأربعة آخرين على الأقل، من بينهم امرأة، عملوا كحراس للمراقبة. في يوم "رؤيتي"، اتصل إرهابي من "الألوية الحمراء" وقال إن عملية الخطف نُظمت من قبل "عمود البندقية" وشاركت فيها عناصر من فرق (ميلان) و(نابولي) و(روما). وأشاروا إلى (دوزير) بلقب "الجلاد". كانت هذه أول عملية تقوم بها "الألوية الحمراء" تستهدف ضابطاً عسكرياً أمريكياً.

لم تكن "رؤيتي عن بُعد" الأولى جيدة للغاية. كنت أحصل على منطقة عامة جداً لدرجة تجعلها عديمة الفائدة في تحديد موقع شخص مفقود. كان لدي إحساس بأن المكان يقع بين مدينة كبيرة جداً ذات ميناء وبين الموقع الذي أُخذ منه، وهو (فيرونا). ولكنني قلت إنه خُدع لفتح باب منزله لهؤلاء الإرهابيين لأنهم كانوا يتظاهرون بأنهم عمال إصلاح من نوع ما، بينما في الحقيقة كان الجنرال وزوجته يستعدان لحضور مناسبة مجتمعية عندما رن جرس الباب. كانا الأمريكيين الوحيدين اللذين يعيشان في المبنى السكني، لذا فإن رؤية سباكين عند الباب لم تكن لتثير أي استغراب. قال السباكون إنهم هنا لإصلاح تسرب.

وفقاً لتقييم لاحق، تجاهل الزوجان (دوزير) تنبيهين مهمين دلّا على أن شيئاً ما لم يكن على ما يرام. ففي العادة، يرن جرس الباب في الطابق السفلي قبل جرس بابهما، وكان المالك سيحذرهما من زيارة السباكين.

كنت قد ذكرتُ أيضاً أن الحادثة وقعت في المطبخ، لكنني كنت مخطئاً بشأن وجود الجنرال فقط هناك في ذلك الوقت.

عندما لم يتمكنوا من العثور على تسرب، عاد الجميع إلى المطبخ حيث كانت زوجته، (جودي)، تُعد العشاء. بمجرد أن أدار الجنرال ظهره للرجال، سحبوا الأسلحة وانقضّوا عليه.

لم أذكر أي صراع في "رؤيتي عن بُعد"، ولكن عندما سُئل الجنرال لاحقاً، صرح بأنه قاوم بالفعل، ولكن عندما رأى زوجته راكعة ومسدس موجه إلى رأسها، توقف فوراً. عندئذٍ ضربوه على رأسه، وقيدوهما بالأصفاد وعصبوا عينيهما وكمموا فميهما. تركوا زوجته، وحملوه في صندوق بحجم ثلاجة صغيرة ونقلوه إلى شقة في بلدة أخرى.

لم أكن أعرف وقت "رؤيتي عن بُعد" الأولى أن (هارتلي) و(كين) كانا يقدمان تقريباً نفس رواية عملية الخطف. على مدى عدة أيام، طُلب منا استهداف الجنرال ومحاولة جمع معلومات كافية للمساعدة في تحديد موقعه.

نظراً لأن زوجة الجنرال كانت مقيدة ومكممة، فقد مرت عدة ساعات قبل أن يتم إبلاغ السلطات باختطاف الجنرال. بحلول ذلك الوقت، كان لدى الإرهابيين مهلة ست ساعات تقريباً. باستخدام الطريق السريع (أوتوسترادا) الإيطالي، الذي كان يشبه شبكة الطرق السريعة الألمانية (أوتوبان)، وبدون تحديد للسرعة، كان بإمكانهم نقل الجنرال إلى أي مكان تقريباً في تلك المنطقة من القارة الأوروبية، بما في ذلك دول الكتلة الشرقية. كانت منطقة بحث شاسعة، ومشكلة بالغة الصعوبة.

لم نكن نعرف أيضاً في ذلك الوقت أن الشرطة الإيطالية كانت غارقة في سيل من المعلومات الواردة من عرافين - معلومات من داخل البلاد وخارجها على حد سواء. في البداية، كانوا منفتحين على استخدام المواد التي تبدو أكثر مصداقية في بحثهم. ومع ذلك، بعد تطويق عدد من الفيلات البعيدة واقتحامها، ليجدوا في كل مرة دبلوماسياً مهماً أو مسؤولاً حكومياً آخر يستمتع باهتمام شخص آخر غير زوجته، توقفوا عن الاهتمام بأي مادة ذات منشأ غيبي - والتي شملت معلومات "شعلة الشواء".

في العشرين من كانون الأول، انضم أخصائيون في مكافحة الإرهاب تابعون لوزارة الدفاع الأمريكية إلى القوات الإيطالية في عملية البحث على مستوى البلاد عن (دوزير). بالنظر إلى التجارب السابقة للإيطاليين، فقد تجاهلوا أيضاً أي تلميح بأن معلوماتنا قد تكون مختلفة عن المواد الغيبية العادية.

في الثاني والعشرين من كانون الأول، اتصل متحدث يتكلم العربية بطلاقة بوكالة الأنباء الإيطالية في (بيروت) قائلاً: "تعلن الألوية الحمراء التابعة لـ (بايدر-ماينهوف) مسؤوليتها عن حكم الإعدام وتنفيذ العقوبة بحق الجنرال الأمريكي، (جيمس دوزير)، الذي أدين من قبل محكمة الشعب. جثة الخنزير الأمريكي موجودة في قرية ريفية وستجدها الشرطة بعد الساعة الثامنة مساءً."

لكن قبل يومين من ذلك، اتفق كل من (هارتلي) و(كين) وأنا على أننا كنا نستشعر أن الجنرال ما زال محتجزاً حياً في نفس المكان وأنه لم يُنقل.

خلال الفترة الزمنية ذاتها، صرّح (هارتلي) بأنه شعر كما لو أن الجنرال محتجز داخل شيء موجود داخل شيء آخر، وأن هذا الشيء الآخر هو مادة قماشية، تشبه إلى حد كبير الخيمة. وذكر (كين) أن الجنرال مقيد بنوع من الأصفاد وسلسلة طويلة، متصلة ببعض الأنابيب. كلنا أبلغنا عن كونه حياً وقد لُصقت عيناه وفمه بشريط لاصق، مع سماعات أذن لُفَّت على أذنيه بشريط لاصق، وكأنه يُجبر على الاستماع إلى موسيقى لا يحبها.

بعد إنقاذه، تبيّن أنه كان مقيداً بالفعل بسرير نقّال (كانت حوافه الطويلة تبدو كالأنابيب لأنه بُني منها). وُضع السرير داخل خيمة، نُصبت داخل الشقة. أبلغنا بأنه لم يكن في خطر وأن معاملته كانت، إن لم تكن جيدة، فكانت على الأقل كافية، وهو ما كان صحيحاً.

في ليلة عيد الميلاد، شعرتُ بالغضب إزاء الوضع برمته. فكرة أن زميلاً لي في الجيش يمكن أن يُحتجز في مكان ما رغماً عن إرادته خلال عيد الميلاد، والخوف الذي استشعرتُه على زوجته، كل ذلك دفعني للتحفز. دخلتُ في جلسة أخرى بهدف واحد في ذهني: إعادته إلى وطنه قبل العام الجديد - حياً.

خلال جلسة "الرؤية عن بُعد" تلك، شعرتُ وكأن كل شيء قد اكتمل. شعرتُ وكأنني انغمستُ بالكامل في حالتي، وأن ما كنت أتلقاه هو "خط إشارة نقي"، كما كنا نشير أحياناً إلى مصدر كل المعلومات التي شعرنا بأنها دقيقة. بدأتُ الجلسة بصورة شبه مثالية لساحل، على الجانب الأيمن من (إيطاليا) باتجاه الشمال. ثم حصلتُ على صورة حية لجبال في الشمال والشمال الغربي. بدأتُ أشعر وكأنني أطفو فعلياً فوق المنطقة ويمكنني أن أرى مدى أو كمية ما أرغب في رؤيته. بدت المدينة الواقعة على الساحل مألوفة نوعاً ما بالنسبة لي؛ كنت أعرف أنني زرتها.

تبعتُ غريزتي وبدأتُ أبتعد عن المدينة الساحلية متجهاً غرباً على طول الطريق الرئيسي، نحو ما استشعرتُ أنها البلدة التي أُخذ منها. شعرتُ وكأنني كنت أتبع فعلياً المسار الذي سلكه خاطفوه في الأصل؛ كنت أصل إلى موقعه باتباع آثار أقدامهم.

فجأة وجدتُ نفسي أحوم مباشرة فوق بلدة كبيرة نوعاً ما، ليست بعيدة عن الساحل وتقع إلى الجنوب والجنوب الشرقي مباشرة من سلسلة جبال ضخمة. اقتربتُ أكثر من الأرض وبدأتُ أميز الطرق والمباني. تتبعتُ الطرق ووجدتُ نفسي في نهاية المطاف بالقرب من ساحة مركزية صغيرة، مقابل نوع من النافورة، والتقطتُ روائح محل جزار، ورائحة خفيفة لمكان يقومون فيه بنوع من الدباغة، أو العمل على الجلود. حصلتُ على صورة لمبنى سكني ضخم واستقريتُ على الطابق الثاني. خرجتُ من الجلسة وأنا أعلم أنه يمكنني إلى حد كبير تكرار الصور والشوارع التي رأيتها.

طلب مني فريد أن أرسم رؤاي واستذكاراتي، وهو ما فعلته. أنتجتُ خريطة شاملة تصور موقع المدينة، ويبدو أنها كانت محددة بما يكفي للقول إن المدينة هي (بادوا) (الاسم القديم لـ (بادوفا)، الواقعة للداخل مباشرة من (البندقية)). أصبح إلمامي بالمدينة الساحلية منطقياً آنذاك، فقد زرتُ (البندقية) عدة مرات ولطالما أحببتُ المدينة وسكانها. إنها مدينتي المفضلة في (إيطاليا).

سألني فريد لماذا استخدمتُ الاسم القديم (بادوا) وليس (بادوفا). علقتُ قائلاً إن ذلك يجب أن يعني أن المنطقة الأقدم من المدينة كانت أكثر أهمية من المنطقة الأحدث. ثم رسمتُ بأفضل ما يمكنني خريطة شوارع المدينة التي رأيتها، ورسمتُ الشوارع قريبة من المقياس، بأفضل ما استطعت. أشرتُ إلى موقع المبنى السكني على خريطة الشارع، وقلتُ إن الشقة التي كان محتجزاً فيها تقع في الطابق الثاني.

بعد قضاء الكثير من الوقت مع كل مشاهد، كان فريد يستطيع أن يدرك الفرق بين متى كنا نعمل على هدف عادي ومتى كنا "نعمل بكامل طاقتنا". عرف بالملاحظة أن جلستي كانت جيدة بقدر ما يمكن أن تكون. رتب بسرعة لتمرير المواد إلى الممثلين الأمريكيين على الأرض في (إيطاليا).

لم يكن قيادة جيش المخابرات والبحث هي اللاعب الرئيسي في عملية العثور على (دوزير) وتحريره. لذلك، كان هناك عدد من اللاعبين الآخرين المتورطين. كان أحدهم رجلاً يُدعى (ديل جراف). كان قد انتقل مؤخراً من تكليف في القوات الجوية إلى وكالة استخبارات الدفاع. الشيء الجيد هو أنه كان على دراية "بالرؤية عن بُعد" وكيف تُجمع المعلومات، وكذلك كيف يمكن استخدامها.

قبل اختطاف الجنرال مباشرة، تلقى (ديل) معلومات من "رائي عن بُعد" في معهد (إس آر آي) بأن مسؤولاً أمريكياً كبيراً سيُختطف في المستقبل القريب. قال الرائي أيضاً إنه سيُبعد باستخدام شاحنة صغيرة زرقاء عليها علامات بيضاء من قبل أشخاص بملامح البحر الأبيض المتوسط. كان هذا الرائي قد حصل على المعلومة أثناء قيامه "برؤية عن بُعد" تنبؤية/وقائية لدعم عملية بحث عن إرهابي آخر مشتبه به كان طليقاً في ذلك الوقت، وهو الإرهابي سيئ السمعة المعروف باسم (كارلوس ابن آوى).

أثبتت المعلومات الأخرى التي قدمها "الرائي عن بُعد" التابع لـ (إس آر آي) أنها دقيقة بنفس القدر، لكن الإدارة تجاهلتها إلى حد ما. كانت المشكلة هي أن الكثير من العرافين كانوا يرسلون معلومات، وبدأ يصبح من الصعب تمييز الغث من السمين.

قرر شخص في وكالة استخبارات الدفاع، رأى مدى فعالية مواد "شعلة الشواء" على أهداف أخرى، أن يرسل عرافه الخاص إلى (إيطاليا) ويديره في الموقع. لم يسفر هذا إلا عن إحراج فرق مكافحة الإرهاب الإيطالية عندما داهموا منازل مدنيين أبرياء. كما قدم ذلك العراف تحديداً الكثير من المطالب الخاصة فيما يتعلق بمعاملته، مما جعله عبئاً إضافياً، وزاد من استياء الناس في الموقع بشكل أسوأ.

لأن (ديل) كان لديه ارتباط طويل بموادنا وكان يتعامل مع معلومات "الرؤية عن بُعد" التي تصل إلى وكالة استخبارات الدفاع، ولأنه كان يعلم بالفعل أن السلطات المحلية في (إيطاليا) ربما لن تستخدمها ما لم تكن دقيقة بشكل قاطع، فقد اختار المواد بعناية فائقة. وبفعله ذلك، وجد أحدث "رؤية" لي، مع الرسومات والمخططات المصاحبة لشوارع بالقرب من المبنى السكني الذي وصفته. والمدهش أنها كانت تتطابق تقريباً تماماً مع خرائط البحث التي كانت الشرطة الإيطالية تستخدمها للبحث في منطقة (بادوفا). بدأ في اتخاذ ترتيبات لحمل رسومات ومواد "الرؤية عن بُعد" بنفسه إلى (إيطاليا). أُحبط (ديل) في هذا المسعى من قبل المسؤولين الأمريكيين في الموقع في (إيطاليا)، الذين سئموا الآن من كل التدخل الغيبي السابق ولم يعودوا يريدون المزيد منه. لذا، لم تُرسل معلوماتي أبداً إلى (إيطاليا)، على الرغم من أنني كنت أعتقد حتى وقت قريب أنها أُرسلت.

بعد حوالي اثنان وأربعون يوماً من اختطافه، أُطلق سراح الجنرال (دوزير) من خاطفيه سالماً في (بادوفا) بـ (إيطاليا). كانت جميع رسوماتي دقيقة وكانت ستساهم بشكل كبير في العثور على المبنى والطابق الذي كان محتجزاً فيه. عندما عُرضت موادنا لاحقاً على الجنرال (دوزير)، صرح بأنها، في رأيه وفيما يتعلق بذاكرته الخاصة، كانت دقيقة بشكل كبير، وأن "محتوى الأفكار" الأكثر شخصية كان مذهلاً. كانت اقتراحه الوحيد لمدير مشروعنا في ذلك الوقت هو التفكير في تصميم فصل دراسي قصير يمكن فيه تدريب العسكريين والمدنيين الأمريكيين رفيعي المستوى على كيفية التفكير وماذا يفكرون، أثناء احتجازهم كأسرى.

كان واضحاً من تعليقاته أن المعلومات الواردة في تقاريرنا نبعت من أفكاره هو أثناء احتجازه ـــ معصوب العينين، وشريط لاصق على فمه، ومُجبَر على الاستماع إلى موسيقى صاخبة وإيقاعات معدنية عبر سماعات الرأس، على بعد آلاف الأميال من غرفنا الصغيرة المخصصة لـ "الرؤية عن بُعد" تحت أشجار البلوط في حصن ميد بـ (ميريلاند).

عملية الغواصة الضخمة (التايفون) وتجاهل الاستخبارات

قبل عام ألف وتسعمائة وواحد وثمانين، شاركتُ في مشروع آخر أسهم، ولو بدرجة صغيرة، في زيادة عدد الأعداء المُعلنين للمشروع.

أحد أول الأهداف العملياتية التي طُرحت على البرنامج، في حوالي أيلول من عام ألف وتسعمائة وتسعة وسبعين، كان مصدره مجلس الأمن القومي. لقد كان قائد بحري برتبة ملازم أول، مُعيَّن في المجلس، وقد شاهد بعض تقارير أمن العمليات السابقة، وكان متحمساً لاستخدام "الرؤية عن بُعد" لأغراض جمع المعلومات الاستخباراتية الهجومية. أحضر صورة لمبنى ضخم كان من الواضح أنه ذو طابع صناعي، لغرض استهدافه وتطوير المعلومات حوله. لُوحظ أن المبنى يقع بالقرب من مسطح مائي كبير، ولكن هذا كان كل ما يمكن معرفته عنه. كانت المواد مكدسة خارج المبنى، لكنها كانت ذات طبيعة عامة ولم تضف أي أدلة حول ما قد يحدث في الداخل. كان المبنى ضخماً، وموسوماً بالرقم أربعمائة واثنين، ويقع في مكان ما من (روسيا). (اكتشفنا لاحقاً بكثير أن المرفق كان يقع في ميناء سيفيرودفينسك، على البحر الأبيض، قريباً جداً من الدائرة القطبية الشمالية). كان مجلس الأمن القومي مهتماً جداً بمعرفة ما يدور في الداخل تحديداً.

في جلستي الأولى ضد المبنى، أُعطيتُ مجموعة من الإحداثيات الجغرافية، التي كانت بوضوح في الشمال، ربما في منطقة (فنلندا) أو الكتلة الشرقية.

بدأتُ الجلسة بالإبلاغ عن أنها أرض قاحلة وباردة جداً. ولكن بداخلها يوجد مبنى صناعي ضخم ذو مداخن هائلة، وعلى مسافة ليست بعيدة، يوجد بحر مغطى بطبقة سميكة من الجليد.

بما أنني كنت بوضوح في المكان الصحيح وعلى الهدف الصحيح، أراني فريد صورة المبنى، الذي بدا لي وكأنه حظيرة تخزين كبيرة جداً، مبنى واسع بلا سقف مميز. سألني فريد عما قد يحدث بداخله.

أمضيتُ بعض الوقت أسترخي وأُفرغ ذهني. ثم، وعيناي مغلقتان، تخيلتُ نفسي أنجرف نزولاً إلى داخل المبنى، عابراً للأسفل من خلال سقفه. ما وجدته كان مذهلاً. كان المبنى بسهولة بحجم مركزين أو ثلاثة مراكز تسوق ضخمة، كلها تحت سقف واحد. في الواقع، كان ضخماً جداً لدرجة أنني لم أتمكن من رؤية سوى جدار واحد أو جدارين يمتدان طولياً في المنتصف كجدران دعم. حتى هذه كانت مفتوحة في أجزاء على طول امتدادها. شعرتُ وكأنني أقف داخل المبنى وأستطيع أن أرى بوضوح فعلياً ما يجري. نادراً ما يحدث هذا في "الرؤية عن بُعد"، ولكن لسبب ما كان يحدث مع هذا الهدف.

في خلجان عملاقة بين الجدران كانت هناك ما يشبه السيجار بأحجام مختلفة، موضوعة في أرفف عملاقة. بدا أحدها أقدم وشعرتُ وكأنه قيد الإصلاح، لكن الآخر كان هائلاً للغاية، يفوق أي شيء كان يمكن أن أتخيله. كانت متاهات كثيفة من السقالات وأنابيب الصلب المتشابكة في كل مكان. بداخل هذه كانت هناك ما يبدو أنه اسطوانتان ضخمتان يتم لحامهما جنباً إلى جنب، وكان لدي شعور طاغٍ بأن هذه غواصة، غواصة كبيرة جداً، ذات بدن مزدوج. كانت المنطقة بأكملها مليئة بضجيج صاخب وأصوات آلات مرتفعة. امتلأ الهواء بالدخان من عشرات الأقواس الضوئية الساطعة جداً التي تُطلق ومضات زرقاء لامعة. كان هناك الكثير من المدخلات، حتى أن البدء في الإبلاغ عما كنت أراه كان صعباً. قمت ببعض الرسومات العامة الرديئة جداً لملامح الأجزاء التي أدركتها في الداخل وقلت إنني أعتقد أن هناك سفينة أو شيئاً ما، ربما غواصة، قيد الإنشاء داخل المبنى.

بعد يومين أو ثلاثة، طلب مني فريد زيارة المبنى مرة أخرى.

ما لم أكن أعرفه هو أن جلستي أُبلغ عنها إلى مجلس الأمن القومي وأثارت بعض الخلاف. كان الاعتقاد شبه بالإجماع في ذلك الوقت، لدى جميع وكالات جمع المعلومات الاستخباراتية التي تعمل ضد المبنى، هو أن (السوفييت) كانوا يبنون نوعاً جديداً تماماً من سفن الهجوم - ناقلة جنود، وربما تكون ذات قدرة على حمل طائرات مروحية. كانت الغواصة مستبعدة تماماً.

في زيارتي الثانية، اقتربتُ جداً من السفينة الأكبر ودهشت من حجمها وارتفاعها. أثناء تحليقي بجانبها، خمنتُ أن طولها يبلغ حوالي ضعف طول ملعب كرة القدم الأمريكية وعرضها سبعون قدماً تقريباً، وارتفاعها ستة أو سبعة طوابق على الأقل (لو كانت بجوار مبنى سكني عادي). من الواضح أنها كانت مكونة من أنبوبين ضخمين ممدودين يسيران جنباً إلى جنب بطولها بالكامل تقريباً. (لم أكن أعتقد أن هذا ممكن مع الغواصات). بدا أن هناك أنابيب أو مقصورات منفصلة أخرى أيضاً. كانت محركاتها الرئيسية مغطاة بالكامل وبدت مختلفة تماماً عن المعتاد. انتقلتُ إلى فوق سطحها وتفاجأت برؤية أنها تحتوي على أنابيب صواريخ مائلة تسير جنباً إلى جنب. كان هذا أمراً بالغ الأهمية لأنه يشير إلى أن لديها القدرة على الإطلاق أثناء الحركة بدلاً من الاضطرار إلى التوقف في الماء، مما جعلها نوعاً خطيراً جداً من الغواصات. كانت ضخمة جداً وكانت هياكلها سميكة للغاية، وكان واضحاً أنهم كانوا يستخدمون شكلاً جديداً من لحامات البلازما لدمج صفائح الصلب معاً.

بعد الجلسة، قمت برسم مفصل جداً للغواصة، مضيفاً الأبعاد، وكذلك الإشارة إلى الأنابيب المائلة، مشيراً إلى ما بين ثمانية عشر وعشرين أنبوباً في المجموع. هذه المواد، جنباً إلى جنب مع النص المطبوع لجلستي، والمواد الإضافية المؤكدة من "الرؤية عن بُعد" التي أنتجها (هارتلي)، أُرسلت إلى القائد البحري الملازم أول في مجلس الأمن القومي.

(قيل لنا إن المواد التي قدمناها رُفضت فعلياً بشكل قاطع من قبل الآخرين الذين يعملون في مجلس الأمن القومي. من الأهمية بمكان أن نلاحظ هنا أن أحد هؤلاء "الآخرين" الذين كانوا يعملون في مجلس الأمن القومي في ذلك الوقت ويشاركون في جمع المواد المتعلقة بهذه المشكلة المحددة كان روبرت جيتس. أصبح جيتس في يوم من الأيام نائباً لمدير وكالة الاستخبارات المركزية. لاحقاً ظهر أمام الكاميرات في برنامج (نايت-لاين) لـ (تيد كوبيل) في عام ألف وتسعمائة وخمسة وتسعين، عندما كُشف النقاب عن مشروع "ستار جيت" علناً وعمداً للجمهور وسُخر منه بشكل منهجي، وقال إن أي "رؤية عن بُعد" لم تُجرَ أبداً وكانت "بالغة الأهمية للمصالح الوطنية"، و لم تُستخدم مواد "الرؤية عن بُعد" في أي وقت كمادة قائمة بذاتها"**).

سرعان ما تلقينا طلباً متابعاً من القائد البحري الملازم أول للعودة إلى الهدف ومحاولة تقديم وقت تقديري للانتهاء من الغواصة الأكبر. كان واضحاً أن إحدى المشاكل كانت تتعلق بحقيقة أن المبنى الذي تُبنى فيه الغواصة العملاقة كان يقع بالفعل على مسافة ما من الماء.

عدتُ لزيارة الموقع، واستناداً إلى سرعة البناء والاختلافات في حالة الغواصة من جلسة إلى أخرى، خمنتُ أنها ستكون جاهزة للإطلاق بعد حوالي أربعة أشهر - أي في وقت ما من شهر كانون الثاني - وهو وقت جنوني للغاية من العام لإطلاق غواصة من مبنى غير متصل بالماء، بالقرب من بحر متجمد بطبقات سميكة من الجليد. (أبلغتُ أنه سرعان ما ستصل طواقم من الجرافات وأنواع أخرى من المعدات الثقيلة لقطع قناة تؤدي إلى البحر). استمتع الأشخاص في مجلس الأمن القومي كثيراً بالسخرية من "الاستخبارات الغيبية".

أظهرت صور الأقمار الصناعية التي التُقطت للمرفق في منتصف كانون الثاني من عام ألف وتسعمائة وثمانين قناة جديدة تمتد بمحاذاة المبنى وخارجة إلى البحر. كانت تقف على الرصيف القاذفة الجديدة والضخمة، التي لم يسبق رؤيتها من قبل. وإلى جانبها كانت ترسو الغواصة الهجومية من فئة (أوسكار)، التي تقلص حجمها الآن إلى حد ما، والتي كانت قيد الإصلاح في الخليج الآخر. كان واضحاً في الصور عشرون أنبوب صاروخي مائل. أُطلق على الغواصة الجديدة كلياً اسم فئة تايفون، تكريماً لكمية المياه التي أزاحتها.

نعلم الآن أن غواصة (التايفون) هي أكبر غواصة بُنيت على الإطلاق. بُنيت في حوض بناء السفن في (سيفيرودفينسك) على البحر الأبيض بالقرب من (أرخانجيل)، وقد انتقلت الأولى إلى الماء للتجارب البحرية في أوائل عام ألف وتسعمائة وثمانين، وكُلفت في عام ألف وتسعمائة وواحد وثمانين. تبعتها غواصات أخرى في السنوات اللاحقة. الغواصة معروفة الآن بأنها متعددة البدن، وتتكون من خمسة أجزاء داخلية للهيكل بُنيت ضمن هيكل علوي يتكون من بدن رئيسي متوازيين. تحمل الغواصة عشرين صاروخاً باليستياً عابراً للقارات، تقع في صفين من أنابيب الإطلاق أمام الشراع الرئيسي بين جزأي البدن. هذه الصواريخ قادرة على حمل رؤوس حربية نووية. يبلغ طول الغواصة مائة واثنان وسبعون متراً وعرضها ثلاثة وعشرون متراً وثلاثة من عشرة (أي حوالي مرة وخمسة وسبعين بالمائة من حجم ملعب كرة قدم أمريكية طولاً، وحوالي سبعين قدماً ارتفاعاً، أو ما يقرب من ستة طوابق ونصف).

شكلت هذه الغواصة الجديدة تهديداً كبيراً ومميزاً جديداً لأمننا القومي. كان بإمكانها استهداف مائتي مدينة أمريكية.

تضررت أي آمال في أن يُنظر إلى "الرؤية عن بُعد" على أنها ذات قيمة من قبل مجلس الأمن القومي بشدة عندما سمعنا لاحقاً أن البعض اعتقد أن مادتي كانت مجرد "تخمين محظوظ". ربما كان هذا هو وجهة نظر محلل روسي من وكالة الاستخبارات المركزية مُعار لمجلس الأمن القومي في ذلك الوقت، والذي سيقوم لاحقاً بالسخرية من المشروع باعتباره عديم الفائدة، ولم ينتج أبداً أي شيء ذي أهمية وطنية. هل يمكن أن يكون الإحراج هو السبب في أن شخصاً جالساً في غرفة صغيرة في مبنى مهجور في مكان ما في حصن (ميد) يمكنه اختراق ما لم تستطع كل تكنولوجيا الاستخبارات الحديثة اختراقه؟ هل يمكن أن يكون ذلك تهديداً لميزانيات تبلغ مليارات الدولارات لأشكال أحدث من التكنولوجيا؟ لقد فكرتُ لسنوات عديدة في الأمر. استنتاجي هو أنه لم يكن يتعلق في الحقيقة بأكثر من الوقوع على أصابع قلة من الأفراد المتغطرسين، الذين كانوا في ذلك الوقت مكشوفين على مستوى حكومي كبير، ولم يتمكنوا من تجاوز ناقلات الجنود الافتراضية دون مساعدة "الرؤية عن بُعد". ببساطة، قدمنا معلومات ذات أهمية على المستوى الوطني في وقت كانت فيه غير متاحة من أي مصدر آخر، وهو أمر قال عنه البعض آنذاك - وما زالوا يقولون اليوم - إن "الرائي عن بُعد" الجيد لا يمكنه فعله.

الفصل التاسع: دوامة الانحدار

ملأ بقية عام ألف وتسعمائة وواحد وثمانين قائمة متزايدة من كل من العملاء والأهداف. بدأت صحتي تعاني من مشاكل متزايدة نتيجة لزيادة الضغط ونقص التمارين الرياضية. حتى منتصف عام ألف وتسعمائة وثمانين تقريباً، كنت أقضي وقتاً كبيراً في صالة الألعاب الرياضية في حصن (ميد)، وعادة ما أتمرن خلال ساعة الغداء. وجدت أن التمارين الرياضية الشاقة من أي نوع كانت نقطة توازن ممتازة للاستلقاء على ظهري. كنت أنا وسكوتي وفريد نلعب أحياناً ثلاث جولات مما أطلقنا عليه "كرة المضرب القتالية" خلال ساعة الغداء. وهي حيث يكون دائماً اثنان ضد الرجل الذي لديه الضربة التالية للكرة. كان حجب الجسم بالكامل مناسباً، والارتطام بالجسم على الحائط، كما هو الحال في هوكي الجليد، رغم أنه كان مكروهاً، إلا أنه كان يُستخدم عادة بفعالية كبيرة. بالنظر إلى أن سكوتي كان أكبر مني حجماً، وكان فريد هو الأصغر بيننا الثلاثة فعلياً، فقد كنت معجباً بأسلوب لعب فريد. كان فريد يمتلك مهارة حقيقية! كان سكوتي يستطيع تسديد ضربة علوية ساقطة بثلاثة جدران مع جسمه موازياً للأرض بسهولة. من ناحية أخرى، كانت ضرباتي الخلفية أقواساً متوهجة من المعدن الأزرق الضبابي (لون مضربي). كانت القاعدة رقم واحد في كرة المضرب القتالية هي ألا تدير ظهرك أبداً - أبداً - أبداً لترى أين الكرة.

في إحدى الأيام، كان لعبنا هو الأفضل الذي رأيته على الإطلاق. كان الناس يشاهدون من شرفة المتفرجين في الطابق العلوي. كنا في حالة اندفاع، مع استرداد تلو استرداد، واستشعرتُ أن إيقاعاً يتطور - ربما ثلثا ثانية بين اللقطات - تصل فيها سرعة الكرة ربما إلى مائة وخمسة وسبعين ميلاً في الساعة. عندما جاء دوري مرة أخرى، تركتها تمر، عازماً على أخذها من الحائط، وكسر الإيقاع. عندما استدرت لألتقطها عند ارتدادها، كان ظهري لبقية الملعب. انطلقت الكرة بقوة من الحائط الخلفي وضربتها بضربتي الخلفية المتوهجة، والتي دخل فيها فريد (الذي كان قد استدار ليرى ما كان يحدث) مباشرة. نظراً لأنني كنت أدير مضربي دائماً بزاوية كاملة من تسعين إلى مائة وعشرين درجة لوضع دوران سفلي على الكرة، كان وجه مضربي موازياً للأرض عندما اصطدم حافته بوجه فريد، فوق عينه مباشرة. يا لها من ضربة رائعة - ويا لها من كمية كبيرة من الدم. وقف فريد لثوانٍ قليلة؛ بدت عيناه غريبتين جداً، ثم جلس للتو. اعتقدت أنني قتلته.

تبين أنها كانت جرحاً كبيراً بدا أسوأ بكثير مما كان عليه في الواقع. لقد اصطدم بحافة مضربي القصوى. لو اصطدم بوجهه كاملاً، لربما كان سيحتاج إلى بضعة أسابيع من الجراحة المجهرية لإزالة علامات النسيج. لم يكن غاضباً، لكنني كنت مذعوراً تماماً. توقفت عن لعب كرة المضرب. كان من الصعب جداً الحصول على وقت لأي شيء على أي حال.

ولكن الآن لم أعد أمارس الرياضة، كنت أقضي ساعات مضغوطاً في العمل، وساعات مضغوطاً في الازدحام المروري، ونظراً للساعات التي كنت أغادر فيها وأصل، فقد فات نظامي الغذائي الأوان منذ زمن بعيد. بدأت أكتسب وزناً، وإصابة القرص التي عانيت منها في (فيتنام) في عام ألف وتسعمائة وثمانية وستين بدأت تعاود الظهور. كنت قد عانيت من مشاكل خطيرة في الأقراص نتيجة لضغط مفاجئ في حادث تحطم طائرة مروحية.
تعرضت بعض فقراتي للكسر والتهشم بشكل كامل، وكانت معظم أقراص الفصل إما ممزقة بالفعل أو متحللة، وتم تدوير فقرة بين الفراغ القرصي (سيه سبعة) و (سيه ثمانية) بأكثر من ثلاثين درجة عن المحاذاة. بدأ ظهري السفلي يسبب لي نوبات ألم - أنا متأكد من أنها بسبب الإجهاد والقيادة. بدأ الضغط الناتج عن مشاكل الأقراص هذه في إحداث خدر كبير في ساقي اليسرى، وركي، وفخذي، بالإضافة إلى الوخز والخدر في كلتا يدي، وذراعي، وأجزاء من وجهي. رافق ذلك قدر كبير من الألم - خاصة في الأيام الباردة أو الرطبة.

بدأ (هارتلي) يعاني من ألم حاد في وركه الأيسر. كنا نجلس أحياناً ونتحدث مع بعضنا البعض عن مدى سوء الشعور. بدأت أكتسب وزناً أكبر نتيجة لحقن الستيرويد التي بدأوا يعطونها لي في مستشفى جيش (كيمبرو).

لم يمض وقت طويل حتى بدأت القيادة تتحدث معي عن وزني وحالتي. كدت أن أتوقف عن تناول الطعام، لأن هذه كانت الطريقة الوحيدة التي يمكنني بها الحفاظ على وزني تحت الحد الأقصى العسكري. أضاف هذا مزيداً إلى حالتي البدنية بجعلي متعباً بشكل غير عادي طوال الوقت. في هذه الأثناء، ساءت حالة (هارتلي).

في نهاية المطاف، اتصل الطبيب في (كيمبرو) بقائدي وأخبره بأنني سأوضع تحت المراقبة بسبب كل من وزني ومشاكلي الطبية. لم يتمكنوا من العثور على حل لإصلاح ظهري المتهالك. من ناحية أخرى، كنت أتعلم القيام "بالرؤية عن بُعد" على الرغم من الألم. هذا عندما لاحظت شيئاً. إذا كان بإمكاني تعلم القيام "بالرؤية عن بُعد" على الرغم من الألم الذي يخدر العقل، فعندئذ يجب أن أكون قادراً على القيام "بالرؤية عن بُعد" على الرغم من أي شيء تقريباً.

(لفترة طويلة انزعجت من المبالغات التي بدا أن الجميع يذهبون إليها لتحسين قدراتهم على "الرؤية عن بُعد". أولاً سددنا النوافذ في غرفة "الرؤية" حتى لا نتمكن من سماع زقزقة الطيور في الأشجار في الخارج. ثم خفضنا الإضاءة إلى مستوى يكاد لا يمكنك المشي عبر الغرفة به. كنا نضيف باستمرار إلى قائمة طويلة، كان الكثير منها يعتمد على التوصيات التي يقدمها مختبر (إس آر آي). أزلنا كل شيء من الغرفة ما عدا طاولة للقيام بالرسومات، وكرسي أسنان، اشتريناه في مزاد. كان الكرسي رائعاً نوعاً ما، في الواقع. كان بإمكانك الميل للخلف فيه؛ كان شبه مصبوب ليناسب جسمك؛ وكان مريحاً حقاً. حتى أنهم قالوا بطلاء كل شيء في الغرفة باللون الرمادي - الجدران، والسقف، والطاولة. كان الكرسي رمادياً بالفعل. حتى أننا وضعنا سجادة كانت قريبة من نفس ظل اللون الرمادي. الدخول إلى الغرفة تحت إضاءة منخفضة كان يمكن أن يسبب لك الدوار إذا لم تكن حذراً. على أي حال، بدأت أستاء من ذلك. بدأت أنظر إلى القوائم الطويلة من "ما يجب فعله" على أنها ببساطة قائمة معدة سلفاً للفشل. عندما تفسد "رؤية عن بُعد"، يمكنك دائماً العثور على سبب في القائمة لسبب فشلها. بدأت أزيد الإضاءة، وأجلس على الطاولة، وحتى أقوم ببعض عملي الأولي قبل الحصول على الهدف أثناء الجلوس على مكتبي عبر الشارع. كان واضحاً بالنسبة لي أنه إذا لم تتمكن من القيام بهذا الشيء المسمى "الرؤية عن بُعد" تحت أي ظروف، فلن تكون له قيمة تذكر في الشارع أو في منطقة حرب. الشيء المضحك هو أن "رؤيتي" تحسنت إلى حد ما. وصلت في النهاية إلى النقطة التي يمكنني فيها القيام "بالرؤية عن بُعد" في أي مكان تقريباً في أي وقت وتحت أي ظروف. بمجرد أن وصلت إلى تلك النقطة، كان الأمر يتعلق ببساطة بالانتباه إلى المهمة وإنجازها).

بعد بضعة أشهر من الجدال، اتصل بي الطبيب في مستشفى (كيمبرو) ذات يوم وأخبرني أنه سيوصي رسمياً بتسريحي طبياً لما فيه مصلحة الخدمة. كان واضحاً أنه بسبب ظهري، كنت غير قادر على أداء واجباتي كجندي. وقد أبلغ القيادة الفرعية بذلك.

خلق هذا مشكلة شخصية كبيرة بالنسبة لي. من الواضح أن القيادة الفرعية كانت ستدعمه لأنهم أرادوا استعادة منصبي كضابط فني حيث ينتمي في منطقتي المهنية الأساسية. ما لا يعرفه معظم الناس، مع ذلك، هو أن هذه أحياناً خطوة يتخذها الجيش كشكل من أشكال العقاب غير المباشر. من الواضح أنني أغضبت الطبيب في (كيمبرو) لعدم تحسني أبداً، بغض النظر عما فعله، وهو ما كان انعكاساً على نموذج تقييمه الخاص كضابط وله تأثير مباشر على ترقيته ومكانة غروره ضمن مخطط الأمور.

ما سبب اعتباره عقاباً غير مباشر؟

- إذا تقاعدت (في ذلك الوقت كنت سأكون مؤهلاً للتقاعد في غضون عامين وثلاثة أشهر)، كنت سأحصل على معاش تقاعدي كامل كضابط فني رئيسي.
- إذا تقاعدت طبياً قبل أن أصل إلى عامي الثامن عشر، فلن أكون مؤهلاً لذلك الشيك التقاعدي إذا تغير وضعي لاحقاً طبياً.
- بمجرد تسريحي طبياً بأقل من ثمانية عشر عاماً من الخدمة، كنت سأحصل على تقييم إعاقة أقل من أربعين بالمائة لمشاكلي في الظهر، وهو ما كان سيعادل حوالي ثلث راتبي التقاعدي المحتمل (فوز واحد لنظام الجيش).
- إذا، بعد تسريحي طبياً، تم إصلاح مشكلتي الطبية في نهاية المطاف - بعبارة أخرى، في رأيهم، أصبحت مشكلة أقل من خلال تطبيق أدوية قوية - فسيتم تخفيض تقييم إعاقتي إلى أقل من عشرين بالمائة، وربما إلى عشرة بالمائة - أي ما يعادل الآن أقل من عُشر راتبي التقاعدي المحتمل (فوز ثانٍ في عمود الجيش).
- إذا قاموا بإلغاء المشكلة تماماً، فلن أحصل على أي مدفوعات إعاقة على الإطلاق ولا تقاعد، لأنني لن أكون قد وصلت إلى عامي الثامن عشر (فوز ثالث لمحاسبي الجيش، ورباعي، وكش ملك).

على الرغم من أن هذا قد يبدو مستحيلاً للكثيرين، فقد فُعل بمئات من المحاربين القدامى العسكريين، ضباطاً ومجندين على حد سواء، على مر السنين - لكنه لم يكن ليحدث لي.

تحديت الطبيب باللوائح، التي نصت ببساطة على أنه إذا كان بإمكاني اجتياز اختبار اللياقة البدنية السنوي للفئة العمرية الخاصة بي، فإن الجيش يعتبرني بصحة جيدة بما يكفي للخدمة. في ذلك الوقت كان هذا الاختبار يتطلب الجري في عدد من مسارات العقبات في أوقات دنيا، والقيام بحد أدنى من العقلة، وعدد أدنى من تمارين الضغط، وإنهاء جري الميلين في غضون وقت محدد مرتدياً الزي الرسمي (زي العمليات الميدانية) وأحذية القتال. على الرغم من أنني كنت أستخدم عصا في ذلك الوقت ولا يمكنني الدخول والخروج من السيارة دون مساعدة، فقد فكرتُ أنه يمكنني فعل أي شيء تقريباً لتحمل يوم واحد من الألم.

أخذت إجازة في اليوم السابق ليوم الاختبار البدني ورأيت طبيباً خاصاً وصف لي أدوية مسكنة للألم. في اليوم التالي، حضرت وخضعت للاختبارات. يمكنني أن أقول بصدق إن الشيء الوحيد الذي جعلني أتجاوز اليوم هو ما تعلمته عن التأمل من خلال "الرؤية عن بُعد". وضعت نفسي في حالة عقلية فصلتني تماماً عما كنت فيه وما كنت أفعله. كانت جري الميلين هو الذي أضر بظهري السفلي. لقد أنهيته بالفعل في الوقت المخصص، ولكن عندما جلست في العشب لم تتوقف ساقي اليسرى عن الجري، وكنت أيضاً على وشك الإغماء من الألم. رأى كين ما كان يحدث وجاء وجلس على ساقي اليسرى حتى نفد منها البخار في نهاية المطاف، طوال الوقت كان يتحدث معي وكأن شيئاً لم يحدث، بينما كانت عيناي ترتفعان إلى الخلف في رأسي وكنت بالكاد واعياً بما يجري حولي. بعد وقت قصير، حمل كين بطاقتي وسلمها لي، ثم بعد مغادرة معظم الناس، ساعدني على شق طريقي إلى سيارتي. اتصلت بسكوتي في صباح اليوم التالي، وأخذت إجازة طارئة لمدة أربعة أيام لعمل شخصي، وسجلت نفسي في عيادة خاصة للتحكم في الألم. استسلم الطبيب في (كيمبرو)، لكن الأفراد في القيادة الفرعية أكدوا من جديد رغبتهم في إخفائي من قوائمهم.

أثناء وجودي في العيادة، أوصى شخص ما بأنني قد أرغب في التحقق من عيادة الألم في مركز والتر ريد الطبي العسكري - الذي يبدو أن لا أحد في الجيش يعرف بوجوده. فعلت ذلك في الأسابيع التالية وعولجت هناك من قبل طبيب صيني باستخدام الوخز بالإبر. لم يتمكن من تصحيح جميع المشاكل التي كنت أعاني منها، لكنه قلل من آلام ظهري إلى مستوى يمكن التحكم فيه دون عقاقير. كان هذا مهماً، لأنه سمح لي بالاستمرار بذهن صافٍ في "الرؤية عن بُعد" في الوحدة.

كان مصير (هارتلي) أسوأ بكثير مني، لأن الفحص اللاحق لألم ساقه أثبت أنه نتيجة للسرطان الذي تطور في كتلة العضلات وعظام وركه. عندما بدأ يذهب إلى مركز (والتر ريد) الطبي لأول مرة، اعتقدوا أنه كان يعاني في الأساس مما كنت أتعامل معه، مشاكل في الأقراص. بعد علاجات عديدة، قرروا إجراء عملية جراحية لتصحيح المشكلة. عندما فتحوه لم يجدوا أي مشاكل في قرصه. بعد العملية استمر في ارتفاع درجة حرارته بشكل منخفض واكتشفوا في النهاية الكتلة في ساقه العليا وشخصوا إصابته بـ داء هودجكين. أصبحنا أصدقاء مقربين أكثر. مر بجميع علاجات الإشعاع والعلاج الكيميائي، ولكن دون جدوى. تلاشت "رؤيته عن بُعد" بسرعة إلى لا شيء، لكننا استمرينا في قضاء قدر كبير من الوقت معاً. كان يأتي إلى المكتب ونتحدث بفلسفية. كان كين ينضم إلى المحادثات أيضاً. عندما ساءت حالة (هارتلي)، لم يعد بإمكانه الجلوس لفترات طويلة، لذا كنت أنا وكين نسليه بينما كان يستلقي على الأريكة في إحدى الشقق التي يمتلكها وقمنا بإعادة طلاء السقف والجدران. في إحدى ظهائر يوم السبت، أعدنا أنا وكين طلاء نفس الغرفة ثلاث مرات، بلونين مختلفين - اللون أ، ثم اللون ب، ثم العودة إلى اللون أ. لم يلاحظ أبداً، أو لاحظ واستمتع بمشاهدتنا نفعل ذلك. كان (هارتلي) رجلاً صالحاً، بحاراً جيداً، صديقاً مقرباً، و"رائياً عن بُعد" عظيماً بحق. عندما يقلل الناس من شأن "الرؤية عن بُعد" من خلال السخرية أو التشويه، أفكر في (جاكي كيث) و(هارتلي ترينت) ويثير ذلك غضبي.

عندما توفي (هارتلي) أخيراً، كنت أقف بجوار سريره مع زوجته، في المستشفى بالقرب من المكان الذي كان يعيش فيه في (ميريلاند). كان يهذي، ويفقد الوعي ويعود إليه لأكثر من يوم.

عندما اقتربت نهايته، فُتحت عيناه فجأة وابتسم لنا. قال: "إنه جميل جداً المكان الذي سأذهب إليه". ثم علق على مدى امتلاء الغرفة بجميع أصدقائه (لم يكن يقف هناك سوى زوجته وأنا. كان واضحاً لي أن الكثير من الأشخاص الذين عرفهم قد أتوا لوداعه أو كانوا هناك لاستقباله عندما فارق الحياة. بدا أنه يوم سعيد بالنسبة له. لا مزيد من الألم. بالنسبة لي، لم يكن هناك سوى فجوة كبيرة جداً في روحي ستستغرق وقتاً طويلاً للاعتياد عليها).

إحدى حقائق الحياة العسكرية هي الخسارة. معدل الطلاق أعلى بثلاث مرات مما هو عليه في العالم المدني. يأتي من التواجد في وظيفة تتضمن اتخاذ قرارات تتعلق بالحياة والموت - أحياناً على أساس يومي أو أحياناً مع فترات طويلة من الملل والإحباط الذي يخدر العقل بينهما. تعني آثار الطلاق الانفصال عن بقية أفراد العائلة - أطفالك. إذا نجوت بطريقة ما من تهديد الطلاق، فسوف تقضي سنوات بعيداً عن أولئك الذين تحبهم، في أماكن لا ينبغي لأحد أن يضطر إلى التحدث عنها، ناهيك عن تحملها. ثم هناك فقدان الأصدقاء. عشرون إلى ثلاثون عاماً في الجيش تقتل الناس. إذا لم تر أصدقاءك ممزقين في ساحة المعركة، فسيموت الكثيرون على طول الطريق بسبب الإجهاد والجروح والمضاعفات، وعادة ما تكون نتيجة التعرض لأمراض نادرة، وعوامل كيميائية، وملوثات بيولوجية، وأشياء مثل "العامل البرتقالي". في معظم الحالات، لا يملك الجندي وقتاً للحزن. يجب إنهاء المهمة، ولو لسبب لا يقل أهمية عن تكريم أولئك الذين ماتوا بالفعل وهم يحاولون إنجازها.

ماذا يحدث لكل هذا الحزن؟ تضعه بعيداً في مكان ما في مؤخرة عقلك، وتدفنه تحت طبقات من الندوب المتصلبة من سنوات من الخبرات المتراكمة. قبل أن يُسحق به، يتعلم الجندي استخدام حزنه كدافع. يستخدمه لإنتاج الغضب أو السخط للتعويض عن الإحباط المتكرر والمشاعر المريرة التي تتطور في نهاية المطاف من التجربة. لكن، هناك شيء واحد لا يفعله الجنود أبداً. إنهم لا يأخذون الوقت الكافي لمعالجة الخسارة. يمتصونها ويمضون قدماً، يضعون قدماً أمام الأخرى. بمرور الوقت، يصبح الحزن الذي جمعوه ودفنوه عظيماً جداً لدرجة أنه لا يمكن معالجته أبداً. فتح الباب لتلك المشاعر سيكون مثل شق وجه سد. بمجرد أن يبدأ الماء في التدفق، لن تكون هناك طريقة لإيقافه.

وضعتُ (هارتلي) وشعوري تجاهه مع أصدقائي الآخرين ومضيت قدماً، واضعاً قدماً أمام الأخرى. كانت طريقة تكريمه هي الاستمرار في "الرؤية عن بُعد".

في وقت قصير جداً، تقاعد سكوتي وات، الذي حصل على ترقية إلى رتبة مقدم كنتيجة مباشرة لإدارة المشروع. وحل محله مقدم آخر، سأسميه بوب. كنا نحن الباقون قد وصلنا إلى تواريخ التناوب الثلاثية السنوات الخاصة بنا، مما يعني أن الجميع في الوحدة باستثناء السكرتيرة المدنية والرئيس الجديد سيتلقون قريباً أوامر لإعادة التعيين. كان هذا سيغلق المشروع بالكامل. عندها اشتدت الأمور سوءاً.

كان هذا تقريباً في نفس الوقت الذي استُبدل فيه قائد قيادة الاستخبارات والأمن فلين باللواء بيرت ستابلبين. سمعنا أن ستابلبين كان إيجابياً بشكل عام بشأن ما كنا نفعله، لكننا لم نكن متأكدين مما إذا كان بإمكانه حمايتنا من الاستياء المتزايد الذي يولده مساعد رئيس الأركان للاستخبارات الجديد، الجنرال أودوم. من الواضح أن أودوم كان ينظر إلينا كعبء شخصي بغض النظر عن مدى جودة أدائنا العملياتي أو عدمه. بدأت عبارة "لا أحد يريد أن يُقبض عليه ميتاً وهو يقف بجوار شخص لديه قدرات غيبية" في الانتشار. لم يكن الأمر مهماً في ذلك الوقت فعلياً، لأنه بحلول ذلك الوقت كان لدينا عملاء رئيسيون في جميع أنحاء مجتمع الاستخبارات. كنا نقدم الدعم لوكالة الاستخبارات المركزية، ووكالة استخبارات الدفاع، وجهاز الخدمة السرية، ووكالة استخبارات القوات الجوية، وقيادة الاستخبارات البحرية، وقيادة الخدمة الاستقصائية البحرية، ووكالة الأمن القومي، وقيادة استخبارات وأمن الجيش، ومجلس الأمن القومي، ومكتب التحقيقات الفيدرالي، وخفر السواحل بالولايات المتحدة (منطقتان على الأقل)، ووكالة مكافحة المخدرات، وعناصر داخلية من وزارة الخارجية، ومكتب الكحول والتبغ والأسلحة النارية والمتفجرات، ووكالات أو إدارات أخرى أكثر تحديداً لا يمكن ذكرها حتى الآن.

تسوية الوضع وتفاقم الضغوط

بُذلت محاولات للتفاوض مع القيادة الفرعية لتمديد مهمتي كـ (عنصر فائض عن الحاجة) في منطقة (واشنطن) الكبرى، لكنهم رفضوا ذلك تماماً. تلقيت أوامر استدعاء لـ (كوريا) ألغاها الجنرال (ستابلبين) على الفور. وفي غضون أسبوع، تلقيت أوامر استدعاء جديدة لـ حصن براج في (كارولاينا الشمالية). ألغاها الجنرال أيضاً، بل وأرسل رئيس أركانه للتحدث معهم حول وضعي. ووفقاً للجنرال، كنت "من فريقه" ويمكنه أن يفعل ما يشاء مع أفراده.

تمكن كين من الحصول على تمديد لمدة عام لجولته التي مدتها ثلاث سنوات في (ميد). في الواقع، بحلول الوقت الذي حصل فيه على الموافقة، كان قد قضى ثلاثة أشهر بالفعل من العام. تلقى فريد أوامر بالالتحاق بالدورة الاستخباراتية المتقدمة في (أريزونا)، فوافق على ذلك، على أن يُعاد تعيينه في الوحدة. ونتيجة لذلك، غادر فريد فجأة لمدة ستة أشهر. وتمكن فريد بالفعل من العودة في غضون خمسة أشهر، لأنه جمع أرصدة كافية لاجتياز الدورة وغادر قبل التخرج، وهو أمر ما كان ليحاوله معظم الضباط المحترفين.

تلقى ميل أوامر استدعاء لإعادته إلى وحدته القديمة في (ألمانيا)، ولكن هذه المرة برتبة رقيب أول. لقد تمت ترقيته أخيراً على الرغم من عمله في المشروع، وهي ترقية ربما كان قد تأخرت كثيراً على أي حال.

تم تسوية وضعي في نهاية المطاف على مستوى اللواء. من الواضح أنه تم التوصل إلى اتفاق. لقد قاموا ببساطة بجعلي أختفي من نظام الجيش بالكامل. سينسى الجيش مكاني حتى أقرر التقاعد. كانت المشكلة الوحيدة في هذا الاتفاق هي زوال أي أمل في المزيد من الترقية في حالتي. كنت ضابطاً فنياً برتبة دائمة، وبما أنني كنت أرتدي ملابس مدنية، فإن معظم الناس لم يكونوا على علم بذلك حتى. قررت أن أطلق لحية احتجاجاً، ولم يلاحظ ذلك أيضاً معظمهم.

عبء العمل والتدريب الجديد

بحلول منتصف عام ألف وتسعمائة واثنين وثمانين، لم يكن يمارس "الرؤية عن بُعد" داخل الوحدة سوى أنا و كين. كان رئيسنا الجديد، بوب، يتعلم كيفية إدارة الجلسات في بداياته، وكان فريد في (أريزونا) يتعلم كل ما يمكنه تعلمه حول ما لن يكون قابلاً للتطبيق على ما كنا نفعله. (عاد فريد في نهاية عام ألف وتسعمائة واثنين وثمانين).

تغيمت ذاكرتي للفترة ما بين بداية عام ألف وتسعمائة واثنين وثمانين والجزء الأول من عام ألف وتسعمائة وأربعة وثمانين بالكامل في ضباب من الألم، والتوتر، والإنهاك. ولأن كين وأنا كنا الشخصين الوحيدين اللذين يقومان الآن "بالرؤية عن بُعد"، فقد غمرنا العمل تماماً. كان الكثير من المهام التي وُجهت إلينا من عدد الوكالات المشاركة يتعلق بشكل مباشر أو غير مباشر بالأنشطة الإرهابية، والتي بدت وكأنها تنمو بشكل هائل.

بين يوم عيد الميلاد عام ألف وتسعمائة وواحد وثمانين وشباط عام ألف وتسعمائة وأربعة وثمانين، شاركتُ في مائة وثمانية وستين مشكلة استخباراتية منفصلة تتعلق بالإرهاب (إحدى عشرة حادثة في (أفريقيا)، تسع وعشرون في (أوروبا)، ست وثلاثون في (أمريكا الجنوبية)، إحدى وثلاثون في الشرق الأوسط، وواحدة وستون على الأراضي الأمريكية). لم يكن هذا هو العدد الإجمالي لأعمال الإرهابيين بأي حال من الأحوال؛ بالكاد كان يمثل نسبة مئوية من الإجمالي. كان هذا بالإضافة إلى أشكال أخرى من المهام. بحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى تاريخ تقاعدي في أيلول من عام ألف وتسعمائة وأربعة وثمانين، كنت قد شاركت في معالجة ما يزيد عن ألف وخمسمائة مشكلة استخباراتية فردية. عمل كين بجد مثلي على الأقل حتى اليوم السابق لتناوبه، في نهاية عام ألف وتسعمائة واثنين وثمانين. في قلبي، كان رحيله علامة أخرى في قائمة خسائري.

إحدى المشاكل الخطيرة التي واجهت المشروع كانت الحاجة إلى "رائين" جدد وموهوبين ووقت تداخل كافٍ لتعلمهم العمل. لم تُعالَج هذه الحاجة أبداً، أو على الأقل لم تُعالَج إلا في اللحظة الأخيرة. كادت جميع معايير ومنهجيات الاختيار الأصلية لاختيار أفراد "الرؤية عن بُعد" أن تُهجر لكونها تستغرق وقتاً طويلاً ومكلفة للغاية. كانت مهامنا تتزايد بنسبة عشرة بالمائة تقريباً شهرياً، بينما كان تمويلنا وموظفونا يتناقصون بأربعة أضعاف هذا المعدل. كان الحل هو تدريب شخص ما وتدريبه بسرعة. هذا جعلني غير مرتاح على الإطلاق. كنت أتذكر كل الوقت والانزعاج الذي عانيت منه في تعلم "الرؤية عن بُعد" وإقناع نفسي بأنها حقيقية. الآن كانوا يتوقعون من شخص أن يتكيف دون أي وقت على الإطلاق. ليس جيداً.

عاد فريد إلى الوحدة في الوقت الذي كان فيه رئيسنا بوب يُستبدل برئيس جديد، سأطلق عليه اسم المقدم فرانكس. أعتقد أن فرانكس أدرك أن نقص "الرائين" هو مشكلته الأكثر خطورة وتعامل معها بجدية أكبر من أي شخص آخر. نصحه فريد بوجود شخصين في فصل دراسي آخر في (أريزونا) أظهرا بعض الوعود، وسافر هو وفرانكس إلى هناك لتجنيدهما.

جاء روبرت كاوارت و توم مكنير مباشرة إلى الوحدة من دورة الاستخبارات المتقدمة للجيش في حصن هواشوكا بـ (أريزونا). أعتقد أن اختيارهما وتعيينهما اللاحق في الوحدة حدث في الغالب لأنه كان من الأسهل ترتيب تعيين لشخص قادم من مدرسة. بعد سماع ما كنا نقوم به، تطوعا. كان هذا في الواقع ميزة كبيرة جداً. بحلول هذا الوقت، لن يخاطر أي شخص عاقل بمسيرته المهنية بأن تلتهمها وحدتنا الغريبة جداً. لكن كلا هذين الشخصين الجديدين كانا يعرفان فريد، وأعتقد أنه شعر بالنظر إلى وضعنا المزري، إذا لم يكونا موهوبين للغاية، فإنه يمكنهما أن يتعلموا، أو على الأقل أن يصبحا مراقبين رائعين لـ "الرؤية عن بُعد"، مما يساعد على تخفيف الضغط عليه. (بحلول هذا الوقت بالطبع، كان فريد قادراً تماماً على اختيار شخص بشكل حدسي يشعر أنه أكثر موهبة من غيره).

أيضاً، بحلول ذلك الوقت، كانت هناك قناعة تتشكل (من العدم) بأن "الرائين عن بُعد" يمكن تدريبهم ببساطة من خلال التجارب المتكررة والمتحكم فيها، وأن الموهبة ليست بالضرورة بهذه الأهمية - وهو أمر يتعارض في الواقع مع ما ثبت حتى الآن في كل من حصن (ميد) ومعهد (إس آر آي).

استشعر إينغو سوان، أفضل "رائي عن بُعد" في معهد (إس آر آي) وأحد الأعضاء المؤسسين لتطوير "الرؤية عن بُعد" هناك، أن مهارات "الرؤية عن بُعد" قد تكون قابلة للتدريب، لكنه كان قد بدأ للتو في البحث في الأمر ولم يكن متأكداً بعد. كان النظام الذي كان يطوره قيد الإنشاء ولم يجر اختباره بدقة. (كانت طريقته في ذلك الوقت تتكون من ست مراحل مخططة، لم يكن موجوداً منها فعلياً سوى المرحلتين أو الثلاث الأولى في شكل مخطط). قرر شخص ما في المشروع أن هذا سيفي بالغرض، وفي نهاية عام ألف وتسعمائة واثنين وثمانين بدأوا بإرسال روبرت وتوم إلى معهد (إس آر آي) كل أسبوعين. كانا يتدربان هناك لمدة أسبوعين، ثم يعودان إلى الوحدة ويتدربان بمفردهما حتى يتمكنا من إكمال برنامج التدريب الجديد.

قبل بضعة أشهر من عام ألف وتسعمائة وثلاثة وثمانين، غادر كين إلى مهمته التالية. كان قلقاً بحق من أن مسيرته العسكرية قد تتضرر إذا بقي لفترة أطول. سررت لسماع أنه وصل بعد سنوات عديدة إلى رتبة مقدم قبل أن يتقاعد مباشرة.

حادث وشقاق

قبل مغادرة كين بوقت قصير، كدت أن أموت في حادث على الطريق الدائري. (لقد كانت في الواقع الحادثة السادسة التي تمكنت من تجنبها). كنت على المسار الداخلي متجهاً شمالاً بالقرب من جسر كابن جون في حركة مرور كثيفة، في ذلك الوقت من الصباح الذي يبدأ فيه الضوء بالتراكم، ولا تستطيع الخلايا العصوية والمخروطية في عينيك أن تقرر ما إذا كان الظلام لا يزال قائماً أم أن الضوء قد بدأ.

تضيق مسارات المسار الداخلي بمسار واحد بمجرد دخول الجسر. اصطدمت سيارة شحن بمركبة أخرى وفقدت السيطرة. انفصلت المقطورة فعلياً عن الشاحنة ودارت جانبياً قبل أن تتدحرج جنباً إلى جنب. على الفور، بدأت أكثر من مائة سيارة في إغلاق مكابحها وتغيير مساراتها دون قصد. امتلأ منظري الأمامي بالكامل بدخان أزرق فاتح من الإطارات التي أُحرقت حتى حافتها - ثم امتلأ الهواء بأصوات تمزق المعدن. كان بإمكاني رؤية أغطية العجلات تبدأ في الارتداد عالياً في الهواء. فجأة تباطأ كل شيء أمامي، وبدأت جميع السيارات في مساري والمسارات المحيطة تنزلق جانبياً وترتد الواحدة عن الأخرى. نظراً لأن الجميع كان يسير بسرعة تزيد عن سبعين ميلاً في الساعة، فإن ما بدا وكأنه احتكاك لطيف من مِصَدّ إلى مِصَدّ كان في الواقع سحقاً للمعدن مثل ورق القصدير. كان لدي متسع من الوقت لأتمتم "يا إلهي" ورفعت ذراعي على وجهي، مثبتاً جسدي استعداداً للاصطدام. كنت أعلم أنه لا يوجد شيء على الإطلاق يمكنني فعله لتجنب دفني في انهيار المركبات المتراكمة على الطريق في الطرف البعيد من الجسر.

لكن بعد ما بدا وكأنه دهر، لم يحدث شيء. فتحت عيني، وكانت جميع المسارات الخمسة أمامي خالية من السيارات أو الشاحنات. نظرت بسرعة في مرآة الرؤية الخلفية وتمكنت من رؤية نفق صغير ضيق مررت به وهو يغلق خلفي. تركت السيارة تتباطأ حتى توقفت وخرجت من سيارتي ونظرت إلى الدمار خلفي. لا بد أنه كان هناك خمسون سيارة محطمة في موقف سيارات بحجم ملعب كرة سلة. لم أستطع إيقاف يدي عن الاهتزاز.

عندما وصلت أخيراً إلى حصن (ميد)، مشيت بهدوء إلى مكتب فرانكس وقلت له إنني سأستقيل ما لم أنتقل إلى حصن (ميد). لم أعد أحتمل. كان تعليقه الوحيد هو "لقد استغرق منك وقتاً طويلاً لتطلب". في غضون أسبوع، كنت في سكن الضباط على بعد أقل من نصف ميل من المكتب.

الحياة في الحصن وتدهور العلاقة

تعرضت بيغي لانهيار تام. كانت تواجه الآن خيار التنقل في الاتجاه المعاكس لعملها مع الناشر في (ريستون) أو الاستقالة. اختارت الاستمرار في العمل، والذي لم يدم سوى بضعة أسابيع. كان هذا بالطبع خطئي. كانت المشكلة الأكبر هي فقدان دخلها. (تم تخفيف ذلك إلى حد ما من خلال عدم الاضطرار إلى دفع الإيجار في (ريستون). لم يكن بدل السكن الذي يمنحه الجيش لتغطية تكاليف المعيشة في (ريستون) كافياً أبداً). لذا، كلفنا الانتقال إلى سكن داخل القاعدة المال. كان التأثير الأكبر هو أنها انقطعت الآن عن جميع زملائها وأصدقائها في العمل. لم يكن تكوين صداقات في سكن القاعدة أمراً سهلاً بالنسبة لها. لم تستطع التحدث عن أي شيء كنت أفعله لأنها لم تكن تعرف الكثير عما كنت أفعله. كان جيراننا المباشرون على كلا الجانبين أناساً رائعين، لكن كان لديهم جداولهم الخاصة التي يجب عليهم الالتزام بها. كان الرجل الذي على يسارنا ضابطاً فنياً رئيسياً في التموين، لذلك لم يكن لدينا أي شيء مشترك على الإطلاق. كانت زوجته وعائلته أناساً لطفاء حقاً، مما جعل بيغي أكثر غضباً لسبب ما. بالنظر إلى الوراء، أعتقد أنها ظنت أن زوجته كانت تغازلني. كان الزوجان على يميننا ملازماً ثانياً متزوجاً حديثاً. على الأقل كان لديهما كلب وكلبهما أحب كلبنا حقاً. أحب كلبي، بارني، الانتقال حقاً، لأنه أتيح له قضاء وقت أطول معي. ولأن علاقتي ببيغي كانت ممزقة، فقد قضيت وقتاً أطول بشكل متزايد في تمشية بارني في جميع أنحاء ملعب الغولف الذي كان يقع خلف مسكننا. كنا نقضي أنا وهو ساعات طويلة في الخارج نمشي، وفي بعض الأحيان عندما لا يكون أحد ينظر، كنت أحرره من مقوده في الملعب الرابع وأتركه يركض على طول الممر، وهي متعة خاصة أصبح يتوقعها.

صراع في العمل والتدريب الجديد

في العمل، بدأت الأمور تصبح مقيتة نوعاً ما. بدأ روبرت يخبرني عن نظام التدريب في معهد (إس آر آي). بالطريقة التي شرحها لي، كان يجلس عبر الطاولة من مدربه، وبطريقة صارمة ومحددة للغاية، يكتب ما يخطر بباله عن الهدف. كان عليه أن يفعل ذلك وفقاً لإطار محدد جيداً يحدد العناصر والظروف في الهدف. عندما كان محقاً، أخبره المراقب بأنه كذلك بقول "صحيح". عندما كان مخطئاً، لم يتلق أي تغذية راجعة على الإطلاق. قال إنه من خلال هذا التكرار عن ظهر قلب كان يتعلم فتح الاتصال بين عقله الباطن والعقل الواعي حيث من المحتمل أن تُولِّد المعلومات. كان يمكنني فهم هذا كطريقة للتعلم، ولكنني كنت أجد صعوبة في فهم كيفية القفز من التعلم إلى "الرؤية عن بُعد" لأهداف لا يملك المراقب أي معرفة بها. أو، إذا كان المراقب يملك المعرفة، لم أستطع أن أفهم كيف سيمنعون توجيه "الرائي" إلى ما افترضوا أنه دقيق حول الهدف. من الواضح أن هناك خطة طويلة المدى، لكن لم يُكشف عنها بعد.

ارتكبتُ خطأ مناقشة هذا معه. كان واضحاً منذ البداية أن المراقب يجب أن يعرف الإجابات أو ما هو الهدف لكي يحدث هذا بالطريقة التي وصفها. إذا كان الأمر كذلك، ألم يكن هذا مجرد امتداد للعبة "الدبابيس الملونة" القديمة التي غلبني فيها سكوتي؟ بالاستنتاج، يمكن في النهاية توجيه أي شخص من قبل المراقب، بالإغفال، إلى الهدف. قال إن الأمر لم يكن كذلك. لذلك، بدأنا في خوض مناقشات فلسفية حول ما كان يحدث. لم يكن هذا شيئاً جديداً؛ كان شيئاً فعلناه جميعاً معاً منذ بدء المشروع. كنا نعتقد أنه من خلال الجدال حول الأشياء ستصل دائماً إلى الحقيقة في نهاية المطاف. كان لهذا فائدة إضافية تتمثل في منع أي منا من الانحراف بطريقة ما أو خداع أنفسنا للاعتقاد بشيء غير حقيقي. لكن، في هذه الحالة، أصاب هذا وتراً حساساً.

بعد وقت قصير، استُدعيتُ إلى مكتب فرانكس وطُلب مني الامتناع عن مناقشة أساليب تدريبهم معهم. تجادلت معه. إذا كانوا يريدون حقاً معرفة ما يدور في أذهانهم، فهم بحاجة إلى مناقشة ذلك علناً مع آخرين من ذوي العقول المماثلة وفي أمان المكتب.

لكن، لم تكن هذه هي الطريقة التي يُنظر إليها الآن. كانت طريقة التعليم التي يتلقونها تلقنهم الاعتقاد بأن هناك طريقة واحدة فقط لتقييم ما تخبرهم به عقولهم، وهي الصيغة الهيكلية الصارمة التي كانوا يتعلمونها حالياً في معهد (إس آر آي).

ابتعدتُ عن كل من روبرت وتوم لبعض الوقت، معتقداً أنني سأنتظر وأرى مدى نجاح نظام التدريب الجديد هذا. في غضون ذلك، واصلتُ كوني الشخص الوحيد في المكتب الذي يقوم "بالرؤية عن بُعد". بعد فترة، أراني أمين سر المشروع بعض الجلسات التدريبية التي كان روبرت وتوم يقومان بها عندما كانا في حصن (ميد). لم أسع إليها. أحضرتها لي لأنها قالت إنها تواجه صعوبة في تفسير ما كانا يفعلانه بالفعل. ما رأيته أذهلني. بعد ما يقرب من عشرة أشهر من التدريب، كان كل ما يفعله أي منهما هو رسم خطوط أو خربشات بسيطة على جانب الصفحة وكتابة بضع كلمات وصف مصاحبة. كانت بعض الكلمات ذات صلة بالأهداف التي كانا يعملان عليها، لكن العديد منها كان ذا صلة بأي شيء آخر تقريباً في ملفات الهدف. عرفت أنني كنت أفقد شيئاً ما.

حملتُ أحد الملفات إلى الرئيس وسألته عما كان يحدث بالضبط. أخبرته بأنني قلق من أن هذا قد لا يكون النهج المناسب لتعليم شخص ما "الرؤية عن بُعد". كان يجب أن يكون الشخص الموهوب قادراً على رسم أجزاء وقطع من موقع مستهدف بحلول الآن. أوضح لي أنه يتم تعليمهم عن طريق التكرار، بشكل تدريجي، كيفية بناء صورة للهدف خطوة بخطوة. اشتكيت من أنني لست متأكداً من أن هذا هو الحال على الإطلاق. في ملاحظتي، كان يتم توجيههم تدريجياً إلى الإجابة المناسبة من قبل المراقب الذي كان يدربهم. مقارنة بسيطة بين أهداف التدريس والأهداف الفعلية أظهرت ذلك. كانت الأمثلة من فصولهم التعليمية أفضل بعشرة أضعاف من تلك التي كانوا يحاولونها بشكل "أعمى" للممارسة.

أمرني فرانكس بالعودة إلى مكتبي وألا أتحدث مع روبرت أو توم مرة أخرى. طُلب مني عدم مغادرة مكتبي ما لم أكن أقوم "بالرؤية عن بُعد"، وأن أهتم بشؤوني الخاصة بخلاف ذلك. لن يسمح لي بأن أفسد نظام التدريب الوحيد الذي لديهم لتعليم "رائين" جدد. فعلت ما طُلب مني. لكن بالتأكيد شعرت بالوحدة في الغرفة الضخمة التي كان يجلس فيها مكتبي. كنت مختبئاً خلف قسم كبير من فواصل الجدران عن من حولي - محاطاً الآن بصمت مفروض.

توقفت عن التواصل مع أي منهما. توقفت عن التواصل مع أي شخص باستثناء أمينة سر الوحدة. كان تشجيعها هو الذي منعني من الاستقالة من الوحدة تماماً. في غضون ذلك، واصلتُ القيام "بالرؤية"، بمتوسط هدفين أو ثلاثة أهداف عملياتية في اليوم.

الفصل العاشر: الجيش و (بوب مونرو)

في عام ألف وتسعمائة وثلاثة وثمانين، اقترح فريد أن أرافقه إلى مكان يسمى معهد مونرو. قال إن الرجل الذي يمتلك ويدير المكان يمكنه القيام بـ "السفر خارج الجسد" - الإسقاط النجمي - حسب إرادته. أرادني أن ألتقي به واعتقد أن هناك شيئاً قد يساعدني لأصبح أفضل في "رؤيتي". كنت أعرف أنهم يريدونني أن أنشغل بشيء آخر. أو ربما كنت أصبح مصاباً بجنون العظمة وكنت أعتقد ذلك فقط. على أي حال، ذهبت لزيارة السيد مونرو في منتصف عام ألف وتسعمائة وثلاثة وثمانين تقريباً.

عندما التقيت بروبرت مونرو لأول مرة، كان هو وزوجته وابن زوجته يعيشون في شقة تقع مباشرة فوق مكتب المعهد. بدت زوجته لي كنوع رائع من السيدات الجنوبيات التقليديات، من النوع الذي يحرص دائماً على أن يشعر الزائر بالراحة والاطمئنان في منزلها. بدا أن حقيقة أنهم يعيشون فوق "المتجر" تزعجها بشدة، لكن في رأيي، كان منزلها مجرد ذلك، منزل جميل وشيء يسعد به المرء. كان مونرو قد عاد للتو من المستشفى، بعد أن أجرى عملاً على نظامه القلبي الوعائي - وتحديداً إصلاح الشرايين الرئيسية في الساق أسفل صمام التشعب في منطقة الفخذ السفلية مباشرة. كان لا يزال يعاني من ألم كبير ولم يكن رجلاً سعيداً. (بدا لي كشخص لا يتعامل مع الألم جيداً على الإطلاق). لكنه كان ودوداً ومهذباً جداً معي. كان من الواضح أنه يعرف فريد بالفعل.

أثناء حديثي مع بوب، تسلقت قطته الكبيرة، "بلاكيه"، حضني وبدأت بالخرخرة. لذلك بدأت بمداعبتها. حذرني بوب من فعل ذلك لأنه قال إن بلاكيه تثور بشكل غير عادي من ذلك وربما تعضني. ابتسمتُ وتجاهلته. عندما نظر بوب بعيداً ليلتقط سيجارته وكوب القهوة، عضت بلاكيه ظفر إبهامي الأيسر بالكامل، ودفنت نابها في العظم. أخرجتُ سنها من ظفري ورميتها على الأرض بينما كنت أعبر بإصبع سبابتي الأيسر فوق إبهامي لوقف النزيف. نظر بوب حوله وهو يشعل سيجارته وابتسم. ابتسمتُ له، بينما كنت أدس يدي اليسرى في جيبي وكأن شيئاً لم يحدث. لم يلاحظ.

بعد اجتماعنا، اصطحبني فريد إلى المبنى الرئيسي لأقوم بجولة. في الطريق، كان علي أن أعصر الدم من بطانة جيبي. من الجيد أنني كنت أرتدي سروالاً أزرق داكناً.

ما لم أكن أعرفه هو أن فريد اقترح على بوب أن يعمل معي لمساعدتي في تطوير السيطرة على تجارب الخروج من الجسد التلقائية التي كنت أعاني منها منذ تجربتي القريبة من الموت في (النمسا) عام ألف وتسعمائة وسبعين.

أثناء جولتي في المبنى المركزي، التقيت بالسيدة نانسي هانيكات، ابنة زوجة بوب، التي كانت قد عادت للتو من الساحل الغربي، حيث كانت تعمل لدى ناشر رئيسي للكتب المدرسية. كانت تعمل الآن لدى ناشر في منطقة (فيرجينيا) و (كارولاينا الشمالية) و (تينيسي)، وتبيع الكتب المدرسية للكليات في المنطقة. جلسنا وتحدثنا على السطح الخلفي لمدة خمسة وأربعين دقيقة تقريباً. حاولت طرح أسئلة مختلفة في محاولة لمعرفة هويتي ومن أين أتيت، وهو ما تجنبت الإجابة عليه بأي معنى محدد. بينما كانت المحادثة ممتعة تصافحنا في النهاية وغادرتُ للبحث عن فريد وبوب. بعد سنوات عديدة، قالت نانسي إنها كانت أطول "اجتماع بلا معلومات" مع شخص مررت به على الإطلاق. كانت تعرف عني نفس القدر من المعلومات عندما غادرت كما عندما التقينا - صفر. وقالت أيضاً إن ذلك جعلني أكثر غموضاً مما كنت سأبدو عليه لولا ذلك. كان لديها شعور بأنني كنت عسكرياً، ولكن بخلاف ذلك، لا شيء.

عند عودتي إلى حصن (ميد)، طلب مني فريد أن أكتب تبريراً لحضور ندوة "البوابة" في معهد مونرو، وسنرى كيف سيؤثر ذلك علي، أو على "رؤيتي". لقد فعلت ذلك، وتلقيت أوامر بالحضور في غضون شهر.

كانت ندوة "البوابة" ولا تزال هي العمود الفقري لمعهد مونرو. عندما حضرت، كان هناك عدد قليل فقط من المدربين، وكان مدربا مجموعتي هما ميليسا جايجر و فاولر جونز، وهو عالم نفس. بدأت الندوة ظهر يوم السبت وانتهت صباح يوم الجمعة التالي. قضينا اليوم كله نستمع إلى الأشرطة ذات النمط الصوتي "هيمي-سينك" للمعهد، والتي صُممت لتشجيع الدماغ على تطوير استجابة متابعة للتردد. صُممت هذه الخلطات الترددية المحددة لمساعدة شخص ما في مسار الاكتشاف الذاتي. في حالتي، كان القصد منها تحسين "رؤيتي عن بُعد"، أو على الأقل كان هذا هو الفكر.

لم تعجب زوجتي فكرة حضوري للندوة. بالنسبة لها، كان شيئاً غريباً من النوع "الغيبي المبالغ فيه". (كما لو أن "الرؤية عن بُعد" لم تكن كذلك!). كان المزيد والمزيد من معتقداتي الخارقة للطبيعة يظهر في المحادثات وأعتقد أن هذا كان مخيفاً ومزعجاً لها. أعتقد أن العديد من الأشياء التي كنت أفعلها بدأت تضع الكثير من الضغط على قناعاتها الدينية أيضاً. بينما كنت أستطيع أن أرى أنها منزعجة مني، إلا أنها لم تكن تجلس وتناقش ما يزعجها. عندما كنت أثير الأمر، لم تكن تريد التحدث عنه.

عندما عدت من المعهد، شعرت ببعض الاختلاف، من الواضح أنه تأثير مباشر للأشرطة والأصوات التي تعرضت لها. بالنظر إلى الوراء، أود أن أقول إن كل هذه التأثيرات بطبيعتها شعرت بأنها إيجابية. على الأقل، لم أتمكن من تحديد أي تأثير سلبي. كنت قادراً على النوم بشكل أفضل مما كنت عليه، وكنت قادراً على التعامل بشكل أفضل مع الضغط اليومي، وكنت قادراً على تركيز عقلي بشكل أكثر وضوحاً، وهو ما كان له عائد فوري في غرفة "الرؤية". لذلك، يجب أن أقول إن "رؤيتي" تحسنت قليلاً، على الأقل بمعنى أنني تمكنت من الاسترخاء والتركيز بشكل أفضل على الأهداف، مما زاد من كمية المعلومات الدقيقة التي تمكنت من إنتاجها في أي جلسة معينة.

صدمة الفقد وقناعة الأب

مباشرة بعد عودتي من ندوة "البوابة"، تلقيت نبأ وفاة والدتي. سافرت أنا وبيغي إلى (ميامي) لمساعدة والدي في ترتيبات جنازتها. اتفقنا أنا وأخواتي - باستثناء أختي التوأم، (مارغريت)، التي كانت تعاني من صعوبات خاصة بها في محاولة البقاء مستقرة عقلياً - على تقسيم جميع النفقات. إلى جانب ذلك، كانت (مارغريت) تكره أمي بشدة لا يمكن التعبير عنها بالكلمات - منذ أن أخذ والداي طفلها قسراً منها. لم تتحدث (مارغريت) وأمي مع بعضهما البعض أبداً عندما كانتا معاً حول أشخاص آخرين أو عندما أُجبرتا على التواجد في نفس الغرفة معاً.

كان من المفاجئ أن أمي، التي كانت في أواخر الخمسينات من عمرها فقط عندما توفيت، ماتت بسبب حالة قلبية سابقة. كان هذا شيئاً لم تشاركه معنا أبداً. بينما كنت جالساً مع والدي بعد الجنازة، أخبرني أنها كانت تعلم أن لديها مشكلة خطيرة لكنها جعلته يقسم على قبره ألا يخبر أياً منا. لطالما شككت في أنها تعاني من مشاكل في الكبد بسبب الشرب والطريقة الفظيعة التي كانت "تذبح" بها العشاء، لكن فقدانها فجأة كان مفاجأة هائلة.

اتضح أنها تعرضت لنوبة قلبية كبيرة قبل عام تقريباً، ولأنها لم تستطع تحمل تكلفة سيارة إسعاف، استقلت حافلة وركبتها لأكثر من ساعة، وغيرت خط سيرها مرتين، لتصل إلى غرفة الطوارئ بالمستشفى. قال إنه عندما وصلت سألوها عن مشكلتها المحددة وسألوها كيف وصلت إلى هناك. عند سماعها أنها ركبت الحافلة، افترضوا أنها تعاني من مشكلة في التهاب المعدة أو شيء من هذا القبيل وجعلوها تنتظر لما يقرب من خمس ساعات قبل علاجها. سألتُ والدي عن نوع العلاج الذي حصلت عليه وقال إنهم أبقوها ليلة واحدة، ثم، عندما زال ألمها، أعطوها زجاجة من الحبوب وأخبروها أنه سيتعين عليها أن تستريح بمجرد عودتها إلى المنزل.

بالطبع كنت غاضباً من نظام كان يمكن أن يفعل المزيد لكنه اختار ألا يفعل، لأنها لا تستطيع الدفع. كدت لا أصدق أذني، وأنا جالس أستمع إليه وهو يروي القصة. لكن كان من الصعب معرفة ما إذا كان قد حدث بالفعل بهذه الطريقة، أو ربما كان والدي يرويها لي بهذه الطريقة، حتى لا أعرف أنه هو وهي، أو هي وحدها، قد اتخذا قراراً بعدم السعي وراء حل طبي أكثر قوة. على أي حال، تركت الأمر، محاولاً مواساة والدي في حزنه.

طوال حياتهما كانا يتشاجران كـ (القط والفأر)، لكنهما كانا متحابين جداً لبعضهما البعض، كان الأمر وكأن جرحاً هائلاً قد فُتح في جانبه وكان يتسرب منه ببطء. لم يكن هناك أي شيء تقريباً يمكنني فعله لمواساته. دفنت أنا وأخواتي وبيغي أمي في قبر في مقبرة صغيرة منعزلة تقع في المنطقة الشمالية من المدينة. كانت قطعة أرض حجزتها جدتي (والدة أبي) واشترتها لنفسها.

أثناء قضاء الوقت القصير مع والدي، لاحظتُ أن لديه حاجة مستمرة لتنظيف حلقه، وسعال جاف إلى حد ما.

لا أعتقد أن أخواتي لاحظن، أو إذا لاحظن، لم يقلن شيئاً حيال ذلك. عندما كنا أنا ووالدي بمفردنا، سألته عما كان خطأ. حدق بي لفترة طويلة وقال أخيراً إنه مصاب بسرطان المريء. قال ذلك بأسلوب واقعي، وكأنه إذا تعامل معه بشكل طبيعي فسوف يختفي.

طلبتُ منه العودة إلى حصن (ميد) والعيش معنا. ولأنه كان معوزاً ومسنّاً، يمكننا اعتباره معالاً ويمكنه الانتقال للعيش معنا. كمعال، سيتلقى أفضل دعم طبي يمكن للمال شراؤه، من خلال نظام المستشفيات العسكرية. كنت أعرف أن الكثير يمكن أن يُفعل له في مركز (والتر ريد) الطبي. قال لا. كما جعلني أقسم أنني لن أقول كلمة واحدة عن محادثتنا لأي شخص آخر، حتى لأخواتي. عندما سألته لماذا يريدها بهذه الطريقة، قال إنه تعب من العيش على أي حال، ولم يعد يريد أن يكون هنا بعد رحيل أمي. قال إنه يفضل أن يكون حيث هي. يجب أن أقول، لو لم أكن كل تلك السنوات في مشروع "شعلة الشواء"، ولم أحضر ندوة "البوابة"، ولم أنمو في التنوير الشخصي خلال ذلك الوقت، لربما كنت سأجبره على الانتقال إلى حصن (ميد). لكن كان الأمر وكأنني أستطيع أن أنظر بعمق في قلبه وروحه. عرفت أنه كان محقاً. كان لديه كل الحق في أن يقرر الأمر بنفسه، وأخبرته أنني سأحترم قراره. عندما غادرت (ميامي)، علمت أنني ربما لن أراه مرة أخرى، جسدياً على الأقل. (منذ ذلك الحين، أشم أحياناً رائحة غسول ما بعد الحلاقة الخاص به. لذلك أعلم أنه يزور بين الحين والآخر، روحياً على الأقل، أو في ذهني).

بحلول الوقت الذي عدت فيه أنا وبيغي إلى حصن (ميد)، كنت على وشك الاحتراق التام. لفترات طويلة من الزمن، كان كل ما يمكنني فعله هو الجلوس في الكرسي المريح بجوار الباب المنزلق والتحديق في العدم. كنت أسافر الآن إلى مركز (والتر ريد) الطبي كل مساء جمعة لتلقي الوخز بالإبر في عيادة الألم المزمن. بدأوا أيضاً يعطونني مسكناً للألم لأتناوله عندما لا أستطيع الاستلقاء أو النوم. في خضم كل هذا، كنت أستمر في القيام بكل "الرؤية عن بُعد" في المكتب.

صراع التمويل والمنزل الجديد

خلال الفترة الزمنية ذاتها، بدأنا نواجه صعوبات في تمويل الوحدة. كان الجنرال (ستابلبين) يضل طريقه أكثر فأكثر في سعيه لمعرفة كل ما يمكنه معرفته عن الحالات المتغيرة للعقل وكيف يمكنه تطبيقها داخل قيادته لتحقيق أهداف المهمة. أجريتُ بعض المحادثات في ذلك الوقت مع عقيد جديد اسمه جون ألكسندر. كان الجنرال يستخدم جون لمطاردة الكثير من معلوماته من أجله. أحببت جون كثيراً لعدد من الأسباب. لقد كان رجلاً صلباً قضى وقتاً في جنوب شرق آسيا ولم يكن خجولاً من وضع نفسه في مأزق إذا شعر أن ذلك يمكن أن يكون في مصلحة الخدمة. بعبارات عسكرية أقصر، كان يمتلك الشجاعة. لكن، وضعنا الجنرال بين المطرقة والسندان. بموجب من كنا ندعمه وحساسية ما كنا نفعله، أُعطينا أوامر مباشرة بعدم تبادل المعلومات حول المشروع مع أي شخص لم يُصرَّح باسمه أولاً إما من قبل رئيس الأركان، أو مساعد رئيس الأركان للاستخبارات، أو من قبل الجنرال نفسه. ومن هنا لم يُسمح لي بالتحدث عن "شعلة الشواء" مع جون، ولم يستطع هو التحدث معي عما كان منخرطاً فيه. كنا منفصلين عن بعضنا البعض. في كثير من الحالات، أدى هذا إلى عمل كل منا في أغراض متقاطعة مع الآخر أو حتى الوقوف في طريق بعضنا البعض.

على سبيل المثال، خرجنا عن النظام لطلب غرفة طفو، لاستخدامها كوحدة تخفيف ضغط بعد ساعات من "الرؤية عن بُعد". استغرق الأمر ما يقرب من عامين من وقت طلبناها حتى سُلمت. نظراً لأنها كانت عملية شراء غريبة نوعاً ما لجيش الولايات المتحدة في ذلك الوقت، طُلب من قسم جون التعامل معها من قبل الجنرال. عندما حاول جون تسليمها، أخبرته أن لديه العنوان الخاطئ وأنه سيتعين عليه الذهاب لتسليمها لمن طلبها، والذي بالطبع لم نكن نحن. انتهى بها المطاف في مستودع تخزين ميداني في (ميد) لمدة عام آخر قبل أن نستأجر بعض ناقلي الأثاث لاستعادتها وإحضارها إلى مبنانا.

في بعض الأحيان كان الجنرال أو رئيس الأركان ينسى من لديه ومن ليس لديه تصريح لدخول منشأتنا. في أكثر من حالة، جُعل شخص وصل إلى الباب بأوامر من رئيس الأركان أو الجنرال يجلس في سيارته لمدة ساعة بينما كنا نتتبع التصريح المناسب. في إحدى الحالات، قرر ضابط رفيع المستوى أنه لا يتعين عليه القيام بذلك وحاول الدخول بالقوة. حتى يومنا هذا، ليس لديه أي فكرة عن مدى قربه من رؤية الطرف العامل من مسدس عيار خمسة وأربعين الذي كنت أسحبه من خلف حزامي. بدأت الأمور تخرج عن السيطرة قليلاً.

كانت الحياة المنزلية تتدهور بسرعة. لقد تجاوزتُ الحد عندما أعلنت أنني سأشتري قطعة أرض في الوادي المجاور لمعهد مونرو. كانت قطعة أرض جميلة تبلغ مساحتها حوالي خمسة فدادين، مدفونة في الغابة في نفس الوادي الذي يقع فيه المعهد. كان بوب مونرو قد اشترى حوالي ثمانمائة فدان، أو وادياً شبه كامل محاطاً بالتلال، وقرر مشاركته مع الأصدقاء. قسمها إلى تسعة وسبعين قطعة بمساحات متفاوتة، كان يعرضها الآن للبيع. قررت أن أشتري واحدة. لم تقل بيغي الكثير حقاً، لكنها سألتني عما كنت أنوي فعله بها. أخبرتها أنني سأبني عليها مقصورة صغيرة، مكان يمكنني الذهاب إليه في عطلات نهاية الأسبوع للاسترخاء. أغلقت الصفقة مع بوب، وسافرت أنا وبيغي إلى العقار بعد عطلة نهاية أسبوعين تقريباً لبدء البناء على المقصورة.

كانت المقصورة شيئاً صغيراً، تبلغ مساحتها حوالي أربعمائة قدم مربع فقط، وعلى مستوى واحد. وضعت عوارض خشبية معالجة بالضغط وبدأت في بناء منصة دعم. في الوقت الذي اكتملت فيه منصة الدعم، حدث أول شجار لنا حول العقار. لقد تبع فعلياً اجتماعاً حضرناه سُمي "اجتماع مالكي الأراضي الجديدة".

(اعتقد الكثير من الناس أن مصطلح "الأرض الجديدة" كان له معنى خاص بالنسبة لبوب، لكن الاسم حدث ببساطة لأنه عندما كان بوب وزوجته، نانسي، يبحثان عن عقار لشرائه، وينظران إلى عدد من المناطق في وقت واحد، في أحد الأيام كان سيخرج لزيارة الموقع الذي يقف عليه المعهد الآن، وسألته نانسي إلى أين هو ذاهب. فأجاب ببساطة: "أنا ذاهب إلى الأرض الجديدة"، وظل الاسم).

أثناء حضور الاجتماع، تمكنت بيغي من مقابلة عدد لا بأس به من الأشخاص الآخرين الذين اشتروا أرضاً وكانوا إما يبنون أو يعيشون في مكان قريب. في تلك الأيام، كانت الاجتماعات لأسباب اجتماعية أكثر من كونها تجارية. كان من بين بعض المشاركين نساء أصغر سناً، كن بوضوح غير مرتبطات وظهرن بطريقة ما تحدياً لبيغي. قد يكون ذلك بسبب الطريقة التي استقبلنا بها الآخرون، أو قد يكون اهتمامهم بي أكثر منها، لأنني حضرت إحدى الندوات. من المؤكد أن إحدى مدرباتي، ميليسا، كانت جذابة، وكانت تمتلك منزلاً هناك وتتصرف وكأننا أصدقاء قدامى. على أي حال، لسبب أو لآخر، غضبت بيغي. لم تقل أي شيء بينما كنا في الاجتماع، لكنها بالتأكيد فعلت ذلك في رحلة العودة الطويلة التي استغرقت ثلاث ساعات ونصف إلى حصن (ميد). بحلول الوقت الذي عدنا فيه، أوضحت تماماً أنها لا تريد أي علاقة بالمعهد، أو بوب مونرو، أو المقصورة، أو أي شيء آخر قد يخلق اتصالاً هناك. كنت أصم في إحدى أذني من الرحلة، لذلك ذهبت للنوم في غرفة الضيوف.

صرخة الابن والانـهيار العاطفي

في اليوم التالي، وأنا أغادر للعمل، أبلغتني بيغي بأنه سيتعين علي أن أجد وظيفة أخرى وإلا سيكون الوضع وخيماً. امتدت فترة التهدئة الطبيعية التي مدتها ساعة واحدة في ذلك اليوم إلى ما يقرب من ثلاث ساعات. بدأت أشعر وكأنني عبد مقيَّد بالوظيفة، و"الرؤية"، ومنطقة صغيرة مثيرة للشفقة تحيط بمكتبي، ومساحة عقلي. هذا هو الوقت الذي يسأل فيه الجميع أنفسهم دائماً: ما الذي يمكن أن يزداد سوءاً؟ أليس كذلك؟ تلقيت اتصالاً مفاجئاً من ابني، سكوت.

لقد مرت تسع سنوات منذ أن رأيته. عندما تجاوزتُ لحظات الصدمة الأولى، سألته عن حاله.

كان رده: "حسناً، هذا ما أتصل بك بسببه". وشرع يخبرني بأنه يتعرض للمضايقة في المدرسة من قبل الكثير من المتنمرين وأن هناك الكثير من الحوادث العنصرية. قال إن درجاته سيئة. لقد فكر في الأمر وقرر أنه سيغادر (ميامي) ويأتي للعيش معي.

شعرت بالخدر في كل مكان. كيف تخبر طفلاً صغيراً جداً أنه يحاول القفز من "المقلاة إلى النار"، بينما قلبك يصرخ: "اذهب واحضره"؟ لم يكن هناك شيء يمكن أن أرغب فيه أكثر من أن أكون مع ابني مرة أخرى، ولكن في مكانه، كان لديه على الأقل منزل يعود إليه. كنت أنا وبيغي نتشاجر باستمرار؛ كنت أنا الوحيد الذي يقوم "بالرؤية عن بُعد" في العمل؛ وكنت قريباً من نقطة الانهيار العاطفي. كان علي أن أتخذ القرار الصحيح في بضع ثوانٍ، وكان يجب أن يكون القرار الصحيح له وليس لي.

أخبرته أنه إذا انتقل للعيش معي، فسأتوقع ألا تقل درجاته أبداً عن تقدير (جيد) — في الواقع، قلت، سيكون تقدير (ممتاز) أفضل. سأتوقع منه أن يتبع قواعدي، وقد تكون أكثر صرامة من قواعد والدته. كما سيفقد الاتصال بجميع أصدقائه. ذكَّرته بأنني سأضطر أيضاً إلى أن أكون في العمل طوال اليوم، وأن الوقت الذي يمكن أن نقضيه معاً في تلك اللحظة لن يكون كبيراً جداً.

سمعت تنهيدة هائلة عبر الهاتف. شعرت بآخر نفس يخرج من قارب إنقاذه. شعرت روحي وكأن شخصاً قد ملأها برصاص منصهر. يا إلهي، من الصعب حتى الآن أن أتذكر كم تألم قلبي في تلك اللحظة بالذات. تذوقت ألمه، عندما طلبت منه بصوت أجش أن يضع والدته على الهاتف.

أخبرتني بالمدرسة الحكومية التي كان فيها وغرق قلبي. ربما كانت واحدة من أصعب المدارس في (ميامي) من منظور طفل صغير – الكثير من عنف العصابات وجميع المشاكل الأخرى المحتملة التي يمكن أن توجد في مدرسة واحدة. طلبت منها نقله إلى مدرستي الثانوية القديمة. كنت متأكداً من أنها إذا ذهبت إلى هناك وتحدثت مع شخص ما وعرفوا أنه ابني، فسيجدون طريقة لإدخاله. ناقشت وضع منزله وأكدت لي أنها بينما كانت تحاول التمسك بالانضباط معه، كانت المشكلة في الغالب تتعلق بالمدرسة. أغلقت الخط على أمل أن تلتزم بما وعدت، وهو ما فعلته. كتبت رسالة إلى سكوت، آملاً أن تشرح ما كنت أشعر به، وتلقيتها مرة أخرى بالبريد غير مفتوحة بعد أسابيع.

بقيت مكتئباً للغاية لفترة طويلة. لم يكن هناك أحد في العمل يمكنني التحدث معه حول هذا الموضوع. لو كان كين لا يزال هناك، لربما كنت سأناقشه معه. لكن، لم يكن كذلك، لذلك كبت كل شيء. كنت أجلس أحياناً في الليل في غرفة المعيشة، أشاهد القمر يعبر الأفق من خلال النافذة. بدا الأمر وكأنه سبعة عصور مضت عندما تساءلت كيف يبدو القمر بلون الدم على الجانب الآخر من العالم. الآن عرفت. يبدو تماماً كما هو بغض النظر عن مكان وقوفك، ومثل القمر، بغض النظر عن مكان وقوفك، فإن كل حماقاتك وكل نقاط قوتك أو ضعفك البشرية تقف معك.

فقدان الأب وغضبي

عدت إلى العمل، أحاول أن أبذل قصارى جهدي مع الأهداف التي كانت لا تزال تتدفق عبر باب المشروع، لكنني كنت مجهداً ذهنياً إلى أقصى حد. بحلول نهاية الأسبوع التالي، تلقيت نبأ بأن والدي قد خسر أخيراً حربه مع سرطان الحلق، وتوجهت أنا وبيغي عائدين إلى الجنوب لدفنه بجوار والدتي.

عندما وصلنا إلى (ميامي)، حصلنا على غرفة في فندق محلي وذهبنا على الفور إلى المشرحة للتوقيع على نماذج الإفراج لنقل جثته إلى دار الجنازة. طلبت منهم ممتلكاته وأخبروني أنه لا يوجد أي شيء. عندها فقدت السيطرة. طوال حياته، كان والدي يرتدي خاتم زواج بسيطاً ولم يفارقه أصبعُه أبداً. إذا أراد إزالته، لم يكن بإمكانه القيام بذلك دون قطع إصبعه أو الخاتم نفسه. كان ملحوماً في مسامير اللحم في قاعدة إصبعه وراحة يده. طلبت رؤية الجثة والملابس التي أُحضر بها. لقد تمكنوا من العثور على جثته ولكن ليس الملابس. كان على إصبعه الخنصر أخدود أبيض عميق حيث كان الخاتم، لكنه لم يكن موجوداً الآن. طالبت برؤية كبير الأطباء الشرعيين وعندما دخل الغرفة سحبت بطاقة هويتي ودفعتها في وجهه.

"انظر إلى هذا! أنا ضابط استخبارات في الجيش. ابحث عن خاتم زواج والدي، وإلا ستتمنى أنك لم تلتقِ بي أبداً."

كانت بيغي تسحب ذراعي وتطلب مني أن أهدأ. أعتقد أنني كنت خارج السيطرة قليلاً. ولكن في غضون دقائق عثروا على ملابسه، ومحفظته (ربما كان فيها نقود أكثر مما جاء بها)، و الخاتم الذهبي الذي قطعوه من إصبعه. لا أتذكر الكثير بعد ذلك، باستثناء ملاحظة أن شهادة الوفاة ذكرت "الوفاة بسبب سوء التغذية". عندما أجبروه على دخول المستشفى، رفض تناول الطعام. كلما حاولوا إدخال أنبوب فيه، كان يجد طريقة لتمزيقه. على الأقل كانوا صادقين بشأن تجويعه لنفسه حتى الموت.

إذا بدا أن لدي الكثير من الغضب هنا، فهذا صحيح. من الواضح لي أن هناك مرافق طبية منفصلة في هذا البلد لأشخاص مختلفين والفروق لا تعتمد حقاً على اللون أو العرق، بل تبدو كذلك. إنها تعتمد على مقدار المال الذي لديك أو نوع التصنيف الائتماني الذي يمكنك تجميعه. يمكن أن يكون الشخص إنساناً جيداً طوال حياته، يمكن أن يكون شريفاً وعادلاً ومنصفاً، ومهتماً بالآخرين أيضاً. ولكن، إذا لم يكن لديه أو لديها النوع الصحيح من الحساب المصرفي، فسيحصل أو ستحصل على الحد الأدنى. أنا لا أتحدث فقط عن والدي هنا، أو والدتي. أنا أتحدث - من واقع الخبرة - عن نصف قدامى المحاربين الذين يعيشون في هذا البلد العظيم. أتحدى أي شخص يعتقد أنه يُعتنى بهم بطريقة تلقائية، أن يذهب إلى الشارع ويتحقق بنفسه. هناك الكثير من التضليل يحدث.

عدت من (ميامي) بقلب مثقل وإرهاق يفوق الوصف.

العودة إلى مونرو وتجدد "الرؤية"

كانت رحلتي إلى معهد مونرو قد أحدثت فرقاً ملحوظاً في "رؤيتي عن بُعد". حتى لو لم يلاحظها أي شخص آخر، كنت متأكداً من أنني إذا عملت شخصياً مع بوب مونرو على مدى فترة أطول من الزمن، فقد أتمكن حتى من تعلم التحكم في أحداث الخروج من الجسد التلقائية الخاصة بي. كانت أشرطة (هيمي-سينك) التي كنت أستخدمها هي الوسيلة الوحيدة التي أملكها للاسترخاء فعلياً ووضع عقلي في حالة يمكنني من خلالها الاستمرار في القيام "بالرؤية عن بُعد". أخبرت فريد بما كنت أفكر فيه ووافق. لذلك قمت بإنشاء طلب وتوصية من عشر صفحات حول كيف يمكنني قضاء وقت مع بوب مونرو وتعلم المزيد. أرفقت تقديراً لما سيكلف وأعطيته لرئيسي. شق هذا المستند طريقه صعوداً في سلسلة القيادة وتمت الموافقة عليه في النهاية. حصلت على شيك من ضابط الصرف وسافرت أنا وفريد عائدين إلى المعهد لزيارة أخرى مع السيد مونرو.

اقترحنا على بوب أن أقضي عطلات نهاية أسبوع ممتدة معه، أعمل في مختبره من الجمعة حتى الاثنين، على مدار أربعة عشر أسبوعاً. كان القصد هو أن نطور ونُسجل معاً شريطاً محدداً بأسلوب (هيمي-سينك) يُصمم خصيصاً لاستخدامي في تعلم التحكم في تجاربي خارج الجسد، وكذلك لزيادة تحسين "رؤيتي عن بُعد". وافق على أنه يمكنه المساعدة.

بالعودة إلى حصن (ميد)، تلقت بيغي الأخبار بهدوء وبلا عاطفة. كنا نحاول تهدئة الأمور بيننا، وبدت الأمور تتحسن بالفعل.

كانت المشكلة هي أنني سأغادر الآن ليلة الخميس إلى المعهد، وأعمل حتى أعود في وقت ما يوم الاثنين. من الثلاثاء إلى الخميس كنت سأستمر في القيام "بالرؤية عن بُعد". كان من المأمول أن يبدأ توم في تحمل بعض عبء "الرؤية عن بُعد" أثناء غيابي.

قبل أن أبدأ العمل مع مونرو مباشرة، كان روبرت كاوارت قد بدأ يعاني من آلام شديدة في ظهره، على طول جانب واحد من عموده الفقري. لقد كان يشبه في بعض النواحي بدايات مشاكل هارلي. لذلك، بدأ روبرت يقوم برحلات إلى مركز (والتر ريد) الطبي لفحصها. عندما ساءت حالته، توقف عن السفر إلى الساحل الغربي للتدريب مع إينغو. هذا لم يترك سوى توم. أراني توم ذات مرة اثنتين من أفضل "رؤاه عن بُعد" وبداتا مؤثرتين للغاية. عندما ضغطت لمعرفة ما إذا كانتا عمياء أم عمياء مزدوجة، قال إنه لا يستطيع الخوض في الأساليب المحددة التي كان يستخدمها لأنه كان لديه أوامر بعدم مناقشتها معي. مرة أخرى، كنت أُبعَد عن الموضوع وعن الرجال الجدد. تراجعت.

بصرف النظر عن هاتين "الرؤيتين عن بُعد"، لم أر روبرت أو توم يقومان "برؤية عن بُعد" عملياتية. كان شعوري في ذلك الوقت هو أن المكتب في ورطة عميقة. كان واضحاً لي، إن لم يكن لأي شخص آخر، أنني كنت الوحيد الذي يقوم "بالرؤية عن بُعد" في المشروع، وفي ذلك الوقت لم أكن أرى أي دليل على وجود من يتبعني. بدأت أذكرهم بأن موعد تقاعدي كان أقل من عام. لم يكن علي التقاعد فعلياً، لأنني كنت أصل إلى علامة العشرين عاماً فقط، وكان يمكن أن أبقى عشر سنوات أخرى. لكن، كنت أعرف أنني إذا واصلت بالوتيرة التي كنت أسير بها، فلن أصل أبداً إلى ثلاثين عاماً. غادرت مساء الخميس التالي إلى معهد مونرو وعطلة نهاية الأسبوع الطويلة الأولى مع بوب.

كان الجدول الزمني "خالصاً" لبوب. كنا نبدأ في الساعة التاسعة صباحاً المعقولة جداً، ونعمل حتى يتعب بوب، والذي كان عادة حوالي الساعة الواحدة ظهراً. كان يتقاعد لأخذ قيلولة – وهو ما كان يسميه عادة "انتظار مكالمة هاتفية طويلة المسافة من الخارج" – ثم كنا نبدأ مرة أخرى حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر ونعمل لساعتين أخريين. إذا مدد الساعات، فعادة ما كان يكون في المساء. أحياناً كنا نعمل معاً حتى السابعة أو الثامنة.

قضينا الأيام الستة الأولى في تسجيل شريط، قال إنه سيعمل معي أنا فقط. نظراً لأنه لم يكن متأكداً تماماً من كيفية تأثير مزيجه من الإشارات المحددة علي، فقد بدأ بإشارة أساسية وقمنا بالبناء منها. عُدّلت الإشارات أثناء تقدمنا، اعتماداً على تقاريري الذاتية. أحياناً كان يعدل التردد قليلاً وكنت أشعر برغبة مفاجئة في التبول. في أوقات أخرى كان يعدل الإشارة قليلاً وفجأة لم أستطع تذكر ماذا تعني كلمة "لون"، ولم أستطع وصف أي شيء بلون. كان الأمر كله رائعاً، لكننا طورنا في النهاية شريطاً قوياً جداً كان يجعلني أشعر وكأن جسدي بالكامل يهتز ويحوم على بعد حوالي ست بوصات من السرير في غرفة التحكم. من هناك، كان الأمر يزداد تدريجياً، تعلمت كيف أتقلب دون تحريك جسدي، كل ذلك بينما كنت أقوم بتمارين "الرؤية عن بُعد" من مظاريف مختومة وما أحب أن يسميه "جلسات الاستكشاف".

كانت جلسات الاستكشاف مثيرة للاهتمام. كان يعدل الأقراص باستمرار بينما كنت أستكشف، ويراقب استجابتي الفسيولوجية كما أُبلغ عنها من خلال الأقطاب الكهربائية. كنت أشعر دائماً وكأنني منفصل تماماً عن جسدي وممتد إلى ما وراء الزمان والمكان. تعلمت أن أفصل نفسي تماماً عن الواقع من حولي وأن أغمر نفسي في مكان آخر في الزمان/المكان. مع تقدمنا، أصبحت الأمور أسهل وأسهل بالنسبة لي، وأصبح الإدخال أوضح. خلال "الرؤية عن بُعد" الفعلية، لاحظنا أن الأقطاب الكهربائية التي تسجل الفولتية في ساقي وذراعي كانت تنقلب فعلياً. كان بإمكانك مشاهدتها على العداد حيث انخفض جانب وارتفع الآخر حتى انقلبا تماماً وبدأا يتحركان في الاتجاه المعاكس. بدا أن بوب يعتقد أن هذا كان مثيراً وذا مغزى للغاية. عندما عرضناه على فريد، بدا أنه يعتقد ذلك أيضاً. لكن، لم أكن متأكداً جداً. ربما كان جسدي يفعل هذا دائماً بغض النظر عما كنت أفعله، طالما كنت أسترخي. في الواقع، علمت لاحقاً أن جسدي يفعل الشيء نفسه بالضبط عندما أخلد إلى النوم. مع تقدم الأمور وتحسنها، بدأ فريد يظهر في بعض عطلات نهاية الأسبوع للمراقبة. في إحدى عطلات نهاية الأسبوع، أحضر بعض المهام في مظروف مختوم، سلمه إلى بوب. سألته من أين جاءت فقال إنه لا يستطيع إخباري.

توجد أوصاف مفصلة لهذه المهام والنتائج في كتابي الأول المنشور، "رحلة العقل". اتضح أن المجموعات السبع من الإحداثيات تقع جميعها على سطح المريخ. حتى أنا صُدمت بالنتيجة.

انتهت عطلات نهاية الأسبوع أسرع مما توقعت. يطير الوقت عندما تستمتع، على ما أعتقد. عند عودتي إلى الوحدة، كتبت تقريراً عن الأحداث التي وقعت وتجاربي وأوصيت بالتعرض لها لأي "رائي عن بُعد" جاد. تم تمرير هذا التقرير صعوداً عبر القيادة ووصل في النهاية إلى المقر وإلى الجنرال. أعجبه ما رآه، وقرر أنه يجب أن يكون هناك نوع من البرنامج لضباطه الآخرين – شيء من شأنه أن يساعد على فتح عقول موظفيه، ويمنحهم ميزة في التفكير خارج الصندوق.

بالإضافة إلى جمع المعلومات الاستخباراتية، أعتقد أن الجنرال رأى "الرؤية عن بُعد" كطريقة للتفكير خارج الصندوق إلى حد التمكن من رؤية أو إدراك إجابات للمشاكل التي لن تُؤخذ في الاعتبار عادة. بهذا المعنى، أعتقد أنه كان سابقاً لعصره إلى حد كبير.

على أي حال، بسبب علاقتنا بمعهد مونرو وكبار موظفي بوب، تم الاتصال بمكتبنا وذهبت بالسيارة إلى (أرلينغتون)، حيث قضيت فترة ما بعد الظهر بالكامل في مكتب الجنرال أصف تجاربي أثناء وجودي في معهد مونرو.

بدأ شعور غير مريح يتزايد في داخلي. بدأت أشعر أن شيئاً آخر كان يحدث لم أكن أراه تماماً. في غضون أسبوع من زيارتي للجنرال، كُلف مكتبنا بتطوير برنامج في معهد مونرو من شأنه أن يفيد الضابط العادي في المقر. في الوقت نفسه، كان الجنرال يبدأ في إقامة حفلات يدعو فيها فقط أشخاصاً معينين ومختارين للمشاركة في محاولة ثني الملاعق بعقولهم.

عندما أجريت المناقشة حول المعهد مع الجنرال، كنت قد ذكرت أنني لا أشعر أنه شيء يجب أن يشارك فيه الضابط العادي في قيادته. أي شخص ليس معتاداً على التفكير بطريقة منفتحة حول الخوارق أو حول الأحداث غير العادية في حياتهم، أو أي شخص مقيد بمعتقد ديني مقيد على وجه التحديد لا يسمح بمثل هذا النشاط، يمكن أن يجد هذا مدمرًا بشدة. كان على المرء أن ينظر فقط إلى حياتي الخاصة ليرى أنها كانت على الأقل مسببة للتآكل الرهيب لعلاقاتي الوثيقة. لكنني أعتقد أن الرسالة لم تصل أو لم تُعطَ الكثير من الأولوية.

برنامج التدريب العسكري السري (رابت)

كان جزء من الصعوبة في إنشاء برنامج مثل "البوابة" في المعهد لضباط قيادة الاستخبارات الأمنية هو أنه لا يمكن أن يبدو على حقيقته. كما لا يمكن للبرنامج أن يخلط بين أفراد ضباط القيادة والمدنيين. كانت القيادة قلقة، ولها الحق في ذلك، بشأن المعلومات التي قد تُشارَك مع الغرباء في المناقشات المفتوحة بعد جلسات الشريط. لذلك، سُئل بوب مونرو ونانسي هانيكات، مديرة التنفيذية، عما إذا كان يمكنهما تطوير برنامج مشابه لندوة "البوابة"، ولكن لأفراد مختارين من القيادة فقط. وافقا على أنه يمكن القيام بذلك، ولكن ضمن قيود معينة فقط.

كانت نانسي هانيكات متورطة في إنشاء المعهد منذ البداية. كانت قد بدأت كالموظفة الوحيدة بدوام كامل، تدعم جميع الأعمال والبحوث المعنية. شملت مشاركتها العمل كسكرتيرة شخصية، وواحدة من أوائل المدربين، ومديرة مكتب بدوام كامل، وساعية - بل إنها قامت بلحام معظم الوصلات في أسلاك التوصيل التي استخدموها للبرامج في الموتيلات المحلية قبل أن يتمكن من الانتقال إلى مبنى دائم. كانت واحدة من أوائل "مستكشفيه" الذين أُجريت عليهم تجارب بنظام ترددات (هيمي-سينك) في تطوير الأشرطة المحددة المستخدمة الآن في البرامج اليوم. بفضل هذه المجموعة الواسعة من الخبرات، تمكنت من إعادة تصميم برنامج "البوابة" العادي بالكامل وتخفيفه ليناسب مجموعة عسكرية في غضون أسابيع قليلة. أطلقوا عليه اسم برنامج "رابت"، اختصار لـ "تدريب أفراد الاكتساب السريع".

لا يزال لدي تحفظات كبيرة حول هذه المشاركة العسكرية العلنية في مثل هذا البرنامج، فقد قدمت مخاوفي إلى المقر في مذكرة مكتوبة، سلمتها في الثالث والعشرين من آب، عام ألف وتسعمائة وثلاثة وثمانين. قالت جزئياً:

"تُقصد التجربة توسيع وعي الإنسان وتوسيع إدراكه للواقع. ويتحقق ذلك من خلال تقنية حاصلة على براءة اختراع، تقوم بمزامنة التفاعل بين الدماغ الأيمن/الأيسر وتنتج سعة قصوى ضمن مناطق نشاط الموجات الدماغية المثلى. وهذا يسمح بالتفكير أثناء حالات موجات الدماغ ذات الترتيب الأعلى التي تساعد على التفكير الأصلي و/أو صياغة الأفكار الكلية."

أما بالنسبة لكيفية عمل البرنامج فعلياً، فقد أجبت بأنه "ستة أيام من تمارين الشريط المكثفة، يتبع كل شريط مناقشة ذات صلة بالتجربة. يمكن أن تتراوح هذه المناقشة من الشخصية (العاطفية)، إلى الجماعية (الفكرية) بطبيعتها. عُرضت فترات مناقشة تتراوح من ساعة إلى ساعتين تقريباً مع روبرت مونرو في قاعة (ديفيد فرانسيس) المجاورة. كانت المواضيع التي غُطيت هناك ذات طبيعة فلسفية بشكل عام. عُرضت أفلام وأشرطة مختلفة بعد المحادثات المذكورة أعلاه، والتي صُممت لتعزيز التجربة الشاملة. أُجريت أيضاً محادثات من قبل موظفي المعهد الآخرين، مع إشارة مباشرة إلى الجمعيات المهنية/الطبية، ومفاهيم (الأرض الجديدة)، وقد تتضمن جولة في مختبر معهد مونرو للعلوم التطبيقية التجريبي المشيد حديثاً."

فيما يتعلق بما يمكن توقعه، ذكرت ببساطة: "سيجري توسيع الآفاق الفكرية وسيكون من الحتمي اكتساب مفاهيم جديدة للإدراك. ستنتج استجابات خفيفة وثقيلة ومليئة بالعاطفة عن تجربة الشريط المكثفة. يمكن توقع أن تُغير التجربة شخصية المشارك فيما يتعلق بالعلاقات الشخصية."

كنت مصراً في الإشارة إلى ما يلي: "بينما عُرفت تجارب الخروج من الجسد بحدوثها تلقائياً كنتيجة للتقنية المستخدمة، لم يكن هذا هو الغرض من البرنامج. القيمة الشخصية المستمدة كانت تعتمد بالكامل على درجة المشاركة أو الجهد الذي يبذله أي شخص في التجربة."

أوضحت، "معهد مونرو للعلوم التطبيقية لا 'يدفع' أي موقف فلسفي أو روحي أو فكري محدد على أي شخص. إنهم يحاولون فتح مفهوم الإنسان للخبرة والوعي."

شددت، "سيكون لهوية المجموعة نتيجة مباشرة على فعالية التجربة. في هذه الحالة، بسبب المجموعة المكونة بالكامل من 'عقول عسكرية'، ما لم يكن المشاركون مستعدين، ويُحثون على التخلص من ضغط الأقران، ووعي الرتبة، والحماية الذاتية القائمة على الأنا، وما إلى ذلك، فسيجري تخفيف تجربة الجميع بشكل خطير."

أوصيت بشدة بأن "لا يكون لدى المشاركين توقعات بخلاف أن يكونوا 'متقبلي الأفكار الجديدة' حول العملية"، وأن "يمنحوا ويشاركوا بمئة في المئة"، و "يستمتعوا بالتجربة كشيء ممتع أو إنساني للقيام به، بدلاً من أن يكون موجهاً نحو العمل." أوصيت بأن "يرتدوا السراويل القصيرة والقمصان القطنية، ويحملوا معهم ملابس سباحة." أبلغت أيضاً، "من المعروف أن الصيام أثناء الندوة، أو التحكم الواعي في كمية الطعام المتناولة يعزز التجربة." اقترحت عليهم "الاستعداد لقضاء وقت الفراغ في تمرين بدني (مثل الركض، السباحة، المشي لمسافات طويلة، وما إلى ذلك). سيساعد هذا في 'تأريض' المشارك، مما يعزز التجربة بشكل كبير بدوره."

أخيراً، حذرت الجنرال، "ليس كل الأشخاص المقيمين في العقار أو أولئك الذين يترددون على المركز أو يزورونه كضيوف ودودين للحكومة الأمريكية أو الجيش. يمكن أن يكون البعض لاذعاً بشكل خاص فيما يتعلق بتورط أفراد من نوع 'الاستخبارات' مع المعهد. خلال زيارتي الأخيرة، ثبت بوضوح من قبل الأفراد (بخلاف موظفي المعهد) أنهم كانوا على دراية تامة بأن أفراد الجيش الأمريكي، وتحديداً استخبارات الجيش الأمريكي، قادمون لحضور ندوة."

استجابت القيادة بشكل إيجابي، حيث أرسلت رسالة إلى قادة القيادة في جميع أنحاء العالم لإبلاغهم ببدء برنامج "رابت" والتوصية بأن يجري القادة المحليون مقابلات شخصية مع المتقدمين الذين يرغبون في المشاركة، واستخدام المقابلة لتحديد القبول بناءً على مجالات الاهتمام التالية: "القدرة على التعامل مع التكنولوجيا الجديدة بعقل متفتح، والقدرة على تجسيد وتقييم طرق تفكير جديدة تماماً مقدمة، والقدرة على اقتراح تطبيقات بناءً على طرق جديدة ضمن إطار عمل القيادة العملياتي، والقدرة على تطبيق المهارات المكتسبة حديثاً في سيناريو شخصي/مهني، والقدرة على بناء إجراءات اختبار/تقييم لتحديد آثار التكنولوجيا الجديدة." خلال المقابلات، طُلب من القادة "التأكيد على أن برنامج 'رابت' هو برنامج تدريبي طوعي بحت، يمكن رفضه دون تحيز."

نتيجة للرسالة، غُمر المقر بالطلبات، وانتشر الخبر إلى مكتب مساعد رئيس الأركان للاستخبارات – حيث لُقي باستقبال سيئ. كانوا قد تلقوا بالفعل شائعات وتعليقات تتعلق بحفلات ثني الملاعق للجنرال (ستابلبين)، وكان هذا بمثابة "الزينة على الكعكة". اتصل بي أشخاص أعرفهم كانوا يعملون في مكتب مساعد رئيس الأركان للاستخبارات. كانوا قلقين بشأن الاتجاه الذي كان الجنرال يقود فيه القيادة ورؤيته، وكانوا أكثر قلقاً بشأن التورط المباشر لأفراد من وحدة "شعلة الشواء" في ذلك السياق. (لقد بذلت الكثير من الجهد للقاء الجنرال على انفراد ونقلت إليه تلك المخاوف، ناصحاً بأن الاستمرار في مسار عمله قد يؤدي إلى عقوبة شخصية أو بعض الانتكاسات السلبية من مساعد رئيس الأركان للاستخبارات نفسه).

اكتملت قدرة أول برنامجين من برامج "رابت" بالكامل. وشمل المشاركون قائد القيادة؛ واثنين من قساوسة كبار على مستوى هيئة الأركان في الجيش؛ وكبار القادة من (هاواي) و (بنما) و (ألمانيا) و (أوكيناوا)؛ وعالم النفس في القيادة؛ ورئيس أركان القيادة؛ وأفراد العمليات الميدانية؛ ووكلاء مكافحة التجسس؛ وأعضاء فرع الإجراءات الخاصة؛ وحتى قائد من خارج القيادة. تراوحت التعليقات على فعالية البرنامج ومشاعر الناس تجاهه من "لم أفهم الأمر" إلى "رائع للغاية". لم تُسجل أي تعليقات سلبية.

تسبب برنامج "رابت" الثالث في مشكلة.

يتطلب المعهد من أي شخص يرغب في حضور برامجه ملء استبيان يفصّل تاريخه، مع التركيز بشكل خاص على الجوانب الطبية والعاطفية والعقلية. أسباب ذلك واضحة. البرنامج مكثف ويُعتقد أن شخصاً يعاني من صعوبة في أي من هذه المجالات يمكن أن يتأثر سلباً. يُطلب من الأشخاص أحياناً موافقة طبيبهم قبل قبولهم في البرنامج. حتى برنامج "رابت" الثالث، من بين الآلاف من المشاركين، لم يكن سوى عدد قليل ممن لديهم مشاكل، والتي لم تكن خطيرة. في تلك الحالات، لم يملأ الأشخاص الاستبيان بصدق – حيث أغفلوا حقائق بارزة.

منذ البداية، لم تكن القيادة على استعداد لمشاركة المعلومات الشخصية الواردة في هذا الاستبيان، وهو أمر مفهوم، بالنظر إلى طبيعة موظفيها. وُضع اتفاق كتابي بأن عالم النفس في هيئة أركان القيادة سيجري مقابلة مع الحاضرين المحتملين ويصادق على أنهم يستوفون المتطلبات وليسوا في خطر. هذا ما فعله.

ولكن عندما نُظمت مجموعة "رابت" الثالثة، اضطر أحد الحاضرين إلى الانسحاب في اليوم السابق للمغادرة نتيجة لمرض في عائلته. استُبدل هذا الرجل بدوره برجل لم تُجرَ معه مقابلة بشكل صحيح. لقد أغفل أيضاً بعض الحقائق حول خلفيته عندما التحق بالجيش، والتي بالطبع لم تُدخل في سجله أبداً. أدى هذا إلى حادثة أثناء البرنامج تطلبت إبعاد الرجل ونقله إلى مركز (والتر ريد) الطبي لتلقي العلاج. لم يُودع الرجل في مؤسسة كما أشيع. لقد اهتز ببساطة بسبب بعض تجاربه في الندوة ولم يتمكن من التعامل مع النتائج. عاد لاحقاً إلى الخدمة دون آثار طويلة الأمد أو سيئة. على الرغم من أنه اكتُشف لاحقاً أن الرجل كان يخفي معلومات ذات صلة، إلا أن ذلك أدى إلى إنهاء برنامج "رابت" بأمر من مساعد رئيس الأركان للاستخبارات نفسه. في ذلك الوقت، كان حكماً غير عادل في نظر البعض، ولكنه ربما كان حكماً عقلانياً بالنظر إلى المناخ السياسي في ذلك الوقت.

كان يمكن أن تكون الحادثة أسوأ. منعت الاحترافية التي يتمتع بها موظفو المعهد من تصاعدها - وتحديداً نانسي هانيكات، مديرة المعهد، التي سيطرت على الوضع، و بيل شول، عالم النفس السريري المحترف وأحد مدربي البرنامج.

على الرغم من هذه الحقائق، انطلقت الكثير من ردود الفعل السلبية على المعهد. رفض الجيش في البداية دفع مستحقات البرنامج النهائي للمعهد، وهو وضع وجدته أنا مؤسفاً وغير مقبول، ووضع لفت انتباه رئيس أركان القيادة إليه شخصياً، والذي وافق بعد ذلك على الدفع.

أسفر تورط مشروعنا الذي لا مفر منه عن عواقب سلبية في مشروع "شعلة الشواء" أدت إلى زيادة فصلنا عن أقراننا في القيادة وداخل مجتمع الاستخبارات العسكرية - رد فعل غير عادل ومتسرع قائم بالكامل على الخوف من المجهول.

الفصل الحادي عشر: نهاية المطاف

في هذا الوقت، وصلت أنا وبيغي أخيراً إلى (واترلو) الشخصية الخاصة بنا. كنت منهكاً تماماً، لذلك قررت تقديم أوراق تقاعدي عند علامة العشرين عاماً بدلاً من السعي للحصول على ثلاثين عاماً. عندما أثرت هذا الأمر عليها لأول مرة، بدت مسرورة بشكل غير عادي. ما لم أكن أعرفه هو أنها رأت في ذلك طريقة لإبعادي عن المشروع، وبعيداً عن تورطي مع المعهد (أو على الأقل تأثيرهم)، والبدء من جديد. فقط، في ذهنها كان هذا يعني أنني سأترك الجيش وأنتقل إلى (سانت لويس) في (ميزوري)، حيث تعيش جميع أفراد عائلتها – ثلاث شقيقات، ووالدتها العزباء، وجدتها العزباء.

لم يكن هذا شيئاً أفكر فيه على الإطلاق. كنت قد قررت بالفعل بناء منزل تقاعدي على قطعة الأرض التي كنت أدفع ثمنها في جبال "الردج الأزرق".

كنا أنا وبيغي جالسين على العشاء بعد أسبوع تقريباً من هذا الجدال الأولي عندما بدأت تخبرني بمدى حماسها لأننا سننتقل إلى (سانت لويس) وأنها يمكن أن تكون أخيراً قريبة من عائلتها.

سألتها: "ماذا عن عائلتي؟"

ما بدأ كمحادثة هادئة ودافئة سرعان ما تحول إلى تبادل كرات نارية مغطاة بالقطران. أشعلنا منطقة تناول الطعام بالنار، ونصف المنزل، بينما كنا نغضب على بعضنا البعض، ننتقل من غرفة إلى غرفة. لم تكن هناك طريقة لأن أنتقل إلى (سانت لويس)، ولم تكن هناك طريقة لأن تنتقل هي إلى أي مكان آخر.

بقيت مستيقظاً طوال تلك الليلة، أفكر في الحجج والغضب في حياتنا وأدركت أنني كنت حقاً مقصراً في تحمل المسؤولية عن أفعالي. في الواقع، كنت ألتزم الصمت لسنوات عندما ربما لم يكن يجب أن أفعل، في محاولة للحفاظ على زواج ربما لم يكن يجب أن يحدث في المقام الأول. لم يكن الأمر أنني لم أحب بيغي. لقد أحببتها دائماً. من المؤكد أنها لم تستحق المعاملة التي كنت أقدمها لها. لكنني كنت أفعل كل ما في وسعي في محاولة "لعدم الفشل" في زواجي الثاني. أدركت الآن أنني تأذيت بشدة من الفشل الأول، كنت أفعل كل ما يتطلبه الأمر للحفاظ على الثاني فقط لأثبت أنني لست فاشلاً. في الواقع، كنت أقودها وأقود نفسي إلى الجنون. الاستمرار في مثل هذه الحماقة كان غباءً. كان علي أن أتحمل المسؤولية عن كل الأوقات السيئة التي وضعتها فيها، وأن أكون صادقاً مع نفسي. الأمر ببساطة لم يكن ناجحاً. سأضطر إلى تحمل الضربات، مهما كان الألم الذي سيسببه، وأن أكون صريحاً معها.

في اليوم التالي، أخبرتها بما كنت أفكر فيه، وقلت إنه سيكون على حساب كلانا فقط أن نواصل العلاقة. شعرت أنه يجب علينا الانفصال وتقديم طلب الطلاق. في البداية حاولت أن تجادلني في الأمر، ثم دخلت في غضب أكبر. ولكن، في النهاية، أعتقد أنها فهمت أن الأمر ببساطة لم يكن ناجحاً لأي منا. أخبرتها أنه يمكنها أن تأخذ أي شيء تريده، واختيارها للسيارات، وأي تسوية تقررها ستكون جيدة. في غضون أسبوع، ذهبنا كلانا إلى مكتب القاضي العام على القاعدة لملء الأوراق. حصلت هي على محامي الجيش؛ وحصلت أنا على محامي القوات البحرية؛ وافترقنا ودياً.

بالنظر إلى الوراء، كانت السنوات القليلة الأولى التي تزوجت فيها بيغي مليئة بالسعادة المطلقة. كانت ولا تزال سيدة جميلة. أعتقد أنها ورثت مزاجها العنيد وذكاءها الرائع من جدتها. كانت عائلتها دائماً كريمة جداً معي وهم أناس طيبون. السنوات الخمس الأخيرة ما كان يجب أن تحدث أبداً. وضعتها في فترة بائسة وأتحمل المسؤولية الكاملة عن ذلك. كنت فخوراً جداً لدرجة أنني لم أتخل عن فكرة أنني يجب ألا أفشل في الزواج مرة أخرى. عانينا كلانا من العواقب.

نهاية مسيرة الجيش

كانت "الرؤية عن بُعد" تبدأ في إلحاق الضرر. أطلقت لحية وكنت أصبح أكثر عزلة، وأبقى في مكتبي الصغير باستثناء عندما أحتاج إلى عبور الشارع لمهمة "رؤية عن بُعد".

تلقيت اتصالاً من الضابط الفني الرئيسي في القيادة الفرعية، الرائد موني، الذي صرح رسمياً بأن وضعي التنافسي للترقية قد انتهى. على حد تعبيره، نظراً لأن الاختيار كان يعتمد فقط على الأداء (أي للضباط الفنيين - ضمن تخصصهم العسكري)، وأنه حُكم عليه بمحتوى نماذج تقرير تقييم الضابط المودعة - وهي نماذج تعكس أنني كنت خارج التخصص العسكري لفترة طويلة من الزمن، لم أعد قادراً على المنافسة.

وأشار أيضاً إلى أن استخدام ضابط فني خارج التخصص العسكري الأساسي يتعارض بشكل مباشر مع لائحة الجيش (ستمائة وأحد عشر - مائة واثني عشر)، الفقرتين (سبعة عشر - دال) و (هاء)، واستناداً إلى تلك الحقيقة، كان من المقرر أن يُعاد تعييني على الفور من قبل وزارة الجيش. علاوة على ذلك، رُفعت شكوى رسمية إلى الكونغرس من قبل أحد أقراني، الضابط الفني الثاني غاري م. بوش، يسميني بالتحديد كسبب لإرساله إلى (كوريا) في مهمة شاقة، بينما كنت أقيم في مهمة سهلة داخل البلاد لأكثر من ستين شهراً. نصح كذلك بأن أي طلب مني للالتحاق بمدرسة سيُرفض، وأي نموذج تقييم ضابط آخر يظهرني خارج التخصص العسكري سيُرفض ويُعاد، وسجلي غير قابل للاسترداد.

نتيجة لذلك، نُقلت على الفور من قبل قائد القيادة إلى برنامج المخابرات العسكرية الوظيفي المستثنى (الاسم المستعار: المهارة العظيمة). في جوهره، اختفيت من وزارة الجيش. مُلئت نماذج تقييم الضابط المستقبلية الخاصة بي من قبل العقيد الذي كنت أعمل لديه، وصادق عليها مساعد نائب رئيس الأركان للعمليات - الاستخبارات البشرية، ومنذ تلك النقطة لم يرها سوى موظف ملفات.

بينما لا يمكنني التحدث عن "الرؤية عن بُعد" المحددة التي كنت أقوم بها خلال هذا الوقت، فإن بعض البيانات الواردة في نماذج تقرير تقييم الضابط الخاصة بي تعكس مستوى المهمة التي كنت أشارك فيها. كانت جميع نماذج تقرير تقييم الضابط الخاصة بي التي قُدمت أثناء تعييني في المشروع عبارة عن أقصى تقارير تقييم الضابط. بعبارة أخرى، لم أتمكن من تسجيل درجة أعلى مما سجلته. بعض الأمثلة على البيانات المأخوذة من تقارير تقييم الضابط هذه هي:

"قدم الضابط الفني ماكمونيغل دعماً مباشراً لستة مشاريع رئيسية لجمع المعلومات الاستخباراتية تسيطر عليها وكالات الاستخبارات العسكرية والوطنية. حُددت المعلومات الاستخباراتية الناتجة، غير المتوفرة من أي مصدر استخباراتي آخر، على أنها دقيقة وذات أعلى قيمة. بالإضافة إلى هذه المتطلبات العملياتية، قام بتثبيت أول نظام معلومات مؤتمت بالكامل يحل محل إجراء يدوي يستغرق وقتاً طويلاً. قام بتصميم وتثبيت جميع البرامج التشغيلية، وبدأ تدريب الأفراد وأدى جميع واجبات 'المسؤول الوحيد' عن النظام. نتيجة لجهوده، انخفض العبء الإداري لمعالجة تقارير الاستخبارات بأكثر من خمسين في المئة.

"[هو] شارك بشكل مباشر في مهام جمع ضد مائتين وثلاث عشرة منطقة اهتمام لوكالات الاستخبارات الأمريكية. أدى جمع المعلومات الاستخباراتية المذكورة أعلاه إلى عدد كبير من تقارير المنتج، مما أدى إلى تقديم معلومات قيمة إلى أعلى مستويات الحكومة.

"[هو] تورط بشكل مباشر في جمع المعلومات ضد إحدى وعشرين هدفاً منفصلاً ذا أهمية قصوى لوكالات الاستخبارات الأمريكية. أدت التقارير المقدمة التي ترجع إلى حد كبير إلى جهود الضابط الفني ماكمونيغل إلى تقديم معلومات قيمة إلى أعلى مستويات الحكومة."

تعليقات المقيِّم الأقدم ذات صلة بالتعليقات السابقة من الضابط الفني في القيادة الفرعية الذي، في ذلك الوقت، أراد حقاً أن يراني مطروداً من جيشه.

"الضابط الفني ماكمونيغل محترف من الطراز الأول. لقد أدى بطريقة متميزة في مشروع استخباراتي حساس للغاية. إنه جائزة للجيش. لديه القدرة الإدارية والتنظيمية والقيادية للتعامل مع الوظائف الصعبة في أعلى مستويات الحكومة. إمكاناته تتجاوز بكثير الجوانب الضيقة لعمليات المخابرات العسكرية. يمكنه التعامل مع العديد من الإجراءات في وقت واحد وسيتناسب جيداً مع المناصب السريعة والمتطلبة حيث تكون هناك حاجة لأفضل الضباط الفنيين في الجيش. يُختار للتعليم المتقدم؛ يُرقى إلى ضابط فني ثالث قبل أقرانه."

في تقرير آخر: "[هو] يظهر باستمرار قدرة غير عادية على استيعاب وشرح المشاكل والمفاهيم المعقدة للغاية. إنه مدفوع ذاتياً، ويحفز الآخرين بالقدوة. يزدهر تحت الضغط. مستعد دائماً لتحمل مسؤوليات إضافية. نزاهته وشجاعته الأخلاقية لا يمكن المساس بهما. ليس رجل نعم."

إلى هذا، أود أن أضيف البيان التالي الصادر عن مكتب الشؤون العامة لوكالة المخابرات المركزية، بشأن "الرؤية عن بُعد"، والذي يعود تاريخه إلى السادس من أيلول، عام ألف وتسعمائة وخمسة وتسعين:

بتفويض من الكونغرس، تراجع وكالة المخابرات المركزية المعلومات المتاحة وبرامج البحث السابقة المتعلقة بالظواهر الخارقة، وخاصة "الرؤية عن بُعد"، لتحديد ما إذا كان قد يكون لها أي فائدة لجمع المعلومات الاستخباراتية.

- رعت وكالة المخابرات المركزية أبحاثاً حول هذا الموضوع في السبعينات.
- في ذلك الوقت، حُدد البرنامج - الذي كان يُعتبر دائماً تخمينياً ومثيراً للجدل - على أنه غير مبشر.
- وكالة المخابرات المركزية هي أيضاً بصدد رفع السرية عن تاريخ البرنامج.

نتوقع الانتهاء من المراجعة الحالية هذا الخريف وتقديم توصية بشأن أي عمل مستقبلي من قبل مجتمع الاستخبارات الأمريكية في هذا المجال.

التقرير الذي يشيرون إليه والذي صدر في النهاية كان تقرير المعاهد الأمريكية للبحوث، والذي أتناوله لاحقاً في هذا الكتاب كقضية منفصلة.

الهدف من كل ما سبق هو نقل حقيقة أنه بينما كانت "الرؤية عن بُعد" الفعالة تحدث، وكانت تنعكس في نماذج تقرير تقييم الضابط الشخصية الخاصة بي، كانت تختفي في ثقب أسود. كانت المخابرات العسكرية، وتقريباً جميع وكالات الاستخبارات الأخرى في الحكومة الأمريكية، تحصل ليس فقط على "الكعكة، ولكن الآيس كريم أيضاً"، ولم يكن هناك أحد يدفع الفاتورة.

تدهور صحة الزملاء ومشاكل التجنيد

كان النقيبان توم مكنير و روبرت كاوارت، اللذان وصلا في آب من عام ألف وتسعمائة وواحد وثمانين، يتدربان كل أسبوعين في معهد (إس آر آي) لمدة ثمانية عشر شهراً تقريباً. لكنهما كانا لا يزالان على وشك الانتهاء من المرحلتين الأوليين فقط من نظام تدريب من ست مراحل. (لأكون دقيقاً، لا ينبغي احتساب جزء من فترة تدريبهما، حوالي أربعة أشهر. أُجبرنا على التوقف عن العمل لتلك الفترة نتيجة لـ توقف موجه من الكونغرس. كان هذا جزئياً بسبب رد الفعل المتسرع على الحادث الذي وقع في معهد مونرو).

أظهرت الأمثلة الأولية لتوم في "الرؤية عن بُعد" في المعهد وعداً كبيراً، لكن روبرت بدأ يعاني من آلام شديدة في ظهره، لا تختلف كثيراً عن الانزعاج الذي كان هارلي يتعامل معه قبل وفاته. في الواقع، أعتقد أن هناك بعض التداخل بين مغادرة هارلي ووفاته اللاحقة ووصول روبرت وتوم. أتذكر أنهما كانا يعرفان بعضهما البعض.

وصل ألم روبرت في النهاية إلى نقطة نُقل فيها إلى المستشفى واكتشفوا أنه يعاني من ورم سرطاني يمتد على طول عموده الفقري. في نفس الوقت تقريباً، اكتشفت سكرتيرتنا القديمة، جيما فورمان، أنها مصابة بالسرطان أيضاً. بدأ كلاهما العلاج في نفس الوقت تقريباً.

أدت العملية التي أزالت الورم من ظهر روبرت إلى بعض الشلل في ساقيه. لقد صمد مع المشروع لأطول فترة ممكنة، ولكن في النهاية سُرح طبياً وغادر المنطقة، وهو يركب كرسياً متحركاً بشكل دائم. توفيت جيما أيضاً بعد ذلك بوقت قصير.

بينما كنا نقترب من منتصف عام ألف وتسعمائة وثلاثة وثمانين، لم تكن الأمور تبدو جيدة من حيث "الرائين البدلاء". بدا أن توم يتقدم جيداً في تدريب إينغو، لكن الأمر كان يستغرق وقتاً طويلاً ولم يكن جاهزاً للعمل بعد. أصبحت "لا شيء" داخل الجيش، على الرغم من أن أولئك الذين يستخدمونني لم ينظروا إلي بهذه الطريقة – على الأقل، ليس بناءً على مستويات المهام التي كانت تُلقى علينا. كانت أعداد الوكالات تتزايد، وكذلك أعداد المشاكل.

محاولات الأتمتة والتوظيف الغريب

أحد الأشياء التي قمت بها للتخفيف من بعض الضغط هو إدخال الأتمتة إلى المشروع، كما ورد في أحد تقارير تقييم الضابط الخاصة بي، والتي ذُكرت سابقاً. حتى هذا الوقت، كنا نفعل كل شيء يدوياً، باستخدام ورق الكربون أو آلات التصوير. نظراً لأنني كنت من أوائل من صمموا واستخدموا الأنظمة الآلية لقيادة أنظمة جمع المعلومات الاستخباراتية وإجراء التحليل، فقد كتبت ورقة جدوى تقترح أن تثبيت نظام دعم مؤتمت بالكامل من شأنه أن يخفف الكثير من عبء المكتب ويخلق قاعدة بيانات خلفية أساسية لمعلومات وتحليل "الرؤية عن بُعد"، وللتتبع المتبادل للنتائج، و"الرائين عن بُعد"، والمحتوى الاستخباراتي. شعرت أن هذا سيثبت أنه لا يقدر بثمن من منظور تاريخي.

قوبلت ورقتي بشكل إيجابي وأُذن لي من قبل رئيس جمع المعلومات الاستخباراتية البشرية بسحب الأموال لشراء المعدات. اشتريت أحدث وأكثر أنظمة (وانغ) تنوعاً المتاحة في ذلك الوقت. لقد كان باهظ الثمن للغاية. كان يحتوي على محركات أقراص صلبة مكدسة قابلة للإزالة بالكامل، والتي يمكن تأمينها في خزانة، وبمجرد إزالتها، لم يترك أي شيء مقيماً داخل النظام. يمكن برمجة النظام باستخدام "كوبول"، مع إجراءات فرعية بلغة "بيسيك" وإجراءات فرعية رياضية بلغة "فورتران الرابع"، وهي اللغات التي كنت على دراية بها في ذلك الوقت. نظراً لأنني كنت الوحيد في المكتب الذي رأى جهاز كمبيوتر عن قرب على الإطلاق، كان علي أيضاً التعامل مع كتابة معايير تشغيله وإدخال البيانات واستخراجها. (ساعدني هذا على التكيف مع عالمي، الذي كان يتقلص أكثر فأكثر. لم يُسمح لي الآن بالتحدث إلا مع فريد أثناء عمليات "الرؤية عن بُعد"، والرئيس الجديد، المقدم بي).

أتذكر تلقي مكالمة من ضابط معالجة البيانات التلقائية في المقر في محطة (أرلينغتون هول)، يسألني عما إذا كان لدي نظام (وانغ) بالفعل. عندما قلت نعم، اندهش، لأنهم لن يأذنوا له بواحد. لقد كان أكثر تقدماً من جهاز "آي بي إم" الخاص به، والذي كان لا يزال يستخدم بطاقات مثقوبة قديمة الطراز، بينما كان علي فقط حفظ برمجتي على قرص قابل للإزالة ويمكنني نسخها احتياطياً بهذه الطريقة، والقيام بكل شيء افتراضياً عبر الشاشة. أفهم أنه عندما غادرت الوحدة في أيلول عام ألف وتسعمائة وأربعة وثمانين، في غضون أسبوعين نُقلت المعدات إلى المقر، حيث قالوا إنهم يمكن أن يحصلوا على المزيد من الاستخدام منها. ليست خطوة سيئة حقاً، لأنها فتحت الباب للوحدة للحصول على بعض من أول أنظمة الكمبيوتر المكتبية، والتي كانت أكثر ملاءمة لنوع العمل الذي كان يُنجز هناك. لو شُجع آخرون في القيادة على فتح عقولهم، أعتقد أن القفزة إلى أجهزة الكمبيوتر المكتبية كانت ستحدث في وقت أبكر بكثير.

في نهاية عام ألف وتسعمائة وثلاثة وثمانين، استدعاني الرئيس وأبلغني بأنهم وجدوا حلاً لمشكلة القوى العاملة. سلمني الجنرال (ستابلبين) قائمة بأسماء الأشخاص الذين التقى بهم في أسفاره حول العالم والذين أظهروا مستويات عالية من الأداء النفسي، وأرادنا الجنرال أن نخرج، ونجري معهم مقابلات، وإذا كان ذلك مناسباً، نقوم بتجنيدهم. استلزم هذا جولة خارجية سريعة مدتها عشرة أيام لست قواعد، حيث جلسنا وتحدثنا مع "رائين عن بُعد" مستقبليين محتملين. قبل الشروع في هذا الفشل الذريع، كتبت مذكرة (لا تزال سرية) تنص على اعتراضاتي على هذا الشكل من التجنيد، حيث تخلت عن المنهجية الأصلية المستخدمة للاختيار، والتي عملت بشكل جيد للغاية وكان يجب أن تعمل مرة أخرى. لم تكن هناك طريقة لمعرفة، بمجرد التحدث إليهم، ما إذا كان الأشخاص موهوبين نفسياً أو سيصبحون "رائين عن بُعد" مستقرين. لكن المذكرة أُهملت وقمنا بالرحلة في أوائل عام ألف وتسعمائة وأربعة وثمانين.

تحدث معي فريد قبل المغادرة مباشرة وأوضح أنه إذا كان بإمكان أي شخص أن يخبر أن شخصاً ما سيكون "رائي عن بُعد" جيداً، فسأكون أنا. بعبارة أخرى، دع القوة ترشدني.

في الوقت نفسه، ودون علمي، اتُخذ قرار بإرسال ثلاثة ضباط آخرين إلى إينغو للتدريب، على الرغم من أن توم لم ينته إلا من المرحلتين الأوليين ولم يكن قد حُددت أي من المراحل اللاحقة. أخبرني توم لاحقاً أنه كان لديه شعور بأن إينغو كان يجمعه أثناء تقدمه، مستخدماً توم كنوع من المرشد، بناءً على قدرته على الامتثال. اتُخذ قرار أيضاً بنقل التدريب من معهد (إس آر آي) في (كاليفورنيا) إلى مكتب يقع أقرب إلى منزل إينغو في مدينة (نيويورك). الأشخاص الثلاثة الذين اختيروا ليكونوا متدربين إضافيين كانوا النقيب بول سميث، ونقيب آخر لا يمكنني تسميته، ومحللة مدنية من المقر.

أخبرني المقدم بي أن كل هؤلاء الأشخاص اختيروا بناءً على توصية واحدة من السيد سوان، وهي في الواقع مطلب، بألا يكونوا "موهوبين نفسياً طبيعياً". قال إن متطلباته كانت لضباط أذكياء ونبهين.

يجب أن أذكر أنني أتفهم بصدق رغبة إينغو هنا. بعد الرحلة السريعة والمقابلات مع القائمة المقترحة من الموهوبين نفسياً (الذين اعتُبروا جميعاً موهوبين بطبيعتهم)، كانت توصيتي هي توظيف لين بوكانان وإذا أمكن إعادة توظيف ميل رايلي. كانت أسبابي ببساطة هي أنه بغض النظر عن مقدار الموهبة التي قد يمتلكها أي من هؤلاء الأشخاص أو لا يمتلكونها - كان من المستحيل تحديد ذلك دون اختبار - على أي حال، سيتعين عليهم أن يكونوا مستعدين لتغيير أساليبهم لتناسب البروتوكولات المقيدة للغاية المطلوبة في "الرؤية عن بُعد". معظمهم لم يكونوا كذلك. في الواقع، ذكر اثنان منهم مقدماً أنهم لن يغيروا أساليبهم لأي شخص، تحت أي شرط.

بعد أن قلت هذا، حتى مع الإمكانات التي أظهرتها المراحل المبكرة من عمل توم، شعرت أنه كان من السابق لأوانه جداً إدخال أشخاص "غير موهوبين" إلى المشروع باستخدام نظام تدريب غامض أو غير مثبت. لم يُتجاهل قلقي فحسب، بل أضافوا شخصاً رابعاً إلى القائمة – النقيب إد ديمز، الذي كان معروفاً بالفعل للآخرين في منطقة حصن (ميد) بأنه مهووس بـ (الأطباق الطائرة) و (الكائنات الفضائية). اعتقدت أن هذا غير ضروري حقاً وقلت ذلك. أخبرني الرئيس أنه لم يكن يتدرب على يد إينغو ليكون "رائي عن بُعد"، ولكنه كان يتدرب حتى يتمكن من فهم كيفية "إدارة" "الرائين عن بُعد" – شخص يمنح فريد استراحة، الذي كان منهكاً أيضاً، لكونه الشخص الوحيد الآن القادر على إدارة جلسات "الرؤية عن بُعد". قدمت تقريري من الرحلة واستسلمت بتقديم طلب تقاعدي رسمياً.

غادرت المشروع قبل أن يتمكن توم من إثبات نتائج تدريبه مع إينغو. تحدثت مع توم قليلاً منذ ذلك الحين عن تجربته مع التدريب. يقول: "أعتقد أن تدريب إينغو نجح. أشعر أنني كنت قادراً على إنتاج المعلومات الضرورية حول الموقع باستخدام طريقة إينغو، لكن ذلك كان بالتركيز على العملية وليس على الموقع، كما كان إينغو يوجه دائماً. لا أعرف كيف أقول هذا – باستخدام طريقة إينغو، جاءت المعلومات، لكنني نادراً ما شعرت أنني (أنا، توم) حصلت على الموقع. لقد حصلت على المعلومات، لكن الأمر كان أشبه بأن الموقع هو الذي حصل عليّ."

قال توم إن أول موقع له على الإطلاق، والذي قام به مع فريد كمراقب وأنا كمُرسِل، باستخدام طريقة معهد (إس آر آي) القديمة، كان المرة الأولى التي "عرف" فيها بالفعل أنه حصل على الموقع، وأنه كان موجوداً فعلاً هناك. مع طريقة إينغو، نادراً ما شعر أنه كان هناك أو في الموقع. كان الاختلاف الرئيسي، كما أوضح لي توم، هو أن إحدى الطرق شعرت بأنها غير موجهة وطبيعية، وشعر أنه كان في الموقع ويختبره، بينما مع طريقة إينغو شعر أنه بقي في الغرفة وأن المعلومات حول الموقع جاءت إليه.

جدل الموهبة والتقاعد

تلك اختلافات مهمة، لأنها تشير لي إلى احتمال أن يكون توم يمتلك قدراً كبيراً من الموهبة الطبيعية، وهي المكون الأساسي الذي يستمر الجميع في القول بأنه ليس ضرورياً مع تقنية تدريب إينغو. أعتقد أن نظام تدريب إينغو يعمل إلى حد ما، ولكن فقط مع الأشخاص الذين أظهروا موهبة طبيعية في "الرؤية عن بُعد".

أعلم أن إينغو وُضع في موقف مستحيل. كان مراقب العقد في معهد (إس آر آي) وشخص ما على مستوى القيادة في القيادة الاستخباراتية يفرضان الأمر بالقوة. سواء كان إينغو جاهزاً أم لا، وسواء كان قد أكمل اختبار أساليب تدريبه، وسواء كان ينبغي استخدامها من قبل أشخاص موهوبين بطبيعتهم بدلاً من غير الموهوبين طبيعياً، فهذا لن يُعرف أبداً. كان "الرؤساء" يريدون التدريب، وأرادوه في تلك اللحظة بالذات. لذلك جرى تنفيذه. أعتقد أن هذا أضر بالسيد سوان، والجيش الأمريكي وبعض أفراده، ومهد الطريق في النهاية لتفكيك الوحدة. ولكن بعد ذلك، من أنا لأشتكي؟ لقد قدمت أوراق تقاعدي ولم يعد الأمر من شأني.

طلب التقاعد هو مجرد ذلك – طلب. ليس على الجيش قبوله. ولكن، نظراً لأن البرنامج كان طوعياً، لم يكن هناك الكثير مما يمكن لأي شخص فعله لمنع تقديمه. وضعت الأوراق في النظام وقيل لي أن أتوقع رداً في غضون أسبوعين تقريباً.

مرت خمسة أسابيع، وكان الأمر كما لو أن أوراقي قد اختفت في ثقب أسود. اتصلت بالرجل الذي كان من المفترض أن يدفع الأوراق عبر النظام وقد فوجئ باتصالي. لقد مزقها قبل شهر - بناءً على طلبي!

غضبت، وركبت سيارتي وتوجهت إلى مكتبه. عندما وصلت إلى هناك، طلبت رؤية الطلب الموقع لسحبها. لم يتمكن من إحضاره. سألته لماذا مزقها. كان رده أنه عندما رآها قائد القيادة الاستخباراتية، قال إنها كانت "خطأ واضحاً"، وأنه كان سيعيدها. عندما حصل عليها، مزقها، معتقداً أنني وافقت. ففي النهاية، أنت لا تجادل الجنرال أبداً. حسناً - تقريباً أبداً.

اتصلت بالسكرتيرة الخاصة للجنرال وقالت إنه غير موجود، فطلبت التحدث مع رئيس الأركان. أخبرته بما حدث. قال إن الجنرال أخبره ألا يقلق بشأن ذلك، "يمكننا إقناعه بالبقاء". ثم سألني ما الذي سيتطلبه الأمر لحثي على البقاء إلى أجل غير مسمى.

كان ردي: "لا شيء".

"حسناً، ماذا لو تقاعدت من الجيش وبقيت كموظف مدني في الجيش؟"

"لا."

"ماذا عن الدرجة (جي إس-12)؟"

"لا."

"ماذا عن الدرجة (جي إس-13)؟"

"لا."

"هل تريد تكليفاً مباشراً؟"

"لا."

"هل تريد المزيد من المال؟ أن تعمل كمقاول مستقل؟"

"لا."

"حسناً إذن، ماذا بحق الجحيم تريد؟"

أعتقد أن ردي لم يكن ما توقعه. قلت: "أريد فقط أن أتقاعد وأذهب للعيش في الريف. أنا متعب؛ لا يوجد جهد جدي يُبذل لاستبدالي؛ ولا يُسمح لي حتى بالتحدث مع أي شخص في المكتب نفسه معي."

أخبرني أنه سيمرر ذلك إلى الجنرال. جلست على الآلة الكاتبة في المكتب الذي كنت أقف فيه وأعدت طباعة طلب تقاعدي. أخذت إجازة لمدة يومين وحملته باليد من مكتب إلى مكتب للحصول على التوقيعات، وكان المكتب الأخير هو مكتب الجنرال ستابلبين.

عندما حملته إلى مكتبه وأسقطته على مكتبه، أعلم أنه كان متأكداً من أنني كنت أقفز من السفينة. في ذهني، لم يكن هناك شيء آخر يمكنني فعله. كنت مستهلكاً تماماً. وقع على الأوراق، ولكن بحزن، على ما أعتقد.

كان جزء من طلب تقاعدي هو أنني سأستخدم إجازتي المتراكمة البالغة ستين يوماً كما أشاء. أضفت يومي الخميس والجمعة إلى عطلات نهاية الأسبوع، مما منحني أسبوع عمل مدته ثلاثة أيام لبقية مدة خدمتي، وخططت لحضور ندوة "البوابة" لمدة ستة أيام في معهد مونرو على الفور. واصلت القيام "بالرؤية عن بُعد"، لكنني أعتقد أن فريد شعر بمدى تعبي. بدأ بتحويل المزيد والمزيد من عبء العمل إلى توم، الذي كان يعمل بشكل جيد إلى حد ما، وكان ميل رايلي قد عاد الآن إلى المكتب، بعد عودته من أوروبا، ولطالما كان "رائياً" ممتازاً.

قبل المغادرة لندوة "البوابة" مباشرة، كنت أقوم بتنظيف بعض ملفاتي القديمة ولاحظت شيئاً كان يحدث لبعض الوقت. لما يقرب من عامين، كانوا يضعون علامات على عملي بأرقام "رائين" غادروا الوحدة منذ فترة طويلة، كإشارة إلى أي شخص يولي اهتماماً للإحصاءات بأنهم يعملون بكامل طاقتهم مع عدد قليل من "الرائين" ذوي الموهبة المتساوية.

واجهت الرئيس بالمعلومات، وأخبرني أنه نظراً لأنهم كانوا يعتمدون على "رائي واحد" لأكثر من عامين، فقد شعروا أن ذلك سيوفر لي المزيد من الحماية. إذا اكتشف أي شخص (من المفترض العدو - أياً كان) أنه لا يوجد سوى "رائي واحد"، فقد يحصلون على فكرة أن "إخفائي" سيكون فكرة جيدة. لم أصدق ذلك حينها، ولا أصدقه حتى الآن.

(علمت، بعد سنوات عديدة، أن الكثير من العمل الأصلي الذي قام به هارلي وكين وأنا قد مُزق عمداً. يمكنني أن أفترض أن هذا جرى للدفن حقيقة أن أرقام "رائين" متعددة كانت تُستخدم لـ "رائي واحد" أو "رائين" فرديين. لكنني أشك في أن ذلك كان السبب الأكبر الوحيد).

كنت أغادر المكتب وأنا أتساءل أين سأستقر وماذا سأفعل. بمجرد أن تتغلغل "الرؤية عن بُعد" في جلدك، يصبح التوقف المفاجئ صعباً للغاية.

الفصل الثاني عشر: التقاعد

كانت تجربتي الثانية في "البوابة" أفضل من الأولى، ربما لأنني وصلت وأنا مستهلك تماماً، دون قائمة طويلة من التوقعات في جيبي. كان مدرباي هما ابنة زوج بوب مونرو، نانسي هانيكات، وصديقتها، وهي معالجة نفسية من (كونيتيكت)، باتريشيا سابل (والآن بيكر، مثل كيم بيكر - سائقة سيارات سباق/سيدة أعمال). كانت مفاجأة سارة رؤية نانسي مرة أخرى. في اليوم الذي قابلتني فيه سابقاً على السطح الخلفي للمبنى المركزي، لم يكن لديها أي فكرة عن هويتي. الآن عرفت أنني كنت نوعاً من عميل استخبارات ولدي اهتمام أكبر من المعتاد بـ الخوارق، وبوالدها، وبما كانوا يفعلونه في معهد مونرو. ومع ذلك، خلال مقابلة القبول الخاصة بي مع باتريشيا، قلت ببساطة إنني كنت ضابطاً فنياً عسكرياً على وشك التقاعد.

كان الأسبوع بأكمله مهماً لأنني تمكنت من الاسترخاء حقاً لأول مرة منذ سنوات، وكانت لدي تجربتان مثيرتان للاهتمام. تتطلب التجربة الأولى بعض المعلومات الأساسية إذا أُريد فهمها.

الحادثة المحرجة وسيدة المستنقع

في أحد الأيام، في بداية تورطي في المشروع الخاص، في أواخر عام ألف وتسعمائة وثمانين، كنت أتحدث أنا وفريد عن أكثر اللحظات إحراجاً في حياتنا.

(على سبيل المثال، مباشرة بعد وصولي إلى محطة (أرلينغتون هول)، وبعد أن رُقيت إلى ضابط فني جديد تماماً، طُلب مني الجلوس في اجتماع في غرفة الحرب مع الجنرال روليا، واثنين من كبار الدبلوماسيين من دولة حليفة، وثلاثة جنرالات إضافيين من الجيش يمثلون قيادات أخرى. لأنني كنت أمثل مكتبي، الذي كان سيقوم بتبادل رسمي مع الدولة المعنية، كنت أرتدي أفضل زي رسمي لي، مع أحذية مصقولة، وجميع ميدالياتي. بعد أن أصبحت مرتاحاً قدر الإمكان لأول مرة على طاولة المؤتمرات المكونة من أربعة وعشرين شخصاً، في الأجواء الفاخرة لما هو في الأساس غرفة اجتماعات تنفيذية خلف أبواب قبو، جاء أحد الأشخاص المكلفين بتقديم الخدمة يقدم القهوة. بالطبع، عندما أخذ الجميع القهوة، فعلت أنا أيضاً. لسوء الحظ، حصلت على فنجان قهوة بمقبض متصدع. عندما التقطته، انفصل المقبض وسقط الفنجان، المليء بالقهوة الساخنة جداً والمخمرة حديثاً، مباشرة على مقدمة معطفي الرسمي وفي حضني. صوت الشخير الطفيف الذي أصدرته، نتيجة للسائل شديد السخونة الذي اصطدم بي فجأة في منطقة ما بين الساقين، جعل ثلاثة وعشرين زوجاً من العيون تتجه نحوي على الفور. لذلك، جلست هناك ومقبض فنجان القهوة في يدي اليمنى، أحاول التصرف بشكل طبيعي.

لم يتوقف الجنرال. وقف، وفتح أزرار زيه الرسمي بعناية، وألقاه عبر الغرفة على كرسي وعلق قائلاً: **"**أنت محق، يا ماك. الجو حار جداً بالنسبة لمعطف هنا**"**. عند هذه النقطة، أزال كل شخص آخر في غرفة الحرب معاطفهم. طلب رئيس الأركان من شخص ما أن يأخذ معطفي لتنظيفه أثناء وجودنا في الاجتماع، بحيث عندما نهضنا للمغادرة، بدا جديداً ونظيفاً كما كان عندما دخلت. هل كان الأمر محرجاً بالنسبة لي - بالتأكيد. هل سأتبع ذلك الجنرال في أي مكان على هذا الكوكب، وأغطي ظهره؟ بالتأكيد**!)**

إحدى هذه **"**أكثر اللحظات إحراجاً**"** حدثت عندما كنت طفلاً، ربما في العاشرة أو الحادية عشرة من عمري. كان أحد أفضل الأشياء في الانتماء إلى كشافة الأشبال في (ميامي، فلوريدا)، والتي كانت تديرها كاتدرائية القديسة مريم، هو الخروج من المدينة - مما يعني الخروج من الأحياء الفقيرة - لبضعة أيام. في إحدى رحلات التخييم، سافرنا إلى بستان برتقال يقع في أقصى غرب (ميامي)، على حافة منطقة (إيفرغليدز). (في ذلك الوقت، كانت (إيفرغليدز) مستنقعاً واسعاً وغامضاً، حيث توجد الآن منازل بملايين الدولارات).

نصبنا خيامنا وبدأنا نلعب لعبة تسمى "رسالة إلى غارسيا". هذا هو المكان الذي تُهمس فيه رسالة في أذن طفل ويحصل على عشرين دقيقة للاختباء، ثم يجب أن يصل دون أن يُلمس ويسلم الرسالة عن طريق الهمس بها في أذن الطفل التالي. الهدف الحقيقي من اللعبة الذي تدركه بالفعل في النهاية، هو عندما يُطلب من الصبي الأخير أن يذكر الرسالة للمجموعة بصوت عالٍ، وتتضح دائماً تقريباً أنها لا تشبه على الإطلاق الرسالة الأصلية. وهذا هو جوهر اللعبة - التواصل الواضح ومدى أهميته.

كنا نلعب طوال فترة ما بعد الظهر، وحوالي الغسق جاء دوري للاختباء. انطلقت أبحث عن أطول شجرة في البستان، الذي كان حوالي مائة وخمسين فداناً. كنت أراقب الآخرين ولاحظت أن لا أحد ينظر إلى الأعلى أبداً. لذلك، كنت قد قررت بالفعل العثور على أكبر شجرة برتقال يمكنني العثور عليها والاختباء فيها، وهو ما فعلته. تسلقت إلى أعلى مستوى ممكن وحشرت نفسي في الأغصان، ونظراً لأنني كنت متعباً جداً، غفوت على الفور.

أخبرت فريد، أن الشيء التالي الذي أتذكره، هو أنني استيقظت على صوت اسمي الذي يصرخ به الكثير من البالغين، المنتشرين عبر بستان البرتقال في صف، يلوحون بالمصابيح الكاشفة في كل مكان. كانت حوالي الساعة الرابعة صباحاً عندما وجدوني. هل كان الأمر محرجاً؟ حسناً - دعنا نقول فقط إنني فوتت رحلات التخييم الثلاث التالية وأغضبت الكثير من الآباء. كان أسوأ جزء هو أنني أفسدت اللعبة، لأنني لم أستطع تذكر الرسالة.

حسناً، في اليوم الثالث من "البوابة"، كنا في منتصف الشريط الثالث من اليوم، عندما شعرت فجأة وكأن شخصاً قد زحف إلى وحدة التحكم البيئي الكلي المتحكم بها (تشيك) وجلس على ركبتي. فتحت عيني، وخلعت سماعة الرأس لأصرخ في وجههم، ولاحظت أنها امرأة لم ألتقِ بها قط، وليست مشاركة في الندوة. كانت من الهند، وبدت في منتصف العمر. كان لديها نقطة صغيرة مرسومة بين عينيها، وخطوط رمادية في شعرها، وكانت ممتلئة قليلاً، وترتدي ملابس هندية تقليدية. لم تكن ترتدي حذاءً، لكنها كانت ترتدي أشياء زخرفية حول كاحليها وذراعيها. بدت مألوفة بشكل غريب، على الرغم من أنني كنت متأكداً من أنني لم ألتقِ بها من قبل. سحبت ساقي للخلف بعيداً عن الطريق وسألتها عما كانت تفعله. قالت إنها كانت هناك للتحدث. قلت إنني لا أعرفها، وعند هذه النقطة غمزت ولوحت بيدها - وكان لدي استذكار مفاجئ وفوري بأنني قابلتها من قبل. لم يكن هذا مجرد اقتراح، أو تجربة جديدة تماماً؛ كان الأمر كما لو أنني تذكرت فجأة لقاءنا السابق. حدث ذلك عندما غفوت في بستان البرتقال. بينما كنت أغفو، ظهرت فجأة وأخذت يدي وقادتني إلى مكان بلون الورد وكان لدينا مكان للجلوس. هناك قدمت نفسها وتحدثنا جميعاً حول ما سأفعله في حياتي.

ابتسمت للنظرة على وجهي، وبالطبع دخلت في حالة صدمة ولم أتمكن من الرد على الإطلاق. أن يكون لديك فجأة استذكار فوري بأنك خططت لحياتك - الجيد والسيئ والقبيح - كان أمراً مربكاً بعض الشيء. أخبرتها أنني لا أستطيع تذكر اسمها، فضحكت وقالت لي.

"كارانجا! اسمي كارانجا."

ظهر اسمها في رأسي وهي تقوله. رأيته بعلامات مضحكة فوق حرف النون وكذلك بين الراء والألف. كتبته في مذكراتي لاحقاً حتى لا أنساه.

لذلك، قلت: "حسناً، يا كارانجا. لماذا أنت هنا؟"

فأجابت، ضاحكة: "فقط للتحدث."

سألت بتردد: "وهذه المرة، سأتذكر ما نتحدث عنه؟"

لوحت بيدها واستيقظت في نهاية الشريط.

لم أكن أعرف ماذا أفعل بهذه التجربة. لقد أربكتني تماماً. سألت الرجل الذي يشاركني الغرفة عما إذا كان قد سمعنا نتحدث فقال لا. لكنه قال إنه شهد ضوءاً غريباً جداً في الغرفة، مر خارج الستارة السوداء الصغيرة التي أغلقت وحدة (تشيك) الخاصة به. اعتقد أنه ربما كنت قد سرت عبر الغرفة وانعكس ضوء الشمس على شيء كنت أحمله.

أخبرت فريد عن ذلك لاحقاً عندما عدت إلى (ميد) ولطالما أشرنا إليها باسم "سيدة المستنقع"، لأن ذلك كان أول مكان قُدمت فيه إلي.

ما هي؟ من هي؟

حسناً، أفضل ما توصلت إليه حتى الآن هو أنها جانب ما من نفسي - إسقاط ما للذات، وربما تكون مهتمة بأي شيء قد أحمي نفسي منه. يقول بعض من أخبرتهم عنها إنها مرشدتي. ربما نعم، وربما لا، ولكن ليس لدي أدنى فكرة عمن هي. أنا فقط أعلم أنه في لحظة نادرة جداً في الزمان/المكان، أراها أحياناً ونتحدث. ما نتحدث عنه يتجاوز متناول يدي حتى بعد أن يحدث.

قضيت وقتاً طويلاً في البحث عن معنى اسمها. سألت العديد من الأشخاص الذين عرفتهم أو قابلتهم من الهند، وكذلك أولئك الذين يتحدثون لهجات عديدة من الهندية. لم يتمكن أي منهم من ترجمة الاسم. في النهاية، بعد أن بدأت العمل في معهد ستانفورد للأبحاث الدولية (إس آر آي) بعد تقاعدي، قضيت عطلة نهاية أسبوع أحضر معرضاً خاصاً للآلهة والمعبودات الهندوسية في المتحف الموجود في المتنزه الرئيسي في وسط مدينة (سان فرانسيسكو). في إحدى الغرف كان هناك مذبح ضخم متعدد المستويات، مع عشرات التماثيل الصغيرة المعروضة عليه. على الرف السفلي جداً، نحو الخلف، كان هناك تمثال صغير لامرأة ممتلئة قليلاً ترتدي زياً هندياً. أدرجوها كـ إله ثانوي، بالاسم المكتوب كيرانجا، والذي يُترجم من بعض اللهجات القديمة، ويعني "جالب أو حامل أو نور".

بمعرفتي بما أعرفه الآن، وتفكيري كما أفكر الآن حول كيفية عمل الزمان/المكان، يمكنني، في تلك النقطة الزمنية بالذات، أن أكون قد خلقت كل تجاربي معها حتى هذه اللحظة بالذات. كما ترى، أعتقد أننا نخدع أنفسنا بالاعتقاد بأن الأمور خطية ببساطة لأننا عادة ما نختبرها بهذه الطريقة. ولكن في الواقع، تحدث أحداث شاذة ونختبرها خارج الإطار الزمني الخطي. بعبارة بسيطة، الأمر يشبه القول إنه نظراً لأنني سأعرف في النهاية الإجابة على سؤال ليس لدي إجابة له حالياً - فستكون في النهاية داخل رأسي كمعرفة. لذلك، إذا غيرت طريقة تفكيرك في الزمن، يمكنني اعتبار المعلومات موجودة دائماً في ذهني منذ البداية. بعبارة أخرى، ربما لا تسافر المعلومات إلينا - بل هي موجودة دائماً حتى تكون ضرورية لإكمال إطار الزمان/المكان.

شيء واحد مؤكد، ستظل دائماً واحدة من الألغاز العظيمة في حياتي التي ستبقيني مهتماً بالخوارق وكيف يمكن أو لا يمكن أن يعمل الواقع.

قيود التقاعد والإعاقة العسكرية

الشيء الثاني الذي حدث في تلك "البوابة" المحددة كان لفتة بسيطة ولطيفة أدخلت زوجتي الثالثة والأخيرة إلى حياتي. سُمح لي بالركوب للمساعدة في إطعام كلبين.

في أحد فترات ما بعد الظهر، أثناء الغداء، كنت أتحدث مع نانسي هانيكات، عندما قالت إن عليها الذهاب وإطعام "قيصر". لسبب ما، أثار الاسم صورة لقط ضخم، نمر بنغالي يرتدي سلاسل ثقيلة في قفص في قبو. أو ربما كلب (دوبرمان) ملكي، يحرس كوخاً حجرياً صغيراً في الغابة. مهما كانت الصورة، فقد أثارت فضولي، وطلبت الذهاب معها. في البداية كانت مترددة. لم أكن أعلم، لكن القواعد تمنع بشدة أي من المدربين من أن يصبحوا ودودين مع المشاركين الأفراد. كانت هذه قواعد تعرفها جيداً، لأنها كانت القواعد التي صاغتها لجميع المدربين. لكنني ضغطت عليها واستسلمت أخيراً.

توجهنا بالسيارة إلى منزلها، وهو مزرعة قديمة، لونها الأصفر الباهت القبيح نوعاً ما والذي أطلقت عليه تسمية "منزل الكولونيل ماسترد". حذرتني من أن قيصر يمكن أن يكون حامياً بشكل مفرط في بعض الأحيان، لكن ابنه، "هيغنز"، كان لا يزال جرواً. لذلك، كنت أشعر بالتوتر ولدي صور لـ (دوبرمان) ضخم وكبير، و (دوبرمان) أصغر، جرو، الذي سيقتل الدوبرمان الأكبر لحمايته. تحركت بتردد إلى الفناء الخلفي، بينما دخلت هي منزلها تنادي عليهما. فتحت باب السطح الخلفي المائل، واندفع "قيصر" - بوزنه الذي يبلغ ثمانية أرطال كاملاً. بدا وكأنه مزيج من كلب (بودل) و (كورجي) و (تيرير)، مع نوع من قصة شعر (شنوزر). جاء نحوي مباشرة وتصلب، واقشعر في رقبته وأصدر هديراً منخفضاً، حنجرياً. خلفه مباشرة، وأذنيه مرفوعتين في منتصف الهواء، كان "هيغنز" بوزنه الذي يبلغ رطلين، وذيله يخفق ذهاباً وإياباً.

أخبرتني أن قيصر كان يتحقق مني للتو. سيهدأ بعد بضع دقائق. ألقى نظرة ثانية سريعة علي ثم انطلق خلف هيغنز. قضيا وقتاً ممتعاً في الفناء.

جلست تحت شجرة جوز قديمة، وأخبرتني عن كيف نظر إليها قيصر الصغير قبل بضع سنوات عندما اضطرت للذهاب إلى (كاليفورنيا) للعمل. (لعدة سنوات قامت بأعمال مبيعات لداري نشر رئيسيتين تبيعان كتباً مدرسية للكليات في كل من الساحل الغربي والشرقي، قبل أن تعود للعمل في المعهد كمديرة له). قالت إن قلبها انكسر وهي تتركه في المنزل. كان من الواضح أنها أحبت طفليها الصغيرين ذوي الفراء كثيراً. جلسنا بجوار شجرة الجوز وتحدثنا، وشعرت بشيء ينقلب في داخلي. لقد أرعبني ذلك. لم تكن هناك طريقة لأن أستوعب أي مفهوم لزواج ثالث. لقد دمرت اثنين بالفعل؛ كان الثالث مستحيلاً. حاولت جاهداً الابتعاد عنها بعد ذلك، ولكن بمرور الوقت أصبح الأمر أكثر صعوبة.

كان أحد الأشياء التي كان علي القيام بها للتحضير للتقاعد هو إجراء فحص طبي كامل في مركز (والتر ريد) الطبي. ولقد كان كاملاً - يغطي كل التفاصيل بشكل صحيح. أشاروا إلى حقيقة أنني كنت أعاني من مرض ديسك حاد وكسور إجهاد شعرية متعددة في جميع أنحاء عمودي الفقري، مما أهلني للحصول على 30 في المئة من الإعاقة. لم يكن هذا مفاجئاً بالنسبة لي، لأنني قضيت الستة عشر عاماً الماضية أعيش مع الألم. والمثير للدهشة، أنني حصلت أيضاً على 10 في المئة إضافية لالتهاب المفاصل في معصمي الأيسر، ويدي اليمنى، وعمودي الفقري، نتيجة لإصابات أخرى تعرضت لها أثناء الخدمة.

ثم تعلمت أحد الأشياء المثيرة للاهتمام حول الخدمة العسكرية التي لا يخبرونك بها عندما تسجل وتؤدي خدمتك. حتى لو كانت إعاقتك شديدة لدرجة أنك لم تعد قادراً على العمل لإعالة عائلتك، فإن ذلك لا يعني أي شيء من حيث المال الإضافي.

أصدر الكونغرس قانوناً منذ أكثر من مائة عام يمنع المحاربين القدامى المتقاعدين من الحصول على كل من راتب التقاعد والنسبة المئوية للإعاقة التي ينتهي بهم المطاف بها نتيجة لجروح أو إصابات تعرضوا لها في خدمة البلاد. في الواقع، بمجرد أن تتقاعد، تدفع إعاقة نفسك. مقابل كل دولار تتلقاه في الإعاقة، يُخصم دولار من راتب تقاعدك. الجزء الجيد الوحيد هو أن النسبة المئوية المدفوعة في الإعاقة لا تخضع للضريبة.

الآن، إذا ذهبت، بصفتك ضابطاً عسكرياً متقاعداً أو جندياً، للعمل لدى الحكومة بعد تقاعدك، ثم تقاعدت من الخدمة الحكومية، يمكن أن تكون الإعاقة - مهما كانت نسبتها المئوية - نتيجة للخدمة الحكومية وليس الخدمة العسكرية ويمكنك سحب راتبك التقاعدي الكامل وإعاقة الإعاقة. أو، إذا كنت عضو كونغرس أو سيناتور وتعرضت للإعاقة أثناء الخدمة (حتى لو لولاية واحدة فقط)، يمكنك سحب كل من التقاعد والإعاقة الكاملة. أو بالطبع إذا كنت رئيس الولايات المتحدة، وهو أيضاً القائد الأعلى، يمكنك سحب كليهما لأنك ستسحبه كرئيس وليس كقائد.

إذا كنت أبدو مستاءً بعض الشيء هنا، فذلك لأنني كذلك. يجب على أي من قرائي الذين يعتقدون أن المحاربين القدامى العسكريين المتقاعدين والمعوقين بنسبة 100 في المئة يُعتنى بهم جيداً أن يتحققوا من الأمر. إنهم ليسوا كذلك. الرجال الذين يصلون إلى التقاعد وينتهي بهم المطاف معاقين نتيجة لجروح أو إصابات سابقة أثناء الخدمة، والذين هم الآن عالقون في كراسي متحركة، يدفعون إعاقة أنفسهم. هذه مأساة، خاصة عندما يكونون في أوائل الأربعينات من العمر، وأطفالهم يصلون إلى سن الجامعة، أو تحتاج العائلة إلى تأمين طبي، أو منزل، أو طعام. جرب الأمر كملازم أول متقاعد لديه ثلاثة أطفال، ويعيش مع مرض غريب وجدوه في دمك نتيجة اقتحامهم باب "مخبأ" خاطئ في (العراق) في عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين - وهو مرض لن يسمح لك بالنهوض من السرير.

إنها جريمة لا تُغتفر أن فواتير الحرب تُدفع دائماً عندما يتعلق الأمر بتكنولوجيا جديدة بمليارات الدولارات، لكن التكلفة البشرية - مثل حياة الأمريكيين - تبدو دائماً وكأنها تضيع في مكان ما في الزحام. باستثناء بالطبع كل شخص آخر يخدم، ولكن ليس في الجيش. أفترض أن مقاولي الحكومة ومجموعات الضغط الأخرى أقوى بكثير من تلك التي تمثل المتقاعد العسكري، أو ربما أولئك الذين في لوبي المتقاعدين يخدمون سيدين.

لن أعتذر عن قوة مشاعري بشأن هذه القضية. لقد رأيت الكثير من رفاقي يسقطون بشدة بعد تضحيات كبيرة نيابة عن بلادهم. الأشخاص الذين يتخذون القرارات بإرسال الجنود إلى الحرب هم أيضاً من يتخذون القرارات بعدم رعايتهم بعد ذلك.

حادثة الاعتداء الغريبة

أثناء وجودي في (والتر ريد)، أجروا لي أيضاً اختبار إجهاد كامل للقلب على جهاز المشي متصل بجهاز كمبيوتر. وضعوني في 45 دقيقة مرهقة من الركض صعوداً ونزولاً على التل، مما رفع معدل ضربات قلبي إلى حوالي 225 نبضة في الدقيقة لمدة عشر دقائق تقريباً من تسلق التل المحاكى. أعلن الكمبيوتر أنني (بصرف النظر عن عمودي الفقري بأكمله، الذي أفسده الاختبار مرة أخرى فعلياً) لائق كما ينبغي أن يكون شخص يبلغ من العمر 39 عاماً. خرجت من (والتر ريد) وأنا أعرج وراضٍ عن أنه لم يكن هناك أي خطأ فظيع جداً بي.

في الأسبوع التالي، وقعت واحدة من أغرب الحوادث في مسيرتي المهنية. عندما دخلت المكتب صباح يوم خميس، طلب مني الرئيس الاتصال برئيس الأركان. قال إن الأمر عاجل. اتصلت به على الفور. عندما أخذ رئيس الأركان الهاتف من سكرتيرته، بدأ على الفور يمضغني مثل سمكة الضاري (البيرانا). قال إنه سيطلب من الشرطة العسكرية إلقاء القبض علي وإحضاري إلى محطة (أرلينغتون هول) مقيداً بالحديد. كان غاضباً تماماً كما لم أسمعه من قبل. عندما توقف أخيراً عن الصراخ في الهاتف، سألته ما الذي بحق الجحيم كان من المفترض أن أفعله.

أجاب غير مصدق: "تقصد أنك لا تعرف؟"

صرخت رداً عليه: "لا. ليس لدي أدنى فكرة، أيها العقيد".

أخذ نفساً عميقاً. "لدينا شكوى موقعة رسمية من طبيب برتبة مقدم في (والتر ريد) يقول إنه تعرض للاعتداء الجسدي من قبلك الأسبوع الماضي."

كنت هناك يوم الاثنين الذي سبقه لإجراء الفحص الطبي للتقاعد ولم أر حتى مقدماً، ناهيك عن الاعتداء عليه. سألت بتردد: "متى كان من المفترض أن يحدث هذا؟" سمعته وهو يقلب الأوراق.

"مساء الأربعاء."

أطلقت نفساً شعرت بالارتياح. لم أكن أعلم حتى أنني كنت أحبسه. أجبت: "حسناً، لم أكن أنا. كنت أقف في مبنى الكابيتول مع مساعد نائب رئيس الأركان للاستخبارات البشرية، ورئيسي."

المزيد من تقليب الأوراق.

أجاب: "هناك شيء خاطئ هنا إذن. يقول في بيانه إنه تعرف عليك من شارة هويتك على زيك الرسمي الأخضر. يصفك بشكل مثالي تقريباً من الرأس إلى أخمص القدمين. ويدعي أنك قفزت عليه في ممر مهجور دون سبب."

صرخت مرة أخرى: "لم أكن أنا"، مكرراً ما قلته من قبل.

لم يصدقني.

قال: "أريدك في مكتبي في غضون ساعة!" ثم أغلق الخط.

ذهبت إلى رئيسي وأخبرته بما حدث وذهب معي إلى مكتب رئيس الأركان في (أرلينغتون). عندما وصلنا إلى هناك، كان هناك مقدم في المكتب الخارجي، راقبنا بعصبية ونحن ندخل. أعلنت سكرتيرة رئيس الأركان وصولنا وخرج لمقابلتنا.

نظر إلى المقدم ذي شارة الطبيب على ياقته، وسأل: "هل هذا هو الرجل؟" مشيراً إلي.

أومأ المقدم بالإيجاب، لكنه راقبني بعناية شديدة وعصبية. أعتقد أنه كان خائفاً من أن أقفز عليه مرة أخرى.

قلت: "حسناً، سيدي. أنت مخطئ. هذا الرجل،" أشرت إلى المقدم، "كاذب."

ثار الجدل عندما وصفته بالكاذب. كان الصخب عالياً بما يكفي لجلب الجنرال من الجانب الآخر من القاعة، يسأل عما كان يحدث. شرح رئيس الأركان الوضع برمته.

التقط الجنرال الهاتف واتصل بمساعد نائب رئيس الأركان للاستخبارات البشرية، وسأله أين كان يوم الأربعاء. بعد بضع دقائق سأله من كان معه. أومأ برأسه، وأغلق الهاتف ونظر نحو المقدم.

قال: "حسناً، سيدي. أنت مخطئ. هذا الرجل،" قال، مشيراً إلي، "كان في غرفة في مبنى (رايبيرن) في الكابيتول مع مساعد نائب رئيس الأركان للاستخبارات البشرية، ورئيسه هنا، واثنين من أعضاء الكونغرس وسيناتور عندما تعرضت للاعتداء."

أصبحت الغرفة هادئة جداً. كان على وجه الضابط الطبي المقدم نظرة حيرة شديدة. التقط حقيبته واستدار وخرج من المكتب. أسقط رئيس الأركان الأوراق في سلة مهملات سكرتيرته في طريق عودته إلى مكتبه. ابتعد الجميع عني.

"حسناً؟" سأل رئيسي. "هل أنت قادم؟"

تبعته إلى السيارة وعدنا إلى حصن (ميد).

حتى يومنا هذا، ليس لدي أدنى فكرة عما يجب أن يكون أغرب حادث في مسيرتي المهنية التي استمرت عشرين عاماً في الجيش. في طريق العودة إلى (ميد)، استمر رئيسي في مضايقتي بشأن الاعتداء على الناس أثناء وجودي خارج الجسد. في تلك المرحلة من خدمتي، لم يكن هناك سوى اثنان آخران من عائلة "ماكمونيغل" يخدمان في أي خدمة في وزارة الدفاع كنت على علم بهما، لا أحد منهما محلياً ولا أحد منهما من الأقارب.

الوداع المؤلم والشريك الجديد

كنت أقضي المزيد والمزيد من الوقت في منطقة (شارلوتسفيل)، ووقت أقل في حصن (ميد). عندما كنت في مسكني في القاعدة كان الأمر غير مريح. كنت وحدي مع كلبي، بارني، وكنا نفتقد أشياء مثل الستيريو وبعض الأشياء الأخرى التي تجعل المنزل أكثر ملاءمة للعيش. كنا نقضي الكثير من الوقت معاً في المشي لمسافات أطول وأطول في القاعدة. كان من غير المريح أيضاً التواجد هناك بمفردي في منتصف الأسبوع، خاصة أثناء النهار. عرفت بعض الزوجات الأخريات في ساحة المنازل أنني انفصلت بشكل دائم عن بيغي وكن يظهرن عند بابي، أحياناً يبحثن عن مصباح إضافي، ولكن في الغالب يبحثن عن أشياء أخرى. ابتعدت قدر الإمكان.

عندما سافرت جنوباً بالسيارة، أخذت بارني معي في بعض الرحلات. لقد أحب الركوب في السيارة حقاً. كان يجلس في الأمام مثل راكب عادي ويشاهد الأشياء تمر. لقد أحب حقاً النظر إلى الأبقار. أعتقد أنه كان يعتقد أنها مجرد كلاب أكبر.

في إحدى رحلاتي إلى المعهد أحضرته إلى منزل نانسي للقاء قيصر. لقد كان خطأ كبيراً حقاً. كنت أنا وبارني قد خضنا قتالاً مع مجموعة من الكلاب في حصن (ميد). قفزت علينا مجموعة من أربعة كلاب، جميعها حيوانات أليفة عائلية سمح الناس لها بالتجول في الحي بعد حلول الظلام - كلب (مالاموت)، وكلب (سيتِر إيرلندي)، وكلب (راعي ألماني)، وكلب (سبرينغر إسباني). وضعت كلب (مالاموت) في سيارة متوقفة، وكلب (سبرينغر إسباني) في حاوية قمامة، وقتلت كلب الراعي الألماني. قتل بارني القائد، كلب (سيتِر إيرلندي)، وأبقى كلب الراعي الألماني في وضع حرج حتى أتيحت لي فرصة للدفاع عن نفسي.
قضيت ثلاثة أيام في جناح الأمراض المعدية في مستشفى حصن (ميد)، حيث جرى تنظيف جروحي كل ساعتين إلى أربع ساعات. بعد ذلك، لن يسمح بارني أبداً لكلب آخر بالاقتراب مني - ولا حتى الأصغر حجماً مثل قيصر وهيغنز. قيصر، الذي يحمي منطقته، بالطبع اندفع نحو بارني وهو يهدد. أمسك به بارني وكأنه لفة من المناشف الورقية وانطلق عبر الفناء به، يهزه كدمية قماشية. انطلق هيغنز للاختباء. انطلقت خلف بارني بمظلة. لم يكن بارني خائفاً من الكثير، لكن فتح أي مظلة أمامه يولد استجابة فزع كبيرة حقاً. فزع بارني - سقط قيصر على الأرض وهو يركض، دون أن يصيبه سوء، وأعدت ربط مقود بارني.

في البداية، كلما زرت نانسي، كنا نضع بارني في الطابق الثاني ونبقي الكلبين الآخرين في الطابق السفلي. بخلاف ذلك، كان بارني دائماً مقيداً، خاصة عندما كنت أتمشى به. كان يمكنني أن أرى أن ذلك يجهدها، ويجهد الحيوانات الأربعة الأرجل الأخرى جميعها. كنت أعلم في قلبي أنها مسألة وقت فقط حتى يحصل بارني على فرصة أخرى لـ قيصر أو هيغنز - وفي المرة القادمة قد لا نكون محظوظين جداً.

كنت أعلم أنه إذا كان هناك أي علاقة دائمة بين نانسي وبيني، فسيتعين علي التخلي عن بارني. فكرت في الأمر كثيراً وناقشناه عدة مرات. حتى أننا فكرنا في تحويل المرآب كبير الحجم إلى بيت للكلاب، وربطه بمساحة جري مغطاة بالحجم الكامل في الخارج. فكرة رائعة، لكنني لم أستطع أن أتصور أنني سأتمكن من مراقبته مثل الصقر طوال الوقت. في رأيي، كان سيكون طلباً مبالغاً فيه أن أطلب منها التخلي عن كلبيها من أجلي. لقد كان مجرد واحد آخر من تلك الأحداث المؤلمة بشكل لا يصدق في حياة المرء التي يتعين على المرء التعامل معها. كان بالتأكيد واحداً من أكثر الأحداث إيلاماً في حياتي حتى تلك النقطة. كان بارني صديقي ومحل ثقتي، وهو شيء ليس لديك الكثير منه في مجال الاستخبارات. كان يمكنني مشاركة الوقت معه ولم يطلب شيئاً، بخلاف أن يكون هناك معي، يشاركني فيما كنت أفعله. حتى أنه كان يحمل طعامه ومائه في مجموعة من أكياس السرج التي صنعتها له. لم يكن الأمر مثل علاقة مع شخص آخر. هذا دائماً شارع ذو اتجاهين. مع بارني شعرت دائماً أنه كان باتجاه واحد - منه إلي. لم يتطلب الأمر الكثير لجعله يزحف بجواري على الأريكة ويضع رأسه في حضني، أو يصدر لي "نُباحاً لطيفاً" عندما ينفد إنذاري. كانت مطالبه بسيطة للغاية - "فقط اعتنِ بي".

هذا هو الجزء الذي جعله مؤلماً للغاية. لم يكن يطلب الكثير، لكنه كان أكثر مما يمكنني إدارته.

كان الأمر صعباً بنفس القدر على نانسي. في الواقع، يجب أن أبدأ بالإشارة إليها بلقبها، "سكوتر". (عندما كانت طفلة صغيرة، بدأت المرأة التي ساعدت في رعايتها تسميتها سكوتر، تيمناً بالكعك الصغير الذي كانوا يبيعونه بنفس الاسم). كان لديها مشاعر قوية حقاً بشأن هذه القضية أيضاً. كانت ستفعل أي شيء أطلبه، أو تعدل أي جزء من المنزل، أو تفعل أي شيء تقريباً لضمان بقائي أنا وبارني معاً. كان هذا أحد الأشياء التي وقعت في حب سكوتر بسببها - كانت تضع نفسها دائماً مكان شخص آخر قبل أن تصدر أحكاماً عليهم أو تعلق على الأوضاع التي كانوا فيها. في هذه الحالة، علمت أنها كانت تتخيل كيف سيكون شعورها بالتخلي عن كلبيها وولّد ذلك قدراً لا يطاق تقريباً من الحزن المتخيل لها. لكنه كان أحد تلك الأشياء في الحياة التي يجب القيام بها، وكان في الواقع قراري طوال الوقت. أخبرتها أنني سأجد حلاً وأن ذلك ربما يعني التخلي عن بارني لمنزل جيد آخر. لا يمكنني التفكير في أوقات أخرى رأيتها تبكي فيها بشدة أو تشعر بالسوء حيال شيء لا يمكنها فعل أي شيء حياله.

عندما عدت إلى حصن (ميد)، جلست على طاولة المطبخ وكتبت رسالة من بارني إلى أي شخص قد يكون المالك الجديد. شرحت فيها أنني (أتحدث نيابة عن بارني) كنت حامياً بشكل مفرط لأفراد عائلتي، وأنني أحب حقاً النقانق الساخنة كثيراً. أدرجت كلماتي المفضلة، وخاصة تلك التي عرفتها جيداً حقاً، مثل اجلس، ابقَ، استلقِ، من هذا القبيل، ثم أوضحت أنني أحب أكثر من أي شيء أن أكون مع العائلة وركوب السيارة. أخذت بارني إلى طبيبته البيطرية - التي أحبته كثيراً على أي حال - وبدأت تبحث عن منزل جديد له. في غضون أسابيع قليلة، رأت سيدة مبيعات الرسالة التي كتبتها له. كانت تعمل في الأقاليم الجنوبية الغربية وأرادت رفيق سفر لحمايتها وأشياءها. عندما جلست في مكتب الطبيب البيطري وسمحوا لبارني بالدخول، ذهب إلى الأريكة، وتسلقها، ووضع رأسه في حضنها - وهي علامة أكيدة يمكن أن تكون. تلقيت رسالة واحدة من المرأة بعد رحلة المبيعات الأولى التي رافقها فيها بارني. كانت بسيطة ومباشرة للغاية - كانت الرسالة، باختصار، "أنا أحب بارني، وهو يحبني، ولا يمكنك استعادته". لذلك، في قلبي، أنا ممتن إلى الأبد للمرأة التي منحت بارني منزله ودوره الجديد في الحياة. لقد كان مدرباً عليه تقريباً. ولكن حتى الآن، أحتفظ بملف به صور بارني على مكتبي. سيكون له دائماً - كما هو الحال مع جميع أطفالي ذوي الفراء - مكانة خاصة جداً في قلبي.

نهاية الخدمة وبداية جديدة

عندما اقتربت من موعد تقاعدي بستة أسابيع تقريباً، بدأت بنقل أغراضي إلى "منزل الكولونيل ماسترد"، بالقرب من (نيليسفورد، فيرجينيا). بحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى التقاعد، كنت أعيش في مقاطعة (نيلسون، فيرجينيا)، في عمق جبال "الردج الأزرق" وأتنقل إلى حصن (جورج جي. ميد، ماريلاند)، في عمق خرسانة المدينة وحركة المرور المستحيلة. في يوم جيد، كانت الرحلة تستغرق حوالي ثلاث ساعات وخمس وأربعين دقيقة. لذلك، كان مغادرة العمل في أسابيعي الأخيرة في (ميد) تعني الانطلاق على الطريق حوالي الساعة الرابعة وعشر دقائق صباحاً، وهو شيء كنت مرتاحاً له تماماً. لقد منحني الكثير من الوقت للتفكير فيما كنت أخطط له وأفعله. كان أصعب قرار سيتعين علي اتخاذه هو ما إذا كان بإمكاني الالتزام بعلاقة جدية أخرى أم لا. لقد تسببت في الكثير من الضرر لنفسي وللآخرين في محاولتي الأولى والثانية لدرجة أنني لم أرغب في إفساد شيء جيد عن طريق إعادة إحياء التاريخ.

فكرت طويلاً وبعمق في اتخاذ القرار، وقضيت أسابيع أتعذب بشأنه قبل أن أتخذ قراري أخيراً. في النهاية، انتصر المنطق والعقل السليم.

لكوني جندياً لمدة عشرين عاماً، كنت أعلم أن الموت يمكن أن يأتي من العدم في أي وقت. بعد أن مررت بتجربة الاقتراب من الموت في (النمسا) عام ألف وتسعمائة وسبعين، كنت أدرك أيضاً أن لا شيء يهم حقاً في الحياة بخلاف أنك تعيشها صادقاً مع نفسك. لسنوات عديدة كنت قد نسيت ذلك. كانت سكوتر الآن تذكرني بلطف، بطريقتها الخاصة.

قرار الزواج الثالث

قررت أن الطريقة الوحيدة التي يمكنني بها إفساد زواج ثالث هي أن أكون فيه، والطريقة الوحيدة لعدم إفساده هي أن أبذل قصارى جهدي دون أن أعيش باستمرار في خوف من العواقب. توصلت إلى استنتاج مفاده أن القرار بشأن الزواج يجب أن يُتخذ دون خوف. قررت أن الخوف الوحيد الذي كان يساورني في ذلك الوقت هو ألا أكون معها. أحببتها كثيراً ولم أستطع ببساطة الابتعاد عنها.

تقاعد صامت وتكريم غير متوقع

نظراً لأنني كنت في مشروع "سري للغاية"، والقليل جداً من الناس يعرفونني، أُقيم حفل تقاعدي "سراً وفي سرية تامة" داخل مبنى المشروع. دُعيت سكوتر للحضور وجرى تطهير المبنى من أي مواد سرية لأجلها. لقد فوجئت جداً عندما نادى مساعد نائب رئيس الأركان للاستخبارات البشرية الجميع للانتباه وقدم لي وساماً، هو وسام الاستحقاق في تجربتي، نادراً ما يحصل عليه أحد - عادة أولئك الذين قدموا مساهمات كبيرة على مستوى أعلى بكثير في البيروقراطية. لقد فوجئت أكثر عندما أشار جزء من الشهادة مباشرة إلى العمل الذي قمت به داخل المشروع.

عندما سلمني رئيسي أوامري النهائية، سألني عما إذا كان هناك أي شيء شعرت أنه يجب أن أقوله كتعليق وداع. كانت الكلمات التي أردت أن أقولها هي: "أنا فخور بالقول إنني خدمت عشرين عاماً في خدمة بلدي وأغادر الباب ونزاهتي لا تزال سليمة." كان لذلك معنى عميق. ولكن، بدلاً من ذلك، قلت ببساطة: "أنا فخور بالخدمة مع الكثير من الأشخاص الجيدين وقد تمكنت بشكل مفاجئ من النجاة بمسيرة مهنية استمرت عشرين عاماً دون أن يضطر أي شخص إلى إعطائي أمراً مباشراً على الإطلاق." كان هذا نوعاً من النقد الصغير حول مدى صعوبة حملي على فعل أي شيء بأي طريقة أخرى غير طريقتي الخاصة. صافحت الجميع وغادرنا. نظراً لأنني "مُتنبئ"، كنت أعرف ما لم يعرفوه - لن تكون هذه المرة الأخيرة التي أراهم فيها - ولم تكن.

قادتني سكوتر أنا وملفي المتزايد من الأوراق حول القاعدة لبضع ساعات بينما كنت أُنهي إجراءات خروجي الرسمية من كل شيء. أمسكت بيدي بينما استبدلت بطاقة هويتي للخدمة الفعلية بأخرى تظهر أنني متقاعد؛ ساعدتني في كشط ملصقات الصدمات من سيارتي؛ ونظرت في الاتجاه الآخر بينما ألغيت تسجيل أسلحتي النارية ورميتها في صندوق السيارة. قد لا تبدو هذه أشياء مهمة جداً اليوم، ولكن في ذلك الوقت، عندما كنت أفعلها للمرة الأخيرة، كنت أغص بعقدة كبيرة جداً في حلقي.

في ذلك اليوم الأخير، لم أكن أغادر المشروع الخاص الذي قضيت فيه 71 شهراً أقوم بـ "الرؤية عن بُعد" فحسب، بل كنت أغادر أيضاً عشرين عاماً من الخدمة لبلدي فيما لا يمكن وصفه إلا بأنه "علاقة حب/كره كبيرة"، وخاصة 151 شهراً - أي اثني عشر عاماً وسبعة أشهر - التي خدمتها باستمرار في الخارج. كانت جولاتي المتعددة في أوروبا والشرق الأقصى وجزر مختلفة كلها جولات نشطة (مهام حقيقية) خلال الحرب الباردة، وكان هناك قدر من الرضا عما تمكنت من إنجازه، بقدر ما كان هناك أثر من الدمار في علاقاتي مع الناس - وليس فقط زوجاتي السابقات.

بخدمتي في أنواع المناصب الاستخباراتية التي كنت فيها، لم أكون سوى عدد قليل من الأصدقاء في مسيرتي المهنية التي استمرت عشرين عاماً بأكملها - ليسوا أصدقاء دائمين على أي حال. لم يكن هناك الكثير لأظهره لجزء كبير من تاريخي. كان معظم ما أنجزته على مر السنين سرياً ولا يزال كذلك. لذلك، في أي من مساعي الجديدة، سيكون هناك القليل مما يمكنني مشاركته مع أي شخص قد ألتقي به أو أصادقه. كان يمكنني تصور السيناريو المتكرر التالي:

صديق جديد محتمل (ص.ج.م): "ماذا فعلت لمدة عشرين عاماً؟"

أنا: "كنت ضابط استخبارات في الجيش."

ص.ج.م: "ماذا كنت تفعل، بالضبط؟"

أنا: "القليل من هذا، والقليل من ذاك."

ص.ج.م: "أوه. إيه...أرى."

أنا: "ماذا تفعل أنت؟"

ص.ج.م: "أنا سمسار سلع لبنك كبير في (نيويورك). نحن نولد رأس مال...إلخ، إلخ."

كما ترى، مع تاريخ مثل تاريخي، يمكنك حقاً أن تولد قدراً كبيراً من الاهتمام بنفسك كإنسان. يكاد يكون مضموناً أن يقنع شخصاً ما بدعوتك لتناول العشاء لتجاذب أطراف الحديث.

الكتابة وتداعيات التقاعد

مباشرة بعد تقاعدي، أخذت إجازة لمدة ستة أشهر وكتبت كتاباً. إنها رواية لم تُنشر بعد، بعنوانها الأصلي "الآلهة التي يلعبها الناس" إنها مليئة بكل الأشياء التي لم أستطع وضعها في أي مكان آخر لأنها كانت "فظيعة للغاية". إنها قصة رعب. لا أعتقد أن سكوتر استمتعت بقراءة المخطوطة بشكل خاص. الجزء الذي فُتح فيه باب المصعد وتدحرج فيه رأس مقطوع في الردهة أثر فيها حقاً. أعلم أن صديقتي ووكيلتي الجديدة في (نيويورك)، السيدة إليانور فرايدي، اتصلت بي في الساعة الثانية صباحاً وكانت كلماتها الدقيقة: "شكراً جزيلاً لك أيها اللعين، الآن لا يمكنني النوم." (كل من يعرفها يعلم أن إليانور لم تكن أبداً شخصاً يتراجع عن الكلمات أو المشاعر. أحبها بشدة لذلك. لقد تقاعدت الآن، وشريكها يجب أن يتعامل معي، وهي ليست مهمة سهلة.)

على أي حال، كان الكتاب يدور حول مختبر سري تحت الأرض في مكان ما في الصحراء حيث كانوا يحقنون مزيجاً خاصاً جداً من الحمض النووي في الحيوانات لزيادة ذكائها. كانت الخطوة الثانية هي القفزة الصغيرة إلى البشرية، أو "الكائنات المصممة" التي يمكن استخدامها كأسلحة. الخطوة الثالثة... حسناً...ربما في يوم من الأيام سأتمكن من نشره.

السبب الآخر لكتابتي للكتاب هو أن الأمور لم تكن تسير على ما يرام فجأة في عالم "الرؤية عن بُعد". مباشرة بعد تقاعدي، تقاعد الجنرال ستابلبين أيضاً. لقد تشاجر مرة أكثر من اللازم مع رئيسه واتخذ المفتش العام للجيش أخيراً قراراً باستبداله بشخص لم يكن "تقدمياً" إلى هذا الحد. لذلك، أصبح القائد الجديد للقيادة الاستخباراتية هو اللواء هاري سويستر، الذي كان يتمتع بسمعة كونه مناهضاً لأي شيء "خوارقي"، وكان التأثير المباشر هو إنهاء التمويل والأماكن المطلوبة لإدارة المشروع. أثر هذا على كل من المشروع الخاص في حصن (ميد) والمختبر في معهد (إس آر آي) الدولي في (كاليفورنيا).

لم يكن هذا قراراً يستند إلى المنطق السليم أو أي شيء آخر مادي للمسعى. أعتقد أنه كان قراراً اتُخذ بناءً على طلب أولئك الذين لم يرغبوا في أن يُضبطوا وهم يقفون بجوار "متنبئ". بينما كنا نكون الكثير من الأصدقاء في عالم الاستخبارات السري من خلال تقديم دعم قيّم، كنا أيضاً نخيف بشدة الكثير من الناس الذين يدينون بمناصبهم وترقياتهم وسبل عيشهم للسياسة، وكانوا يتحدثون كلاماً جيداً، لكنهم لم يطبقوه أبداً. لم يكن الخوف من أننا سنعرف أعمق وأحلك أسرارهم، بل كان خوفاً قديماً عادياً - وهو أنه إذا ضبطهم شخص ما يدعمون شيئاً سيسخرون منه بطبيعة الحال، فعندئذ سيتعرضون هم أيضاً للسخرية بالتبعية. ببساطة، لم تكن لديهم الشجاعة أو الجرأة لذلك.

جرت الموافقة على جميع التمويلات على أساس سنوي، وفقط بناءً على مدى فعالية الوحدة في دعم الوكالات المكلفة بالمهام. جرت هذه المراجعات نصف السنوية على مستوى اللجنة الفرعية المختارة في مجلس الشيوخ ومجلس النواب، حيث جرى مراجعة نتائج العمل في السياق الذي كانت تحدث فيه. لذلك، لم تكن قرارات التجديد والتمويل والاستخدام المستمر لنهجنا الخاص في جمع المعلومات الاستخباراتية تُتخذ بخفة، ولم تكن هذه القرارات تُتخذ من قبل "قرد مجنون يختبئ في برج جرس".

في الواقع، في عدد من المرات سافرت إلى أحد المباني في "كابيتول هيل" وجلست أمام إحدى تلك اللجان وطُلب مني إظهار قدرتي على "الرؤية عن بُعد". في العديد من تلك الحالات، لم يسمحوا لنا بإحضار مجلد مليء بالأهداف المحتملة للاختيار من بينها، وهو ما كان سيكون بروتوكولاً أفضل، ولكن كان علينا الاستجابة لأهداف كان قد جرى اختيارها مسبقاً وإحضارها إلى الغرفة من قبل سيناتور أو عضو كونغرس، أو أحد مساعديهم. إنه لعار فظيع أن بعض هذه الأحداث لم تُصوَّر أو تُسجَّل - أو ربما سُجلت، ولكن ليس على حد علمي.

في بعض الأحيان كانت الأظرف المستهدفة تُقدم ملفوفة في ورقة رقيقة من الرصاص. إنه إجراء احترازي لمنعي من استخدام "رؤية الأشعة السينية" الخاصة بي، أنا متأكد.

في إحدى الحالات، علمت أنه سيتعين علي القيام بـ "رؤية عن بُعد" لرئيس إحدى الوكالات. للأسف لا يمكن ذكر الوكالة المحددة هنا، ولكن لديها اختصارها الخاص وهي ضمن الستة الأوائل. كنت متوتراً بشأن النتيجة المحتملة لأن رئيسي في ذلك الوقت أبلغني في اليوم السابق أنه بناءً على نتيجتها قد نبقى أو لا نبقى في العمل في الشهر التالي. لذلك قررت القيام بـ "الرؤية عن بُعد" مسبقاً، قبل أن نغادر المكتب على الإطلاق.

بعد بضعة أيام، عندما كنا جالسين بشكل مريح أمام "كبير المسؤولين التنفيذيين" لتلك الوكالة، بالغ في سحب ظرف الهدف بعناية من حقيبة ملفات بقفل يعمل بقرص تركيبي. ثم بالغت أنا بنفس القدر في سحب مجلد من حقيبة ملفاتي الخاصة، يحتوي على نتيجته. في ذلك الوقت، كان من المستحيل معرفة ما إذا كان منبهراً أم لا من تعبيرات وجهه، ولم ينطق بكلمة واحدة. لقد قام ببساطة بإغلاق كل من الظرف والمجلد بعناية بعد قراءة المعلومات. لم أتمكن أبداً من رؤية ما كان في الظرف، لذلك لم أتلق أي رد فعل مباشر، لكننا سرعان ما بدأنا نتلقى الكثير من المهام من مكتبه. أعتقد أنني في الإدراك المتأخر عرفت بالفعل ما كان في الظرف، وإلا كنت سأحصل على رد فعل - لكنه كان سيكون سلبياً. في بعض الأحيان يمكن أن يكون رد الفعل ضاراً بعملك - وهو شيء نادراً ما يذكره الكثيرون الذين يدعون خبرة في "الرؤية عن بُعد".

الرفض والبداية الجديدة

مباشرة بعد تقاعدي من الجيش، قدمت طلباً للتوظيف إلى المختبر في معهد (إس آر آي). اعتقدت أن هذا سيكون مكاناً يمكنني فيه مواصلة ممارسة "الرؤية عن بُعد"، ولكن بضغط أقل إلى حد ما. شعرت أيضاً أنه يمكنني المساهمة في البحث المستمر من خلال التبرع بخبرتي. لكنني لم أتلق أي رد على الإطلاق على الرسالتين الأوليين اللتين أرسلتهما إلى (إس آر آي). خلال هذا الوقت نفسه، قدمت اقتراحاً رسمياً لبرنامج تدريبي إلى مكتبي القديم، مع اقتراح بأنه إذا كانوا بحاجة إلى مساعدة، يمكن توظيفي كمقاول مستقل. واقترحت أيضاً نوعاً جديداً تماماً من النظام لمعالجة مواد قاعدة البيانات وتتبع "الرائين عن بُعد" وخصوصياتهم. كان واضحاً لي بالفعل من ظروف المكتب عندما غادرت أنهم سيواجهون صعوبة متزايدة وشعرت أنه يمكنني على الأقل البحث عن مجالات مواهب محددة وتحديدها باستخدام بعض الأفكار الجديدة التي كنت أجهزها لبعض الوقت.

لم أتلق أياً من المقترحات مرة أخرى من مكتبي القديم. في الواقع، لم أسترد أي من المواد التي قدمتها من مكتبي القديم. ما حصلت عليه هو مكالمة هاتفية من المقدم بي . قال، بكلمات واضحة جداً، إنهم "غير مهتمين". كان واضحاً أيضاً من مناقشتي القصيرة معه أنهم كانوا غاضبين تماماً لتقاعدي ولم يريدوا أي شيء آخر مني. جرى توضيح ذلك بشكل قاطع مع الاقتراح بألا أتصل بهم بعد الآن. بمعنى ما كان يمكنني فهم شعورهم، ولكن بمعنى آخر، كان لي الحق في الاحترام نفسه الذي يتمتع به أي شخص آخر يقدم اقتراحاً. تركني هذا أشعر وكأنني "ابن زوج مهجور".

منذ أن انتقلت للعيش مع سكوتر، بدأت أشعر بالذنب أيضاً وأنا أشاهدها تقود سيارتها إلى مكتب المعهد كل صباح بينما كنت أجلس في المنزل. لقد عملت بشكل جيد كـ "وحدة تدفئة مدمجة" لقيصر وهيغنز، لكنني كنت أشعر بالقلق بشأن القيام بشيء آخر أكثر فائدة. لذلك، في إحدى الأمسيات ناقشت أنا وسكوتر إمكانية بدء شركة وبيع خدمات استشارية باستخدام "الرؤية عن بُعد" كتطبيق للأعمال. لم أكن متأكداً من أنني أستطيع إنتاج ما يكفي من العمل لتبرير ذلك، لكننا قررنا المضي قدماً وإنشاء الشركة على أي حال. اتفقنا على منحها سنتين لمعرفة ما إذا كانت ستنجح. نتيجة لذلك، في غضون ستين يوماً من تقاعدي، وُلدت شركة "تطبيقات الذكاء الحدسي، مدمجة" كشركة في (فيرجينيا). الآن، كل ما كنت بحاجة لفعله هو العثور على بعض العمل.

محاولة العمل في (إس آر آي)

هذه المرة، بدلاً من الكتابة، اتصلت بالمختبر في (إس آر آي) وطلبت منهم أن يطلبوا من هال أن يتصل بي. بعد بضعة أيام، اتصل بي هال أخيراً. رداً على استفساري حول رسائلي، سألني عما إذا كنت سأسافر وأتحدث معه. عرض أن يدفع الفاتورة، فوافقت. كان هال واضحاً جداً في جعلي أفهم أنه "ليس عرض عمل"، لكنه كان مستعداً للتحدث في الأمر، فذهبت.

التقيت بهال في مطعم فطائر على مسافة قريبة من المختبر. لم نتمكن من الالتقاء في المختبر لأن تصاريحي كانت قد أُحيلت للتقاعد معي قبل بضعة أشهر. في مناقشتنا حول الإفطار، علمت أنه كان متردداً في الرد على رسائلي لعدد من الأسباب.

أولاً، قال إن لديهم تمويلاً لسنة ونصف أخرى فقط. هذا يعني أنه كان يبحث بالفعل عن تمويل جديد، وسيحتاجون إلى أكبر قدر ممكن من التمويل المتبقي لمواصلة العمليات حتى يجدوا المصدر الجديد.

بعد ذلك، بعد أن تردد لعدة دقائق وعبث بفطائره، قال أخيراً إنه جرى إبلاغه من قبل أشخاص من مكتبي القديم بأنني "غير قادر على القيام بـ 'الرؤية عن بُعد' دون نوع محدد جداً من المراقبة" وأنه قيل له إنها كانت محددة بما يكفي لجعل العمل معي صعباً للغاية في ظل ظروف المختبر. كان هذا غير متوقع على الإطلاق، وصدمتني.

سألت من أخبره بذلك فأجاب بأنه حصل عليها من الرئيس، وأن الرئيس استند إليها على معلومات قدمها "الجانب التشغيلي من المؤسسة".

لم أستطع تصديق أذني. جلست هناك. لقد آذاني وغضبني في الوقت نفسه. سكبت المزيد من القهوة بينما كنت أقاوم الرغبة في البدء في الشتم ورمي الأشياء. بعد بضع دقائق من الصمت قلت إن هذه المعلومات "خاطئة تماماً" - جرى تضليله بشكل كبير. أخبرته أنني لا أحتاج حتى إلى "مراقب" للقيام بـ "الرؤية عن بُعد" الخاصة بي. في الواقع، أوضحت أنني قضيت الجزء الأكبر من مسيرتي المهنية كـ "رائي عن بُعد" أُعلم نفسي القيام بـ "الرؤية عن بُعد" تحت أي ظرف من الظروف. لم أستطع أن أفهم لماذا قد يقول شخص ما في مكتبي القديم هذه الأشياء. في الواقع، في ذلك الوقت، لم أكن متأكداً من أنه لا يخدعني.

جلسنا هناك لبعض الوقت لا نتحدث. أخيراً قدمت له اقتراحاً. يمكنه توظيفي كـ "رائي عن بُعد" على أساس تجريبي، أسبوعاً بأسبوع. إذا وجد بعد فترة تجريبية أنه غير راضٍ عن رؤيتي، أو أنني لا أستطيع تحمل عبئي في المختبر، يمكننا إنهاء الأمر والافتراق كأصدقاء. وافق وحصلت على عقد مؤقت لعمل ثلاثة أشهر في مختبر (إس آر آي). جرى إعادة تفعيل تصاريحي ونقلها وإعادتها. جرت معالجة دخولي إلى المختبر وبدأت العمل في الشهر التالي.

منذ تلك المحادثة مع هال في أوائل عام 1985، أكد شخصان آخران يعملان في (إس آر آي) أن بعض الأشخاص في مكتبي القديم بذلوا قصارى جهدهم لتخريب أي إمكانية لتوظيفي في (إس آر آي). ولكن اعتماداً على من كان يروي القصة، بدا أن الأسماء تتغير. لم يكن لدي أي وسيلة لمعرفة من الذي دفع القضية على وجه التحديد من مكتبي القديم. لقد فضلت دائماً الاعتقاد بأنهم "ليسوا الأشخاص الذين اعتبرتهم أصدقاء". لم يكن هذا في طبيعة الأصدقاء أن يفعلوا ذلك لبعضهم البعض - لأي سبب من الأسباب - حتى لو صدرت إليهم الأوامر. ولكن، كان من الواضح مما قيل لي أن شخصاً ما في حصن (ميد)، ربما في الإدارة، كان يحاول منعي من العمل في (إس آر آي). ربما كان من كان يستخدم عدداً من الأشخاص الآخرين، أو على الأقل أسماءهم، كغطاء. لقد فشل من كان فشلاً ذريعاً، لأنني كنت الآن موظفاً في مختبر (إس آر آي).

في غضون أسابيع قليلة من بدء عملي هناك، جُدد عقدي لمدة عام، ثم مرة أخرى، بشكل متكرر، لكل عام عمل فيه المشروع خارج (إس آر آي).

الزواج والسعادة في (كولونيل ماسترد هاوس)

لقد شعرت بالرضا حقاً بالعمل في المختبر، لأن البيئة لم تكن مشحونة كما كانت في حصن (ميد). كنت أيضاً أحصل على مال أكثر بكثير مما كنت أحصل عليه كضابط فني في "الرؤية عن بُعد". لم يكن وقت سيارة مرسيدس بنز، لكنني لم أكن قلقاً بشأن دفع الفواتير أيضاً. في الغالب، شعرت بالرضا لأنني أُساهم مرة أخرى.

في البداية شعرت بخيبة أمل لعدم رؤية إينغو كثيراً أو قضاء الوقت معه لأنه كان دائماً في (نيويورك) عندما كنت في (كاليفورنيا)، أو في (كاليفورنيا) عندما كنت في (فيرجينيا). ولكن، لم يتطلب الأمر أستاذاً في المنطق لفهم أن إبقاءنا منفصلين كان متعمداً على الأرجح. في ذلك الوقت لم أفهم السبب ولا أفهم حتى الآن، على الرغم من أن لدي الآن بعض النظريات.

كما جرى في حصن (ميد)، جرى تعييني برقم تعريفي في المختبر في (إس آر آي)، وهو372. هذا يعني أن عملي في "الرؤية عن بُعد" كان يظهر الآن باسم 001، 518، 508، 776، 345، و 372 وأيضاً تحت بعض الأرقام التي استُخدمت لهارلي وكين وغيرهم. على الأقل طالما كنت مع المختبر، ظل رقمي، ولا يزال، كما هو.

لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى لاحظت بعض الوكالات التي كنت أدعمها في حصن (ميد) أنني انتقلت، حيث كانت هناك زيادة في طلبات الدعم التشغيلي من المختبر - وهو ما أنا متأكد من أنه لم يلقَ ترحيباً كبيراً في مكتبي القديم.

الفصل الثالث عشر: استكشاف أقاليم جديدة

مع دخل جيد واستقراري أخيراً في "منزل الكولونيل ماسترد"، حددت أنا وسكوتر موعد زفافنا في عيد الشكر، 22 نوفمبر 1984. كنت قد تلقيت للتو أوراق طلاقي النهائية من بيغي وكنت أعتاد على أنني لم أعد مرتبطاً بـ "الله، البلد، والعلم". كان الأمر غريباً، ولكنه لم يكن غير مريح، لأنه منحني أخيراً فرصة للاسترخاء قليلاً. دع شخصاً آخر يقلق بشأن كل تلك الأمور المتعلقة بأمن العالم في الوقت الحالي.

خططنا لإقامة حفل زفافنا في المنزل. طلبنا من عم سكوتر، القاضي كارلتون بين، شقيق والدتها، أن يترأس نذورنا، ووافق على ذلك. وكأن ذلك لم يكن رائعاً بما فيه الكفاية، فقد عرض أيضاً صنع بعض من حشوة محار الديك الرومي الجنوبية المشهورة عالمياً. جلس على مقعد القضاء في مقاطعة (لودون، فيرجينيا)، لسنوات عديدة. (وهو متقاعد الآن، ولا يزال يجلس على مقعد القضاء في مقاطعات أخرى في جميع أنحاء (فيرجينيا)؛ في الواقع، أعتقد أنه يعمل بجد أكبر منذ تقاعده).

القاضي بين هو أحد أكثر الأفراد إنصافاً الذين قابلتهم على الإطلاق. إنه واضح جداً بشأن آرائه وأفكاره الخاصة حول الأشياء، ولكنه أيضاً لا يسمح لمشاعره الخاصة بالدخول في أحكامه المتعلقة بالقانون. أعتقد أن هذه القوة العظيمة في الشخصية تشكلت جزئياً على الأقل أثناء خدمته كملازم في مشاة البحرية يقاتل في بؤرة الحرب في جزيرة بيليليو في المحيط الهادئ. (لتقدير ذلك، عانت الفرقة الأولى لمشاة البحرية من خسائر شملت 1,121 قتيلاً، و 5,142 جريحاً، و 73 مفقوداً. هذه نسبة إصابات تبلغ 36 في المئة، وكان هو واحداً منها. أسفرت تلك الخسائر عن عشرات الآلاف من القتلى اليابانيين - معركة هائلة تفوق فيها عدد اليابانيين على مشاة البحرية بشكل كبير).

كان والد سكوتر، (إيه.جيه. "باد" هانيكات)، أيضاً ملازماً في مشاة البحرية يقاتل في الجزيرة نفسها. كانا صديقين في ذلك الوقت وكذلك رفيقين في السلاح. حظي والد سكوتر بشرف سحب قطعة مدفعية ميدانية إلى جانب جبل أثناء القتال من أجل كل قدم من الأرض سحبوها عبرها. يجب أن أضيف أن والدها هو عقيد متقاعد في مشاة البحرية قاتل في ثلاث حروب - الحرب العالمية الثانية، وكوريا، وفيتنام. إنه رجل معقد، ورجل شرف، ورجل يحبه الكثير من الناس في جبال (شمال كارولينا) حيث يقوم الآن بتدريس مدرسة الأحد في الكنيسة الميثودية المحلية ويساعد في إدارة مستشفى للمحتضرين.

كان حفل الزفاف قريباً جداً وشخصياً وحضره العائلة فقط - وهو ما جعله بالنسبة لي حدثاً لا يُنسى وعاطفياً. أضفت مشكلة واحدة على الحدث القليل من المرح. في وقت مبكر من صباح يوم زفافنا، قطعت سكوتر غلاف الديك الرومي واكتشفت أنه "فاسد". لذلك، كنا هناك، حوالي الساعة 7:30 صباحاً مع أكثر طائر نتناً في المقاطعة وزفافنا بعد ساعات قليلة.

عندما تعيش في الريف، على بعد 25 ميلاً من أي مدينة رئيسية، قد تكون مشكلة استبدال ديك رومي في صباح عيد الشكر. كنت أتسابق مع الزمن. ذهبت إلى ثلاثة محلات غاز/سريعة قبل أن أكتشف ديك رومي واحد مجمد صلب كالصخرة يزن ستة وعشرين رطلاً يجلس في الجزء الخلفي من فريزر عصائر وثلج معلب. كنت خائفاً من التحقق من "تاريخ البيع"، وبدلاً من ذلك هرعت به إلى المنزل لإذابة الثلج. المكان الوحيد الكبير بما يكفي لملئه بالماء البارد لإذابة الثلج عنه كان حوض الاستحمام - الذي لم يكن يحمل الماء. لذلك، بين تجهيز بقية المنزل، كنت أستمر في الدخول كل عشر أو خمس عشرة دقيقة لإعادة ملء حوض الاستحمام. لحسن الحظ كان لدينا دش آخر، وإلا لكنا قد أخذنا دشنا ونحن نعتلي الديك الرومي أيضاً. بحلول الوقت الذي كنا فيه مرتدين ملابسنا وبدأت العائلة تصل، كنت جالساً وبنطال بذلتي مرفوع، وحذائي وجواربي مخلوعة، وأمسك بكعبي الأيمن في مصرف الماء لمنع الحوض من التسرب، بينما أمسكت الديك الرومي الطافي تحت الماء بقدمي اليسرى. استغرق الأمر وقتاً أطول مما أتذكر لإذابة الطائر، لذلك جرى تأجيل حفل الزفاف الفعلي مراراً وتكراراً لعدد من الساعات. لكن تبين أنه "ديك رومي جيد جداً". كانت أيضاً المرة الأولى التي أتيحت لي فيها فرصة لرؤية معظم أفراد العائلة في غرفة واحدة معاً، وهو ما أسعدني وأعلم أنه جلب الكثير من الفرح لزوجتي الجديدة، سكوتر.

يقولون إذا أردت أن ترى كيف ستكون زوجتك في النهاية، فانظر إلى والدتها. في يوم زفافنا، كانت والدة سكوتر، التي تُدعى أيضاً نانسي، كالمعتاد السيدة الجنوبية المثالية. كنت أعلم في قلبي أنني رجل محظوظ.

العمل في (إس آر آي) والتجربة اللغوية

في أوائل عام 1985، بدأنا العمل على بعض الأهداف المثيرة للاهتمام للغاية في المختبر، وقمنا بتجربة الكلمات واللغة. كان الرجل الذي أصبح "مراقبي" لجزء كبير من الوقت الذي كنت أقوم فيه بـ "الرؤية عن بُعد" هو الدكتور نيفن لانتس، وهو طبيب نفسي سريري. عملت أيضاً مرة أخرى مع الدكتور إدوين ماي، الذي كان في المختبر منذ بداياته تقريباً. أنا وإد ونيفن توافقنا على الفور. كان لدى مارثا طومسون، السكرتيرة، حس فكاهة جاف ورائع أعجبني حقاً؛ وأصبحنا أصدقاء مقربين أيضاً. كان لدى بيفرلي همفريز، مسؤولة الاستخبارات في فريق العمل، شهادات جامعية مزدوجة من (ستانفورد) في الكلاسيكيات والأنثروبولوجيا وكانت ممتعة للغاية لقضاء الوقت معها، حتى بعيداً عن المكتب. بفضل حسها الفكاهي الرائع، كانت دائماً مستعدة لرحلة إلى ملعب الغولف المصغر المحلي أو مطعم "مينغز" لتناول وجبة غداء صينية خاصة. كان راسل تارغ قد غادر بالفعل، أعتقد في وقت ما في عام 1983، لكن إينغو سوان كان لا يزال هناك، بالإضافة إلى "رائين" آخرين - هيلا حميد، مصورة محترفة وسيدة جميلة من (لوس أنجلوس)؛ واثنان آخران سأسميهما كيث وغاري.

كان هناك أيضاً رجل يدعى جيم سالير وكان مراقب عقد الحكومة، وهو رجل يصعب التعامل معه، على الرغم من أنني لم أواجه أنا وهو أي مشاكل أبداً. بشكل عام، كان فريقاً رائعاً، وكان فريقاً في الغالب. أحببنا العمل مع بعضنا البعض وحاول الجميع جعل أي شيء كنا نفعله ممتعاً.

على سبيل المثال، في سلسلة من التجارب، التي تضمنت عدداً من الأهداف الخارجية والرحلات لزيارتها، اضطر إد إلى البقاء في مقبرة جرى اختيارها عشوائياً كهدف. أثناء وجوده هناك، التقط زهرة من جرة واستلقى على قمة لوح قبر، ممسكاً بالزهرة فوق قلبه، وهو ما اعتُبر غامضاً إلى حد ما من قبل المارة. لكنه صنع هدفاً رائعاً.

إذا تبين أن الهدف مطعم، كنا أحياناً نأكل هناك عند عودتنا للحصول على رد الفعل. كانت الاختلافات في النتائج، في رأيي، هائلة عندما كان الأمر ممتعاً للقيام به، بدلاً من اعتباره مهمة "يجب القيام بها".

في الجزء الأول من عام 1985، قمنا بسلسلة من الأهداف كانت "كلمات". كانت تجربة معقدة، لم تُجرَّب من قبل. تضمنت وجود فريق واحد من الأشخاص في غرفة "الرؤية عن بُعد" في مختبر فيزياء الراديو، بينما كان فريق ثانٍ يقع على الجانب الآخر من مجمع (إس آر آي) في مقطورة. كان الفريق الثاني، الفريق المستهدف، يتألف من بيفرلي أو نيفن أو شخص ثالث. كانت مهمتهم هي توليد رقم سداسي الأرقام باستخدام مولد أرقام شبه عشوائي. استُخدمت الأرقام الأربعة الأولى كأرقام الصفحات المعينة في قاموس (أكسفورد)، وهو أحد تلك الكتب العملاقة التي تزن سبعين رطلاً والتي لا يمكنك سرقتها من مكتبة.

بمجرد أن يفتحوا على الصفحة المعينة بشكل مناسب، كانوا يعدون للأسفل من العمود الأيسر العلوي بعدد الأسطر المكونة من الرقمين الأخيرين من المجموعة. من تلك النقطة سيستخدمون الكلمة المكونة من خمسة أحرف التالية ككلمة مستهدفة. كانت تُكتب على طول حافة سبورة باستخدام أحرف عملاقة مطبوعة بالأسود على بطاقة بيضاء مقاس 12 × 12 بوصة.

بمجرد أن تكون الكلمة المستهدفة جاهزة، كانوا يتصلون بغرفة "الرؤية عن بُعد"، ويقولون "جاهز"، ويغلقون الخط. بعد ذلك يُطلب مني كـ "رائي عن بُعد" أن أركز على السبورة (التي لم أرها قط) وأخبرهم ما هي الكلمة، حرفاً بحرف.

أردنا أن نعرف ما إذا كان حرف معين سيأتي بشكل أفضل من حرف آخر، أو ما إذا كان "الرائي عن بُعد" يمكنه رؤية الكلمة الفعلية، أو - وهذا كان الجزء "المخفي عن الرائي" من التجربة - ما إذا كان الرائي سيحصل على الكلمة حتى عندما تكون الأحرف مبعثرة أو مقلوبة رأساً على عقب.

لقد كانت تجربة صعبة بالنسبة للرائي. منذ البداية تُقدم لك معلومات مسبقة بأن الكلمة ستحتوي على حرف علة واحد على الأقل - أ أو ب أو ي أو و أو ج أو ح. لديك معرفة مسبقة بالأبجدية بأكملها، مما يشير على الفور إلى عدد غير محدود من المجموعات الممكنة. لديك أيضاً معرفة مسبقة بأن هناك خمسة أحرف. باختصار، قطعة من الكعكة.

قمت بتسع مجموعات من الكلمات وحصلت على النتائج التالية: من بين تسع كلمات، حصلت على الكلمة بأكملها بشكل صحيح مرتين، وهما كلمتا (ذبابة/يطير) و (مدخل). من بين السبع المتبقية، حصلت على ثلاثة أحرف صحيحة في كلمتين، وحرفين صحيحين في كلمتين، وحرف واحد صحيح في الكلمات الثلاث المتبقية.

أحد الانتقادات الموجهة للتجربة هو أنه كان ينبغي أن يكون من السهل جداً تثبيت حرف واحد على الأقل بمجرد تخمين أ أو و أو ي، وهي أحرف العلة الأكثر استخداماً. لكن في الكلمات السبع التي أخطأت فيها، لم أحصل على أي أحرف علة صحيحة وفي الواقع، لم أعطِ حرف علة واحداً كرد، متجنباً إياها كـ "الطاعون".

من الكلمتين اللتين أصبت فيهما، جرى وضع كلمة "ذبابة" على حاجز السبورة بالترتيب، لكن كلمة "تطير" كانت مبعثرة. لا أتذكر ترتيب التبعثر، فقط أن البطاقات كانت غير مرتبة وفي بعض الأحيان مقلوبة رأساً على عقب أو معكوسة (الأحرف تواجه الاتجاه الخاطئ، أو البطاقة كانت فارغة فعلياً من الخارج).

ما لاحظته أكثر في التجربة هو حقيقة أن "الفكرة" التي تنقلها الكلمة جرى نقلها كمعلومات، وليس الأحرف الفردية. بعبارة أخرى، لم أكن أرى أحرفاً فردية؛ كنت أرى صوراً في ذهني لطيور تحلق في سماء، أو طائرات تقلع، أو حشرات صغيرة طائرة تحوم فوق طعام متعفن.

حقق اثنان آخران من "الرائين عن بُعد" أداءً جيداً بالمثل، وهو ما بدأ يعطيني انطباعاً واضحاً عن جودة "الرؤية عن بُعد" في المختبر. كنت أبدأ في فهم أن المختبر في (إس آر آي) عمل بطريقة مختلفة تماماً عن أي مختبر آخر للظواهر الخارقة. لقد قضوا قدراً كبيراً من الوقت في البحث عن مستويات عالية من الموهبة وتحديد موقعها في أفراد معينين. ثم اختبروا الأفراد الذين حددوهم. إذا كان الأفراد الذين عثروا عليهم يستطيعون تقديم نتائج جيدة إلى ممتازة باستمرار، فإنهم يحضرونهم ويستخدمونهم في تجاربهم. كان هذا ينتج نتيجة أفضل بكثير من استخدام متطوعين من الفصول الدراسية الجامعية، أو قطاعات أخرى من (إس آر آي)، أو المدارس الثانوية المحلية.

لقد تطلب الأمر الكثير من الوقت والجهد والتكلفة للقيام بتقديم عرض تقديمي حول "الرؤية عن بُعد"، واختبار هذه المجموعات الأكبر من الناس، وفي النهاية فرز الأفضل من خلال الحكم على النتائج الفردية وإعادة الاختبار، لكن الأمر كان منطقياً تماماً. إذا كنت ستدرس الظواهر الخارقة، تذهب وتجد أشخاصاً يمكنهم بالفعل القيام بما تريد دراسته؛ أنت لا تدرس عينة عشوائية من السكان على أمل العثور على شخص يمكنه فعل شيء يعتبر نادر الحدوث للغاية في المقام الأول. كنت أبدأ في فهم سبب حصولنا على النتائج التي حصلنا عليها بينما واجهت المختبرات الأخرى صعوبة بالغة في التقاط "القدرات النفسية" (بسي) تحت مجهر العلم.

لكن كان على "الرائين عن بُعد" أن يظلوا محدثين ويظلوا حادين. إذا فقدت تفوقك لفترة طويلة من الزمن أو "احترقت" (أصبت بالإرهاق)، فمن المحتمل أنك لن تعمل كـ "رائي عن بُعد" خلال فترة العقد التالية. هذا يدل على الكثير بشأن قدرات إينغو وهيلا والرائين الآخرين. لقد قاموا بسنوات من العمل المتواصل في (إس آر آي)، وجرى تقليص بعضها قبل الأوان بسبب الوفاة، كما في حالة هيلا، وبعضهم تقاعد لمتابعة قضايا أخرى أكثر أهمية في حياتهم، مثل إينغو، وبعضهم لا يزال يعمل في المختبر نفسه، على الرغم من أنه لم يعد يقع في (إس آر آي).

الشيء الآخر الذي استغرق بعض الوقت للتعود عليه هو طريقة إعداد الأشياء داخل المختبر. جرى إعداد "التحقق والتحقق المضاد"، لضمان أن الأهداف كانت دائماً أهدافاً عمياء وأن الحكم جرى دائماً بشكل أعمى ودون تحيز. كان الافتراض الرئيسي الذي جرى التأكيد عليه دائماً داخل المختبر هو الافتراض بأن أي شخص في المختبر يمكن أن يكون غشاشاً - "رائين"، أو باحثين، أو موظفين.

بدلاً من تضخيم الأمر شخصياً، قبلنا جميعاً هذا كجزء من تكلفة إثبات أن كل ما أنجزناه لم يكن ملوثاً بالشك بأي شكل من الأشكال. كان علينا أن نفعل ما كنا نفعله دون أدنى تلميح إلى المخالفة، وهو شيء لم أره في أي مختبر آخر، سواء كان مختبراً للقدرات النفسية أم لا.

أزمة قلبية جديدة واليقظة

في الوقت الذي كانت تسير فيه الأمور على ما يرام قدر الإمكان، انقلبت حياتي رأساً على عقب مرة أخرى. كنت أنا وسكوتر في إجازة ليوم واحد في يونيو 1985، نقضيها في منتصف بحيرة ميرانكون، وهي بحيرة مساحتها أربعة عشر فداناً في وسط قسم "الأرض الجديدة" لـ روبرت مونرو. كنا مستلقين على رصيف عائم، رُبط في منتصف البحيرة عبر السد - نسترخي في شمس ما بعد الظهر المبكرة، نشرب الشاي المثلج، ونمسك أيدي بعضنا البعض - عندما شعرت وكأن شخصاً ما غرس مسماراً حديدياً في الجزء العلوي من ذراعي اليسرى وكتفي. بدأ الألم ينتشر بسرعة عبر صدري ونزولاً إلى ذراعي. علمت على الفور أنها نوبة قلبية - لكنني لم أستطع تصديق ذلك. غيرت وزني وأخذت بعض الأنفاس العميقة على أمل أن يزول. ازداد الأمر سوءاً فقط. لا بد أنني أصدرت صوت شخير، أو كانت النظرة على وجهي هي التي جعلت سكوتر تسألني ما هو الخطأ.

أجبت بهدوء: "لقد انزلق هذا القرص من مكانه في ظهري. إنه يؤلم حقاً هذه المرة."

سألت: "ماذا تريد أن نفعل؟"

اقترحت مبتسماً: "ربما من الأفضل أن نذهب إلى غرفة الطوارئ ونجعلهم يجرون صورة بالأشعة السينية". لم أرغب في إخبارها بأن الموت كان يطرق الباب.

حملنا كل شيء في القارب وعدنا بهدوء إلى الشاطئ. بحلول الوقت الذي سحبنا فيه القارب على السد وحملنا كل شيء إلى السيارة، شعرت وكأن شاحنة نصف مقطورة متوقفة على صدري. كان يمكنني أن أشعر بمعدل ضربات قلبي يرتفع والدم ينبض في أذني.

كان الشعور الأكثر إرباكاً في ذلك الوقت هو الحزن على مقدار الوقت الذي سأفقده في الوجود مع سكوتر. لم يبدُ أن أي شيء آخر مهم. لم يبدُ من العدل أننا قضينا ثلث العمر نبحث عن بعضنا البعض ونجد بعضنا البعض أخيراً، ليصبح الأمر مختصراً للغاية. لم أرغب في أن تصاب بالذعر، لذلك اقترحت عليها أن تأخذ حماماً وتغير ملابس السباحة قبل أن نتوجه إلى المستشفى، وهو ما فعلته. غيرت ملابسي للتو وانهارت على السرير وانتظرتها. كان الألم يتزايد، لكنني لم أكن خائفاً، بل كنت حزيناً جداً بشأنه. كنت أعلم تماماً أنني سأموت ولم يكن هناك سوى شيئين في ذهني يقلقانني. أحدهما، متى يجب أن أخبرها بما كان يحدث حقاً؟ كنت بحاجة إلى وقت كافٍ لإخبارها بأنني أحبها أكثر من الحياة نفسها وأردت أن أقول لها إنني آسف لمغادرتها في وقت قريب جداً. لكنني علمت أيضاً أنني إذا أخبرتها بذلك، فقد تُصاب بأذى وهي تحاول إيصالي إلى المستشفى.

أردت أيضاً أن أكون يقظاً وواعياً قدر الإمكان أثناء عملية الموت. لقد مررت بهذا مرة واحدة من قبل لكنني كنت مرتبكاً حينها ولم أعرف ماذا أفعل أو ماذا أتوقع. هذه المرة، كنت سأكون واعياً تماماً بما كان يحدث أثناء العملية برمتها. سمح لي هذا التركيز بوضع الألم جانباً، حيث يمكنني الإحساس به، لكنه لم يعد يتعارض مع تفكيري. بحلول هذا الوقت، كان صدري كله يشتعل. عندما وضعت الألم جانباً وبدأت أركز على ما كان يحدث من حولي بالفعل، بدأت الأمور تتباطأ، وكأن محرك ساعة بدأ يدور بسرعة أبطأ. ركبنا السيارة وبدأنا رحلتنا الطويلة إلى غرفة الطوارئ.

سألني الكثيرون لماذا لم نتصل فقط برقم الطوارئ، أو إدارة الإطفاء المحلية. حسناً، في ذلك الوقت لم يكن هناك رقم طوارئ في مقاطعة (نيلسون). كانت إدارة الإطفاء المحلية قوة متطوعة، جُهزت للتعامل مع بعض المشاكل الطبية، لكن لم يكن لديها فني مدرب على حالات طوارئ القلب والأوعية الدموية تحت الطلب. نظراً لأن العناوين كانت منتشرة في جميع أنحاء منطقة المقاطعة، فإن استدعاء سيارة إسعاف كان سيعني أنها كان يمكن أن تتجول لمدة ساعة تقريباً تبحث عن المنزل. كانت أفضل خطة هي القيادة الآمنة إلى غرفة الطوارئ.

عندما وصلنا إلى منتصف الطريق، كان لا بد من اتخاذ قرار بين الانعطاف يميناً والذهاب إلى مستشفى الجامعة في (شارلوتسفيل)، أو الانعطاف يساراً والذهاب إلى مستشفى الريف الأصغر في مدينة واينسبورو الريفية الأصغر. سألتني إلى أين أريد أن أذهب وقلت واينسبورو. كنت أعلم أنهم ربما يستطيعون الاستجابة للمشكلة بشكل أفضل بكثير في (شارلوتسفيل)، لكنني لم أرغب في أن أفقد وعيي بالمهدئات. لذلك، انعطفت يساراً وسابقنا عبر جبل أفتون ودخلنا (واينسبورو).

أعلم أننا لا بد أننا ضربنا كل إشارة ضوئية حمراء كانت موجودة بين دخول المدينة وغرفة الطوارئ. في كل توقف، كنت أجادل نفسي بشأن إخبارها بالتوقف حتى أتمكن من توديعها قبل فوات الأوان. وفي كل مرة، كان صوت صغير بداخلي يقول: "استرخِ، يمكنك الصمود دقيقتين أخريين...إنها دقيقتان أخريان فقط". كلما أصبحت أكثر استرخاءً، تباطأ معدل ضربات قلبي. كان الألم موجوداً. كان يمكنني الوصول إليه ولمسه كالنار. أعلم أنني لو سمحت له بالدخول في تلك المرحلة لكنت قد فقدت الوعي.

في النهاية توقفنا عند مدخل الطوارئ وبدأت تسحب السيارة إلى موقف السيارات. أوقفتها. لم أعد أشعر بنبض قلبي. بدأت أفقد الإحساس في ساقي وذراعي، وبدأت أذني تصدر نغمة موسيقية خافتة. بدأ بصري يتلاشى حول الحواف وكنت أدخل في "رؤية نفقية". عرفت غريزياً أن قلبي قد توقف. مددت يدي وأمسكت بيدها وأخبرتها أنني كذبت وأنني كنت أعاني من نوبة قلبية وأن عليها الدخول وإخبارهم أن قلبي قد توقف للتو. كان آخر شيء تذكرته هو نظرة الحزن على وجهها مع اقتراب الظلام. غمرني الإدراك المفاجئ بأنني لم أخبرها كم أحبها وكم كانت تعني لي. كان شعوري الأخير هو الحزن الشديد.

أتمنى أن أقول إنني رأيت "الرب"، أو أنني مررت بانتقال إلى عالم ذهبي رائع، لكنني لم أفعل. كان الأمر كما لو أنني في غمضة عين، انتابني فجأة اهتزاز ووجدت نفسي مستلقياً على ظهري وأنظر إلى الأعلى إلى عيون لطيفة لرجل أكبر سناً وجميل كان ينظر في عيني بمصباح يدوي صغير.

قال: "مرحباً بعودتك".

في الواقع، كان قلبي قد دخل في حالة "رجفان" وسحبوني على عجلات إلى غرفة الطوارئ. بينما كانوا يحضرون "عربة الطوارئ"، توقف قلبي. اتصلت سكوتر بالشخص الوحيد الذي عرفته وكان طبيب قلب، وكان طبيب والدتها - الدكتور غورسوك كان مكتبه على الجانب الآخر من الشارع وجاء على الفور. لذلك، كان وجهه اللطيف هو الذي رأيته عندما استعدت وعيي لأول مرة.

قضيت الأيام الستة التالية أتلاشى داخل وخارج الواقع المادي. كانت النوبة القلبية قد أخلت بإلكترونيات عضلة قلبي ولم يتمكنوا من تثبيتي. بين الحين والآخر كانت إما تعود إلى "الرجفان"، أو تصبح غير منتظمة تماماً وتتوقف عن النبض. في كل مرة، كنت أعلم أنها تحدث، بسبب المشاعر الغريبة التي كنت أشعر بها أولاً في أطراف أصابعي وأصابع قدمي. كانت تأتي إلى أذني أيضاً أصوات موسيقية رائعة وغامضة وغريبة. لقد كانت أشياء خارقة للطبيعة تقريباً. كلما حدث ذلك، كنت أضغط على زر الطوارئ وأخبر الممرضة عبر جهاز الاتصال الداخلي أن قلبي يتوقف وكانت تضغط على زر "الرمز الأزرق" الذي يدعو إلى "عربة الطوارئ". لقد كان الأمر محيراً جداً للممرضات العاملات في وحدة العناية المركزة. لست متأكداً مما إذا كن معتادات على أن يخبرهن شخص بأنه سيخرج من الجسد قبل أن يفعل ذلك فعلياً. في النهاية، ثبتوني بما يكفي للمجازفة بنقلي إلى مستشفى الجامعة في (شارلوتسفيل)، حيث خضعت لعملية جراحة قلب مفتوح.

واصلت الاستكشاف من خلال إعادة تقييم ما تعلمته من تجاربي نتيجة لمشاكل قلبي. أدت النوبات القلبية اللاحقة في بعض الأحيان إلى قضاء أيام في وحدات العناية المركزة. في كل مرة، كان قلبي يضعف، وفي كل مرة كنت أقاتل للعودة إلى حالة صحية أفضل.
تعرضت لهجوم حاد في عام 1988، وآخر في عام 1990، ثم 1991، ومرة أخرى في عام 1993. بدا أن كل واحدة كانت أقل خطورة بقليل. بينما كنت أخضع لاختبارات مكثفة بعد كل نوبة، اكتشفنا أنني كنت ببطء ولكن بثبات أقوم بـ "تكوين ضمانات" لبقية عضلة قلبي - تكبير الأوعية الأصغر للمساعدة في تغذية المناطق التي كانت في أمس الحاجة إليها بالدم المؤكسج. كانت الطريقة التي قمت بها بذلك هي التوصل إلى فهم حول الاختلافات الواضحة جداً بين العيش والموت.

أحد الأشياء التي يخبرونك بها عندما تتعرض لنوبة قلبية كبيرة هو أنه سيتعين تقليل أنشطة حياتك بشكل كبير. يؤكدون على ذلك أكثر عندما تخضع لعملية جراحة قلب مفتوح.
"سيتعين عليك التقليل من أنشطتك والتعامل مع الأمر بسهولة. تغيير طريقة عيشك لحياتك. لا يمكنك أن تكون نشيطاً كما كنت من قبل"، هي الطريقة المعتادة التي تُقدم بها للمريض. قد يكون هذا صحيحاً في البداية، لكن ما يفعلونه فعلياً عندما يقولون ذلك لشخص ما هو أنهم يخيفونهم بشدة. الجزء غير المعلن الذي جرى التأكيد عليه دائماً هو "إذا لم تفعل، فسوف تموت."

حسناً، خمن ماذا؟ سنموت جميعاً. منذ لحظة ولادتنا، سنموت، وهذه حقيقة لا تتغير. لكن لا أحد يعرف حقاً متى. ولا أحد يعرف ما الذي سيبقينا على قيد الحياة لفترات أطول أو أقصر من الزمن.

العيش بحكمة بعد الموت

نعم، يمكن للناس أن يقولوا إنه إذا توقفت عن التدخين، فسوف تقلل من خطر إصابتك بسرطان الرئة - وهم على حق تماماً. ولكن ما علاقة ذلك بالموت المفاجئ؟ لا شيء. إنها إحصائيات تلعب بعامل الخوف لديك. إنه حكم "الإدراك المتأخر" من أسوأ الأنواع. ما يجب أن يقولوه هو: "لدينا جميعاً وقت محدود للوجود في هذا الواقع داخل هذا الشيء الذي نسميه الحياة. ليس لدينا أدنى فكرة عن المدة التي سيعيشها أي شخص. ولكن، بينما أنت هنا، عشها، وعشها جيداً."

عندما عدت إلى المنزل من المستشفى، شعرت وكأن شاحنة "ماك" قد دهستني، وأمسكتني من ياقة عنقي، وسحبتني على الطريق السريع لمئات الأمتار. في عام 1985، لم يكن علم "فتح صدر شخص ما" قد وصل إلى ما هو عليه اليوم تماماً. أدركت بسرعة كبيرة أنني ما دمت لا أزال هنا، فسأفعل شيئاً مثمراً. لم يكن هناك الكثير مما يمكنني فعله فور مغادرتي المستشفى. كنت ضعيفاً لدرجة أنني كنت بحاجة إلى مساعدة في بعض الأحيان للنهوض من الكرسي. لكنني كنت لا أزال أستطيع التفكير. لذلك، قررت كتابة كتاب آخر. سميته "سحب القابس" .

الكتابة والاعتراض على الحكم بأثر رجعي

ما دفعني لكتابته كان تجربة مررت بها في أسبوعي الأول بعد التقاعد. كنت جالساً في مطعم للبرغر في (نيليزفورد، فيرجينيا)، وسمعت بالصدفة رجلين يتحدثان على طاولة خلفي. قال أحدهما شيئاً سلبياً عن (فيتنام) وعلق الآخر بأن هناك الكثير من الأشياء السيئة التي فعلها الناس هناك، مستشهداً بـ "ماي لاي" كمثال. لم يخدم أي منهما في جنوب شرق آسيا، بالطبع.

قدمت نفسي كضابط متقاعد في الجيش واقترحت أنه في كثير من الأحيان سيكون من المستحيل العودة والحكم بشكل صحيح على شيء ربما حدث في ظل ظروف الحرب. استخدام "الإدراك المتأخر" كان بشكل خاص الطريقة الخاطئة للقيام بذلك. لكي تفهم الأمر حقاً، كنت بحاجة إلى التحدث مع شخص كان هناك بالفعل وشارك، وحتى في ذلك الوقت، لن تحصل إلا على منظور واحد لقضية معقدة للغاية. قال كلاهما إنهما يعتقدان أن هذا هراء. كان كلاهما يعرف بالضبط ما سيفعلانه وما لن يفعلاه في ظل ظروف معينة.

لم أجادل معهما، ابتسمت وعدت إلى شطيرتي. لكن الأمر جعلني أفكر. معظم الناس لا يفهمون حقاً كيف يصبح الجميع ضحية للظروف في منطقة حرب، وكيف يمكن أن نُدفع للقيام ببعض الأشياء التي قد نندم عليها لاحقاً. كنت أتذكر تلك الحادثة وقررت أن أفعل شيئاً حيالها. لم أتمكن من السفر لبعض الوقت إلى (إس آر آي). لذلك قررت كتابة الكتاب.

إنه كتاب جيد، حيث يمكن للقارئ أن يتعاطف حقاً مع الشخصية الرئيسية، التي تتسم بالمثالية والصلاح الشديد في أخلاقها ونزاهتها الشخصية. مع تقدم الكتاب، يختبر القارئ ما تختبره الشخصية ولا يلاحظ كيف تبدأ وجهات نظر القارئ في التغير. بحلول منتصف الكتاب، يكون القارئ قد تماهى تماماً مع الشخصية ويشجعها. في الثلث الأخير، تجد الشخصية نفسها في ظروف لم تعد "أبيض وأسود"، بل أصبحت "رمادية" أكثر فأكثر. تصبح بعض أفعالها غريزية، وهي ردود أفعال تستند إلى النجاة من التجربة. فجأة، يدرك القارئ أن الشخصية الصالحة التي كان يتعاطف معها طوال الوقت تقوم بأشياء مشكوك فيها أخلاقياً، ولا يشعر القارئ أن هذه الأشياء هي التصرف الصحيح فحسب، بل يأمل القارئ في المزيد. فجأة، يواجه القارئ ما يتصالح معه كل شاب أو شابة ذهبوا إلى الحرب - حقيقة أن الإنسان سيفعل "أي شيء تقريباً" من أجل البقاء. لا يوجد حق أو خطأ حقيقي في الأفعال التي يتخذها المرء من أجل البقاء، ولا يمكن الحكم على أفعال شخص ما بـ "الإدراك المتأخر". الحكم على شخص ما في مثل هذه الظروف يتطلب منك أن تكون واقفاً هناك وتختبر ما يختبره ذلك الشخص - الخوف، الرعب، اليأس من الموقف.

منذ عام 1985، جرى رفضه أكثر من 25 مرة. كل من قرأه أحبه ولم أتلق أبداً تعليقاً سلبياً من أي محرر قرأه. حتى أنني تلقيت مذكرة مكتوبة بخط اليد من صفحتين من محرر اعتذر فيها عن عدم خدمته في جنوب شرق آسيا. ولكن بقدر ما أحبه الجميع، لم ينشره أحد.

قالوا لا يوجد سوق لكتب (فيتنام) - إنها الحرب التي خسرناها. أو، لن يحبه أحد لأنه يجبر القراء على مواجهة حقيقة قبيحة عن أنفسهم. ربما كان طويلاً بعض الشيء أيضاً. كان في الأصل 790 صفحة (مزدوجة المسافة). لقد عدت إليه منذ ذلك الحين مرتين أو ثلاث مرات وخفضته إلى حوالي 565 صفحة في شكل مخطوطة. لقد غيرت الاسم أيضاً إلى "شر ضروري" ، لأنه لم يفهم أحد ما قصدته بالعنوان الأصلي. "سحب القابس" هو تعبير كنت أستخدمه عندما يتجاوز شخص ما "خط العقل". إذا دفعت شخصاً بعيداً وبقوة كافية، فسوف "يسحب القابس" في النهاية ويغامر بكل شيء. أعتقد أن أي شخص مر بالقتال سيفهم المصطلح. ربما هناك درس هنا في مكان ما للإسرائيليين والفلسطينيين - أعدوا القابس إلى مكانه.

استغرق الأمر حتى نهاية عام 1985 فقط لإنهاءه، وهو إنجاز لا يصدق لأن أدوية القلب القوية التي كنت أتناولها لم تكن تسمح لي بالبقاء مستيقظاً لأكثر من بضع ساعات في كل مرة.

تطور المشاريع الخاصة والرسمية

في (إس آر آي)، كانت تحدث بعض الأشياء المثيرة للاهتمام. في يوم من الأيام، كان هال بوتهوف موجوداً وفي اليوم التالي كان قد رحل. عندما تحدثت مع إد، قال في أحد الصباحات إنهم يحاولون العثور على تمويل إضافي لإبقاء المختبر مفتوحاً، وفي اليوم التالي، أخبرني أن هال قد انتقل، تاركاً إياه مسؤولاً. تمنيت لو كان هناك شيء يمكنني القيام به للمساعدة في الموقف، لكن ما كانوا بحاجة إليه هو متنفس وميزانية جديدة. مكتبي القديم كان يتباطأ وصولاً إلى التوقف الكامل تقريباً.

كان لديهم الآن توم وميل كـ "رائين"، لكنهما كانا مشغولين جداً بالبحث عن منزل جديد. كان قائد القيادة الاستخباراتية الجديد يغلقهم. بغض النظر عن المهام الموجودة في صندوق الوارد، لم يكن يريد أي جزء من إرث ستابلبين.

لذلك، مع الانتقال إلى عام 1986، كنت أحاول أن أركز على الشفاء أكثر من "الرؤية"، عندما اتصل بي إد وقال إنه حصل على تمويل جديد. هل سأستمر في العمل معهم؟ بالطبع، وافقت. عرف إد أنني أتعافى، لكنه بدأ يكلفني بمهام من وقت لآخر على أساس "هدف بهدف" - وهو كل ما كان يمكنني التعامل معه على أي حال. جاء الكثير من التكليف من الوكالات التي كانت تكلف الوحدة في (ميد). كان معظمها أهدافاً ذات أولوية؛ تكليف لا يمكن للوكالات الاستغناء عنه.

غيرنا العملية قليلاً، حتى أتمكن من القيام بـ "الرؤية عن بُعد" من (فيرجينيا). كان إد أو نيفن يتصلان بي ويخبراني متى يكون لدي هدف في ظرف موضوع على طاولة معينة في المختبر. كنت أعمل على الهدف وأرسل النتائج إليهما عن طريق الفاكس أو البريد من الدرجة الأولى.

كان معظم الآخرين الذين عملوا في المختبر في الأصل لا يزالون هناك، باستثناء إينغو، الذي نقل عملياته التدريبية إلى مكتب (إس آر آي) في (نيويورك). عمل هناك حتى أبلغه الجيش بأن تدريبه يجري إنهاؤه. عندما حدث ذلك، كانت مفاجأة كبيرة لي، وأتذكر أنني فكرت أنه الآن لن يعرف أحد حقاً مدى جودة ما كان يمكن أن يكون، ربما باستثناء "الرؤية عن بُعد" لتوم، والتي ستكون انعكاساً لتعليمه. كان الأمر بالتأكيد غير عادل لـ إينغو، الذي عمل بجد لتطوير ما طلبه منه الجيش.

بناء منزل الأحلام

في منتصف عام 1986، مع العقد الجديد في (إس آر آي) وعمل سكوتر بدوام كامل كمديرة لـ معهد مونرو، قررنا أنه من الأفضل أن نبدأ في التفكير في منزلنا الخاص. لم أكن متأكداً من المدة التي سأصمد فيها (جسدياً)، وكنت أحلم دائماً بمنزلي الخاص، وكذلك سكوتر، لذلك بدأنا في شراء الكتب وقص غرفنا المفضلة منها - غرفة نوم هنا، ومدفأة هناك، ووضعها على ورق بياني لضبط ما أحببناه أو لم نحبه. في النهاية، اتفقنا على الشكل الذي يجب أن يبدو عليه منزلنا من الداخل والخارج.

قضيت ثلاثة أشهر في رسم المخططات الهندسية وكتابة المواصفات، ثم ذهبت إلى (ريتشموند) وتقدمت بطلب للحصول على رخصة مقاول لكومنولث (فيرجينيا). جرى اختباري ونجحت. أخذت المخططات والمواصفات ورخصة البناء والرخصة إلى مصرفنا المحلي وطلبت منه قرض بناء، جرى تحويله إلى حسابنا في غضون ساعات قليلة. لم أكن أعلم في ذلك الوقت، ولكنه من رخصة المقاول، افترض أنني كنت "مقاولاً عاماً" بالمهنة، بينما كان أكبر شيء بنيته حتى تلك النقطة هو طاولة قهوة.

المنزل يبدو بسيطاً الآن، لكنه كان في الواقع معقداً للغاية. إنه ثلاثي المستويات مع قبو كامل في أحد طرفيه. الأساس الداعم المركزي هو عمل فني معقد للغاية. لا توجد "روابط متقاطعة" في الأسقف المقببة، لأن التصميم نفسه يدعم الجدران الحاملة للسقف الخارجي. تبلغ مساحة المنزل 5,030 قدماً مربعاً، منها 3,630 مساحة مُشطبة - وبنينا المنزل بأكمله معاً. كنت مسؤولاً عن البناء الفعلي وكانت سكوتر مسؤولة عن اختيار الدهانات والألوان والبقع والأخشاب والسجاد والأرضيات المناسبة، إلخ. بالبناء، أعني أنني قمت بالفعل بكل أعمال البناء مع رجل آخر، أدريان ستيلسون، وهو صديق ربما يكون أحد أفضل بناة الطوب في (فيرجينيا). وظفت مساعداً، يعيش في مكان قريب - دانيال كروفورد - الذي لم يرفض أبداً أي شيء طلبته منه. كلاهما رجلان جيدان حقاً. قمنا نحن الثلاثة بدق كل مسمار ووضع كل قالب، وقمت أنا بجميع أعمال الأسلاك والكهرباء والسباكة وأعمال التفاصيل بنفسي. أعتقد أن أرقى إنجازاتي هو أرضية اللوح الأسود (فيرمونت) المقطوع يدوياً في البهو، وهي في الواقع سقف معلق في القبو ويزن حوالي أربعة أطنان.

عندما بدأت أنا وسكوتر في البناء، كان أفضل ما يمكنني فعله هو سحب كتلة خرسانية على الأرض باستخدام كلتا يديّ. لم أتمكن من رفع لوح خشبي بمفردي لأنني كنت لا أزال أتعافى من جراحة القلب والنوبة القلبية السابقة. عندما انتهينا قبل أسبوع من مرور عام، كنت أرمي صفائح من الخشب الرقائقي السميك من الطابق الأول إلى الطابق الثاني.

كنت آخذ بضعة أسابيع بين الحين والآخر وأسافر بالطائرة إلى الساحل الغربي للعمل في المختبر، والمشاركة في التجارب والقيام بأي مهام أخرى لم أتمكن من القيام بها من المنزل. كان من الصعب الابتعاد عن موقع البناء أثناء قيامي بالعمل في المختبر، لكنها كانت أيضاً راحة جيدة لجسدي. وجدت أنه إذا كنت تريد حقاً القيام بعمل أفضل في شيء "خوارقي"، يجب أن تجد طريقة لموازنة ذلك بشيء مادي. إنه يخلق ما أحب أن أسميه "تأثير الشريط المطاطي" .

الغوص في الأحلام الواضحة

كانت إحدى الأفكار التي قررنا متابعتها هي القيام بـ "الرؤية عن بُعد" أثناء "حالة الحلم الواضح". كان الدكتور ستيفن لابيرج يدير مختبر النوم في جامعة (ستانفورد) وتمكنا من إقناعه بالمشاركة معنا في تجربة لمعرفة ما إذا كان يمكن تحقيق "الرؤية عن بُعد" أثناء "حالة الحلم الواضح" أم لا. ستيفن زميل ممتع ولديه اهتمام شديد بما يحدث عندما نكون في حالة يشار إليها عادة باسم "النوم".

سافرت بالطائرة إلى الساحل الغربي وقدمت تقريري إلى مختبر النوم في (ستانفورد). كنت ألعب بـ "حالات الأحلام الواضحة" لبعض الوقت، نتيجة للعمل مع روبرت مونرو في مختبره في عامي 1983 و 1984. لقد نظرت دائماً إلى "حالات الأحلام الواضحة" على أنها مقدمة لحالة "الخروج من الجسد" من الوعي، أو على الأقل واحدة من الخطوات الأخيرة والأسهل نحو تحقيق "خروج مسيطر عليه من الجسد".

عندما وصلت لأول مرة، سألني ستيفن عما إذا كنت قد مررت بتجربة "حالة حلم واضح" من قبل، فأجبت بالإيجاب. عندما أخبرته أنني أستطيع التحكم فيها وإنتاجها بناءً على رغبتي تقريباً، أعتقد أنه جاملني بالتظاهر بقبول إجابتي على أنها الحقيقة، لكنه لم يصدق حقاً أنني أستطيع ذلك.

يُجرى بحث ستيفن على النحو التالي: يُوصل الشخص بما أسميه "أسلاك صلبة" بجهاز "تخطيط كهربية الدماغ الثنائي القطب" المكون من 28 قناة، عن طريق لصق الأسلاك بالجلد باستخدام غراء فائق على فروة الرأس. يستغرق هذا بعض الوقت، ولكنه يقوم بعمل جيد في إجراء الاتصال ومنع الأسلاك من الانفصال أثناء التقلب في السرير.

يُغلق على الشخص داخل "مقصورة" محمية جيداً وعازلة للصوت أكبر قليلاً من السرير المفرد القياسي. جدران المقصورة سميكة بحوالي نصف قدم ومعزولة جيداً لإزالة الصوت - سواء كان داخلاً أو خارجاً. تُتحكم في درجة الحرارة والرطوبة والضوء جيداً داخل هذه الغرفة، وبالطبع فإنها تضمن عدم قدرة الشخص على النهوض والتجول أثناء التجربة. يوجد مكان يمكن للشخص أن يوصل فيه "حبلهم السري ذو الرأس السلكي" بالحائط.

في غرفة مجاورة، بعيدة عن غرفة نوم الشخص، يمكن للعلماء الجلوس ومراقبة الشخص في الغرفة المظلمة بكاميرا تعمل بالأشعة تحت الحمراء، ويمكنهم أيضاً رؤية الناتج الثنائي القطب من جهاز تخطيط كهربية الدماغ على شاشة الكمبيوتر. تُوقَّت كل هذه البيانات وتُخزن في ملف كبير جداً لتنزيلها لاحقاً على قرص دائم لإجراء أي تحليل مستقبلي.

بمراقبة الشخص، يمكن للعلماء رؤية متى يدخل الشخص في كل مرحلة من مراحل النوم، وإنتاج "مغازل النوم" وفي النهاية "عقد حركة العين السريعة" الشائعة في أحلام النوم العميق. لذلك، من المستحيل تزوير حقيقة أنك نائم وفي حالة حلم حقيقية.

"الحلم الواضح" هو عندما يكون الشخص في حالة "حلم نوم عميق" ويدرك الحقيقة - أي يصبح واعياً بوعي أنه يحلم ويمكنه بعد ذلك التحكم الكامل في الحالة لأي غرض يريده الشخص.

لم أكن أعلم أن الشخص يمكن أن يأخذها إلى تكرار آخر ويقوم فعلياً بإخطار العلماء المراقبين الذين يراقبون مخرجات جهاز تخطيط كهربية الدماغ على شاشة الكمبيوتر، وبالتالي إخبارهم بأن الشخص مستيقظ وواعٍ داخل حلمه. الطريقة التي يتم بها ذلك بسيطة جداً.

على سبيل المثال، إذا كنت في حلم وأركب دراجة على طريق ترابي في الريف، وأدركت فجأة أنني أحلم بالفعل، فكل ما علي فعله هو إيقاف الدراجة، ووضع المسند، ثم، وأنا أقف بجوارها في حالة الحلم، أنظر فوق كتفي الأيمن والأيسر أربع مرات متتالية بسرعة - يسار، يمين، يسار، يمين، إلخ.

في غرفة مراقبة جهاز تخطيط كهربية الدماغ، تظهر بعض المسامير الصغيرة متراكبة فوق "عقدة حركة العين السريعة"، أو ضمن نشاط حركة العين السريعة الذي يجري عرضه. هذا لأنه، أثناء أحلام النوم العميق، فإن إحدى مجموعات العضلات القليلة التي لا تتجمد بالشلل الذاتي هي نفس العضلات التي تسبب "عقد حركة العين السريعة" في المقام الأول - تلك التي تشغل العينين.

البروتوكول الذي صممناه هو أنه عندما يرون أنني بالفعل في "حلم نوم عميق" وأنني تمكنت من الإشارة إلى أنني مستيقظ وواعٍ، سأصف صورة اختاروها عشوائياً وثبتوها على حائط المختبر في ظرف مغلق.

إذا نجحت تجربتنا، فقد خططنا لتجربة أخرى حيث سيضغطون على مفتاح على لوحة مفاتيح الكمبيوتر الذي سيقوم بتنشيط مولد أرقام شبه عشوائي يعمل في الخلفية، والذي سيختار صورة من مجموعة كبيرة من الصور في ملف ويرسلها إلى شاشة كمبيوتر تقع في غرفة أخرى لا يمكن لأحد الوصول إليها. (ستكون هذه الغرفة مغلقة بالكامل، بما في ذلك شريط لاصق على طول حواف إطار الباب.) جرى تخزين رقم الصورة فقط لاستخدامه لاحقاً في إعداد مخطط حكم مستقل. لكننا قررنا عدم إضافة هذا التعقيد حتى يمكن تحديد ما إذا كان يمكننا إنتاج عدد كافٍ من "الأحلام الواضحة" والأشخاص للدراسة.

كانت مهمتي هي الخروج من الجسد في حالة "الحلم الواضح"، ودخول الغرفة بالمرور عبر الباب، وعرض الصورة على شاشة الكمبيوتر.

بمجرد أن أكون قد اطلعت تماماً على الصورة على الشاشة، كان علي أن أقف منتصباً تماماً أمام الشاشة ومرة أخرى أرسل إليهم إشارة تفيد بأنني جمعت المعلومات، وعند هذه النقطة كانوا سيأتون إلى غرفة النوم التي كانت تحتوي على المقصورة ويوقظونني لتقديم التقرير.

عندما بدأنا، لست متأكداً من أن أي شخص صدق للحظة أنه سينجح. أولاً كان علي أن أنام. ثم كان علي أن أحلم. بمجرد الحلم، كان علي أن أتذكر أن لدي وظيفة أخرى لأقوم بها وأصبح مستيقظاً وواعياً. ثم كان علي أن أشير إليهم. يجب اختيار هدف عشوائياً وعرضه في غرفة مغلقة. ثم كان علي الوصول إلى الهدف، ودراسته، وتذكر كيف بدا، والإشارة إليهم لإيقاظي. ثم سأبلغ عن وصف الهدف على شريط وأرسمه بأفضل ما أتذكره. لا مشكلة.

في التجربة الأولى، اكتشفت مشكلة رئيسية في البروتوكول. كنت أركب دراجة بالفعل على طريق ترابي في مكان ما في الريف عندما أدركت أنني بحاجة إلى أن أكون مستيقظاً وواعياً ولدي وظيفة أخرى لأقوم بها. أشرت إليهم، ثم أدركت أنه ليس لدي أدنى فكرة على الإطلاق عن مكان المختبر، ناهيك عن الباب الذي كان من المفترض أن أدخله. وقفت هناك في حلمي أتساءل ماذا أفعل بعد ذلك. بعد التفكير في الأمر لبعض الوقت، أدركت أنني ما دمت أتحكم في كل ما كان يحدث على أي حال، فسأقوم ببساطة بإغلاق "عيوني في حالة الحلم"، ونقر كعبي معاً مثل دوروثي في فيلم "ساحر أوز"، وعندما أفتح عيني، سأكون واقفاً في أي مكان كان الهدف الفعلي. إذا كانت صورة لآثار رومانية في الصحراء السورية، فهذا هو المكان الذي سأجد نفسي واقفاً فيه. آمل ألا تكون صورة الهدف هي قلب بركان نشط، أو داخل فرن حديدي عامل. لم أكن متأكداً مما سيحدث في ظل تلك الظروف.

أغلقت عيني ونقرت كعبي، وعندما فتحتهما، وجدت نفسي واقفاً في وادي بافاري جميل مليء بالزهور البرية وتحيط به جبال جميلة. لقد أخذتني الواقعية المذهلة للهدف. قررت أن هذا الهدف يحتاج إلى عرضه في الكتاب لأنه يكاد يكون من المستحيل بخلاف ذلك شرح مدى دقة الحلم بشكل لا يصدق مقارنة بالصورة المستهدفة الفعلية على شاشة الكمبيوتر.

قضيت ما بدا في وقت الحلم أنه حوالي ساعة أتجول داخل موقع الحلم، وبعد ذلك وقفت بجوار الحظيرة الصغيرة وأشرت إليهم بأنني مستعد للخروج منه.

عندما أيقظني ستيفن، كان شعوراً شبيهاً بالواقعية المفرطة تقريباً، بالدخول إلى الواقع، الذي شعر وكأنه نفس الحالة التي غادرتها للتو. قضيت بضع دقائق في إعادة ترسيخ نفسي، ثم سجلت مغامرتي على شريط ورسمت رسماً تخطيطياً لصورة الهدف، تماماً كما أدركتها من وجهة نظر وصولي. كانت مطابقة شبه مثالية.

قمنا بعدد من هذه التجارب ووجدت أنه كلما زاد عمق الشعور بالواقعية الذي كان لدي في "حالة الحلم الواضح"، كان أدائي أفضل في الهدف. ولكن، كان هناك جانب جانبي مثير للاهتمام، بدأ يخيفني بعد بضعة أيام في مختبر النوم. بدأت أعاني من العديد من "الاستيقاظات الكاذبة" المتتالية، معتقداً أنني استيقظت عندما لم أستيقظ. إنه الانتقال من "حالة حلم واضح" إلى "حالة حلم واضح" أخرى، معتقداً أنك قد خرجت بالفعل من نومك.

بعد أن أشرت إليهم بأنني مستعد للاستيقاظ في نهاية مغامرة "حالة حلم واضح"، جاء ستيفن إلى المقصورة وهز كتفي، موقظاً إياي. قضيت بضع لحظات في ترسيخ نفسي في حالة اليقظة، ثم قمت بتشغيل المسجل، مسجلاً انطباعاتي عن الهدف. قضيت بعض الوقت في رسم انطباعاتي على دفتر الملاحظات، وبعد ذلك أعلنت أنني بحاجة للذهاب إلى الحمام.

فصلت "حبل السرة السلكي" الخاص بي من جدار المقصورة، وسرت في الممر الفارغ وتوجهت إلى حمام الرجال حافي القدمين. نظراً لأننا كنا نجري التجارب ليلاً، لم يكن هناك طلاب في منطقة المختبر في الطابق السفلي، لذلك جرى إطفاء الضوء في حمام الرجال. ضغطت على المفتاح ولم يحدث شيء.

تراجعت خارج حمام الرجال، ونظرت حولي بحثاً عن مفتاح آخر في الخارج، وعندما لم أعثر على واحد، وقفت هناك للحظة. جاء عامل نظافة من حول الزاوية وأوقفته.

قلت: "الأضواء لا تعمل في الحمام."

تذمر وفتح الباب وضغط على المفتاح واشتعلت الأضواء. شكرته، وتذمر مرة أخرى، ثم واصل طريقه.

بعد الانتهاء في الحمام، في طريقي للخروج، ضغطت على المفتاح لإطفاء الأضواء. لم تنطفئ. ضغطت على المفتاح مرة أخرى ولم تنطفئ أيضاً. لذلك، تفحصت المفتاح بعناية بينما حاولت رميه للمرة الثالثة.

كان إصبعي يمر من خلاله، وكأنه لم يكن موجوداً!

وقفت هناك لبضع دقائق في حيرة. كان الأمر لا يصدق. كان إصبعي يمر فعلياً عبر مفتاح الحائط نفسه. ظللت أفكر، "يا رجل! انتظر حتى يرى ستيفن وإد هذا."

ثم أدركت أنني لا بد أنني ما زلت نائماً. هزني ذلك حتى النخاع. كنت أعيش واقعاً شبه مثالي بكل معنى الكلمة كنت أتوقع أن أعيشه. إذا كان هذا صحيحاً، فهناك طريقة مؤكدة لاختباره. وقفت ثابتاً تماماً في مدخل الحمام ونظرت بسرعة فوق كتفي الأيمن والأيسر أربع مرات.

هزني ستيفن مستيقظاً في غرفة النوم. كان هذا صحيحاً. لقد قمت بكامل عملية "استخلاص المعلومات" الخاصة بي في "حالة حلم واضح". كررت العملية، وفصلت "حبل السرة" الخاص بي وتوجهت إلى الغرفة التي كانوا يراقبون فيها. أردت أن أخبرهم عن تجربتي. عندما دخلت الغرفة، كان ستيفن يعمل على الكمبيوتر بمفرده.

سألت: "أين إد؟"

نظر إلي ستيفن بحيرة. "إد من؟"

شعرت بالدم يجري إلى ركبتي. هل يمكن أن أكون لا أزال في "حالة حلم واضح"؟ بسرعة، نظرت بسرعة فوق كتفي الأيمن والأيسر مرة أخرى، وعلى الفور تقريباً هزني ستيفن مستيقظاً مرة أخرى.

لم أتحرك. لعدة لحظات بقيت مستلقياً على السرير، أحدق في ستيفن. أخيراً قلت: "هل أنا مستيقظ؟"

سألني ممازحاً: "لا أعرف. هل أنت كذلك؟"

سألت دون فكاهة: "كيف أعرف متى أكون مستيقظاً؟"

أجاب ستيفن بسرعة: "لا أعتقد أنه من الممكن معرفة متى تكون مستيقظاً حقاً. ربما الحياة نفسها هي "حالة حلم واضح" طويلة واحدة."

واصلت الاستلقاء هناك دون حراك. بعد ما بدا وكأنه أبدية، جلست ونظرت حولي، وشعرت بجدران المقصورة ولمست الأرضية الباردة بقدمي العاريتين. شعرت بأنها حقيقية بما فيه الكفاية.

نظرت إلى الأعلى، ورأيت ستيفن يسحب كرسياً إلى المكتب الصغير في غرفة النوم. كان يعد مجموعة من كابلات التوصيل، بينما كان يدندن لحناً سعيداً لنفسه. شاهدت مفتوناً وهو ينحني ويبدأ في لصقها على رأس دب جالس على الكرسي بجوار المكتب. "ها أنت، أيها الصغير. هذا لن يؤذيك على الإطلاق."

استلقيت على السرير وأغلقت عيني. هل سينتهي هذا يوماً ما؟ بقيت مستلقياً لفترة طويلة محاولاً التفكير في طريقة للخروج من التجربة، لكنني ظللت أعود إلى عدم القدرة على معرفة متى كنت مستيقظاً حقاً. في النهاية، في المحاولة الخامسة، تمكنت من وصف الهدف ورسمه، وفصل الاتصال من جدار المقصورة وخرجت، حيث نظر إلي اثنان من طلاب الصباح الباكر بغرابة. لم يتغير شيء بعد تلك النقطة، لذلك إما أنني عشت "حالة حلم واضح" طويلة جداً، أو عدت إلى الواقع، إذا كان هناك واقع، بعد القيلولة التي استغرقت سبع ساعات التي أخذتها في ذلك اليوم.

لأكون صريحاً تماماً، لقد أخافتني التجربة بشدة. أعرف الآن كيف يجب أن يكون الشعور بالانفصال التام عن الواقع وعدم معرفة ما هو حقيقي أو غير حقيقي. يجب أن يكون شيئاً مشابهاً لما يجب أن تكون عليه نوبة الفصام (السكيزوفرينيا). لا يسعني إلا أن أتخيل كيف يجب أن تكون مثل هذه النوبة عندما تنطوي على جنون العظمة أو شيء أكثر شراً كمرافق.

أنهينا التجربة وحصلنا على بعض النتائج الجيدة حقاً، لكنها لم تكن شيئاً أوصي بمحاولة تطويره لقدرة "الرؤية عن بُعد". التأثير الجانبي الآخر هو أنك لا تحصل أبداً على أي راحة أثناء استمرار هذا الأمر. يجري إيقاظك باستمرار في منتصف أعمق دورة نوم لديك، وهو ما يبدأ في استنزافك حوالي نهاية اليوم الثاني. تعتقد أنك تحصل على النوم والراحة، لكنك لست كذلك حقاً. أعتقد أن هذا يضيف فقط إلى تأثير "الاستيقاظ الكاذب"، بالإضافة إلى "جنون العظمة اللاحق". إذا لم يكن شخص ما مستقراً عند المرور بهذه الأشياء، فلا يسعني إلا أن أتخيل نوع التغييرات التي سيحدثها ذلك على نفسيته.

لقد أعطى أيضاً بعض التلميحات حول قابلية التحقق من بعض الأشياء التي يتحدث الناس عنها عند تجربتها أثناء حالة وعي "خوارقية" أو "حالة الحلم الواضح". إنه حقيقي جداً بالنسبة لهم، لكنه ليس حقيقياً جداً بالنسبة لنا جميعاً الذين نتشارك "حالة حلم واضح" أخرى تسمى "الحياة". رأيت هذه التجربة سبباً جيداً آخر للتأكد من استقرار وعقلانية أي شخص سيتعرض لأي نوع من التجارب أو الاستكشاف "العقلي".

الفصل الرابع عشر: البحث

بين ذلك الحين ونهاية عام 1994، شاركت في عشرات إضافية من سلاسل التجارب، تطلب بعضها ما يصل إلى 75 عملية "رؤية عن بُعد"، بالإضافة إلى عشرات أخرى من أنواع الأهداف التشغيلية.

تضمن أحد الأهداف التشغيلية المقدم ويليام هيغنز من مشاة البحرية الأمريكية، الذي جرى اختطافه في (لبنان) في 17 فبراير 1988. كانت إحدى أكثر العمليات إضعافاً التي عملت عليها، لأنني، وعدد من "الرائين عن بُعد" الآخرين، كنا متأكدين بشكل معقول من معلوماتنا المتعلقة بموقعه (مواقعه) وكيف كان يعامل كما كنا متأكدين من أي شيء على الإطلاق. ذهبت أنا وكين بيل إلى حد التطوع لقيادة شخص ما إلى موقعه في محاولة إنقاذ. ولكن، نظراً لأننا كنا أحد المصادر القليلة للمعلومات، اعتُبر الأمر أبعد من نطاق الإمكانية لتخطيط أو تنفيذ غارة بناءً على مصادر القدرات النفسية . بعد أشهر عديدة، عندما قُبض على أحد المشتبه بهم في اختطاف العقيد وقتله، أكد أن مواقعنا كانت صحيحة في آخر حالتين من تحركه، وكنا على صواب أيضاً فيما يتعلق بمعاملته وكذلك الأساليب المستخدمة التي أدت إلى وفاته اللاحقة.

تذكرت حالة مماثلة، حدثت بعد تقاعدي مباشرة. بين الوقت الذي تقاعدت فيه من وحدة حصن (ميد) وتوظيفي من قبل (إس آر آي)، اتصل بي مباشرة صديق قديم طلب مني أن أرى ما إذا كان بإمكاني تزويده بأي معلومات تتعلق بضابط استخبارات أمريكي يدعى ويليام باكلي. زودته بوصف مفصل لحوالي عشرة أيام من التعذيب ووصفت قتله في نهاية المطاف في (بيروت). جرى التحقق من ذلك لاحقاً في مقالات صحفية، جرى تمريرها إلي بعد أشهر عديدة.

بينما كان وصفي لمنطقة احتجازه الأولية غير صحيح، كان الوصف والموقع الذي قدمته للمكان الذي مات فيه شبه دقيق. لم يكن بوسعي إلا أن أفكر في الجنرال دوزير وكم كان محظوظاً. لولا احترافية الشرطة الإيطالية وعملاء مكافحة الإرهاب على الأرض في (إيطاليا)، لكان قد شارك مصيراً مشابهاً.

بين عام 1988 ومنتصف عام 1994، عملت على خمس حوادث إرهابية كبرى إضافية، تضمنت فقدان العديد من الأمريكيين، بالإضافة إلى محاولة استهداف مباني مركز التجارة العالمي التي حدثت في فبراير 1993. لا تزال نتائج عمليات "الرؤية عن بُعد" هذه معلومات مصنفة و/أو محمية.

حدثت الكثير من التغييرات بين عامي 1986 و 1995 داخل المشروع، وكان أكبرها نقله إلى وكالة استخبارات الدفاع. قرب نهاية عام 1986، قرر توم ماكنير التوقف. سألته لماذا غادر المشروع وأخبرني أنه كان هناك لمدة ثلاث سنوات وثمانية أشهر وبدأ يشعر بالملل مما كان يحدث. قال إنه كان يتلقى تقييمات أداء متوسطة ولم يكن هناك سوى القليل جداً مما يمكنه فعله حيال ذلك. شعر أن الجودة المنخفضة لتقييمات الأداء والأوصاف الوظيفية التي تحتوي عليها لن تجعله يترقى. كانت هذه مفاجأة لي، لأن تقييمات الأداء الخاصة بي كانت متميزة. كان واضحاً من تعليقاته أن بعض التغييرات الكبيرة قد حدثت داخل الوحدة. كان هناك شيء خاطئ.

قال إنه ورئيسه لم يكونا أفضل الأصدقاء، ومنذ أن أصيب روب بالسرطان وغادر الوحدة وتوفيت جيما بالسرطان لم يعد الأمر كما كان. قال إنه قضى وقتاً طويلاً بعيداً عن المنزل خلال التدريب الطويل والمضني مع إينغو في (كاليفورنيا) و(نيويورك)، لدرجة أنه بدأ يؤثر على زواجه. لم تكن هذه مفاجأة بالنسبة لي.

قال إن زوجته شعرت أنه أصبح أيضاً أكثر انعزالاً وانطوائية، نتيجة لواجباته في المشروع.

عندما طلب الإفراج عنه من المشروع، كانوا في البداية مترددين في تركه يذهب. لكنه أصر وفي النهاية وافقوا.

قال إنه غادر الوحدة دون أوصاف وظيفية محترمة؛ دون مساهمات كبيرة في تقييمات أدائه، التي كانت ذات تصنيفات متوسطة؛ ولم يحصل على أي جائزة نهاية جولة من أي نوع.

عندما سألته عما إذا كان قد أنهى تدريبه، قال إنه سيتعين علي أن أسأل إينغو عن ذلك. كانت ذاكرته أن المراحل الثلاث إلى الأربع الأخيرة لم تكتمل بعد.

نظراً لانتهاء برنامج إينغو التدريبي قبل اكتماله، كان لا بد من إنشاء وتطوير وإنهاء الامتداد المتبقي لنظامه داخل الوحدة. بمعرفة مدى تمسك إينغو دائماً بمعلوماته وأساليبه، وخاصة أساليبه التدريبية، لم أكن مقتنعاً في ذلك الوقت بأنه كان يمكن لأي شخص القيام بذلك. مع مرور الوقت، أصبحت أقل اقتناعاً. على الأقل، كانوا سيعجزون عن قراءة أفكار إينغو فيما يتعلق بالسبب الذي جعله يفعل الأشياء بطريقة معينة.

خلال هذه الفترة نفسها، جرى إضافة عدد من الأشخاص الجدد إلى جدول تدريب إينغو، لم يتمكن أي منهم على الأرجح من إكماله بالكامل، نظراً للوقت الذي استغرقه توم حتى تلك النقطة. ربما أنهوا نسخة المشروع من تدريب إينغو، لكن بالتأكيد ليس تدريب إينغو الأصلي.

بعد انتقال المشروع إلى وكالة استخبارات الدفاع، حاولنا في مناسبتين إشراك "الرائين عن بُعد" في حصن (ميد) في التجارب التي كنا نجريها في المختبر. اعتقدنا أنه سيكون ذا قيمة لإشراكهم، من حيث أنه سيوفر لهم فرصة للتدرب على الأهداف مع "رد فعل الحقيقة على الأرض"، وسيعطينا مدخلات إضافية من "الرائين عن بُعد" للتجارب، التي صُممت لمحاولة تحديد منطقة داخل الدماغ كان يتم فيها "الرؤية عن بُعد". كانت هذه تجارب أولية لتلك التي سنجريها لاحقاً بتكلفة كبيرة في المختبر الوطني في (لوس ألاموس). كما كنا نحاول دائماً القيام به في الماضي، أردنا أن نحاول تحديد موهبة "الرؤية" المتسقة قبل استخدامها في تجاربنا المخبرية الأكثر تكلفة وتعقيداً.

لسوء الحظ، لم تكن الإدارة ولا "الرائين عن بُعد" في مشروعي القديم على استعداد للمشاركة. كانت كلتا مرحلتي الاختبار هاتين حوالي أوائل عام 1987.

تجارب على الأهداف المتحركة والأسئلة الثنائية

خلال هذه التجارب، استخدمنا بروتوكولاً جرى تعديله قليلاً، شمل استخدام صور أبيض وأسود (بدلاً من الألوان) للأهداف، وفي نسخة أخرى، استخدمنا أفلاماً متحركة أو مقاطع مرئية كـ "تغذية راجعة" للأهداف، بدلاً من صورة ثابتة.

شارك كين بيل وغاري وأنا، بالإضافة إلى ثلاثة رائين آخرين في (إس آر آي)، في هذين الجهدين التجريبيين من "مسافة بعيدة". جرى اختيار صور الهدف (أو، في حالة التجربة الثانية، المقاطع المرئية أحياناً) وعرضها على "طاولة الهدف" في (بنسلفانيا). قام كين بـ "الرؤية عن بُعد" من منزله في (فلوريدا)، وقمت أنا بذلك من منزلي في (فيرجينيا)، وقام غاري بذلك من (كاليفورنيا)، وقام الرائيون الآخرون بذلك من (ماريلاند) و(نيويورك) وولاية أخرى لا أتذكرها الآن. جرى إرسال جميع النتائج إلى (كاليفورنيا)، حيث جرى خلطها مع أهداف أخرى، ثم جرى الحكم عليها بشكل مستقل.

كان لدينا بعض النتائج المثيرة للاهتمام التي ساعدتنا في توجيه تصميماتنا لبروتوكولات "غير الرؤية عن بُعد" التي سنستخدمها في المختبر الوطني في (لوس ألاموس).

شارك الرائيون في حصن (ميد) بفتور في الأهداف القليلة الأولى، ثم توقفوا عن التعاون. لم أكن متأكداً أبداً ما إذا كانت المشكلة في الرائيين أو في الإدارة، لكن ذلك قلل من أعداد الأشخاص الذين شعرنا أنه قد يكونون متاحين للدراسات المستقبلية.

في الوقت نفسه، كلما شعرنا أنه يمكننا إضافة شيء مهم إلى أسلوب تحديد الأهداف أو أسلوب الجمع أو أسلوب التحليل، كنا ننشئ تقريراً رسمياً وملخصاً لتلك النتائج ونرسلها مع التوصيات إلى المشروع في حصن (ميد). بعد سنوات عديدة، انزعجنا عندما وجدنا معظم تلك الحزم مخزنة في خزنة أمنية، لم تُفتح قط.

لذلك، فإن كل ما كان يحدث في حصن (ميد) كان إما مدمراً للغاية للرائيين أو للإدارة أو لكليهما. واصلنا إبلاغ مخاوفنا للمسؤولين على المستوى الإداري لوكالة استخبارات الدفاع.

بعد تلك الفترة، تواصلنا مع إحدى الرائيات في حصن (ميد) التي أخضعت نفسها طواعية لـ "قسوة الرؤية عن بُعد" تحت ضوابط علمية في مختبرنا. لقد أثبتت قدراتها في "الرؤية عن بُعد" في عدد من السلاسل التجريبية، ولا تزال تعمل مع المختبر حتى اليوم. اسمها أنجيلا فورد وقد أثبتت أنها رائية عن بُعد ذات كفاءة استثنائية في كل من مجالات البحث والتطبيقات. إنها تجرؤ على اتباع قناعاتها.

في أعقاب إلغاء برنامجه التدريبي، أعلن إينغو أنه سيعتزل المزيد من العمل في المختبر في (إس آر آي). (على الرغم من ذلك، شارك أيضاً في جمع البيانات في (لوس ألاموس)). لم يعد يزور المختبر في (كاليفورنيا). افتقدت رؤيته. كان قد أمضى ما يزيد قليلاً عن عام في إجراء تجربة تتناول الأسئلة الثنائية - تلك التي يمكن الإجابة عليها بإجابتين محتملتين - نعم/لا، أعلى/أسفل، صفر/واحد، إلخ. في سلسلة من التحديات مزدوجة التعمية التي وصلت إلى ثلاثة أرقام، حافظ على دقة تجاوزت 90 في المائة، وهو أمر لم أره يتكرر أبداً. هذه الأنواع من الأهداف "اختيار إجباري" وبعض من أصعبها للإجابة عليها بدقة لأي فترة طويلة من الزمن. بدا أن أسلوبه في معالجة المشكلة متطرف، على الأقل بالنسبة لشخص يلاحظه من الخارج، لكن اتساق دقته كان مذهلاً. لقد أسفت جداً لرؤيته يغادر، لأن أصالته وذكائه سيُفتقدان.

دراسة الدماغ في لوس ألاموس

في الجزء الأخير من عام 1987، بدأنا دراستنا في مختبرات لوس ألاموس. استخدمنا المرافق هناك لأن لديهم غرفة محمية خصيصاً كانت قادرة على قطع نطاق تردد معين من التداخل ومعدات تعمل داخل الغرفة تستخدم ما كان أحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا في ذلك الوقت - جهاز تخطيط الدماغ المغناطيسي الذي كان تقنية جديدة تماماً في ذلك الوقت. كانت المعدات التي استخدمناها في (لوس ألاموس) تحتوي على جهاز تداخل كمومي فائق التوصيل سباعي القنوات لمراقبة الأعمال الداخلية للدماغ.

كان أحد شروط استخدام المعدات هو عدم وجود معدن في الغرفة، أو القليل قدر الإمكان. المعدات حساسة جداً للمجالات الكهرومغناطيسية لدرجة أنها تلتقط حتى السلك المعدني الصغير في منتصف حمالة صدر المرأة وتفسد التجربة.

نظراً لأن الجميع يولدون بحجم وشكل جمجمة مختلفين، ولكن بنفس حجم الدماغ تقريباً، فإن الدماغ ملفوف بشكل مختلف قليلاً داخل كل رأس. لذلك، لا يمكنك فقط توجيه أجهزة "سكوايد" في نفس الاتجاه لقراءة مناطق الاهتمام المحددة على أفراد مختلفين. تطلب هذا محاولات متعددة لتحديد المنطقة المراد مراقبتها أولاً. بمجرد ضبطها على فرد، كنا نجري دراسات تغذية راجعة محددة بهدف معرفة ما يمكننا معرفته حول ما كان يحدث داخل العقل العامل للشخص.

في محاولاتنا الأولية، التقطنا ساعات عديدة من البيانات، والتي كان يجب معالجتها بعد ذلك. كانت هناك كمية هائلة من البيانات، استغرقت معالجتها أشهراً باستخدام ما كان في ذلك الوقت بعضاً من أنظمة الكمبيوتر المتطورة للغاية. كانت النتيجة النهائية هي اكتشاف أن طول الجلسة (مدة جمع البيانات) كان قصيراً جداً ليمنحنا ما كنا نبحث عنه، لذلك كان علينا القيام بكل شيء مرة أخرى. هذا هو أحد الأشياء المثيرة للاهتمام حول القيام بشيء جديد تماماً في العلم - ليس لديك "مسطرة قياس" لقياس ما تفعله في المرة الأولى - لذلك يتطلب الأمر أحياناً جهوداً متعددة للعثور على "ملعب البيسبول" قبل أن تتمكن من الدخول في اللعبة.

كانت الطريقة التي أثر بها هذا الاختبار علي مختلفة تماماً. كنت أعاني من مشاكل قلبية مستمرة في ذلك الوقت، بسبب الارتفاع العالي في (لوس ألاموس)، والتي تقع على هضبة عالية. لذلك، عندما كنت هناك وفي "الصندوق" (الغرفة الخاصة)، كنت أتعامل مع صعوبات مستمرة في التنفس والألم. أن تكون مثبتاً ووجهك لأسفل، ووجهك مدفوع في حامل خاص يتشوه ليناسب ملامحي، ثم يُدفع جهاز ضخم على مؤخرة رأسي، بينما تعاني من ألم في الصدر وصعوبات في التنفس، ثم تقوم بكل ما أحتاجه للقيام بـ "الرؤية عن بُعد" لبضع ساعات متواصلة كان صعباً للغاية بالنسبة لي. بعد الانتهاء من صباح كامل من هذه القياسات، كنت أقفز في سيارتي المستأجرة وأقود إلى فندقي في سانتا في، حيث كنت على ارتفاع يمكن تحمله. كان يستغرق الأمر عادة أربع أو خمس ساعات حتى أبدأ في الشعور بالراحة مرة أخرى. كان الجميع يقيمون في (لوس ألاموس)، لذلك كانت قيادة إضافية تستغرق ساعة بالنسبة لي في الصباح والمساء.

تمكنا من تشغيل عدد من الأشخاص من خلال النظام وقد منحنا الكثير من البيانات - أو على الأقل ما يكفي لصياغة إلى أين سنتجه بعد ذلك. في العام التالي، عدنا إلى (لوس ألاموس) وجمعنا البيانات في مجموعة تجريبية مختلفة سمحت لنا بالبدء في رؤية المنطقة المحتملة داخل الدماغ حيث قد تحدث أو لا تحدث "القدرة النفسية". لسوء الحظ، كانت التكلفة المعنية مرتفعة للغاية. حتى في مختبر وطني، كان جدولة الوقت صعبة وكانت تكلفة تأجير المعدات وموظفي الدعم ومعدات التحليل اللاحق باهظة الثمن للغاية - آلاف الدولارات في الساعة في بعض الحالات. تطلبت كمية البيانات التي جمعناها مئات الساعات في جمع واستيعاب وتحليل ما كنا نبحث عنه. استمرت هذه الدراسات حتى نهاية عام 1989، ثم جرى تقليصها بسبب نقص التمويل والقدرة على العثور على معدات يمكن أن تنقلنا إلى الخطوة التالية. توجد الآن آلات تصل إلى 148 جهاز "سكوايد"، وتستخدم أنظمة دعم حاسوبية أعلى بعشرة أضعاف من المعدات التي كنا نحاول استخدامها في أواخر الثمانينات. نأمل أن نجد يوماً ما ما يكفي من التمويل لمواصلة بحثنا في هذا الاتجاه.

إذا تمكنا من تحديد المنطقة الصغيرة والمحددة جداً التي تنشط دائماً عندما تحدث "القدرة النفسية" الفعلية، فسنكون قد طورنا طريقة لمعرفة متى يكون شخص ما "نفسانياً" ومتى لا يكون كذلك. سيكون هذا شيئاً يمكن أن يثبت أنه مفيد للغاية في سعينا لفهم الظاهرة، أو استخدامها بأعلى قدرة لها.

الرقابة العلمية والتحول إلى (SAIC)

كان هناك شرط آخر تغير في منتصف إلى أواخر الثمانينات وهو الطريقة التي كان يتم بها مراقبة عملنا. بصفته رئيس المختبر، أنشأ إد عدداً من لجان الرقابة لضمان بقائنا ضمن حدود معقولة. إحدى الصعوبات في دراسة "القدرة النفسية" هي أنه ليس من الممكن فقط خداع الذات للاعتقاد بشيء غير صحيح، بل في بعض الحالات، من المرجح جداً أن يحدث ذلك. يمكن أن يحدث لأي شخص. في محاولة للحد من هذا الاحتمال، أنشأ اللجان.

كانت هناك ثلاث لجان، لكن أهمها كانت لجنة الرقابة العلمية، التي ضمت ما يقرب من اثني عشر من أفضل العقول في العديد من مجالات الدراسة. كان هناك في الواقع اثنين من الحائزين على جائزة نوبل في اللجنة. ضمن إد ألا يكون لأي من أعضاء هذه اللجان أي تحيزات إيجابية أو سلبية تجاه "القدرة النفسية". كان لأعضاء اللجان امتيازات الدخول في أي وقت. هذا يعني أنه يمكنهم التوقف والمراقبة لأي شيء نقوم به، وطرح أي أسئلة، أو مراجعة أي من المواد في أي وقت يريدون. جرى إرسال جميع البروتوكولات إلى اللجان للمراجعة والتعليق. جرى تشجيعهم على توبيخنا على أي شيء اعتقدوا أنه غير مناسب بشأن ما كنا نفعله. حتى إغلاق المشروع في نهاية عام 1995، لم يشتك أي عضو في اللجنة من أي مخالفة واحدة، ضمنية أو غير ذلك، في عمليات المختبر. لا ينبغي تفسير هذا على أنه يعني أنهم لم يقدموا أي تعليقات. في مناسبات عديدة، كانت لديهم تعليقات إيجابية حول تصميم بروتوكولاتنا، أو توصيات لتشديد المناطق التي كان من الممكن أن نقع فيها في مشكلة. تلبية توقعات "الرؤية عن بُعد" ضمن حدود هذا النوع من المناخ المخبري صعب للغاية - لكن القيام بذلك عزز الأساس الواقعي لنوع "الرؤية عن بُعد" الذي كنت أقوم به. لم يعزز إيماني بالـ "القدرة النفسية" فحسب، بل أثبت خارج أي شك في أذهان الكثيرين حقائق وجودها.

عندما أسمع الناس يعلقون على واقعية "القدرة النفسية"، أو ما إذا كانت مجرد شيء يحدث في خيال الأشخاص المعنيين، أتمنى أن يكون لديهم على الأقل الكياسة لقراءة التاريخ أو مراجعة البيانات الفعلية. هناك الكثير من الأدلة القائمة على وجود "القدرة النفسية"، فمن الحماقة الاستمرار في إنفاق المال والوقت والجهد في "إثباتها" لإرضاء الأغبياء. حان الوقت للمضي قدماً. دعونا نعمل على معرفة لماذا هي موجودة على الإطلاق، وكيف تعمل. قد يكون أعظم فهم مفرد ممكن للبشرية. أرى أنها مرتبطة بكل شيء يتعلق بـ القدرة الإبداعية للبشرية، وقدرتنا على شفاء أنفسنا بشكل عفوي وربما الآخرين، بالإضافة إلى توفير بصيرة جديدة في طبيعة خالقنا - ماذا ومن هو الله - الأصل الحقيقي لنوعنا. دعونا نمضي قدماً، لأجل الله.

في عام 1990، قطع المختبر علاقته الطويلة مع (إس آر آي الدولية) وانتقل. انتقلنا مادياً حوالي أربعة مجمعات سكنية في (مينلو بارك) إلى مكتب جديد، ولكن بشكل غير مادي، حولنا عملياتنا إلى شركة التطبيقات العلمية الدولية (سايك).

(أولئك الذين يعتقدون أنه لم يكن هناك اهتمام حقيقي بـ "الرؤية عن بُعد" من قبل وكالات الاستخبارات الرئيسية في (واشنطن العاصمة)، يحتاجون فقط إلى النظر إلى مجالس الإدارة، في الماضي والحاضر، لـ (سايك)، ليفهموا أن ذلك لا يمكن أن يكون أبعد عن الحقيقة. العديد من المديرين السابقين لتلك الوكالات الاستخباراتية يعملون أو عملوا في مجلس إدارة (سايك). إنها شركة بمليارات الدولارات تقدم الدعم لمجموعة متعددة الأوجه من المصالح في مجالات تتراوح من الجغرافيا إلى الدفاع.)

محاكاة تتبع العملاء: اختبار التطبيقات

قبل الانتقال إلى (سايك)، اتصلت بنا وكالة بسؤال ومهمة مثيرة للاهتمام. هل يمكننا فعلاً تتبع عميل في الميدان باستخدام "الرؤية عن بُعد"، وهل كان من الممكن تحديد ما قد يفعله ذلك العميل؟ ما يجعل هذه الأسئلة مثيرة للاهتمام هو أن نتائج المحاكاة التي أجريناها نيابة عن هذه الوكالة هي بعض من المواد القليلة التي رُفعت عنها السرية على الإطلاق والتي تظهر فعالية "الرؤية عن بُعد" للقيام بما كانوا يطلبونه بالضبط.

علاوة على ذلك، جرى التحكم في تحديد الهدف بالكامل من قبل الوكالة المعنية ولم يكن أحد في مختبرنا مطلعاً على المعلومات الحقيقية حتى اكتمال المهمة. على حد علمي، هذا هو الاختبار الحقيقي الوحيد على مستوى التطبيقات لـ "الرؤية عن بُعد" المتاح للجمهور اليوم.

الطريقة التي سارت بها العملية كانت على النحو التالي:

أرادت الوكالة التي كنا نتعامل معها الحفاظ على السيطرة الكاملة على الجهد. بينما لم يذكروا على وجه التحديد سبب رغبتهم في التحكم في جميع جوانب المحاكاة، يمكن للمرء أن يفترض إما أن نيتهم كانت إثبات لأنفسهم بما يتجاوز الأدلة القائمة أن "الرؤية عن بُعد" يمكن أن تكون أصلاً قيماً لجمع المعلومات قادراً على المساهمة في جهودهم، أو أن هذه كانت طريقتهم لضمان إنجازها دون شكل من أشكال الغش. في كلتا الحالتين، كان همنا الوحيد هو أنهم فهموا وأجروا تحديد الهدف بـ "الرؤية عن بُعد" ضمن حدود البروتوكول - بعبارة أخرى، أنهم حافظوا على حماية الهدف و"تعميته" عن جميع المشاركين في جانب الجمع في المكان.

(كنا قد وافقنا منذ فترة طويلة على العمل بافتراض أن أي شخص متصل بـ "الرؤية عن بُعد" يمكن أن يغش، ولمنع هذا الاحتمال، صممنا لاحقاً جميع بروتوكولاتنا لمعالجة هذه المخاوف. ما هو مثير للاهتمام، حتى بعد القيام بذلك، لا يزال الناس يطالبون بالرؤية بأنفسهم ومحاولة التحكم في الأهداف بأنفسهم، مما يزيد فقط من عدد الأشخاص المعنيين وبالتالي احتمال الخداع أو التلاعب غير المناسب بالنتائج. ببساطة، إنه يعقد بروتوكولاً معقداً بالفعل.)

لمحاكاة وضع "في العالم الحقيقي"، أكدوا لنا أننا سنستهدف عميلاً حقيقياً (أحد عملائهم) وأن تحديد الهدف سيتم في تاريخ/وقت يعتمد بالكامل على تصرفات العميل، بدلاً من تاريخ/وقت مرتب مسبقاً، كما جرى استخدامه للتجارب العادية.

لتسهيل ذلك، انتقلت للعيش مع صديقي الدكتور نيفن لانتز، مراقبي العادي لـ "الرؤية عن بُعد"، في منزله في (بيركلي، كاليفورنيا). قضينا الوقت في القراءة والقيام بأشياء أخرى أبقتنا مسترخين.

تلقينا أول تنبيه لنا لتحديد الهدف في حوالي منتصف الليل في إحدى الأمسيات في منتصف الأسبوع. كنا قد ذهبنا جميعاً للنوم للتو. أيقظني وشرعنا في المطبخ، حيث استقررنا على طاولة المطبخ وقضيت حوالي ثلاثين دقيقة أتحدث في جهاز تسجيل وأحاول رسم موقع الهدف، وفي نفس الوقت أسجل شخير نيفن، لأنه نام على الطاولة.

تضمنت مواد تحديد الهدف التي أعطيت لي بطاقة فهرسة غير مخططة مقاس ثلاثة في خمسة بوصات. كُتب على البطاقة رقم ضمان اجتماعي من تسعة أرقام. من اتصل كان قد أعطى نيفن الرقم عبر الهاتف وقد كتبه على البطاقة. كانت المعلومات الوحيدة التي أعطيت لي هي: "هذا هو رقم عميل يقع في مكان ما في (أمريكا). صف العميل، صف أين يقف العميل، وأخبرنا بما يفعله العميل."

كانت نتائجي صعبة الفهم للغاية، حيث كان لها جودة "حرب النجوم" عالية جداً. كانت المعلومات التي كنت أحصل عليها معقدة للغاية لدرجة أنها تكاد تكون غير قابلة للتحديد. بدا أن المادة بأكملها لها علاقة بجزيئات صغيرة من الطاقة - حزم من المواد، والتي كانت تتحرك. في النهاية، استسلمت لمحاولة رسم الجهاز الذي كنت أشعر به وذكرت ببساطة أنه آلة لتسريع الإلكترونات. لم تُعطَ لنا أي "تغذية راجعة" حتى أكملنا المحاكاة بأكملها لثلاثة مواقع منفصلة.

تم تحديد الهدف الثاني بعد أيام قليلة، في وقت ما حوالي منتصف الصباح. مرة أخرى، سُلمت لي بطاقة الفهرسة وطُلب مني وصف المكان الذي يقف فيه العميل. ذكرت أنه كان يقف في منتصف حقل من التلال المتموجة. وصفت الحقل بأنه يحتوي على مولدات رياح كبيرة وشكل من أشكال شبكة الطاقة تحت الأرض.

في المرة الثالثة، وضع العميل في زاوية منطقة معقدة للغاية، بدت صناعية في طبيعتها. قلت إن هناك مباني متعددة، بعضها يشمل مناطق تحت الأرض وممرات متصلة تحت الأرض. أشرت إلى أن المبنى الهام والمثير للاهتمام كان مبنى كبيراً على شكل حرف " تي " بارتفاع سبعة طوابق، مع مبنى أصغر يقع على السطح. ذكرت أنني شعرت أن المبنى ربما يسمى أو مُسمى "المبنى أ" - أو على الأقل هذا ما سأسميه. أبلغت أن العميل كان يقف في الطابق العلوي، في وسط الجزء الأمامي من المبنى في منطقة مكتب رئيسية.

لم تُزود لنا "التغذية الراجعة" إلا بعد اكتمال المهمة بأكملها، ولكن اكتشفنا لاحقاً أن موقع الهدف الأول الذي كان يقف فيه العميل كان داخل مُسرِّع ستانفورد الخطي - وهو مكان يسرّعون فيه الإلكترونات. كان موقع الهدف الثاني حقلاً كبيراً لمولدات الرياح على التلال في جنوب (كاليفورنيا) ورُسم بدقة شبه مثالية حسب تسمية العميل. كان الموقع الأخير هو مبنى المكاتب الرئيسي الذي يُطلق عليه بالفعل "المبنى أ" في مقر مختبر لورانس ليفرمور. كان هذا الرسم والوصف دقيقاً بما يكفي لتوفير تمثيل وتحديد واضح للموقع، مما جعل من الممكن تحديد منطقة المدخل الغربي للمختبر والمبنى الرئيسي - وكانت جميع هذه الأماكن الثلاثة أماكن لم أرها من قبل.

جرت إحالة نتائج حالات "الرؤية عن بُعد" الثلاث جميعها إلى الوكالة التي طلبت المعلومات وجرى إجراء تقييم للدقة بشكل مستقل من قبل تلك الوكالة.

دقة وفوائد التطبيق العملي

تضمن هذا أكثر مما إذا كنت قلت الشيء الصحيح أم لا. في سيناريو مهمة عملية، يمكن قول الكثير عن هدف قد لا يكون ذا صلة بما يحدث بالفعل - وبالتالي لن يكون له قيمة. أو يمكن قول القليل، مما قد يغير طبيعة المهمة الجارية. لتحديد ما إذا كانت المعلومات ستكون ذات قيمة كأداة لجمع المعلومات الاستخباراتية يتطلب هيكلاً معقداً للتحليل يعتمد على:

أ. كمية المعلومات التي يمكن قولها عن الموقع والتي قد تكون لها جدارة أو قيمة للمهمة العامة - ما هو المهم فعلاً معرفته عن موقع الهدف. (عادة ما تحدد الوكالة المعنية قائمة الأسئلة هذه قبل أي "رؤية عن بُعد". لذلك، فإن ما يُعتبر في النهاية مهماً للمهمة ليس هو ما قاله "الرائي عن بُعد" على وجه التحديد، ولكن يتقرر فقط من خلال ما هو ضروري لإنجاز المهمة.)

ب. كمية ما قلته الذي قدم بالفعل إجابات على هذه الأسئلة المحددة مسبقاً.

ج. كمية ما قد أكون قلته لم يكن ذا قيمة أو لم يكن ذا صلة بالمهمة قيد البحث، أو ربما قدم حتى خيوطاً خاطئة أو معلومات قد تكون ضارة بالمهمة العامة.

كل هذا يضمن قياساً أفضل للدقة الوظيفية والموثوقية عند محاولة فهم أو قياس العلاقات بين ما كان العميل يفعله بالفعل في ذلك الوقت، ولماذا كان هو أو هي قد يفعل ذلك، وأين أو متى كان هو أو هي قد يفعله.

في هذه الحالة، كانت المهمة الأساسية للعميل هي مراقبة وجمع البيانات حول مُسرِّع ستانفورد الخطي، ثم الانتقال بتوقف واحد (للراحة) في حقل توليد الرياح، وينتهي به المطاف في المبنى الرئيسي، "المبنى أ" البوابة الغربية، لمختبر لورانس ليفرمور.

جاءت الدراسة المستقلة للوكالة مع أرقام بين قوسين تمثل قيمة كل مجال اهتمام للهدف وكيف قاموا بتقييمه، أو مدى أهمية كل من تلك العناصر لمهمتهم. كانت القيمة 1.0 هي القيمة الأعلى، أو تعني أنها كانت معلومات حاسمة يجب الحصول عليها، بينما في الطرف المقابل من المقياس، كانت القيمة 0.25 تُعتبر الأقل أهمية للمعرفة. لذلك، فإن العناصر الإجمالية التي احتاجوا إلى معرفتها كانت (أ) الوظائف في المواقع (1.0)، (ب) العلاقات بين العناصر المنفصلة في الموقع مقارنة بمصالح العميل (0.75)، و (ج) الأهداف المحددة للعميل في التواجد في هذه المواقع (0.5). كانت نتائجي، وفقاً لحساباتهم:

تحليل متعمق والدقة المذهلة

جُري تفصيل إضافي للمعلومات الفعلية المقدمة المتعلقة بالـ مُسرِّع وقورنت بالـ وزن الفعلي للحاجة (0.25-1.0) - وهي قيم محددة مسبقاً حول الموقع المحتمل الذي يمكن أن يكون مهماً حول الموقع للوكالة المعنية. جرى تصنيف الـ مُسرِّع بالفعل على أنه الطرف الأكثر أهمية للمهمة - المكان الذي بدأ منه العميل. بدلاً من تتبعه إلى هدف، كنا قد تتبعنا إلى الخلف من مقره المفترض إلى الهدف. بناءً على ما يسمى "تحليل المجموعة الضبابية"، تلقيت التغذية الراجعة التالية:

مرة أخرى، دقة وموثوقية مدهشة، بالنظر إلى أن العميل كان يمكن أن يكون في أي مكان في الولايات المتحدة القارية ويشارك في عدد لا يحصى من الأنشطة المجهولة.

والأكثر إثارة للاهتمام - أثناء الوقت الذي كنت أستهدف فيه العميل، اكتشفت موقع هدف آخر، ذكرت أنه لم يكن جزءاً من الموقع المثير للاهتمام، ولكنه كان موقعاً زاره العميل أيضاً. وصفت ببعض التفصيل الكبير حقلاً من مصفوفات الطاقة الشمسية، حيث جرى التقاط ضوء الشمس بواسطة مرايا كبيرة وعكسه على أهداف على موقع برج. قلت إنهم كانوا يستخدمون نظام كمبيوتر للتحكم في المصفوفة أو التلاعب بها. ما هو مثير للاهتمام في هذه المعلومات هو أنني تمكنت من تحديد أنه بينما قد يكون هذا أيضاً مثيراً للاهتمام للعميل وغيره، فإنه لم يكن جزءاً من الهدف الأساسي وبالتالي تمكنت من خصم هذه المعلومات من المعلومات الإجمالية التي جرى جمعها.

تبين أنه في السفر من وإلى موقع الهدف الفعلي الواقع في المنطقة الصحراوية، اضطر العميل إلى القيادة بجوار موقع اختبار لمصفوفة الطاقة الشمسية لوزارة الطاقة حيث كان حقل من المرايا التي تُتلاعب بها بواسطة الكمبيوتر يُستخدم لاستهداف أجهزة تجميع على طرف برج طويل. في الواقع، بعد عام تقريباً، عندما سُمح لي بالخروج وزيارة الموقع للحصول على "تغذية راجعة"، أوقفنا حارس أثناء قيامهم ببدء وإكمال سلسلة اختبارات للطاقة الشمسية في موقع اختبار وزارة الطاقة.

أدى نجاح هاتين المهمتين المحاكيتين إلى تأثير كبير على الوكالة التي كلفتنا. لقد أقنعهم ذلك بـ "موثوقية وفائدة الرؤية عن بُعد كطريقة لجمع المعلومات الاستخباراتية بعيدة المدى" ضد "عملاء العدو في الميدان". أدى هذا في النهاية إلى تكليف إضافي ودعم مالي للمختبر.

تدوين الخبرة والمضي قدماً

في نهاية عام 1992، بدأت في تجميع مواد لكتاب عن تجاربي مع "الرؤية عن بُعد". لم تكن هناك أي معلومات على الإطلاق متاحة لعامة الناس، لأن معظمهم لا يشيرون أو يقرأون المجلات العلمية حيث كان يجري نشر الكثير من المعلومات. شعرت أنه من المهم توعية الجمهور بمدى التطور الذي وصلت إليه "الرؤية عن بُعد"، بالإضافة إلى حقيقة أنه يمكن استخدامها ربما لحل الجرائم ومهاجمة المشاكل الإبداعية في الصناعة. نُشر كتاب "الرحلة العقلية" في عام 1993 عن طريق شركة هامبتون رودز للنشر.

بعد الكشف عن برنامج "بوابة النجوم" (ستار غايت) على برنامج "نايتلاين" في نوفمبر 1995، تعرضت لانتقادات شديدة من قبل عدد من الأشخاص الذين قالوا إنه كان يجب أن أكتب عن الاستخدام العسكري لـ "الرؤية عن بُعد". بالطبع، هؤلاء الأشخاص لم يكونوا ليواجهوا إجراءات تأديبية شديدة ووقتاً طويلاً في السجن. لقد حرصت على مشاركة كل ما سُمح لي بمشاركته - كل ما جرى تعلمه في المنطقة المفتوحة أو غير السرية من جهود ودراسات مختبرنا. شاركت أيضاً قدراً كبيراً من المعلومات حول "الرؤية عن بُعد" بالإضافة إلى بعض نظرياتي الخاصة حول كيف يمكن أن تعمل أو لا تعمل. ثبت أن بعض هذه النظريات أكثر دقة من غيرها، وبعضها كان قضايا طريق مسدود.

مع نشر الكتاب، بدأت أتلقى تدفقاً أكبر بكثير من الطلبات من الشركات والأفراد في مجال الأعمال فيما يتعلق بـ استخدامات وتطبيقات "الرؤية عن بُعد". نظراً لأنني أعد بالسرية التامة لعملائي الخاصين، فليس هناك الكثير مما يمكنني مشاركته حول النجاحات أو الإخفاقات هناك. يمكنني القول إنها إحصائياً هي نفسها مثل بقية عملي على مدار الـ 23 عاماً الماضية - حوالي 70 في المائة معدل دقة وموثوقية. هذا ليس مرتفعاً مثل بعض الادعاءات التي يقدمها الآخرون هناك في عالم الخوارق، ولكن بعد ذلك لم يجر اختبارهم تحت ظروف مخبرية أو ضمن القيود الشديدة لبروتوكولات التعمية والمزدوجة التعمية أيضاً. يجب على أي شخص يعتقد أن متوسطاتي الإحصائية ليست مهمة أن يتحدث إلى عالم اختبرني - وهم كثيرون. لقد أجبرت على إظهار هذه النسب المئوية من عام إلى عام وظلت دون تغيير نسبياً طوال الوقت.

يمكنني التحدث بشكل عام عن بعض الأعمال التي قمت بها داخل شركتي، وبعضها كان جيداً جداً. لقد قدمت سنوات من الدعم لـ مصالح أسهم محددة للأفراد، وقدمت سنوات من التوجيه لشركات استثمارية تتعامل في تبادل العملات العالمية. لقد أجريت توقعات بشأن الاستثمارات العقارية لمناطق محددة في المدن والبلدان والمناطق، وقدمت مشورة بشأن أنواع العقارات التي يجري النظر فيها. لقد أنتجت العشرات من المواقع الدقيقة لآبار مياه جديدة ومنتجة في (أمريكا) و(بلجيكا) و(فرنسا) و(إسبانيا) و(ألمانيا) والعديد من البلدان الأفريقية - عن طريق التنقيب بالخرائط لهذه المواقع البعيدة. وشاركت شركتي في البحث عن معادن وأحجار محددة تستخدم في البناء أو التشطيب أو حتى لأغراض تجميلية.

تحديات البحث عن المفقودين

معظم العمل الذي طُلب مني المساعدة فيه يتعلق بـ الأشخاص المفقودين، والتي لسوء الحظ هي واحدة من أصعب المجالات لاستخدام "الرؤية عن بُعد" من أجلها. هناك العديد من الأسباب لذلك، ولكن الأسباب الرئيسية هي:

- يمكنك تقديم وصف شبه مثالي لموقع يجري فيه احتجاز شخص، أو يعيش فيه، أو جرى فيه إخفاء جثة. ولكن، إذا لم تكن هناك معالم محلية يمكن التعرف عليها بسهولة لمنطقة أو بلدة معينة، فإن تحديد المكان الذي يقع فيه الموقع فعلياً في العالم أمر صعب للغاية. (ما لم تكن بالطبع تستخدم التنقيب، وحتى في هذه الحالة، هناك افتراض بأن الخريطة التي قد تستخدمها تحتوي بالفعل على الموقع).
- في بعض الأحيان يكون الشخص المفقود ميتاً. إذا جرى تقطيع الجثة ونشرها في جميع أنحاء المنطقة، فإن ذلك يزيد من صعوبة تحديد الموقع.
- ومع ذلك، فإن السبب الرئيسي لكون تحديد موقع فرد هو الأكثر صعوبة هو إحجام السلطات عن استخدام المواد المقدمة. فهم إما لا يفهمون كيفية استخدامها بشكل مناسب، أو يشطبونها على أنها لا معنى لها لأنها تأتي من مصدر "نفساني".

غالباً لا يكون هذا خطأ السلطات. في كثير من الحالات، تكون مغمرة بالكامل بالمواد التي تنشأ من مختلف "النفسانيين" والتي لم يجر تنسيقها، وفي كثير من الأحيان تكرر معلومات سيئة، وفي أي حال ليس لديها خط أساس يمكن من خلاله قياسها. العديد من الأشخاص الذين يرسلون المعلومات لديهم نوايا حسنة للغاية، ولكن ليس لديهم أي قدرة "نفسانية" في أجسادهم. بدون طريقة ما لتحليل المعلومات بشكل صحيح و/أو تطبيقها، فإن كل ما تفعله هو عرقلة النظام.

عادة لا أساعد أو أقدم معلومات للسلطات ما لم يُطلب مني ذلك رسمياً مسبقاً. على مر السنين، أقمت علاقات مع مكاتب مختلفة للمدعين العامين والمحامين العموم، وإدارات الشرطة، ووكالات التحقيق. بدون ضمان بأن شيئاً ما سيُفعل بالمواد، وأن من سيستخدم المواد يفهم قيود المواد، فإنه إهدار لوقت وطاقة الجميع من البداية.

على سبيل المثال، في شتاء 2001-2002، في مقاطعتي الخاصة (نيلسون)، جرى الإبلاغ عن فقدان طفلة صغيرة. عدت إلى المنزل من إلقاء محاضرة في معهد مونرو حوالي الساعة 10:30 مساءً، وفي غضون دقائق تلقيت مكالمة من أحد سكان المقاطعة الذي يعرف قدراتي. قدت سيارتي إلى منزل الفتاة المفقودة، الذي يقع في منتصف بعض من أوعر التضاريس التي يمكنك أن تجدها في منطقة جبال بلو ريدج في (فيرجينيا). لسوء الحظ، في انتخابات قبل بضعة أشهر، جرى استبدال الشريف المحلي بشريف جديد لم يكن لديه معرفة سابقة بي أو بقدراتي. أنشأ الشريف الجديد خطاً للشرطة في مسرح المنزل (وهو إجراء طبيعي)، لم يُسمح لي بعبوره. شرحت لبعض نوابه من أنا وعرضت المساعدة، ولكن جُري منعي باستمرار من الدخول كمسألة قاعدة.

بعد الوقوف في البرد حتى وقت ما بعد الساعة 2:30 صباحاً، رأيت صديقاً قديماً يدخل. إنه أحد حراس الحياة البرية من المنطقة. أوضحت أنني أريد المساعدة وطلبت منه التوسط، وهو ما حاول القيام به. عاد وأخبرني أن "نوع مساعدتي" لم يُقدر. أعطيته خريطة تمكنت من الحصول عليها من أحد أفراد البحث والإنقاذ في الموقع، والتي كنت قد علمت عليها مكان بدء يجب أن يبدأوا فيه بحثهم. أشرت على الخريطة إلى أنهم سيجدون كلاً من الآثار والعلامات فيما يتعلق بالاتجاه الذي ذهبت إليه الفتاة. قال إنه سيتأكد من حصولهم على الخريطة وذهبت إلى المنزل.

لم أتمكن من النوم بقية الليل لأنني كنت أحصل على رؤى واضحة جداً للفتاة الصغيرة تتجول في الغابة. كنت متأكداً جداً من أنني أستطيع المساعدة، لكن لم يرد أحد مني ذلك. بقيت في مكتبي أعمل حتى تلقيت مكالمة هاتفية حوالي الساعة 9:00 صباحاً. في ذلك الوقت، قيل لي إن رئيس فرق البحث والإنقاذ يريد التحدث معي في منزل الفتاة.

عندما وصلت إلى هناك، أخذوني إلى مقطورة البحث، حيث قُدمت للرجل المسؤول عن فرق البحث التي وصلت من (ريتشموند). أراني خريطتي وسألني كيف عرفت أنهم سيجدون علامات للفتاة في الموقع الذي كنت قد علمته؟

شرحت ما فعلته لدعم الوكالات الحكومية لسنوات عديدة وأخبرته أنه لا يوجد تفسير مناسب لما يمكنني فعله، لقد كنت قادراً على القيام بذلك فحسب. قال إنهم وجدوا بالضبط ما توقعته في بالضبط المكان الذي توقعت أن يكون فيه. ثم سألني أين كنت في الـ 24 ساعة التي سبقت اختفاء الفتاة. عرفت أنه كان يتحقق من مبرر غيابي، وهو طلب معقول بالنظر إلى أنني كنت أعرف الكثير عن المكان الذي كانت فيه الفتاة قبل اختفائها. نظراً لأنني كنت برفقة آخرين لمدة يومين تقريباً، جُري استبعادي كأي نوع من المشتبه بهم. ولكن ماذا لو لم يكن لدي مبرر غياب؟ ماذا بعد ذلك؟

على أي حال، أخذني إلى خريطتهم الكبيرة للبحث وسألني: "إذا كان عليك البحث عنها الآن - أين بالضبط ستبحث؟" وضعت إصبعي على الجزء السفلي الأيمن من الخريطة.

"هنا. هنا بالضبط حيث ستجدونها."

حسناً، خلق هذا مشكلة كبيرة. المنطقة التي اخترتها كانت تقع خارج الشبكة العامة لمنطقة البحث الرئيسية. في الواقع، كانت على بعد ما يقرب من ثلثي ميل إلى الجنوب والغرب من حيث كانوا يبحثون، باستخدام الكلاب والمروحيات وحوالي 175 شخصاً في فرق من أربعة إلى سبعة.

صرح: "لا يمكننا البحث هناك بعد. سنفسد الرائحة لكلاب التتبع. سيتعين علينا تشغيل فريق كلاب في ذلك المكان، ثم يمكننا الدخول بفريق بحث. سيتعين علينا أيضاً نقل شبكة البحث لتشمل تلك المنطقة وسيستغرق ذلك وقتاً طويلاً للقيام بذلك."

أوضحت أنني لا أعتقد أن لديهم الكثير من الوقت. كانت درجات الحرارة قد انخفضت إلى أقل من العشرينيات في الليلة السابقة وكانت الفتاة الصغيرة ترتدي بلوزة خفيفة وبخلاف ذلك لم يكن لديها حماية ضد العوامل الجوية. كان كلبها معها، لكن الكلب تجول في وقت سابق من ذلك الصباح مُنهكاً ويحتاج إلى الماء والطعام على حد سواء. لم يتمكنوا من تتبع الكلب، أو إغرائه لقيادتهم إلى الفتاة. لقد تحرك ببساطة تحت المنزل ورفض التعاون.

سألت عما إذا كان يمكنني الدخول إلى هناك بمفردي. عرفت أنه يمكنني الذهاب مباشرة إلى تلك البقعة على الخريطة التي حددتها وترك القليل جداً من الأثر أثناء الذهاب أو المجيء مما قد يعبث بفريق الكلاب. في الواقع، كانت المنطقة التي سيتعين عليهم الدخول منها بالكلب في اتجاه الريح وعلى بعد أميال من نقطة الدخول التي أردت تجربتها. قيل لي لا.

بدلاً من ذلك، جُمعت مع صديقي حارس الحياة البرية واثنين آخرين وجُعلنا نقف جانباً وننتظر. انتظرنا ما يقرب من ست ساعات بينما جرى أخذ الكلب عبر المنطقة، وبينما قاموا بتحريك وإعادة رسم شبكة خرائط البحث التي كانوا يستخدمونها. اكتشفت لاحقاً أن فريق الكلاب قد اتبع في الواقع المسار الأسهل على طول مجرى جدول لأنهم افترضوا أن الفتاة الصغيرة لا يمكن أن تكون قد دخلت في غمرة الكثافة، لكونها صغيرة جداً. خمنوا أنها ستلتزم إلى حد كبير بمسار أو مكان أسهل للمشي.

في النهاية، أدخلوا فريقين إلى المنطقة التي كنت قد علمتها على الخريطة. دخل الفريق الذي كنت معه من الغرب والشمال، وجرى نقل الفريق الآخر بالمروحية من أعلى الجبل للعمل في طريقهم نحو موقعنا.

التقى الفريقان على الجثة تقريباً في وقت واحد. عثر عليها فريق الجبل أولاً ووصل فريقنا إلى الموقع في غضون عشر دقائق. كانت الفتاة الصغيرة ميتة عندما عُثر عليها، وكانت جثتها في حدود خمسين إلى 75 قدماً من الموقع الذي كنت قد علمته على الخريطة.

ليس لدي أي فكرة عن الوقت الذي توفيت فيه الفتاة الصغيرة بالفعل. كانت هناك دلائل على أنها سقطت في جدول مائي وأن ملابسها القليلة قد ابتلت بالكامل. كانت برودة الطقس (انخفاض حرارة الجسم) هي العدو الأكبر لها منذ تلك اللحظة فصاعداً. طلبتُ نسخة من الخريطة التي كنتُ قد زودتُ بها فرق البحث في الليلة السابقة، ورُفض طلبي. طلبتُ التحدث إلى قائد الشرطة، على أمل التوصل إلى اتفاق بشأن الحوادث المستقبلية، لكن طلبي قوبل بالرفض. لم يرغب في التحدث إليّ. ربما لم يكن بوسعي إحداث أي فارق، ولكن هذا ليس جوهر القضية. الجوهر يكمن في حقيقة أن الأشخاص ذوي الموهبة المؤكدة والراسخة يمكنهم تقديم معلومات من خلال استخدام منهجيات القدرات الخارقة أو الاستبصار عن بُعد. وعندما لا يكون لديك أي دليل آخر من أي نوع، يكون هذا هو الدليل الوحيد!

لا يهم ما إذا كانت دقة الشخص ذي القدرات الخارقة تبلغ ثلاثين بالمئة أو تسعين بالمئة. إذا لم تكن لديك أي فكرة عن مكان البدء، فإنك تأخذ ما تستطيع لتقليص منطقة البحث. إذا كانت لديك فرصة ثلاثون بالمئة لتقليص منطقة البحث وإنقاذ حياة، فعليك اغتنامها.

لقد شاركتُ في عمليتين أخريين للتنقيب والإغاثة داخل مقاطعتي. وفي الحالات الثلاث كلها، كانت المعلومات التي قدمتها هي آخر ما اعتُمد عليه. وفي الحالة الثانية تحديداً، لم يستخدموا بياناتي إلا بعد أن أُجبروا على ذلك. فبعد خمسة وأربعين يوماً من البحث عن حارس متنزه مفقود في سلسلة جبال البلو ريدج، أوقفوا عملية البحث. وأثناء تصفية الملفات، عثروا على الخريطة الأصلية التي كنت قد زودتهم بها خلال الساعات الاثنتين والسبعين الأولى. فقام فريق تطوعي مؤلف من أب وابنه بمتابعة الموقع المحدد في الخريطة لمجرد إغلاق الملف. وقد عثروا على جثة حارس المتنزه في المكان الذي أشرتُ إليه بدقة على الخريطة.

وفي الحالة الثالثة، لم أستطع تقديم سوى اتجاه عام، ولم يبدُ أن هناك أي شخص يمكن العثور عليه داخل حدود المقاطعة. اتضح أن الطائرة التي كانوا يبحثون عنها تحطمت خارج حدود المقاطعة على مسافة بعيدة عن منطقة بحثنا.

في السنوات الأخيرة من مشروع ستار جيت، شاركتُ في محاكاة لتتبع المواد النووية. لسبب ما، لدي موهبة في العثور على مثل هذه المواد، والتمييز بين الأهداف الحقيقية

وغير الحقيقية. في مخيلتي، يمكنني فعلاً أن أرى وهجاً مخضراً يحيط بالمواد الحقيقية مقابل المواد الزائفة.

في المحاكاة التي أجريناها لإحدى الإدارات داخل القوات الجوية، تم خلط مواد نووية حقيقية بمواد زائفة ونُقلت من موقع إلى آخر. طُلب مني أولاً تحديد المواد الحقيقية، ثم وضعها في الموقع المناسب. أشارت دراسة مستقلة لنتائج المحاكاة إلى أننا أظهرنا قدرة على تحديد المواد النووية وتحديد موقعها بدقة وموثوقية تتجاوز التسعين بالمئة!

من الواضح أنه إذا كان بإمكانك تقليص منطقة البحث بنسبة تسعين بالمئة في غضون ساعة أو ساعتين، فهذه طريقة قد ترغب في استخدامها. النقطة المهمة هي أنه بغض النظر عن اعتقادك في موثوقية الاستبصار عن بُعد، إذا كان لديك خمسة وعشرون ألف ميل مربع للبحث على أي حال، فربما يجدر بك المخاطرة باحتمالية نجاح الاستبصار عن بُعد، نظراً لأنه لا بد لك من البدء من مكان ما على أي حال. هذا أفضل بكثير من اتخاذ خيار عشوائي. لا أعتقد أنني سأهتم كثيراً بالاستهزاء الذي سأضطر لمواجهته عندما يتعلق الأمر بعشرات الآلاف من أرواح الأمريكيين التي تختفي في سحابة دخان نووي. أشعر بطريقة ما أنني سأجد الشجاعة للتعايش مع هذا الاستهزاء.

إن المشكلات التي كنت أحاول نقلها تكاد تكون ساحقة. فهي تنطوي على التغلب على الرغبة الفطرية لدى الشخص في "عدم التعرض للسخرية". يكسب العديد من الأشخاص مناصبهم، وهي عادةً مناصب ثقة ضمنية، من خلال سمعتهم (التي غالباً ما تكون قيمتها متصورة ذاتياً وغير صالحة في المقام الأول) أو عن طريق التصويت. ولن يخاطروا بهذه المناصب طواعية حتى من أجل حياة الآخرين. في الواقع، عندما يتعلق الأمر بالحياة والموت، فإنهم سيكونون حذرين بشكل مفرط خشية التعرض لدعوى قضائية محتملة. ومما يزيد الأمر تعقيداً هو عدم وجود هيئة تنسيق أو وكالة اختبار يمكنها التحقق من الأشخاص ذوي القدرات الخارقة (المستبصرين عن بُعد) الجيدين من السيئين، أو متى يجب استخدام المعلومات ومتى لا ينبغي استخدامها. من الأسهل بكثير التمسك بالمعيار القديم والمُستهلك: "هذا مثير للسخرية. إنه لا ينجح، ومجرد هراء". عندئذ، لا توجد مخاطر يجب مواجهتها.

على الرغم من صعوبة الأمر، أواصل تقديم المساعدة حيثما وحيثما أستطيع فيما يتعلق بالأشخاص المفقودين، خاصة في القضايا الجنائية. ولكن، نظراً لأن وقتي محدود، ولأن قيمة المعلومات المقدمة تعتمد على مناصب السلطة أو مواقفهم، فإنني

لا أفعل ذلك إلا إذا طُلب مني تحديداً من قبل السلطات المعنية، أو في تلك الحالات الخاصة أو النادرة التي يمكنني فيها التأكد من أنه سيتم فعل شيء بناءً على المعلومات. لم أتقاضَ أي مقابل مادي مقابل هذا العمل، الذي يشكل في معظم السنوات غالبية عملي في مجال الاستبصار عن بُعد.

الفصل السادس عشر: وضع تحت الاختبار... على الهواء مباشرة

لست متأكداً مما إذا كان ذلك نتيجة مباشرة لنشر كتابي أم لا، ولكن حدث شيء مذهل ذات يوم في يوليو عام ألف وتسعمائة وخمسة وتسعين. تلقيتُ مكالمة هاتفية من السيدة روث ريفين، التي كانت تمثل شركة إنتاج تُدعى إنتاجات إل إم إن أو. لقد ذهبت مباشرة إلى صلب الموضوع: هل أوافق على إجراء عملية استبصار عن بُعد على الهواء مباشرة تحت ضوابط علمية للتلفزيون؟ لم أتردد، وكانت إجابتي: نعم.

بينما كنا نتحدث، أصبح من الواضح أن هناك الكثير من النقاش حول الأسطورة المتنامية للاستبصار عن بُعد. كان المشروع الخاص لا يزال مدفوناً بعمق في أروقة الحكومة، ولكن نتيجة لكتابي وكتب أخرى (بما في ذلك العديد ممن كانوا يسيئون استخدام المصطلح)، كانت تُطلَق الكثير من التصريحات علناً حول دقة الاستبصار عن بُعد. معظمها كان هراءً ولا يمكن إثباته على الإطلاق. عندما سألتني عما إذا كنتُ سأفعل ذلك، شعرتُ أنها ستكون طريقة جيدة لتقديم الاستبصار عن بُعد في ضوء مناسب والتأكيد على ما هو قادر عليه حقاً. لم يكن مثالياً وكان يجب على الجميع معرفة ذلك. عندما وافقتُ، أخبرتهم أن احتمال فشله لا يقل عن احتمال نجاحه. كنتُ صريحاً بشأن الاحتمالية واقترحتُ عليهم أن يقوموا بأكبر قدر ممكن من العمل التحضيري مع زميلي إد في المختبر قبل محاولة تكرار التجربة على الهواء ومباشرة أمام الكاميرا.

ويُحسب لهم أنهم قاموا بعملهم التحضيري، حيث أرسلوا شخصاً للتحدث مع إد ومتابعة المعرفة المناسبة بالبروتوكولات وكيفية تنفيذها. بحلول الوقت الذي اتصلوا بي فيه مرة أخرى، كانوا يعدون قوائم بالمدن التي يمكن أن تكون مرشحة للتصوير. أخبروني أنهم يريدون اصطحابي إلى مدينة لم أزرها من قبل. وافقتُ. بعد الاطلاع على قائمتين كاملتين من المدن، وجدنا أخيراً مدينة لم أزرها مطلقاً في القائمة الثالثة: هيوستن، تكساس.

كان من المفترض أن يكون جزء الاستبصار عن بُعد واحداً من ثلاثة أجزاء رئيسية في برنامج مدته ساعة سيتم توزيعه، ويُطلق عليه "وضع تحت الاختبار"؛ وهو برنامج خاص لشبكة أي بي سي. كانت الفكرة هي وضع الأشخاص الذين يطلقون ادعاءات مذهلة أمام الكاميرا والسماح لهم بإثبات ادعاءاتهم أو قدراتهم على الهواء مباشرة. صارحتني روث لاحقاً بأنهم اتصلوا بعشرة أشخاص قبلي، لم يوافق أي منهم على فعل ما يفعلونه على الهواء مباشرة. كانوا سيشاركون فقط إذا كان "إعادة تمثيل" لشيء قاموا به سابقاً. أخبرتني أنني أصبتُها بالذهول وصمتت لبرهة عندما وافقتُ.

يمكنني تفهم الآخرين وترددهم. حتى تلك اللحظة، كان أي شيء رأيته على التلفزيون بخصوص الظواهر الخارقة للطبيعة يتم دائماً بسخرية أو بنبرة استهزاء خفيفة. لكن شيئاً في صوت روث جعلني أعتقد أنها كانت صريحة تماماً بشأن ما يريدون القيام به. لذلك وافقتُ على الفور.

تلقت المرأة التي أرسلوها إلى المختبر في كاليفورنيا، وهي سوزان إلكينز، كشّافة مواقع تصوير، توجيهاً جيداً حول كيفية اختيار الأهداف التي قد تُستخدم في الاختيار العشوائي. وصلت إلى هيوستن قبل أسبوعين، بهدف اختيار أهداف مختلفة بشكل كبير عن بعضها البعض فقط. كان يجب أن تكون أهدافاً قائمة بذاتها قدر الإمكان، وتم توجيهها لمحاولة استخدام أماكن أو مواقع ليست مشهورة أو معالم جذب مهمة بحد ذاتها. وهذا من شأنه أن يضمن مجموعة أهداف متنوعة ومتباينة جيداً للاختيار من بينها. كما سُمح لها باستخدام منطقة هيوستن الكبرى بأكملها، التي شملت أكثر من ألف ميل مربع من المساحة.

نجحت في تحديد وتصوير مئات المواقع المحتملة في جميع أنحاء منطقة هيوستن الحضرية، ووضعت كل واحدة منها بعناية في مجلد منفصل. لم تشارك هذه المواقع مع أي شخص آخر من طاقم فريق الإنتاج.

وصلتُ في نفس اليوم الذي وصل فيه فريق التصوير والمذيع. ذهبنا مباشرة إلى سد ترابي أمام أفق المدينة وقمنا بتصوير جزء تمهيدي وبعض اللقطات الإضافية، التي تُستخدم في النهاية للخلفية. كانت هذه أول مقدمة لي للتلفزيون ولطاقم تلفزيوني. قدم لي المذيع، بيل ماكاتي، نفسه وقال إنه لا يؤمن بالظواهر الخارقة للطبيعة في الواقع. كان قلقاً من أن يظهر ذلك في تفاعلنا ولم يكن يريد أن يسيء إليّ. أخبرته أن هذا جيد، وأنني لا أؤمن بها أيضاً. واقترحتُ أن ننتظر ونرى كيف ستسير الأمور.

من هناك، توجهنا مباشرة إلى الفندق، حيث ذهبتُ مباشرة إلى غرفتي. أخبرتهم أنني لا أريد رؤية أي شخص أو التحدث مع أي شخص قبل الاستبصار عن بُعد الفعلي. كنتُ متوتراً بشأن التزامهم بالبروتوكول: أردتُ أن أكون أعمى ما أمكن عن الهدف المحتمل، وكنتُ خائفاً من أنهم قد يعتقدون بحماسهم أن إعطائي تلميحات أو شيئاً ما سيكون مفيداً. لكن في الواقع، التزموا بالاتفاق. الشخص الوحيد الذي كان يعرف أي شيء عن الأهداف قام بختم الأظرف وكان بعيداً عن الاتصال بفريق التصوير حتى بعد الانتهاء من الاستبصار عن بُعد.

بينما كنتُ أنتظر في غرفتي، اختاروا عشوائياً أربعة من الأظرف من مجموعة الأهداف وقاموا بترقيمها من واحد إلى أربعة لاستخدامها أثناء تصوير اليوم التالي.

ظهرت مشكلة في وقت لاحق من تلك الليلة أضفت نوعاً من اللمسة الكوميدية على الأحداث. في مناقشاتهم قبل التصوير، طُرح مجدداً أن الشخص الذي قام باختيار الأهداف للمجموعة طُلب منه تحديداً عدم استخدام مكان أو موقع مشهور داخل منطقة هيوستن.

تم اتخاذ هذا القرار بناءً على توصية من إد في كاليفورنيا. لقد شعر أن القيام بذلك من شأنه أن يخلق مشكلة تحميل أمامي كبرى بالنسبة لي، إذا رأيت أو مررت بأحد أماكنهم المشهورة، أو قد يخلق شكاً في أذهان المشاهدين. لقد اعتقد بحق أنه كلما كان المكان الفعلي الذي اختير كهدف غير مرجح، زادت دقة الاستبصار عن بُعد. أن تكون أعمى تماماً عن الهدف هو في الواقع فائدة كبيرة. عندما يمكن أن يكون الهدف أي شيء تقريباً في مدينة ما، فإنه لا يترك لك أي مجال على الإطلاق للقيام بتخمين مدروس. إنه يتركك فقط قادراً على الاعتماد على قدرة الاستبصار عن بُعد للإجابة.

لكنهم أصبحوا قلقين بشكل متزايد من أنني قد أعتقد أنهم سيستخدمون مكاناً مهماً كمنطقة مستهدفة داخل المدينة. لدرجة أنهم اتصلوا بـإد وسألوه عما يجب عليهم فعله. قال إنه بما أنهم لن يستخدموا أحد المعالم الأكثر شهرة في المدينة، فسيكون من الجيد إخباري بذلك.

بعد قدر كبير من التردد، جاءوا إلى غرفتي وطرقوا الباب. كان الوقت متأخراً جداً واضطررت إلى النهوض من السرير للرد. عندما أخبروني أنهم يريدون مشاركة بعض المعلومات معي، قلتُ ببساطة إنني لا أريد أن أعرف أي شيء على الإطلاق وأغلقتُ الباب، وعدتُ إلى النوم. لم أدرك في ذلك الوقت، ولكن هذا وضعهم حقاً بين

المطرقة والسندان. كانوا قلقين للغاية من أنني سأختار وصف معلم مشهور بدلاً من الذهاب إلى الهدف الفعلي. لم يكن خطأهم حقاً؛ لم يفهموا ببساطة أن عدم معرفة أي شيء على الإطلاق كان أفضل بالنسبة لي. على أي حال، مع إنفاق قدر هائل من المال والجهد بالفعل، قضوا جميعاً ليلة بلا نوم قلقين بشأن ما قد يحدث، بينما أنا نمتُ كنوم الأطفال تحت أغطيتي.

تناولتُ جميع وجباتي في غرفتي ولم أغادرها حتى أرسلوا ضابط شرطة لمرافقتي إلى الغرفة التي لا نوافذ لها في الطابق الثاني التي اختاروها لاستخدامها كغرفة للاستبصار عن بُعد. في الطريق إلى الغرفة، سألتني روث عما إذا كنتُ سأنزعج إذا كان هناك أكثر من مجرد المذيع، ومصور، وفني صوت بالداخل. أخبرتها لا، لا يهمني من كان هناك طالما أن الجميع كانوا عمياناً عن موقع الهدف. امتلأت الغرفة بسرعة بأفراد الإنتاج المصطفين على الجدران. كان التوتر كثيفاً لدرجة أنه كان يمكن قطعه بالسكين.

في غرفة ثانية، بجوار الغرفة التي كنتُ أجلس فيها، كان المذيع، بيل، يرمي حجر النرد ويختار الهدف من الأربعة التي اختيرت عشوائياً مسبقاً. بمجرد تصوير اختيار الهدف، مرر الظرف المختوم إلى "المُبعَث"، السيدة جيسيكا ميلر، من مكتب السياحة في هيوستن، التي غادرت بعد ذلك مع طاقم التصوير الثاني. عندما دخل بيل غرفة الاستبصار عن بُعد وجلس بجواري، لم يكن هو ولا أي شخص آخر داخل الغرفة يعرف ما قد يكون الهدف. كنا جميعاً عمياناً.

بعد حوالي خمس عشرة دقيقة من "التهدئة"، حيث أقوم ببعض التأمل وعيناي مغمضتان، قلتُ إنني مستعد للبدء. في تلك المرحلة، قال بيل إن المُبعَث يجب أن يكون في الموقع الآن، وطلب مني وصف الموقع.

رسمتُ بسرعة رسماً تخطيطياً للموقع على أوراق بيضاء موضوعة على الطاولة أمامي. أنا متأكد من أنه بينما كنتُ أرسم، لم يكن لدى بيل أي فكرة عما كان من المفترض أن يفعله، لكن بين الحين والآخر كان يقاطعني بسؤال.

رسمتُ منظراً يتجه نحو الأسفل على حافة، أو منطقة رصيف، تمتد على طول نهر. قلتُ إنها مشيدة من جدران بحرية بعضها منجز وبعضها غير منجز في أجزاء، وأن النهر تم تجريفه في أجزاء أو أماكن. رسمتُ ما بدا إلى حد كبير كزورق مسطح عليه

نوع من آلة التجريف أو الرافعة. رسمتُ أيضاً خطوطاً منحنية وعمودية لما شعرتُ أنه نوع من الجسر.

لكنني قلتُ خطأً إن شعوري هو أنه لا يُستخدم إلا من قبل الأشخاص وليس من قبل السيارات. (في الواقع كان جسراً رئيسياً يعبر النهر ويُستخدم بالطريقة المعاكسة تماماً، في الغالب من قبل السيارات وليس من قبل المشاة). قرب نهاية الجلسة، التي استغرقت حوالي عشرين دقيقة، قلتُ إن هناك نوعاً من الجسم الكبير الذي لم أستطع تمييزه تماماً، لكنه ظهر فجأة في رؤيتي من العدم.

أخبرتُ بيل في تلك المرحلة أنه لا يبدو أن هناك أي معلومات أخرى ذات صلة، وفي ذلك الوقت أنهينا الجلسة.

أوقفوا التصوير وانتظرنا أنا وبيل بينما رتبوا السيارات لأخذنا إلى حيثما كان موقع الهدف الفعلي. خلال ذلك الوقت، سألني بيل عن رأيي في ماهية الجسم الكبير، فأجبتُ أنه ربما يكون نوعاً من السفن الكبيرة.

تلقينا مرافقة إلى السيارة الفارهة وانضم إلينا هناك مصور وفني صوت استمرا في تصويرنا في طريقنا إلى موقع الهدف الفعلي. حصل سائقنا على الموقع عبر الهاتف الجوال، وأثناء قيادتنا حاولتُ ألا أخمن إلى أين كنا نتجه. جلستُ في المقعد الخلفي أناقش الرسومات الأصلية مع بيل.

كان ينظر فعلاً إلى رسم الزورق المسطح عندما توقفت السيارة الفارهة مباشرة عند حافة النهر وتوقفت. عندما أسقط الرسم ليرى أين كنا، كان يحدق مباشرة في الزورق المسطح.

"يا إلهي!"

كانت تلك أول وآخر كلمة نابية سمعتُ بيل يستخدمها طوال الوقت الذي قضيتُه معه.

صاح المصور: "توقفوا! توقفوا! الآن علينا العودة والوصول مرة أخرى، لأننا لا نستطيع استخدام تلك العبارة تحديداً على الهواء."

لذلك، قدنا في دائرة كبيرة وعدنا إلى نفس النقطة.

قال بيل مبتسماً ورفع رسمتي للزورق المسطح: "يا للعجب! انظر إلى ذلك!" كان متحمساً بوضوح. في الواقع، كان الطاقم بأكمله مذهولاً تماماً بما كانوا يرونه. كل من كان في غرفة التصوير معي، والذين كانوا يعلمون أنه لم تكن هناك أي طريقة ليعرف أي منا ما هو الموقع أو أين يقع، وصلوا وخرجوا من السيارات وفكوكهم متدلية من الدهشة.

في وقت لاحق، على حافة النهر، كان علي أن أقضي بعض الوقت في التحدث مع الشابة التي كانت المُبعَث. كانت مهتزة بوضوح بسبب التجربة واعتقدت أن الطريقة الوحيدة التي كان بإمكاني بها عمل الرسومات التي قمتُ بها هي أن أكون داخل رأسها وأنظر من خلال عينيها. كان هذا يفوق قدرتها على الاستيعاب وأخافها بشدة. أخبرتها بما هو حقيقي بشأن الاستبصار عن بُعد، وهو أن المعلومات ربما لا تأتي من هذا المصدر. لا يمكنني أن أكون داخل رأسها أكثر مما يمكن أن تكون هي داخل رأسي. بعد بعض الوقت، تمكنتُ من تهدئتها.

سألتني روث عما أفعله للاحتفال كلما حصلتُ على مثل هذه النتيجة الجيدة وقلتُ على الفور إنني كنتُ أذهب دائماً وأدلل نفسي بوجبة طعام رائعة. لم تكن هذه كذبة حقاً. غالباً ما كنا أنا وإد ونيفن نخرج ونتناول غداءً رائعاً بعد جلسة استبصار عن بُعد جيدة في المختبر. لطالما شعرنا أنه من المهم إنهاء العمل بنجاح من خلال منح أنفسنا تغذية راجعة مناسبة، عاطفياً وبصرياً وجسدياً. ونتيجة لذلك، اصطحبوني في ذلك المساء وذهبنا جميعاً إلى مطعم من فئة الخمس نجوم في هيوستن للاحتفال.

أثناء الوجبة، سألتني روث وكبير المنتجين من إل إم إن أو كيف يمكنني أن أفعل ما فعلتُه أمام الكاميرا ولا أبدو متوتراً على الإطلاق. شرحتُ أن الأمر سهل عندما لا تضطر إلى إجراء الاستبصار عن بُعد في نفس الوقت. أربكهم هذا قليلاً، فشرحتُ أنني لم أقم بالاستبصار عن بُعد حقاً أمام الكاميرا. لقد فعلته مسبقاً في غرفتي. كنتُ أعرف أنني قد لا أتمكن من الدخول في حالة "التهدئة" الخاصة بي أمام الكاميرا لأنني لم أفعل ذلك بهذه الطريقة من قبل، لذلك قمتُ بـ"التهدئة" في غرفتي في الليلة السابقة وقمتُ بالاستبصار في ذلك الوقت.

لم يصدقوا ما سمعوه.

سألت روث، وعلامات الحيرة واضحة عليها: "كيف تمكنتَ من إجراء الاستبصار عن بُعد في الليلة السابقة، بينما لم يكن أحد يعرف ما سيكون الهدف، ولا حتى المُبعَث؟"

أجبتُ بهدوء: "الزمان والمكان مجرد وهمين. لا يهم متى أقوم بالاستبصار عن بُعد. كل ما علي فعله هو استهداف ما سأراه في نهاية المطاف. بهذه الطريقة، لا يغادر الأمر ذهني أبداً."

ساد صمت طويل على الطاولة.

نظر إليّ أحد المنتجين التنفيذيين وسأل: "كيف تميزه عن الأهداف الأخرى التي كنا نختار من بينها؟"

أجبتُ بهدوء: "في بعض الأحيان يكون الأمر صعباً. ولكن في هذه الحالة، نظراً لكونها مختلفة جداً، كان الأمر سهلاً."

بدا عليهم أنهم لم يصدقوني، فذكرتُ حقيقة أنني كنتُ أعرف ما هي الأهداف الأخرى أيضاً، وأخذتُ أعدّها على أصابعي: "زلاجة مائية، وقوس مائي، ولا يمكنني الجزم ما إذا كانت بيت شجرة صغيراً أم نوعاً من بيوت اللعب محاطاً بمبانٍ كبيرة في مكان ما في قلب المدينة."

خيم الصمت المطبق على الطاولة الآن، وكان المنتج التنفيذي يحدق بي بعدم تصديق. كل ما تمكن من قوله هو: "لا توجد كاميرا عندما تحتاج إليها أبداً." وضحكنا جميعاً.

قضيتُ وقتاً ممتعاً مع فريق إنتاجات إل إم إن أو، وطورنا منذ ذلك الحين صداقة دائمة. لقد كانوا أول من عرفني على مجموعة استثنائية من الأشخاص ذوي الأخلاق الرفيعة في مجال العمل الإعلامي. وهذا يظهر في موقفهم المسؤول تجاه عملهم أيضاً. فقد استمروا في إنتاج معظم برامج بيل كوسبي، وبرنامج جوان لندن "خلف الأبواب المغلقة"، وهو بث عالي الجودة. قيل لي عندما عُرض الجزء في نهاية المطاف على المسؤولين التنفيذيين في شبكة أي بي سي إن النتائج أصابتهم بالذهول.

كان من المفترض أن يُعرض البرنامج الخاص لشبكة أي بي سي، "وضع تحت الاختبار"، في وقت ما خلال نهاية عام ألف وتسعمائة وخمسة وتسعين. ومع اقتراب موعد عرض البرنامج، قررتُ أنا وسكوتر قضاء بعض الوقت معاً، وأخذنا أول

إجازة حقيقية لنا منذ ست سنوات، وسافرنا إلى شاطئ كيتي هوك في كارولينا الشمالية. لكن إجازتي الأولى منذ ست سنوات كانت على وشك أن تتحطم بالكامل. لقد بات من المؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن النوايا كانت مبيتة ومعدّة لتشويه التقييم العادل والمحايد لموضوع الاستشعار عن بعد – لقد كان ذلك غائباً تماماً. إن الزعم بأنه لم يكن هناك أي دليل على أن هذه المنهجية قدّمت مواد ذات قيمة هو أمر يتنافى مع لجان الإشراف الأكثر موثوقية في الجانب البحثي من المشروع، ويتنافى أيضاً مع المستخدمين النهائيين المتحمسين لهذه المنهجية الذين حضروا جلسات استماع سرية في مجلس الشيوخ والكونغرس عاماً بعد عام، وعرضوا نتائج بالغة السرية ومُحكمة الإغلاق حول فعالية الاستشعار عن بعد، مطالبين باستمراره واستخدامه وتمويله.

في الحقيقة، وبما أنني كنت حاضراً طوال فترة عمله، أرى من الإنصاف القول إنه في الأشهر الاثني عشر الأخيرة من وجوده، ربما كان هناك بعض التساؤل حول جدوى الاستمرار في ظل خطة الإدارة ذاتها. وربما كان هناك مبرر كافٍ لتشديد الضوابط والبروتوكولات التي كان يعمل بموجبها الجناح التشغيلي. لكن هذه الأمور تتعلق بكيفية إدارة المشروع من الناحية التنظيمية والإدارية، وليس بمسألة "هل هو فعال؟".

لقد استغرق الأمر عقوداً للتغلب على مقاومة استخدام القناصة. ففي كل مرة كان يتم فيها إعلان الحرب، كان عليهم أن يبدأوا من جديد ويفتحوا مدرسة جديدة لتدريبهم. لم يحدث ذلك لأن القناصة لم يكونوا ماهرين في إصابة الأهداف أو لم يصيبوها دائماً، بل حدث لأنه لم تكن هناك أخلاقيات راسخة تاريخياً لتدريب واستخدام وصيانة وحدة مجهزة ومؤهلة من القناصة. لم يكن هذا شيئاً يفعله "السادة" ببعضهم البعض.

وبصرف النظر عن شعور المرء تجاه جدوى استخدام الخوارق في جمع المعلومات الاستخباراتية، يمكنني أن أؤكد بشكل قاطع أنها فعالة، وموجودة، وستستمر في الظهور والتجدد من حين لآخر، حتى تصبح جزءاً من الإطار المقبول تاريخياً والراسخ. إن تمني زوالها أو عدم فعاليتها لا يجعلها تختفي، ولا يقلل من فعاليتها في الفهم الجديد لتقنيات الحروب الحديثة.

سأكسر الصمت القبيح بالسؤال الذي لا يريد أحد طرحه:

هل هناك دفاع ضد الاستشعار عن بعد؟ هل هذه هي المشكلة الحقيقية؟

سواء وُجِد هذا الدفاع أم لا، فليس هذا هو الجوهر هنا. يمكنني أن أقول بكل ثقة إن عدم إيلاء أي اهتمام لهذا الأمر هو بمثابة دفن الرأس في الرمال. يجب أن يؤمن كل شخص بما يشاء. من يكترث حقاً؟ ما الأهمية الحقيقية لكل ذلك؟

الفصل الثامن عشر: الإعلان للجمهور

كنت أنا وسكوتر نستمتع بإقامة في كوخ صغير على الشاطئ جنوب "كيتي هوك"، عندما تلقيت في الصباح الباكر جداً اتصالاً من شخص يزعم أنه يمثل برنامج "نايت لاين" (خط الليل). وُجِّه إليّ الكثير من الأسئلة حول مشاركتي في مشروع سري يُدعى "ستار جيت". وحتى تلك اللحظة، كانت معرفة الجمهور بوجودي أو مشاركتي في المشروع مصنفة وسرية ومحمية. لا أدري من الذي سرّب اسمي لمنتج البرنامج. أجبت في البداية بأنه ليس لدي أي تعليق بشأن وجود مثل هذا البرنامج وأغلقت الهاتف.

لقد زاد الأمر تعقيداً ظهور البرنامج الخاص لـ "أ. ب. س" في غضون أسبوع من نشر التقرير. قدّم هذا البرنامج دليلاً واضحاً على أن الاستشعار عن بعد كان فعالاً ويعمل جيداً، وهي نقطة لم تغفل عنها معظم وسائل الإعلام التي أصبحت الآن ترغب في التحدث معي.

اتصلت على الفور بـ "إد ماي" في منزله في كاليفورنيا وسألته عما كان يجري. أوضح لي أن شخصاً ما مرر تقرير مؤسسة البحوث الأمريكية، مصحوباً ببعض التعليقات السلبية جداً، إلى عدد من وسائل الإعلام، وأن القصة كانت تتضخم لتصبح أمراً كبيراً في غضون ساعات قليلة. تحدثنا حول ما إذا كان ينبغي لنا أن نعترف بمشاركتنا في المشروع الذي تم استعراضه، وبما أننا لم نملك أي توجيه، قررنا في البداية أن نطلب المشورة من المسؤولين.

لم يعد أحد يرد على مكالماتي.

في الواقع، كانت قد صدرت تصريحات رسمية للصحافة من قبل وكالات أو مكاتب حكومية مختلفة تفيد بأنه على الرغم من وجود بعض الاستخدام للاستشعار عن بعد، إلا أنه كان تجريبياً ولم ينجح. كانت هذه التصريحات تتنافى مع العرض التوضيحي الذي بثته شبكة "أ. ب. س".

في الحقيقة، معظم ما كنا نقوم به في الجانب البحثي من المشروع كان غير سري ومتاحاً للعامة. وقد نُشرت الكثير من كتاباتنا في العديد من المجلات العلمية. وفيما يتعلق بالأحداث التي تحدثت عنها في هذا الكتاب، على سبيل المثال، لدي سلطة وتفويض مسبق لمناقشتها في محافل غير سرية، ولولا ذلك لما كنت أتحدث عنها على الإطلاق. وقد تم رفع السرية عن محاكاة العمليات الاستخباراتية خصيصاً لاستخدامها في إحاطات وعروض تقديمية غير سرية. ولكن، عندما كنا نسعى للحصول على معلومات حول ما يمكن أو لا يمكن التحدث عنه مع وسائل الإعلام، كانت الكلمة الوحيدة التي تُعطى – وبشكل غير مباشر – هي: لا تتحدثوا مع أحد.

في غضون ذلك، تعرضنا للانتقاد في وسائل الإعلام من قبل بعض مستخدمينا السابقين، حيث صُوِّرنا على أننا أشخاص متهورون، ومذنبون بتبديد ملايين الدولارات من أموال دافعي الضرائب، وهو تعليق وجهه إليّ ممثلو وسائل الإعلام مراراً وتكراراً عبر الهاتف، رغم أنه لم يكن صحيحاً.

في نهاية المطاف، تلقيت اتصالاً من كبير المستشارين العلميين لبرنامج "نايت لاين"، الذي سألني عما إذا كنت سأوافق على الظهور في البرنامج. أُخبرت بأنه سيكون هناك ممثل عن وكالة المخابرات المركزية، وأحد المستخدمين النهائيين الذي عمل لصالحها، وآخرون يؤيدون النتائج الواردة في تقرير مؤسسة البحوث الأمريكية.

بدأت الرائحة النتنة تفوح في الأفق. وافقت على الظهور، ولكن بشرط ألا أتحدث عن العمليات، بل عن فعالية استخدام الاستشعار عن بعد لأغراض استخباراتية فقط. كانت هذه بداية تورط طويل مع وسائل الإعلام، كان أحياناً لطيفاً، لكنه في الغالب كان شاقاً في أحسن الأحوال.

في البداية، كانت الغالبية العظمى من وسائل الإعلام معادية وتهدف إلى نتيجة واحدة: السخرية والتشويه. كان واضحاً لي، إن لم يكن لأي شخص آخر، أن هناك ضغطاً كاملاً لتصوير تاريخ الاستشعار عن بعد بأكمله في ضوء سلبي وغير مثالي. كان التركيز على مبلغ الأموال التي أُنفقت على المشروع على مدار سنوات وجوده الثماني عشرة ونصف – وهو ما يقدر بحوالي ثمانية عشر إلى عشرين مليون دولار. أتذكر أنني سألت نفسي: "من أين بحق الجحيم أتوا بهذا الرقم؟" إنه في الواقع رقم دقيق إلى حد ما (المجموع العام) بناءً على تجميع الأرقام المأخوذة من مصادر دعم مالي متعددة على مدى فترة طويلة جداً ومن أصول متعددة داخل وكالات الاستخبارات التابعة لحكومة الولايات المتحدة. الطريقة الوحيدة التي كان يمكنهم الحصول عليها هي أن يكون شخص من الداخل قد سربها إليهم تكتيكياً. حقيقة أن هذا الرقم كان يُستخدم للسخرية تقول كل شيء يجب أن يُقال عن وجود دافع خفي محتمل لدى شخص ما.

كما أن تزامن الأحداث التي أدت إلى مقابلتي مع "نايت لاين"، وما تبعها، كان بليغاً جداً. لقد نقلوا سكوتر وأنا بالطائرة الخاصة من الشاطئ إلى مدينة "دورهام" بولاية كارولينا الشمالية لإجراء المقابلة. في البداية، أخذونا إلى ثلاثة مواقع منفصلة لإجراء المقابلة، لكنهم لم يتمكنوا من العثور على منطقة هادئة بما فيه الكفاية. في إحدى الحالات، انقطعت المقابلة بسبب قطار كان يقوم بفصل ووصل عدة عربات خلف المقعد الذي كنا نجلس عليه. وعندما انتقلنا إلى منزل خشبي في الريف، اشتدت الرياح لدرجة أن فني الصوت واجه صعوبة في الوقوف في وجهها. في نهاية المطاف، انتقلنا إلى مركز "جي. بي. راين" للأبحاث – الذي كان مزدحماً ولا يتوفر فيه مكان. اقتُرح أن يُسمح لنا بالتصوير في منزل السيدة "سالي فيذرز". سالي هي ابنة الدكتور "جي. بي. راين" وكانت آنذاك مديرة مركز أبحاث "جي. بي. راين". وافقت على ذلك.

يقع منزلها المُنشأ حديثاً فوق أساسات منزل والدها القديم تقريباً، وهو مكان يمكن اعتباره "الأساس" لأبحاث الخوارق في أمريكا. ما زلت أبتسم الآن عندما أتأمل التزامن المذهل الذي استلزم جلوسي على كرسي في ذلك المكان لإجراء أول مقابلة حول مشروع "ستار جيت" للاستشعار عن بعد التابع للجيش. أمر مدهش.

بعد المقابلة، التي عُرضت في تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1995، انكشف سر "ستار جيت". وعلى الرغم من استمرار سوء المعاملة من غالبية ممثلي المجلات والصحف والإذاعة والتلفزيون، أصررت على تقديم استجابة واضحة ودقيقة قدر الإمكان بموجب شروط اتفاقياتي الأمنية. حتى هذا اليوم، لم أخالفها بأي شكل من الأشكال. لكن السخرية والتعليقات المبطنة أو الملاحظات المصممة بوضوح لانتقادي وإحراجي وإحراج الآخرين استمرت بلا هوادة. ولأولئك الذين لم يخوضوا هذه التجربة، سأوضحها لكم.

مهما فعلت، لديهم قصة جاهزة. إذا وافقت على التحدث، فإنك تعطيهم المزيد لاستخدامه بأي طريقة يرونها مناسبة. وإذا قررت عدم التحدث معهم، فلديهم مبررات لتصويرك كشخص غير منطقي أو غير متعاون. وبغض النظر عن كيفية ردك أو بماذا ترد، سيتم كتابة شيء ما، وسيتم تحريره بأي طريقة ضرورية لبيع الصحف، أو وقت البث، أو المجلة المعنية. لن يكذبوا بشكل صريح، لأن ذلك قد يعرضهم للمساءلة القانونية، لكنهم سيكذبون، ويفعلون ذلك أحياناً، عن طريق الحذف والإغفال. بعبارة أخرى، قد يتعمدون أحياناً حذف شيء مهم أو وثيق الصلة من المحادثة لتسليط الضوء على نزاهتك الشخصية بطريقة سيئة أو لتخفيف النقطة التي تحاول إثباتها. لا يهم ما هي الحقيقة في معظم الحالات؛ الأهم هو ما الذي سيصدقه الناس وكيف يمكن أن يؤثر عليهم عاطفياً لكي يتم بيعه.

في الواقع، فإن مبلغ العشرين مليون دولار الذي أُنفق على مشروع "ستار جيت" لا يكاد يُذكر. إنه بالكاد يستحق سطراً في عمود مطبوع. فخلال حرب الخليج أو العمليات المناهضة للإرهاب في أفغانستان، أنفقنا أكثر من ذلك المبلغ بعد إطلاق أول عشرين صاروخاً من صواريخ كروز. إن مقارنة تفجير عشرين كوخاً من الطين والصخور بعملية جمع معلومات استخباراتية دعمت جميع وكالات الاستخبارات الكبرى في الحكومة الفيدرالية لمدة ثمانية عشر عاماً ونصف (بما في ذلك كل الدعم البحثي المعني) هو أمر سخيف تماماً. إذا عاد المرء ونظر بصدق إلى القرارات التي تأثرت بالمعلومات الاستخباراتية المقدمة، وكيف أنها ربما أنقذت أرواحاً، فمن الأكثر إثارة للدهشة أن يُنظر إليها بازدراء.

من المؤكد أن المبلغ لن يصل حتى إلى المستوى الذي يجب أن يصل إليه ليُعتبر "إسرافاً" ملحقاً ببند حقيقي في الميزانية. هناك حقيقة أخرى تُفقد دائماً في التفاصيل الصغيرة وهي كم أُنفق من هذا المال ووُزِّع في جميع أنحاء البلاد على الكليات والجامعات التي تقوم بأعمال فرعية أو داعمة لأبحاث الاستشعار عن بعد، أو كم تم مشاركته مع مختبرات وطنية أخرى لاستئجار معداتها. لقد اختفى بسهولة نصف الميزانية في تلك المجالات. ومن المؤكد أنه لم يُنفق على مساعدة ضباط الاستخبارات وهم يركعون لتنظيف ومسح أرضية بيئة عملهم الخاصة.

قبل انتقالي إلى المشروع الخاص، أنفقت عشرة أضعاف ميزانية الاستشعار عن بعد للثمانية عشر عاماً ونصف بأكملها على مرحلة واحدة فقط من تطوير نموذج أولي لجهاز لجمع المعلومات الاستخباراتية الإشارية، والذي لم نكن متأكدين من أنه سيعمل حتى تم الانتهاء منه.

ولكن بعد ذلك، أفترض أن هذا المبلغ يعتبر أموالاً طائلة بالنسبة لرجل الشارع الذي تُفرض عليه الضرائب بأقصى حد ويعتقد أن الاستشعار عن بعد هو إهانة للإله – وكثير منهم اتصل بي نتيجة للمقالات التي كانت تظهر.

بدأت أعمالي الخاصة، التي كانت مزدهرة بشكل جيد لسنوات عديدة، في التراجع السريع. لم يكن السبب هو التقارير السلبية وحدها التي كانت تلحق الضرر. اكتشفت بسرعة أن المشكلة كانت في حقيقة أنني كنت أتحدث إلى شخص ما (وسائل الإعلام) في المقام الأول. أصبحت العديد من الشركات التي كانت تستخدم خدماتي قلقة بشأن الظهور فجأة في دائرة الضوء العام. ما كان يعمل بشكل جيد تحت "فطريات أرضية الغابة" لسنوات عديدة قد يتعرض فجأة لأشعة الشمس المباشرة. تسرّب الخوف بسرعة. قد يتم القبض عليهم وهم يقفون بجانب الشخص الذي كان يمنحهم ميزة بنسبة خمسة عشر بالمائة على منافسيهم، أو يشير إلى الطريق السري لسهم أو عملة معينة، عندما يُسلَّط عليهم الضوء فجأة. بدأ العملاء يتساقطون كـ "الذباب الذي يحاول أن يتسلل عبر وشيعة تسخين". على الرغم من حقيقة أنني لم أخترق سراً تجارياً أبداً، تبخرت فجأة علاقات استمرت عقوداً مع بعض عملائي، حيث بدا أن الجميع فجأة يأخذون إجازات. بدأت في إلقاء محاضرات في معهد مونرو كمجرد شيء أفعله، وعدت إلى بناء العقود، وبدأت في كتابة كتاب ثان.

ربما كان الإجهاد، لكن ظهري، الذي تعرض لإصابة بالغة في حادث تحطم مروحية في فيتنام في أواخر الستينيات، استسلم أخيراً. خضعت لعملية جراحية في غضون أسابيع قليلة من ظهوري في برنامج "نايت لاين". استغرقت فترة التعافي وقتاً أطول مما توقعت، وبينما خف الألم في أسفل ظهري إلى حد ما، فقد ازداد على طول بقية عمودي الفقري.

خلال الفترة ما بين نهاية عام 1995 وعام 2000، أضفت فصلين إلى كتابي الأصلي "رحلة العقل"، حيث تحدثت علناً عن مشروع "ستار جيت" بعد الكشف عنه. كتبت كتاب "آلة الزمن المطلقة" (1998)، الذي كان يهدف إلى تقديم فهمي الخاص لكيفية عمل الزمن، ومكانتنا فيه. أعتقد أننا كبشر نحن "آلة الزمن المطلقة". يحتوي الكتاب على عشرات التنبؤات للسنوات الخمس والسبعين القادمة، بعضها تحقق بالفعل والبعض الآخر لم يتحقق. لم يكن المقصود منه إثبات الإدراك المسبق، بل إيصال رسالة حول كيف يمكن أن يعمل الزمن ولماذا مكانتنا فيه مهمة للنتيجة. كما كتبت "أسرار الاستشعار عن بعد" في عام 2000، في محاولة لإنشاء أساس لفهم كيف ولماذا يمكن أن يعمل الاستشعار عن بعد، وكيف يمكن للشخص العادي أن يتعلم شيئاً عنه و/أو يستخدمه – وقد نُشرت جميعها بواسطة دار "هامبتون رودز".

واصلت إجراء عروض استشعار عن بعد مباشرة على التلفزيون كوسيلة لإثبات حقيقة أن الاستشعار عن بعد يعمل. شعرت أنه إذا لم أستطع التحكم في كيفية تحرير الأمور، فإن أقوى شيء يمكنني فعله هو إظهار فعاليته عملياً.

خلال عام 1996، سافرت إلى لندن، حيث ظهرت في برنامج يُدعى "عالم بول ماكينا الخارق" – حلقة "التخاطر". كان بول رجلاً معروفاً بقدرته على استخدام التنويم المغناطيسي في عروض حية على القناة الرابعة في إنجلترا. سألني عما إذا كنت سأجري بعض عروض الاستشعار عن بعد الحية أمام الكاميرا من أجله ووافقت. قمنا بسلسلتين، كل منهما من جلستين.

كانت الجلستان الأوليان ناجحتين للغاية. اتصل هو وطاقمه بـ "إد" في كاليفورنيا وتلقوا تعليمات حول كيفية إعداد مجموعة الأهداف واستهدافي باستخدام منهجية "الخارج". تم تصوير هاتين الجلستين الخارجيتين مباشرة وعملتا، ولكن مع تطور مثير للاهتمام.

أحد الأشياء التي لا يفهمها الناس حول الاستشعار عن بعد هو أن كيفية تطبيقه لا تقل أهمية عن إجراء الاستشعار عن بعد الفعلي أو جمع البيانات. على سبيل المثال، في الهدف الأول لمنهجية "الخارج" الذي اختاروه، اختار أحد الممثلين المشهورين محلياً هدفاً عشوائياً من كومة من المظاريف، ثم سافر إليه، ووصل في وقت محدد، واختار كموقع هدف محطة توليد الكهرباء الكبيرة التي تعمل بالفحم وتقع خارج قلب لندن مباشرة على نهر التايمز. عندما دخلت غرفة الفندق حيث كنا سنقوم بالاستشعار عن بعد، جلسنا وانتظرنا ما يقرب من ساعة، بينما كانت عملية اختيار الهدف تتم في الاستوديو في الجانب الآخر من المدينة، وكان الممثل المسافر إلى موقع الهدف. عندما حان وقت البدء، أجلسوني على طاولة وسلموني مظروفاً، فتحته، واحتوى على صورة للممثل.

سألوني: "هل رأيت هذا الرجل من قبل؟"

أجبت: "لا."

قالوا: "يجب أن يكون الآن في موقع الهدف. نود أن ترسم صورة للمكان الذي يقف فيه."

وهذا ما فعلته. رسمت صورة جميلة لجسر يمتد فوق كل من نهر وطريق. أوضحت أنه كان يقف بجوار الجسر مباشرة في الزاوية اليمنى.

تجمعنا جميعاً في سيارة أجرة لندن وتوجهنا لمقابلة المسافر إلى الهدف. عندما وصلنا، شعرت بالبهجة. كان هناك، يقف على جانب الجسر الذي رسمته بالتفصيل. ومع ذلك، عندما سُئل عن الهدف، أشار بابتسامة عبر النهر.

"إنه هناك. محطة توليد الكهرباء الكبيرة تلك."

كان الهدف على بعد ميل تقريباً. شعر الجميع بخيبة أمل، حتى أوضحت أنهم طلبوا مني وصف المكان الذي يقف فيه، وليس ما كان مهتماً به.

لقد تعلموا درساً قيماً في أول استشعار عن بعد. عندما تطلب من المستشعر شيئاً، فهذا هو بالضبط ما تحصل عليه. لم يتم توجيهه بشكل صحيح ليقف فعلياً على أو داخل موقع الهدف. سألوني عما إذا كنت سأفعل واحداً آخر ووافقت. في هذه المرة فعلوا شيئاً أكثر حماقة.

في اليوم التالي، بعد التأكد من أن المسافر كان يقف إما بجوار الهدف الفعلي أو داخله، طُلب مني وصفه. كان الرد شيئاً من هذا القبيل:

"إنه مكان مخيف. إنه مكان مظلم. إنه مكان سجن وحجز. إنه مكان لا يشعر فيه أحد بالراحة." وهذا هو إلى حد كبير كيف استمر الوصف. كنت غارقاً في شعور ينذر بالسوء حول الهدف والكثير من أجراس الإنذار كانت تدق في مؤخرة رأسي. قللت من نتائجي وأبقيتها عامة قدر الإمكان. شعرت وكأنني كنت أصف منطقة سرية ومظلمة ذات وصول مُنظَّم بشكل صارم.

تكدسنا جميعاً في سيارة أجرة أخرى في لندن، قادتنا مرة أخرى إلى حافة النهر. التقينا بالممثل الواقف على ممر صغير على حافة النهر خلف مبنى يشبه "الحصن" – تماماً مثل الرسم التخطيطي التقريبي الذي قمت به في غرفة الفندق. عندما اقتربنا مع طاقم الكاميرا، لاحظت العشرات من الكاميرات التي بدأت تتجه نحونا.

حسناً، لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى وصلت مجموعة "البدلات الرسمية"، يسألوننا عن غرض وجودنا. عندها أعلن "بول ماكينا" بصوت عالٍ جداً أننا كنا نصور عملية استشعار عن بعد مباشرة مع الجاسوس الخارق السابق من الولايات المتحدة. كان المبنى الذي كنا نقف بجانبه هو مبنى المخابرات العسكرية الخامسة البريطانية الجديد (مي 5) – وهو ما يعادل مقر مكتب التحقيقات الفيدرالي لدينا.

عندما عدت بعد شهر إلى الاستوديو لجزء "البرنامج الحواري" من التصوير، قيل لي إننا لن نستخدم أي مواد من موقع الهدف الثاني، وهو ما لم يكن مفاجئاً بالنسبة لي. كما تعرضت للمضايقة لما يقرب من ثلاث ساعات عند الدخول في الجمارك. استمروا في إزعاجي للحصول على تصريح ملكي لأنني كنت سأظهر في البرنامج التلفزيوني ولم يصدقوا أنني كنت أقوم بالظهور "بدون أجر". أو على الأقل كان هذا هو موقفهم. كان شعوري أنهم كانوا يجمعون صورهم وببساطة يفعلون ما يفعله رجال الاستخبارات الجيدون.

لقد قمت منذ ذلك الحين بعمليتي استشعار عن بعد مباشرتين أخريين، وكلتاهما نجحتا. تم تصويري أثناء قيامي بالاستشعار عن بعد بينما كنت جالساً في شرفة في مدينة "أنابوليس" بولاية ماريلاند، مستهدفاً المكان الذي سأكون فيه بعد شهرين في زيارة مستقبلية إلى إنجلترا. وفي كلتا الحالتين، لم يرَ الأفلام أحد سواي حتى زرت المواقع المختارة عشوائياً في إنجلترا بعد شهرين. عندما انتهيت من الاستشعار عن بعد في "أنابوليس"، أزلت مقاطع الفيلم شخصياً ووضعتها مع الرسومات والأشرطة داخل حقيبة ساعي، والتي تم إغلاقها بعد ذلك بختم من الرصاص. أصبت كلا الهدفين – على الرغم من أن الدكتور "ريتشارد وايزمان" يجادل حول تحكيم الهدف الثاني. إنه باحث من "أوكسفورد" لا يؤمن بالخوارق. كان هو الشخص الذي طُلب منه تحكيم المواد الخاصة بي بشكل مستقل ومطابقتها مع واحد من أربعة مواقع محتملة.

ما رسمته كان مكعباً شبه مثالي قلت إنه لا يحتوي على نوافذ، أو عدد قليل جداً منها. قلت إنه يحتوي على أربع محركات ضخمة كانت تصدر صوتاً صفيراً عالياً جداً – مثل ضوضاء التوربينات عالية النبرة.

عندما وصلت إلى إنجلترا، كان الهدف الفعلي الذي تم اختياره هو محطة طاقة أخرى خارج لندن في الريف – مبنى كبير على شكل مكعب مصنوع من المعدن، وداخله أربع مولدات كبيرة جداً للطاقة تعمل بواسطة توربينات بخارية.

عندما أخذونا إلى الموقع للحصول على التغذية الراجعة والتصوير، لم يسمحوا لنا بالدخول. قرر المدير العام للمحطة في اللحظة الأخيرة أنه لا يريد أن تظهر محطته على التلفزيون مرتبطة بالخوارق.

بناءً على نصيحة ريتشارد وايزمان، ذهبنا إلى موقع ثان، والذي تصادف أيضاً أنه مبنى على شكل مكعب – متحف يحتوي على أربع قاطرات كبيرة. جادلت بأنه كان يجب احتساب الموقع الأول فقط، وبالتالي يجب التخلي عن الجهد بأكمله باعتباره انتهاكاً للبروتوكول. قال ريتشارد إن الموقع الثاني كان مطابقته الثانية المفضلة خلال جلسة التحكيم المستقلة، وبالتالي يجب احتسابه.

كان من الواضح للمنتج أنه بما أن القاطرات كانت صامتة وكنت قد ذكرت تحديداً ضوضاء توربينات عالية جداً، كان هناك شيء خاطئ في البروتوكول، لكن ريتشارد رفض التراجع عن موقفه التحكيمي. تخلى المنتج عن الجهد بأكمله، وسجلت أنا كل ذلك كفشل.

لقد أجريت ستة عشر عملية استشعار عن بعد حية أخرى أمام الكاميرا في اليابان وأمريكا. من إجمالي اثنتين وعشرين عملية، كانت سبع عشرة عملية ناجحة. من الإخفاقات الخمسة، كان اثنان منها انتهاكات للبروتوكول من قبل شركات الإنتاج (سواء كان ذلك قابلاً للتجنب أم لا)، لذلك طلبت منهم عدم استخدامهما لهذا السبب. ومع ذلك، ما زلت أعتبرهما إخفاقات – على الأقل، فشل من جانبي في ضمان توجيههم بشكل صحيح حول كيفية عمل البروتوكول.

تم تصوير إحدى عمليات الاستشعار عن بعد الحية التي قمت بها في مركز "جي. بي. راين" لمجموعة من الطلاب، بواسطة شركة إنتاج لقناة "ديسكفري". ما أعجبني حقاً في الأمر هو حقيقة أن تسعة وعشرين من أصل ثلاثين طالباً وشخصاً حاضراً أعطوني مطابقة من المرتبة الأولى عند مقارنة رسمي بمجموعة مختارة من خمسة مواقع محتملة. (هذا يعني أنهم اختاروا الهدف الفعلي من المواقع الخمسة المقدمة 29 مرة من أصل ثلاثين). كان الشخص الذي أدار البروتوكول لذلك العرض هو الدكتور ريتشارد وايزمان، الذي تصادف أنه كان يزورنا من إنجلترا. تناول إد وأنا العشاء معه في الليلة السابقة، وكان يجادل باستمرار بأن البروتوكولات التي استخدمناها لم تكن صارمة بما فيه الكفاية. لذلك، اقترحنا أن يأخذ المواد ومجموعة الأهداف ويدير البروتوكول بالطريقة التي يختارها في اليوم التالي، وهو ما فعله. ما زلت أحصل على التسع وعشرين مطابقة من المرتبة الأولى وحصلت قناة "ديسكفري" على مادة رائعة للتلفزيون. رفض ريتشارد مناقشة الأمر منذ ذلك الحين.

كان أول ظهور لي على شاشة التلفزيون الياباني في برنامج يُدعى "تلفزيون المعركة"، الذي يحتوي على لجنتين تتخذان وجهات نظر متعارضة بشأن قضية مثيرة للجدل وتتجادلان حولها للجمهور التلفزيوني. أحضروني لعرض الاستشعار عن بعد.

لم أكن أعرف في البداية أن رئيس اللجنة المعارضة لإمكانية الاستشعار عن بعد كان رئيس قسم الفيزياء في جامعة "طوكيو". قيل لي في بداية البرنامج إنه وقف ووعد بأنه إذا لم يتمكن من إثبات "الخدعة" التي استخدمتها للقيام بالاستشعار عن بعد، فسوف يستقيل من منصبه في الجامعة. الجزء الآخر الذي لم أكن أعرفه هو أنهم طلبوا منه التوقف في مكان ما في طريقه إلى الاستوديو والتقاط صورة له بكاميرا فورية وعدم إخبار أي شخص بذلك.

عندما أعلنوا عن ذلك، لم أشِر إلى حقيقة أن ذلك كان انتهاكاً كبيراً للبروتوكول، حيث سيكون جالساً هناك، عالماً ما هو الهدف، ويمكن أن يعطيني معلومات بمجرد حركات جسده. لقد أزعجني الأمر إلى حد ما، لكني لم أقل شيئاً. عندما طلبوا مني وصف المكان الذي التقط فيه صورته، رسمت منحدر هابط من جانب شيء قلت إنه كبير جداً ومصنوع من الخرسانة. أخبرتهم أن المنحدر الهابط يحيط بمنطقة عشبية مفتوحة في المنتصف.

طلبوا منه أن يُظهر الصورة التي كانت في جيبه للجمهور، وأظهرته وهو يميل على حافة منحدر هابط ينزل من جانب جسر كبير جداً. أذهل هذا الجمهور حقاً. كان تعليق الأستاذ: "كان بإمكانه التخمين. هناك العشرات من هذه المنحدرات في جميع أنحاء طوكيو."

كان ردي هو أن هناك أيضاً العشرات من صالات البولينج والمعابد والجسور والأماكن الشائعة الأخرى في جميع أنحاء طوكيو أيضاً، لكني لم أصف أياً من تلك الأماكن.

كان رده هو الجلوس بصمت محدقاً في وجهي.

ثم أرسلوا شابة مع فريق كاميرا، وأخبروا الجمهور أن لديها ثلاث ساعات للذهاب إلى أي مكان تريده في اليابان. كان لديها إمكانية الوصول إلى القطار السريع، لذلك كان هذا صحيحاً تقريباً. سألوني عما سأفعله، وقلت إنني سآخذ قيلولة في الغرفة الخضراء، وهو ما فعلته، حيث تمددت على حصيرة تاتامي (حصير ياباني تقليدي). أخبرتني سكوتر أنهم دخلوا وصوروني وأنا أشخر هناك مرتين.

بعد ثلاث ساعات عدت إلى المسرح وجلست على طاولة ورسمت صورة لما أسميته بحيرة أو بركة زائفة وبجانبها نوع من بيوت الشاي الصغيرة ذات المظهر المضحك. قلت إن الأمر كان غريباً لأنه كان يبدو وكأنه تقليد بالكامل. كنت آمل ألا أسيء إلى أي شخص لأنهم لا يقلدون الكثير في اليابان، فكل شيء أصلي. عندما اتصلوا بالشابة على هاتفها، بدأوا البث من موقعها. كانت تقف في منتصف بركة داخلية صغيرة، وبجانبها بيت الشاي الصغير والمضحك الشكل في الخلف. باستخدام سحر التكنولوجيا، قاموا حتى بتعليق رسمي للبيت الصغير فوق الصورة الفعلية، وكانا متطابقين. لقد أذهل ذلك الجمهور.

عندما ذهبوا إلى الأستاذ وسألوه عن رأيه، كان من الواضح أنه مذهول أيضاً. تردد، ثم صرخ بأنه من الواضح بالنسبة له أنني كنت متواطئاً مع الاستوديو وأن الأمر برمته كان مُدبَّراً مسبقاً. كان رداً غبياً وعرفه بمجرد أن خرج منه.

اندفعوا بالكاميرا عبر المسرح نحوي، متوقعين أن أغضب، كما أفترض. بدلاً من ذلك، انحنيت بأدب شديد للأستاذ وقلت: "بما أنني لم أتلق أي مساعدة من الاستوديو والجميع يعلم ذلك، لا يمكنني أن أعتبر تعليقك إلا إطراء على جودة استشعاري عن بعد." زمجر الجمهور بالموافقة ولم يقل الأستاذ كلمة أخرى حتى نهاية البرنامج.

بعد بضعة أسابيع من عودتي إلى المنزل، أرسل لي المنتج رسالة إلكترونية وقال إن الأستاذ عاد إلى الاستوديو لمدة يومين متتاليين بعد العرض، يشاهد الأفلام. لقد راجعها مراراً وتكراراً، محاولاً معرفة كيف تم إرسال إشارة إليّ أو كيف قمت بالخدعة. بالطبع، لم يتمكن من العثور على شيء لم يكن موجوداً. ومع ذلك، فقد فشل حتى الآن في الاستقالة من منصبه في الجامعة.

عندما بدأت لأول مرة في إجراء عمليات استشعار عن بعد أمام الكاميرات، كان الأمر مثيراً وشعرت أنه كان مفيداً أيضاً. ولكن بمرور الوقت، اكتشفت أنه ربما ألحق ضرراً أكثر من نفعه.

ربما هي طبيعة بشرية، لكن الكثير من الأشياء فُعلت بأفلامي ما كان يجب أن يُفعل. يشير الكثيرون ممن ليسوا مستشعرين عن بعد الآن إلى أفلامي كدليل على مدى جودة الاستشعار عن بعد، ويستخدمونها للتحقق من صحة مزاعمهم الخاصة المتعلقة بقدراتهم على الاستشعار عن بعد. لقد أصبح من المألوف والمبتذل بالفعل أن الاستشعار عن بعد يمكن تعليمه لأي شخص وأن أي شخص يمكن أن يكون مستشعراً عن بعد عالمي المستوى أو خبيراً.

هذا ببساطة ليس صحيحاً.

لو كان الأمر صحيحاً، لكان العالم مليئاً بأشخاص يظهرون براعتهم على محطات التلفزيون الوطنية ضد أهداف عشوائية ومُعمّاة تماماً.

لكن الأمر ليس كذلك.

يتم عرض بعض الأمثلة التي هي "محاكاة لأحداث حقيقية"، لكن هذا ليس الشيء نفسه. من السهل أن تقول إنك فعلت شيئاً ثم تعيد إنشاءه للفيلم. هذا لا يعني أنه حدث بالفعل بالطريقة التي يتم تقديمها بها. قد لا يكون كذباً صريحاً، ولكنه بالتأكيد يمكن أن يكون "ذاكرة انتقائية" في العمل، وقد لا تكون الأمور قد سارت بدقة كما قد يعتقد المرء.

يتصل بي العديد من الأشخاص ويخبرونني أن أمثلتي للاستشعار عن بعد تُستخدم في عروض تقديمية في جميع أنحاء العالم. ليس لدي مشكلة في هذا، باستثناء الحالات التي يقدمون فيها بعد ذلك ادعاءات بناءً على هذا الاستشعار عن بعد في محاولة لبيع أنفسهم أو شكل من أشكال التدريس. هذا ليس صحيحاً، وليس صادقاً، ونتيجة لذلك، يتم الاحتيال على الناس في بعض الحالات بمبالغ كبيرة من المال. الاستشعار عن بعد يعمل، ولكن ليس بالجودة التي يريد معظم الناس تصديقها.

كما ذكرت مراراً وتكراراً، فإن كل شخص تقريباً يسير على الكوكب هو خارق الإدراك بدرجة أو بأخرى. تظهر تلقائية الأداء الخارق للإدراك في جميع أنحاء الأرض، في كل بلد، حيثما يجتمع أكثر من شخصين. إنها شائعة بشكل مدهش بين السكان ذوي العقول المنفتحة. ومع ذلك، عندما يتعلق الأمر بما يمكن تسميته الاستشعار عن بعد "عالمي المستوى"، فهو نادر جداً، وبينما قد تكون القواعد المتعلقة به قابلة للتدريس، فإن القدرة غير قابلة للنقل بالتعليم.

هناك الكثير من الادعاءات حول "طريقة" واحدة للاستشعار عن بعد مقابل أخرى. نسبة كبيرة من هذه الادعاءات هي احتيال صريح. الطريقة الوحيدة لمعرفة ما إذا كانت صحيحة أم لا هي إذا كان يمكن إثباتها أكثر من مرة، أي بشكل متكرر، تحت ضوابط مقيدة بشدة – عمياء تماماً لأي شخص حاضر عند إجراء الاستشعار عن بعد.

بينما أواصل تكرار هذا، يواصل الكثيرون القول إن هذا ليس ضرورياً على الإطلاق.

قد لا يكون ضرورياً على الإطلاق ضمن شكل التطبيقات التي قد يستخدمونها من أجله. إذا لم يكن كذلك، فلا ينبغي لهم تسمية ما يفعلونه بالاستشعار عن بعد. تصريحاتي المتعلقة بالضوابط العلمية أثناء الاستشعار عن بعد صالحة في جميع الأوقات – داخل التطبيقات وخارجها.

لطالما ذكرت أنه لا ينبغي تفسير هذه التعليقات على أنها انتقاص من أشكال أخرى لإنتاج المعلومات الخارقة، مثل أن تكون "سايكك" (خارق الإدراك الطبيعي)، أو "التنقيب الغيبي" ، أو "قراءة الأوراق" (قراءة أوراق اللعب أو التاروت). أنا أعني ذلك. لديهم قواعدهم الخاصة ويعملون بطرقهم الخاصة المحددة. لكن الكثير من الناس بذلوا قدراً استثنائياً من الجهد لتصميم وتطوير بروتوكولات التعمية والتعمية المزدوجة المستخدمة عند إظهار الاستشعار عن بعد من أجل ترسيخ هذه الطريقة على أنها مقبولة للعلم. إن التحليل المستقل، وطريقة إجراء التحليل، وحتى طريقة تقديم حزمة التقييم إلى فريق التقييم، تتم كلها خصيصاً لاستبعاد الاحتيال أو لإثبات مصداقية الاستشعار عن بعد والاستشعار عن بعد وحده. ولا يوجد شيء على الإطلاق يتم في علم الاستشعار عن بعد لإثبات أي شكل آخر من أشكال الأداء الخارق. قد يكون الأشخاص الذين يستخدمونه لهذه الأغراض يفعلون ذلك عن جهل، أو قد يعرفون تماماً أنه غير مناسب. في كلتا الحالتين، إنه خطأ وضار لجميع المستشعرين عن بعد الذين يحاولون تطوير مهاراتهم بطريقة مناسبة وأخلاقية.

الفصل التاسع عشر: إسدال الستار (نهاية العرض)

خلال عام 1998، بدأت أفقد الكثير من طاقتي وقدرتي على التحمل. لاحظت أيضاً أنني كنت أفقد أنفاسي عند صعود السلالم. أظهرت زيارة طبيب القلب أن مخاوفي بشأن قلبي كانت مبررة. توقف الشريان البديل المزروع عبر الجزء السفلي من عضلة قلبي عن العمل بفعالية. بينما كان قلبي قد أنشأ مسارات دموية بديلة على نطاق واسع، لم يكن هناك ما يكفي من الدورة الدموية للمنطقة السفلية، مما أدى إلى فقدان كبير في الطاقة. حددت موعداً لإجراء عملية جراحية في صيف عام 1998.

واصلت العمل مع المختبر على الساحل الغربي. بمجرد الكشف عن البرنامج وإنهائه، انتقل المختبر، الذي كان يقع سابقاً في معهد بحوث التطبيقات العلمية، إلى مختبرات البحوث الأساسية في "مينلو بارك" بكاليفورنيا. يقع المختبر الجديد في نفس الشارع تقريباً من موقع المعهد القديم. واصلت أنا وصديقي العزيز "إد" العمل شبه المتفرغ قدر الإمكان على أبحاث الاستشعار عن بعد. على مدار السنوات الست الماضية، كان كل العمل أساساً بدون أجر. يتم تغطية النفقات (في الغالب)، ولكن كان هناك القليل جداً من الراتب.

في تموز (يوليو) 1998، دخلت المستشفى لإجراء عملية جراحية ثانية لتغيير مسار الشريان التاجي، وهو ما لم أكن أتطلع إليه. كنت قد وصلت إلى نقطة تتطلب جهداً وألماً كبيراً لمجرد صعود مجموعة من السلالم.

تبين أن العملية كانت مخيفة بشكل خاص لسكوتر، لأنها كانت مصحوبة بمضاعفات. بعد قطع المثبتات الملفوفة بالأسلاك وكسر عظمة القص بنحو نصف بوصة، اكتشف الجراح (الدكتور "إيرفينغ إل كرون"، وهو نفس الجراح الذي أجرى العمل الأصلي عليّ في عام 1985) أن شراييني البديلة القديمة قد التصقت بالنسيج الندبي على طول الجدار الداخلي لصدري. لو كان قد فتح صدري للتو، ربما لم أكن لأنجو. أمضى ساعات في فصل الشرايين البديلة القديمة بعناية للوصول إلى صدري لإجراء العملية الثانية. بالطبع لم أكن على دراية بهذا، لأنني كنت أستمتع بالتنزه في حالة الخروج من الجسد على طول جدول هادئ في جبال الألب البافارية في ذلك الوقت.

بسبب سني ومدة العملية، كان لها تأثير كبير عليّ. بينما عدت إلى المنزل بالسرعة التي عدت بها من العملية الأولى، فقد استغرق الأمر وقتاً أطول بكثير لاستعادة القوة الكافية للقيام بما اعتبرته مستوى طبيعياً من العمل.

بدأت مشكلة القلب تثير إحباطي حقاً. قررت أنني سأضطر إلى العمل بجد أكبر لاستعادة قوتي وتعهدت بأنني سأتغلب على كل ذلك في النهاية. بمعنى ما، تسببت في دفع نفسي بقوة أكبر في كثير من النواحي، مما أثار استياء سكوتر. أعتقد أن العملية الثانية أخافتها بقدر العملية الأولى. كنت حساساً جداً للألم الذي كنت أسببه لها، ولكن لم يكن هناك الكثير مما يمكنني فعله حيال ذلك، باستثناء المرور به. خلال هذه العملية استخدموا كلا الشريانين الثديين في جدار الصدر العلوي ووريداً مأخوذاً من منطقة ذراعي اليسرى السفلية. قال الدكتور كرون إنهم تعلموا الكثير منذ عمليتي الأولى وستستمر هذه العملية على الأرجح لفترة أطول بكثير. كان الفرق مذهلاً حقاً. لا تزال لدي مشكلة قلبية كبيرة، ولكن أصبح التعامل معها أسهل بكثير.

قادنا بعض بحثنا إلى بلدان أخرى بحثاً عن الدعم والأشخاص. لا يزال البحث مثيراً للاهتمام ومتنوعاً، ويواصل "إد" نشر معظم نتائج المختبر في المجلات المناسبة، وأحاول الكتابة عنها.

كانت إحدى عمليات الاستشعار عن بعد المفضلة لدي هي تلك التي أجريت على انفراد في جامعة "إيوتفوس لوراند" في "بودابست" بهنغاريا. كنت أنا و"إد" نزور رئيسة قسم علم النفس التجريبي هناك، الدكتورة "إيفا بانياي"، المشهورة عالمياً بعملها في التنويم المغناطيسي التجريبي. سألت عما إذا كنا سنجري عرضاً للاستشعار عن بعد لها، هناك في مكتبها. بالطبع وافقنا. شعرت بتكريم كبير عندما طلبت مني ذلك، حيث قرأت الكثير عنها وعن عملها ولدي احترام كبير لبصيرتها ونهجها العملي في علم العقل.

لدي أنا و"إد" برنامج على أجهزة الكمبيوتر المحمولة لدينا يتضمن طريقة اختيار عشوائية للقيام بالاستشعار عن بعد. كما أنه يحتوي على مجموعة كبيرة من الأهداف، وصور فوتوغرافية لمجموعة مختارة من المواقع المحتملة في جميع أنحاء العالم. طريقة عمله بسيطة للغاية. بمجرد إدخال بيانات جلستك – الاسم، والتاريخ، والمكان، وما إلى ذلك، وتسجيلها بشكل دائم – تضغط على زر ويمنحك شاشة جاهزة.

ثم تقوم بالاستشعار عن بعد عن طريق رسم شيء على قطعة من الورق، أو كتابة أفكارك المتعلقة بالهدف، والتي سترى صورتها في وقت ما في المستقبل كتغذية راجعة.

عندما ينتهي الاستشعار عن بعد (ويتم تسجيل وتوثيق مواد الاستشعار عن بعد)، يمكن لشخص ما الضغط على زر آخر، وسيتم بعد ذلك تقديم مجموعة مختارة من خمس صور محتملة للهدف، إحداها هي الهدف الحقيقي. يختار من يقوم بالتحكيم الصورة التي تتطابق بشكل وثيق مع نتائجك، تليها المطابقة الأقرب الثانية، والثالثة، والرابعة، وما إلى ذلك. يتم هذا التحكيم دائماً تقريباً من قبل طرف ثالث من أجل منع المستشعر عن بعد من الحصول على تغذية راجعة حول كل من الهدف الحقيقي والضوابط الأربعة المختارة عشوائياً.
يضمن التحكيم المستقل لنتائج الاستشعار عن بعد أيضاً أن القاضي غير مرتبط بأي شكل من الأشكال بجمع المواد، مما يجعله معميًّاً عن توقع نتيجة محددة. ولكن في العروض التوضيحية، نترك التحكيم عادة للشخص الذي نعرض له، بعد أن أغادر الغرفة.

تحتوي مجموعة الأهداف على أكثر من 300 صورة هدف من جميع أنحاء العالم ولا توجد صورتان متماثلتان. على الرغم من أنني رأيت الكثير منها بالفعل، فمن المستحيل بالنسبة لي أن أعرف أياً منها سيتم اختياره عشوائياً كهدف في أي وقت. في الواقع، كلما رأيت المزيد منها، أصبح الأمر أكثر صعوبة لأن لدي تذكراً لتلك التي تعرضت لها في الماضي. هذا يجعل الاستشعار الفعلي أكثر صعوبة.

وهناك مأخذ آخر، سأشرحه بعد قليل.

اتصلنا بالبرنامج ورينا الدكتورة كيف أدخلنا جميع البيانات الجوهرية. بعد ذلك، ضغط "إد" على الزر وتحولت الشاشة إلى اللون الأبيض. طلب مني أن أقوم بالاستشعار عن بعد. بدأت بما بدا وكأنه خط شاطئ ممتد على ورقة بيضاء.

قلت: "إنه شاطئ". ثم أضفت بعض أشجار النخيل وتجمعاً من المباني إلى اليسار. كتبت "مبانٍ ضخمة" فوق كتلة المباني التي رسمتها لتعرف أن هذا هو ما كنت أصفه برسمي الخام نوعاً ما. ثم رسمت ما بدا وكأنه حافة جبل تنحدر نحو البحر إلى اليمين.

قلت ضاحكاً: "يا إلهي. هذا يبدو كـ رأس دايموند، شاطئ وايكيكي." ثم أضفت العنوان إلى الحافة السفلية من الرسم. سلمتها إياه وقلت: "من الواضح أنه رأس دايموند". وكررت أن الأشياء قد لا تكون دقيقة لهذه الدرجة في بعض الأحيان، لذا عند التحكيم، يجب أن تستخدم قدراً أقل من الدقة. ثم اعتذرت وغادرت الغرفة بينما كانت هي و"إد" يقومان بالتحكيم.

بعد مغادرتي، ضغط "إد" على الزر وظهرت خمس صور. كانت إحداها صورة نموذجية لشاطئ "وايكيكي" ورأس "دايموند". كان عليها بالطبع أن تمنحها مطابقة من المرتبة الأولى، تليها فئات المطابقة الأخرى. عندما انتهوا، وزالت الصور من الشاشة، نادى "إد" عليّ لأعود إليهما. ثم طلب منها أن تضغط على الزر، لترينا ما هو الهدف الفعلي.

ظهرت صورة رأس "دايموند" في وسط الشاشة.

ابتسمت بتوتر قليلاً، وفكرت طويلاً جداً، ثم شرعت في طرح الكثير من الأسئلة حول مسارات التسريب التي قد تكون محتملة نتيجة للطريقة التي قمنا بها للتو بالعرض التوضيحي. استمعنا أنا و"إد" بأدب. كان الكثير مما كانت تقوله هو بالضبط نفس التعليقات أو الأسئلة التي أعرب عنها العديد من العلماء قبلها – وكلها موجهة نحو المشاكل أو الثغرات المحتملة في البروتوكول التي ربما تكون قد فسّرت دقة الاستشعار عن بعد. والكثير منها صحيح أيضاً.

فقط في هذه الحالة بالذات، ما لم نخبرها به أنا و"إد" منذ البداية هو الآتي:

لم يتم اختيار الهدف إلا عند آخر ضغطة زر لها!

إن حزمة البرنامج المحددة التي كنا نستخدمها في ذلك الوقت لا تختار هدفاً إلا في نهاية العرض التوضيحي. في البداية عندما تظهر الشاشة الفارغة، لم يتم اختيار أي هدف.

أقوم أنا بالاستشعار عن بعد، وبعد ذلك يتم اختيار الأهداف الخمسة المحتملة للتحكيم مقابل ما رسمته.

بمجرد الانتهاء من التحكيم، في المرة الأخيرة التي يتم فيها الضغط على الزر – وفي هذه الحالة، عندما ضغطت هي عليه – قامت باختيار أي من الصور الخمس سيكون هو الهدف الفعلي أو الإجابة.

لقد قمت بشكل أساسي باستشعار عن بعد لهدف لم يتم اختياره إلا بعد تحكيمه، وهو هدف لم يكن موجوداً في الزمان/المكان إلا بعد إنجاز الاستشعار عن بعد وإنهاء التحكيم.

كان الصمت في الغرفة بعد أن شرح لها "إد" هذا مذهلاً. لم يكن بإمكاني أن أطلب نتيجة أكثر استثنائية، ولا يزال حتى اليوم أحد أنظف وأروع الأمثلة على الاستشعار عن بعد الاستباقي الذي قمت به كعرض حي. إنه نوع الحدث الذي يجعلني أستمر في عملي؛ إنه السبب في أنني نادراً ما أفقد الاهتمام.

لقد تلقيت عدداً من التكريمات من أولئك الذين أعتبرهم محققين جادين في مجال الخوارق. منحني مركز راين للأبحاث في "دورهام" بولاية كارولينا الشمالية جائزة في حفل جمع التبرعات السنوي في 25 كانون الثاني (يناير) 1997. تم تكريمي لمساهماتي في البحث ومشاركتي في استكشاف الاستشعار عن بعد. أنا محاضر زائر هناك خلال برنامجهم الصيفي للطلاب، وأزورهم في كثير من الأحيان. كما تم إشراكي كمشارك ومستشار في بعض تجاربهم.

قبل بضع سنوات، تم التصويت على قبولي كعضو كامل في رابطة علم النفس الخارق أنا على الأرجح الخارق الإدراكي أو المستشعر عن بعد العامل الوحيد الذي تم تكريمه بهذه الطريقة. لقد كتبت ورقة، تم قبولها ونشرها في مجلتهم "مجلة علم النفس الخارق"، المجلد 61/ العدد 2، حزيران (يونيو) 1997، بعنوان "تصورات موضوع خارق". وقد شاركت أيضاً في حلقات نقاش خلال الاجتماعات السنوية. أشعر بتواضع كبير إزاء الشرف الذي منحوني إياه في هذا الصدد، وهو أمر لم أتوقعه أبداً. إن رابطة علم النفس الخارق، وهي عضو في الجمعية الأمريكية للنهوض بالعلوم، تعقد اجتماعاتها السنوية في مدن مختلفة حول العالم.

لقد قدمت عروضاً تقديمية أو عروضاً مشتركة بناءً على طلب العديد من الجامعات بما في ذلك جامعة كارولينا الشمالية، وجامعة ولاية كارولينا الشمالية، وجامعة ستانفورد، وجامعة هارفارد، لكل من أعضاء هيئة التدريس والهيئة الطلابية. أستمتع بهذه المحاضرات، خاصة عندما تثير نقاشاً منفتحاً وتطرح الكثير من الأسئلة التي قد تدفع الآخرين إلى عالم أبحاث الخوارق.

يصل الأمر أحياناً إلى الأشخاص ذوي العقول المنفتحة الذين يقرون، بناءً على تجربتهم الخاصة، بوجود الظواهر النفسية (بسي) وما يمكن أن تفعله في الحياة. على سبيل المثال، تم تكريمي أنا وزوجتي مؤخراً بلقب "صليب السيدة" و"فارس شهم" على التوالي، في وسام القديس ستانيسلاوس، من قبل الأمير الكبير الكونت يوليوس نوفينا-سوكولنيكي.

إن وسام القديس ستانيسلاوس هو وسام فروسية دولي، يتكون من رجال ونساء شرفاء من جميع الأجناس والمعتقدات المعنية بمساعدة أولئك الأقل حظاً منهم. على الرغم من أن تركيزه يمتد في جميع أنحاء العالم، فإن الجهود الحالية للوسام كانت في أوروبا الشرقية، حيث يمتلك الوسام عدداً من المشاريع الجارية التي ترتكز بشكل أساسي في بولندا. إحدى الجمعيات الخيرية الرئيسية التي يشارك فيها الوسام حالياً هي مشروع "أطفال تشيرنوبيل"، الذي يوفر الدعم الطبي والمالي المستمر لضحايا الجيل الثاني الذين يعانون الآن من مجموعة متنوعة من السرطانات نتيجة لكارثة تشيرنوبيل – وهؤلاء أطفال تم التخلي عنهم من قبل الآخرين.

أشير إلى هذا فقط لأنه يرمز إلى شعور الآخرين تجاه المواقف الروحية والأخلاقية والعابرة للثقافات اللازمة في أي عمل مباشر يساهم في تحسين الحضارة والعلاقات بين الشعوب المتنوعة في العالم – وهو شيء لطالما حاولت أنا وزوجتي أن نكون قدوة فيه من خلال التطبيق والاستخدام المناسبين للاستشعار عن بعد – وهو جهد شخصي يمتد الآن لأكثر من عقدين ونصف. لم يكن من السهل أبداً تحديد الأرضية الأخلاقية العالية، ومحاولة العمل من وجهة النظر هذه، خاصة في عالم معقد مثل عالم اليوم. يشرفنا جداً أننا حظينا بالتقدير لجهودنا لمساعدة الآخرين في هذا الصدد.

بدأ بعض الناس يسألونني متى سأتقاعد من الاستشعار عن بعد. أو، بعبارة أخرى، ألا تتعب منه؟

الإجابة الصادقة هي نعم. أتعب. ليس الاستشعار عن بعد هو ما يجعلني متعباً. إنه الإحباط والغضب أحياناً الذي أشعر به عندما أرى عملي يُستخدم للتحقق من صحة عملية احتيال، أو عندما ألاحظ وسائل الإعلام تخلط بين "التفاح والبرتقال" – أي تخلط موضوعاً محدداً بآخر – مثل دمج الاستشعار عن بعد مع التأثير عن بعد – أحدهما لديه على الأقل مجموعة مقبولة من المعايير والآخر ليس لديه أي معايير على الإطلاق. أتعب من الطبيعة المتعمدة والمدمرة لبعض الأشخاص على جانبي القضايا الذين يلحقون ضرراً فظيعاً بمصداقية وعمل قضى الكثيرون حياتهم في محاولة ترسيخه عبر مجال أبحاث الخوارق بأكمله. أتعب عندما لا تأخذ وسائل الإعلام أو النقاد حتى الوقت الكافي لقراءة المطبوعات العلمية.

لا أريد أن يُساء فهمي هنا. لا بأس في الاختلاف مع المطبوعات، ولكن إذا كنت ستفعل ذلك، فأنت بحاجة إلى بذل نفس القدر من التفكير في الاختلاف الذي دخل في الحجة في المقام الأول. إن إرجاع الأمر إلى عمل الشيطان، أو التشكيك في نزاهة الباحث (دون أي دليل)، أو الشروع في حملة تدمير لسمعة شخص ما لمجرد تعتيم الأفق على الموضوع ليس تخفيفاً كوميدياً – إنه عمل إجرامي.

أفترض أن خطتي بسيطة حقاً. أنا لا أؤمن بالتقاعد؛ أنا أؤمن بتقديم شيء طالما أنه يظل ذا قيمة لشخص ما. لقد انتهيت للتو من عمليتي الثانية والعشرين للاستشعار عن بعد التي تم إجراؤها مباشرة أمام الكاميرا وتحت الضوابط للتلفزيون الوطني في طوكيو باليابان. أعتقد أنها ستكون الأخيرة لي. من الجيد دائماً التوقف عن فعل شيء بلمسة جيدة، وكانت هذه عملية جيدة بقدر ما يمكن أن تكون.

وصل فريق الإنتاج الياباني إلى منزلي في كانون الثاني (يناير) 2002. في الأصل كانوا سيصطحبونني جواً إلى اليابان لإجراء الاستشعار عن بعد، لكنهم قرروا أنه سيكون له تأثير أكبر بالنسبة لي أن أقوم بالاستشعار من منزلي في جبال فرجينيا، ثم أسافر جواً إلى اليابان لجزء الاستوديو والنتائج.

قمت بأربعة أهداف لهم – ثلاثة أثناء وجودهم في الولايات المتحدة وواحد، وهو ما فاجأني، أثناء التصوير في الاستوديو.

تضمنت عمليتان من الأهداف أشخاصاً مفقودين، والتي، كما قلت من قبل، هي أصعب الأهداف التي يمكن إكمالها، خاصة في فترة زمنية قصيرة. في وقت الاستهداف للهدفين الأولين، لم تُعطَ لي أي معلومات، حيث قمت بهما كما أحب دائماً أن أفعلهما – بشكل مُعمّى (أعمى).

وضعت زوجتي والمنتج اسم الشخص المفقود في مظروف مغلق، والذي تم إحضاره بعد ذلك إلى غرفة الطعام، حيث وافقت على إجراء الاستشعار عن بعد. كان مرفقاً بالمظروف سؤالان مكتوبان على ملاحظة لاصقة صفراء:

"صف الشخص وحالته الصحية أو وضعه الحالي."

"صف موقع الشخص."

سلمني الطاقم المظروف المختوم وطلب مني تقديم إجابة للأسئلة الموجودة على المظروف. لم أكن أعرف في ذلك الوقت أنه كان بحثاً عن والدة السيد نوريوكي إيتو، التي كانت ستبلغ 48 عاماً إذا كانت لا تزال على قيد الحياة. لم يكن السيد إيتو، الذي تخلت عنه والدته عندما كان عمره عام واحد، لديه أي فكرة عن مكان وجودها. في الواقع، لم تُشاهد منذ 27 عاماً. دون اللجوء إلى أي معلومات، ولا حتى تاريخ ميلاد الأم، قدمت ما يلي، على الفيلم:

- الشخص المفقود أنثى، في منتصف العمر، وعلى قيد الحياة.
- تعيش حالياً في منطقة حضرية يبلغ عدد سكانها ما بين ستة ملايين وسبعة ملايين نسمة (حددت الموقع بأنه بالتأكيد ليس طوكيو).
- تحتوي المدينة على خليج وأربع جزر اصطناعية. شعرت بوجودها بقوة في المنطقة الجنوبية الغربية (والتي افترضوا في الأصل أنها نيشينوميا في أوساكا).
- بالتأكيد لا يتجاوز عدد السكان 300,000 (لهذه المحافظة المحددة).
- يقسم نهر المدينة ومدينة أكبر بكثير على الجانب.
- شعرت أن سكنها يقع في منطقة دلتا بين النهر ومركز المدينة.
- كانت هناك منطقة تشبه المتنزهات الكبيرة بالقرب من سكنها.

- كان هناك هيكل دائري يشبه النصب التذكاري في وسط منطقة المدينة هناك.
- تعيش في إحدى غرف شقة من ثلاثة طوابق تحتوي على ست غرف.
- قلت إن سكنها كان الغرفة الخلفية.

عند العودة إلى اليابان، وافق الطاقم على أن المكان يجب أن يكون محافظة نيشينوميا في أوساكا. لكنهم وجدوا أن نيشينوميا ليس لديها نهر كجزء من حدودها، ولم يتم العثور على دلتا صغيرة على طول النهر. عند مراجعة مكتب العقارات المحلي، قيل لهم إنه وفقاً للوصف، لا يمكن أن تكون نيشينوميا.

اتخذوا قراراً بتعديل البحث بناءً على بياناتي. تم ذكر عدد السكان تحديداً ليكون أقل من 300,000. اكتشفوا أن نيشينوميا يبلغ عدد سكانها 390,000. بحثاً عن مدينة داخل أوساكا يقل عدد سكانها عن 300,000، اكتشفوا أن هناك محافظة واحدة فقط من هذا القبيل. لأغراض حماية الأفراد المعنيين، أشاروا إلى هذه المحافظة باسم المدينة " س ". ظهر أنها يبلغ عدد سكانها 280,000.

بدأ تحقيق كامل في المدينة س على الفور. والمثير للدهشة، أنهم وجدوا أن نهراً يعمل كحدود للمنطقة، وتم تحديد دلتا صغيرة كما وصفت، بالإضافة إلى النصب التذكاري الدائري الكبير. وشعروا أن المتنزه الكبير الذي كنت أشير إليه على الأرجح هو مطار "سيسنا" الصغير، وهو أحد المطارات القليلة جداً التي تقع داخل مدينة كبرى في أي مكان في اليابان.

بتمشيط المنطقة داخل الدلتا التي وُصفت على أنها الموقع الأكثر احتمالاً لإقامتها، وجدوا مبنى شقق من ثلاثة طوابق، يحتوي على اثنتي عشرة غرفة، بدلاً من الست غرف التي قلتها. عند فحص لوحة الاسم على صناديق البريد، اكتشفوا اسم عائلة السيدة أ. قبل الزواج. كان صندوق البريد المحدد هذا ينتمي إلى الغرفة الخلفية في الطابق الأول. لكن لوحة الاسم على الباب لم تحمل شيئاً.

بشعور بالريبة، بحث الطاقم للعثور على علامات لشخص ما في الداخل، ولكن لم يكن هناك أي استجابة في الأصل. سأل الطاقم بعض السكان في الطابق الثاني، وعلموا أن امرأة في الخمسينيات من عمرها تعيش في تلك الغرفة. في تلك اللحظة ظهر رجل من الغرفة واستجوبه الطاقم. رفض الرجل التحدث، مدعياً أنه لا يعرف شيئاً. وغادر بسرعة على دراجته النارية.

شعر الطاقم أنه قد يكون من الخطر التطفل أكثر، فذهب بدلاً من ذلك إلى قاعة المدينة المحلية للتحقق من السجلات. ووجدوا أنه بالفعل، تلك الغرفة كانت سكنها. (كتب السيد نوريوكي إيتو منذ ذلك الحين رسالة إلى والدته لكنه لم يتلق رداً بعد.)

كان الشخص المفقود الثاني هو السيد سابورو تاناكا. مرة أخرى، وُضع اسم الهدف داخل مظروف مختوم مع إرفاق نفس الأسئلة.

وصفت السيد تاناكا بدقة وقلت إنه يعيش في طوكيو. كان تصوري أنه كان يجعل من الصعب العثور عليه بسبب المال الذي يدين به من دين تكبده بسبب خسائر الأسهم في شركة كان يعمل بها.

بناءً على المعلومات التي قدمتها، قاموا بتضييق نطاق البحث إلى مجموعة محددة من مجمعات الشقق داخل محافظة معينة من طوكيو وهم يبحثون الآن في تلك المنطقة. إنه تحقيق مستمر.

في أعقاب بث البرنامج، اتصل مشاهد بالاستوديو للإبلاغ عن أن الرجل المفقود هو جاره، يعيش تحت اسم مستعار – في الشقق المحددة من خلال الاستشعار عن بعد.

في بداية البرنامج، سُئل المحقق الذي كان يبحث عن السيد تاناكا عما إذا كان يؤمن باستخدام الخوارق للبحث عن الأشخاص، وكانت إجابته "لا" قاطعة. كان شعوره أنها مضيعة للوقت.

أثناء تصوير البرنامج، ذكر أنه فوجئ تماماً بسماع وصفي الدقيق للرجل المفقود، وبالتفصيل الكبير، للسبب الذي كان يُبحث عنه من أجله. كان قد عمل بالفعل في شركة أوراق مالية وكان هناك قدر كبير من الديون المتكبدة نتيجة للاستثمارات السيئة. ما لم يكن يعرفه، مع ذلك، هو أن شقيقه وبقية أفراد عائلته قد سددوا هذه الديون وأرادوا منه فقط العودة إلى المنزل. ذكر أنه كان هناك دليل سابق على أنه صرف شيكات في المنطقة التي وضعته فيها. المحقق ملتزم الآن ببحث مفصل للغاية لتلك المنطقة، وأعطاني بطاقته بعد العرض، مستفسراً عن مدى توفري للمساعدة في قضايا مستقبلية. وهو مقتنع الآن بأنه، إذا تم استخدام معلومات الاستشعار عن بعد بشكل صحيح، يمكن أن تساعد على الأقل في توفير خيوط جديدة أو تضييق نطاق منطقة البحث بشكل كبير.

تظل القضية الثالثة، وهي جريمة قتل لم تُحل لعائلة مكونة من أربعة أفراد – الأب والأم والابنة والابن الأصغر، مختومة لأنها تتضمن تحقيقاً جارياً في جريمة قتل. في تلك الحالة، وباستخدام صور الضحايا، قدمت وصفاً دقيقاً لتسلسل القتل بالتفصيل، ووصفاً للقاتل، وما كان يرتديه، ودافعاً للقتل. كما قدمت منطقة بحث أولية واقترحت أماكن للحصول على خيط للعثور على المشتبه به. أعتقد أنني سأسمع شيئاً في الوقت المناسب.

في نهاية العرض، طلبوا من أحد أعضاء اللجنة أن يقف. كان قد التقط صورة له في طريقه إلى الاستوديو. سألوني عما إذا كان بإمكاني وصف المكان الذي كان يقف فيه عندما التُقطت الصورة.

بعد قدر كبير من المتاعب، قلت أخيراً إن الوصف لن يكون مفصلاً للغاية، لأنه بدا وكأنه مجرد مساحة كبيرة ومفتوحة. وصفت مدخل المساحة المفتوحة الكبيرة بأنه ممر مزخرف يشبه النفق إلى حد ما.

عندما رأيت الصورة، أدركت على الفور أنهم، مثل العديد من الآخرين، طرحوا السؤال الخاطئ. كان الفرد يقف في الفناء الفارغ جداً لمحيط كبير، محاط بالمباني. كان مزاراً (معبداً دينياً) شهيراً جداً في طوكيو. لقد كان كريماً بما فيه الكفاية لالتقاط صورة لطريق الدخول إلى المحيط ذي المساحة المفتوحة، والذي كان يمر عبر ضريح معقد مبني من أعمدة وعوارض متشابكة – يشبه إلى حد كبير رسمي.

لو طلبوا مني فقط وصف الهدف الفعلي الذي كان محاطاً به! أعتقد أن لا أحد يقرأ المطبوعات العلمية أبداً.

تم تقديم الكثير من التعليقات بخصوص أحداث 11 أيلول (سبتمبر) في مدينة نيويورك وواشنطن العاصمة. هل كان من الممكن أن يمنع الاستشعار عن بعد حدوثها؟

هناك دليل على أنه يمكن – وقد تم – إعطاء معلومات استباقية في الماضي حول حوادث عنف كانت على وشك الحدوث. المشكلة هي أنه يكاد يكون من المستحيل – على الأقل في معظم الحالات – تحديد الموقع بشكل إيجابي دون قدر كبير من الجهد وعمليات استشعار عن بعد متعددة. في حالة نيويورك، أعتقد أنه كان من الممكن أن تكون هناك تفاصيل كافية لتحديد كل من المدينة والهدف مسبقاً.

هل كان ذلك سيمنع حدوثه؟

الإجابة الحقيقية هي أننا لن نعرف أبداً، والأكثر صدقاً، ربما لا. السبب يتعلق في الغالب بـ المعتقد. يجب أن يؤمن شخص ما بأن المسار المعقد للإجراءات الذي سمح بحدوثه يمكن التنبؤ به، وبالتالي يمكن منعه. أنا أتفق بالمصادقة مع هذه التصريحات، لكن معظم الناس لا يتفقون. يجب أن أؤمن بذلك، لأن هذه هي الطريقة التي أجعل بها الاستشعار عن بعد يعمل. أنا أؤمن بأنه ممكن – وبالنسبة لي هو كذلك وسيبقى دائماً. أعرف أن الاستشعار عن بعد بعيد كل البعد عن كونه القدرة المثالية التي يريد الكثيرون على الطرف المتطرف أن يصوروها على أنها كذلك. أعلم أنها معركة مستمرة وشاقة لمجرد العثور على ما يكفي من التمويل لإبقاء الكهرباء تعمل في المختبرات القليلة التي تدرسها – ناهيك عن الرواتب. ولكن، أعلم أيضاً أنه يعمل من وقت لآخر، وبشكل جيد ومثير للدهشة.

إنه يعمل عندما يكون لديك عقل منفتح ولا تخشى الاقتراب منه – وإن كان ذلك بحذر واحترام. إنه يعمل عندما لا تحصل على جميع معلوماتك من الإنترنت، بل تأخذ الوقت والجهد (والمال) لتوظيف الخبراء – العلماء الذين أمضوا ربع قرن في التحقيق فيه، واستخدامه، واختباره. يجب عليك استثمار الوقت في قراءة المطبوعات المناسبة، الأشياء التي تجدها في المجلات العلمية.

الجزء الأكثر حزناً على الإطلاق هو أن الكثير من الأشخاص هناك يطبقون "الاستشعار عن بعد" الآن وهم لا يفهمون حتى ما هو. إنهم يسمون ما يفعلونه بالاستشعار عن بعد لأنه يبيع – إنه يفتح الباب لـ "خمس عشرة دقيقة من الشهرة".

يمكن استخدامه بطريقة صغيرة، بطريقة منظمة، للمساعدة في الدفاع عن البلاد، للمساعدة في البحث عن الإرهابيين، لمنع أو تقليل التدمير وموت البشر. يمكن استخدامه للتحقيق في المساعي العقلية الإبداعية التي قد نحتاجها في مواجهة التحديات المستقبلية لبقائنا كنوع.

كل ما يتطلبه الأمر هو عقل منفتح – وطبيعة منضبطة – ودرجة معقولة من الأخلاق أو المسؤولية الشخصية.

كلمات أخيرة

بفهم أن هناك اختلافات موجودة بين مصطلحي "خارق الإدراك الطبيعي" و"أن تكون خارق الإدراك ضمن بروتوكولات الاستشعار عن بعد"، في النهاية، كما في البداية، ما زلنا نجد أنفسنا أمام تساؤلات.

- هل يمكن تدريب شخص ما كخارق للإدراك ومستشعر عن بعد، مثل المحامي أو النجار؟ أم أن هناك بالضرورة موهبة طبيعية موجودة منذ البداية؟
- هل يتطلب الأمر نوعاً خاصاً من الأشخاص ليكونوا خارقين للإدراك؟ هل يجب أن يكون شخصاً لديه استعداد لذلك منذ البداية؟
- هل يتمتع الأشخاص خارقو الإدراك بميزة على المعيار الطبيعي؟ أم أنهم هم المعيار الطبيعي؟
- هل يجب أن يستفيدوا من استخدام موهبتهم؟ أم يجب أن يتبرعوا بموهبتهم، ويرفضوا الثروة والشهرة الشخصية، ويعيشوا حياتهم كقديسين؟
- هل كون المرء خارق الإدراك ومستشعراً عن بعد عالمي المستوى هو هبة من الإله؟ هل هو عمل الشيطان؟
- هل يمكن للمرء أن يرفض الهبة؟ هل يجب على المرء أن يرفض الهبة؟

لقد اضطررت للتعامل مع العديد من هذه الأسئلة لأكثر من عقدين من الزمان حتى الآن، وما زلت غير متأكد من بعض الإجابات. الطريقة الوحيدة لفهم الإجابات حقاً هي فهم السياق الذي طُرحت فيه الأسئلة أو الظروف التي تم فيها تعلم الإجابات. للقيام بذلك، يحتاج المرء إلى إحساس جيد جداً بما يعنيه أن تكون خارق الإدراك، والأكثر صعوبة، ما يعنيه أن تكون خارق الإدراك ضمن قيود بروتوكول استشعار عن بعد صالح. وأفضل طريقة لتحقيق ذلك – بخلاف أن تكون خارق الإدراك ومستشعراً عن بعد – هي أن يكون لديك وصول مباشر إلى عقل خارق الإدراك وهو مستشعر عن بعد.

لقد حاولت تقديم هذه القضايا هنا. للقيام بذلك، فعلت ما قلت إنني لن أفعله أبداً – فتحت باباً لتجربتي وواقعي كما لاحظته. لقد فعلت هذا أيضاً بطريقة لم أرغب فيها أبداً، من خلال فتح بوابة لعقلي و روحي أيضاً.

لذا كان هذا الكتاب يدور حولي، وعن عقلي، وأفكاري وخبراتي. كان وصفاً، أو ربما فقط تصوري، لعدد الخطوات التي استغرقتها للانتقال من كوني طفلاً وُلد في ميامي بفلوريدا، إلى ضابط استخبارات في الجيش، ثم إلى جاسوس خارق الإدراك، المستشعر عن بعد رقم 001 في برنامج ستار جيت التابع لجيش الولايات المتحدة.

لكن الأمر أصبح أكثر من ذلك.

اكتشفت، في البحث في ماضيّ، قطعاً من الفهم لعملية كاملة في تطوري. أن تكون خارق الإدراك، وخاصة مستشعراً عن بعد، هي عملية نمو طويلة الأجل. إن "الهبات" التي يتمتع بها المرء مستمدة من جوهر التربة – الشخص – الذي زُرعت فيه العناصر. إنها تنطوي على أنواع السماد – أو عدم وجوده – التي تشجع النمو أو تعيق عمليته في نقاط حرجة في التطور. إنها تشير إلى البقاء على مستوى أساسي أو ربما اللاوعي كعنصر ضروري، وتشير إلى الضرورة الواضحة جداً بأن يستسلم الشخص في بعض الأحيان، ليس للمنطق، ولا للتوقعات المعقولة، ولكن لشيء أكثر بدائية يأتي من مكان عميق في الداخل.

لم تكن الرحلة سهلة، كما يجب أن يكون واضحاً من المحتوى هنا. من المؤكد أن المسار لم يكن محدداً بوضوح أبداً. لم تقل أي علامات إن صوتي الداخلي كان أكثر صحة في دقيقة من الأخرى، وفي بعض الأحيان لم تصل التغذية الراجعة قبل نقطة القرار التالية. في بعض الأحيان لم أكن متأكداً حتى من أنني ما زلت على المسار الذي اخترته. ومع ذلك، فقد استحوذت هذه الرحلة على كل لحظة من حياتي لما يقرب من عقدين ونصف، وبشكل لا واعي، منذ الولادة.

لقد كتبتها الآن بأفضل ما أتذكره، على أمل أن تثبت قيمتها لأولئك الذين يتبعونني. لقد سرت في هذه الغابة. يواجه الآخرون في مساراتهم نفس أنواع التهديدات والارتباك في الشجيرات المتشابكة التي يجدها المرء تحت مظلة ثلاثية من الأشجار. حتى في وضح النهار، تتحول الظلال، ومن الصعب اكتشاف الألغام. لقد رويت تجاربي الخاصة، والطريقة التي تطور بها عقلي، ولدت من تجاربي والتعرض للخوارق. إنها الطريقة التي يبدو أنها تعمل بالنسبة لي. آمل بشدة أن تكون ذات قيمة للآخرين.

لو سُئلت عما إذا كنت خارق الإدراك، أو اعتقدت أنني أستطيع الأداء في ظل صرامة الاستشعار عن بعد، قبل الجزء الأخير من عام 1978، لقلت لا. مثل معظم البشر، اعتقدت، على الرغم من العديد من التجارب، أنني "طبيعي"، وهذا يملي أن الوظيفة الخارقة للإدراك لا تحدث. لا يمكن أن تحدث. يُعتقد تلقائياً أنها انتهاك للواقع، أو لكيفية فهمنا لعمل الواقع. وإذا لم يكن بإمكانك أن تكون خارق الإدراك، فمن المؤكد أنك لا تستطيع القيام بالاستشعار عن بعد.

ولكن إذا كان هذا صحيحاً، فكيف تم إقناعي؟ أين ومتى حدث تحول جندي مسيرة مهنية صلب ومنطقي؟

هل من الممكن أنني كنت خارق الإدراك طوال الوقت؟ هل كان من المفترض أن أكون مستشعراً عن بعد؟ أم تعلمت كيف أكون خارق الإدراك؟ هل حدث ذلك على مدى فترة طويلة من الزمن، تغيير يتراكم فوق آخر، أم كان شبيهاً بالصعق بالكهرباء – إصابة مفاجئة – كما لو كان بصاعقة؟

وكما لو أن هذه الأسئلة لم تكن صعبة بما فيه الكفاية، تظهر المزيد من الأسئلة.

أليست بعض الأشياء التي قد يُطلب من المستشعر عن بعد العسكري القيام بها معترضة أخلاقياً؟ هل يمكن لشخص ما أن يكون خارق الإدراك، وأن يكون مستشعراً عن بعد، عندما تكون الإجراءات التي يشاركون فيها بحد ذاتها مسيئة أو، في أحسن الأحوال، لا أخلاقية؟

هل يجب أن نفترض أن شخصاً يُظهر مستوى أعلى من المتوقع من الأداء كخارق للإدراك ومستشعر عن بعد يمثل ما هو "الأفضل" داخل الجنس البشري – وأن مثل هذا الشخص يمثل بطريقة ما ما يجب أن نسعى إليه في النمو البشري والفهم؟

هل يجب أن نضع مثل هؤلاء الأشخاص على قاعدة؟

هل يجب أن نتوقع دائماً المزيد من شخص مثل هذا؟

من ناحية أخرى، هل الاعتراف بأن المرء خارق الإدراك ومستشعر عن بعد يثبت عدم الاستقرار العقلي أو الوهم الذاتي؟ هل بعض الخارقين للإدراك مجانين وبعضهم عاقلون؟ هل يسير المرء على خط رفيع بين الاثنين، كما لو كان في ضباب رمادي، في مكان ما بين أولئك الذين يبدون منطقيين ولكن ربما ليسوا كذلك وأولئك الذين هم راسخون تماماً؟

كخارق للإدراك ومستشعر عن بعد، كيف تعرف متى تنزلق من العقل إلى الجنون؟ إلى من تذهب لمعرفة ما إذا كنت تخدع نفسك؟ هل تبحث عن خارق إدراك آخر؟ صديق؟ عالم؟

هل جميع العلماء منفتحو العقل؟ ألا يمكن للعالم أن يُخدع أيضاً؟

في النهاية، كما في البداية، ما زلنا أمام تساؤلات.

الملحق أ: علم النفس الخارق في الاستخبارات: مراجعة واستنتاجات شخصية

عدد شتاء 1977، دراسات في الاستخبارات، رسالة إخبارية داخلية نُشرت داخل وكالة المخابرات المركزية. بقلم الدكتور كينيث أ. كريس، وهو محلل أقدم مكلف بمراجعة الجهد الخارق الذي كان يجري في معهد ستانفورد للأبحاث الدولية نيابة عن وكالة المخابرات المركزية في أوائل السبعينيات، باستخدام الخارقين للإدراك كجواسيس ضد الاتحاد السوفييتي.

علم النفس الخارق في الاستخبارات

مراجعة واستنتاجات شخصية – الدكتور كينيث أ. كريس

حققت وكالة المخابرات المركزية في الظاهرة المثيرة للجدل المسماة علم النفس الخارق من حيث صلتها بجمع المعلومات الاستخباراتية. شارك المؤلف في العديد من جوانب آخرى هذه التحقيقات. تلخص هذه الورقة مختارات مختارة من تجارب المؤلف والآخرين. القصد ليس الاكتمال التاريخي. الملفات متاحة للمهتمين بالتفاصيل. بدلاً من ذلك، فإن القصد هو تسجيل بعض البيانات والآراء المثيرة للاهتمام والمفيدة. من المرجح أن يكون هذا السجل ذا فائدة مستقبلية لأولئك الذين سيُطلب منهم تقييم الجوانب المتعلقة بالاستخبارات لـ علم النفس الخارق.

اتخذت الوكالة زمام المبادرة برعاية أبحاث جادة في علم النفس الخارق، لكن الظروف والتحيزات والخوف من السخرية منعت وكالة المخابرات المركزية من إكمال تحقيق علمي في علم النفس الخارق وأهميته للأمن القومي. خلال فترة البحث هذه، كانت وكالة المخابرات المركزية تتخبط في تحقيقات تتعلق بالمخالفات والأخطاء من جميع الأنواع. هذا الوضع، ربما بشكل صحيح، رفع من حساسية تورط وكالة المخابرات المركزية في أنشطة غير عادية. كان "تأثير بروكسماير"، حيث كان الخوف من أن يُزعم أن بعض العقود البحثية الحكومية لا أساس لها ويتم الاستهزاء بها، عاملاً آخر يمنع وكالة المخابرات المركزية من المجالات الحساسة للبحث.

أيضاً، هناك نوعان من ردود الفعل تجاه علم النفس الخارق: إيجابية أو سلبية، مع القليل بينهما. بيانات علم النفس الخارق، بحكم تعريفها تقريباً، غامضة وغير مفسرة. أضف تاريخاً مليئاً بالاحتيال المثبت، ويرفض الكثير من الناس الموضوع على الفور، قائلين، في الواقع، "لن أصدق هذا الهراء حتى لو كان صحيحاً". يميل آخرون، الذين يجب أن تكون لديهم تجارب "تحول" شخصية، إلى الاقتناع بنفس القدر بأن نجاحاً واحداً غير مفسر يثبت الظاهرة. هذه الأحكام المسبقة تجعل من الصعب تقييم علم النفس الخارق بعناية وعلمية.

تم إنشاء بيانات مثيرة للاهتمام ولكن غير مكتملة من خلال الأبحاث التي ترعاها وكالة المخابرات المركزية. تظهر هذه البيانات، من بين أمور أخرى، أنه في بعض الأحيان تحدث نتائج غير مفسرة ذات أهمية استخباراتية حقيقية. هذا لا يعني أن علم النفس الخارق هو أداة استخباراتية مثبتة؛ بل يعني أن التقييم لم يكتمل بعد وأن هناك حاجة لمزيد من البحث.

يقتصر الاهتمام على التحريك النفسي و الاستشعار عن بعد. التحريك النفسي هو القدرة المزعومة لشخص ما على التفاعل مع آلة أو جسم آخر بوسائل غير مفسرة. الاستشعار عن بعد يشبه الاستبصار في أن الشخص يزعم أنه يستشعر معلومات حول موقع أو شخص بعيد عن أي رابط حسي معروف.

وصلت تقارير قصصية عن قدرات الإدراك خارج الحواس إلى وكالات الأمن القومي الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية على الأقل، عندما قيل إن هتلر اعتمد على المنجمين والعرّافين. استمر تلقي اقتراحات للتطبيقات العسكرية للإدراك خارج الحواس بعد الحرب العالمية الثانية. على سبيل المثال، في عام 1952، أُلقيت محاضرة على وزارة الدفاع حول الفائدة المحتملة للإدراك خارج الحواس في الحرب النفسية. على مر السنين، استمرت التقارير في التراكم.

في عام 1961، تسببت التقارير في إحدى أولى تحقيقات الحكومة الأمريكية في علم النفس الخارق عندما أصبح رئيس مكتب الخدمات الفنية التابع لوكالة المخابرات المركزية (الذي كان آنذاك قسم الخدمات الفنية) مهتماً بادعاءات الإدراك خارج الحواس. سرعان ما اتصل ضباط المشروع الفنيون بـ ستيفن آي أبرامز، مدير مختبر علم النفس الخارق، جامعة أوكسفورد، إنجلترا. تحت رعاية مشروع ألترا، أعد أبرامز مقالة مراجعة، زعمت أن الإدراك خارج الحواس قد ثبت ولكنه لم يُفهم أو يمكن التحكم فيه. قُرئ التقرير باهتمام لكنه لم يسفر عن أي إجراء آخر لمدة عقد من الزمان.

أعاد عالمان فيزياء الليزر، الدكتور راسل تارغ والدكتور هارولد إي بوتهوف، إحياء أبحاث وكالة المخابرات المركزية في علم النفس الخارق. كان تارغ مهتماً بعلم النفس الخارق كهواية لمعظم حياته البالغة. كخبير تجريبي، كان مهتماً بالملاحظات العلمية لعلم النفس الخارق. أصبح بوتهوف مهتماً بالمجال في أوائل السبعينيات. كان منظراً يستكشف مجالات جديدة للبحث بعد عمل مكثف في الإلكترونيات الكمومية.

في نيسان (أبريل) 1972، التقى تارغ بموظفين من وكالة المخابرات المركزية من مكتب الاستخبارات الاستراتيجية وناقش موضوع القدرات الخارقة. كشف تارغ أن لديه اتصالات بأشخاص زعموا أنهم رأوا ووثقوا بعض التحقيقات السوفييتية في التحريك النفسي. تم توفير أفلام للسوفييت وهم يحطمون أشياء غير حية بواسطة "قوى عقلية" للمحللين من مكتب الاستخبارات الاستراتيجية. قاموا بدورهم بالاتصال بالموظفين من مكتب البحث والتطوير ومكتب الخدمات الفنية. ثم زار ضابط مشروع من مكتب البحث والتطوير تارغ الذي انضم مؤخراً إلى معهد ستانفورد للأبحاث. اقترح تارغ أنه يمكن إجراء بعض تحقيقات التحقق من التحريك النفسي في المعهد بالاقتران مع بوتهوف.

تبع هذه المقترحات بسرعة عرض توضيحي في المختبر. تم العثور على رجل من قبل تارغ وبوتهوف كان لديه على ما يبدو قدرات التحريك النفسي. أُخذ في زيارة مفاجئة إلى مقياس مغناطيسي فائق التوصيل محمي بالدروع يُستخدم في تجارب الكوارك (جزيئات الطاقة العالية) من قبل الدكتور إيه. هيبارد من قسم الفيزياء بجامعة ستانفورد. تطلبت تجربة الكوارك أن يكون مقياس المغناطيسية محمي بشكل جيد قدر ما تسمح به التكنولوجيا. ومع ذلك، عندما ركز الموضوع انتباهه على الجزء الداخلي من مقياس المغناطيسية، تعرضت الإشارة الناتجة لاضطراب مرئي، مما يشير إلى تغيير في المجال المغناطيسي الداخلي. لوحظت عدة ارتباطات أخرى لجهوده العقلية مع اختلافات الإشارة. لم تُشاهد هذه الاختلافات قبل أو بعد الزيارة. تم تلخيص الحدث وإرساله إلى الوكالة في شكل رسالة إلى محلل في مكتب الاستخبارات الاستراتيجية وكمناقشات مع ضباط مكتب الخدمات الفنية ومكتب البحث والتطوير.

اتخذ مكتب الخدمات الفنية الإجراء الأول. بموافقة نفس المدير الذي دعم دراسات الإدراك خارج الحواس قبل عقد من الزمان، تعاقد ضابط مشروع من مكتب الخدمات الفنية على عرض توضيحي مع الرجل المذكور سابقاً لبضعة أيام في آب (أغسطس) 1972. خلال هذا العرض التوضيحي، طُلب من الموضوع وصف الأشياء المخفية عن الأنظار من قبل موظفي وكالة المخابرات المركزية. كان أداء الموضوع جيداً. كانت الأوصاف دقيقة بشكل مذهل لدرجة أن ممثلي قسم التقنية ومكتب البحث والتطوير اقترحوا أن يستمر العمل ويتم توسيعه. استعرض نفس مدير مكتب الخدمات الفنية البيانات، ووافق على أمر عمل آخر بقيمة 2,500 دولار، وشجع على تطوير خطة بحث أكثر اكتمالاً.

بحلول تشرين الأول (أكتوبر) 1972، كنت أنا ضابط المشروع. تم اختياري بسبب خلفيتي في الفيزياء للعمل مع الفيزيائيين من معهد ستانفورد للأبحاث. مول مكتب الخدمات الفنية جهداً موسعاً بقيمة 50,000 دولار في علم النفس الخارق. شمل التحقيق الموسع اختبارات لعدة قدرات لكل من الموضوع الأصلي وموضوع جديد. بدأت البيانات الغريبة في الظهور؛ بدت القدرات الخارقة فردية. على سبيل المثال، يبدو أن أحد المواضيع، بجهد عقلي، تسبب في زيادة في درجة الحرارة المقاسة بواسطة مقياس حرارة بمقاومة؛ لا يمكن تكرار الإجراء بواسطة الموضوع الثاني. كان الموضوع الثاني قادراً على إعادة إنتاج، بدقة مذهلة، المعلومات الموجودة داخل المظاريف المختومة. في ظل ظروف متطابقة، لم يتمكن الموضوع الأول من إعادة إنتاج أي شيء. ربما كان الأمر الأكثر إزعاجاً هو أن تكرار نفس التجربة مع نفس الموضوع لم يسفر عن نتائج متسقة. بدأت لدي مشاعر جدية بأنني متورط في عملية احتيال.

في منتصف هذا المشروع تقريباً، دُعي المتعاقدون مع معهد ستانفورد للأبحاث لمراجعة نتائجهم. بعد دراسة متأنية لعوامل الأمن والحساسية، تمت مشاركة النتائج ومناقشتها مع موظفين مختارين في الوكالة خلال ذلك الاجتماع والاجتماعات اللاحقة. في شباط (فبراير) 1973، تمت مراجعة أحدث البيانات؛ بعد ذلك، أظهر العديد من ضباط مكتب البحث والتطوير اهتماماً أكيداً بالمساهمة بخبراتهم وتمويل مكتبهم.

استمرت إمكانية وجود برنامج مشترك بين مكتب الخدمات الفنية ومكتب البحث والتطوير في التطور. أرسل مكتب البحث والتطوير ضباط مشروع جدد إلى معهد ستانفورد للأبحاث خلال شباط (فبراير) 1973، وأقنعت التقارير التي تم إحضارها مكتب البحث والتطوير بالانخراط. تُرجم الاهتمام إلى عمل عندما طلب مكتب البحث والتطوير زيادة في نطاق الجهد وحول الأموال إلى مكتب الخدمات الفنية. في هذا الوقت تقريباً، أصبح موضوع حساس ثالث، بات برايس، متاحاً في معهد ستانفورد للأبحاث، وبدأت تجارب الاستشعار عن بعد التي يصف فيها الموضوع انطباعاته عن الأشياء أو المواقع البعيدة بجدية. إن احتمال أن تكون هذه القدرات المفيدة حقيقية حفز جميع المعنيين على المضي قدماً بسرعة.

تطلب العقد مراجعة إدارية إضافية قبل أن يمكن الاستمرار فيه أو زيادة نطاقه. انتقلت المراجعة الأولية من مكتب الخدمات الفنية ومكتب البحث والتطوير إلى السيد ويليام كولبي، الذي كان آنذاك مدير العمليات. في 24 نيسان (أبريل)، قرر السيد كولبي أن لجنة الإدارة التنفيذية يجب أن تصدر حكماً على هذا المشروع الذي قد يكون حساساً. بحلول منتصف أيار (مايو) 1973، مر طلب الموافقة عبر لجنة الإدارة. تمت كتابة مذكرة موافقة لتوقيع مدير وكالة المخابرات المركزية، آنذاك الدكتور جيمس شليزنجر. أخذ السيد كولبي المذكرة إلى مدير وكالة المخابرات المركزية بعد أيام قليلة. قيل لي قريباً ألا أزيد من نطاق المشروع وألا أتوقع أي متابعة في هذا المجال. كان المشروع حساساً للغاية ومن المحتمل أن يكون محرجاً. يجب تأجيله. من المثير للاهتمام ملاحظة أن مكتب الخدمات الفنية كان قيد التحقيق آنذاك لتورطه في قضية ووترجيت، وأنه في أيار (مايو) 1973، أصدر مدير وكالة المخابرات المركزية مذكرة لجميع موظفي وكالة المخابرات المركزية تطلب الإبلاغ عن أي أنشطة قد تكون غير قانونية وغير لائقة. بصفتي ضابط المشروع، من الواضح أن إحساسي بالتوقيت لم يكن موجهاً بقدرات خارقة مفيدة!

خلال صيف عام 1973، واصل معهد ستانفورد للأبحاث العمل بشكل غير رسمي مع ضابط من مكتب الاستخبارات الاستراتيجية في تجربة استشعار عن بعد حفزت في النهاية المزيد من تحقيقات وكالة المخابرات المركزية التي ترعاها في علم النفس الخارق. كان الهدف عبارة عن عقار لقضاء العطلات في شرق الولايات المتحدة. بدأت التجربة بتمرير إحداثيات الموقع الجغرافي للعقار إلى فيزيائيي معهد ستانفورد للأبحاث الذين قاموا بدورهم بتمريرها إلى الموضوعين، أحدهما بات برايس. لم يُسمح بوجود خرائط، وطُلب من الموضوعين إعطاء استجابة فورية لما استشعروه عن بعد في هذه الإحداثيات. عاد الموضوع بوصفين كانا يبدوان خاطئين بشكل واضح. تحدث كلاهما عن منشأة شبيهة بالمنشأة العسكرية. ومع ذلك، لوحظ ارتباط مذهل بين الوصفين المستقلين. تسبب الارتباط في قيادة ضابط مكتب الاستخبارات الاستراتيجية إلى الموقع والتحقيق بمزيد من التفصيل.

لدهشة ضابط مكتب الاستخبارات الاستراتيجية، سرعان ما اكتشف منشأة حكومية حساسة على بعد أميال قليلة من عقار الإجازة. أدى هذا الاكتشاف إلى طلب للحصول على معلومات من برايس تتعلق بالعمل الداخلي لهذا الموقع بالذات. تمت مراجعة جميع البيانات التي أنتجها الموضوعان في وكالة المخابرات المركزية والوكالة المعنية.

كان التقييم، كالعادة، مختلطاً. قدم بات برايس، الذي لم يكن لديه خلفية عسكرية أو استخباراتية، قائمة بعناوين المشاريع المرتبطة بالأنشطة الحالية والماضية بما في ذلك عنوان شديد الحساسية. كما تم توفير الاسم الرمزي للموقع. كانت معلومات أخرى تتعلق بالتصميم المادي للموقع دقيقة. ثبت أن بعض المعلومات، مثل أسماء الأشخاص في الموقع، غير صحيحة.

استغرقت هذه التجارب عدة أشهر لتحليلها ومراجعتها داخل الوكالة. كان السيد كولبي الآن مدير وكالة المخابرات المركزية، وكان المديرون الجدد لمكتب الخدمات الفنية ومكتب البحث والتطوير معجبين بالبيانات. في خريف عام 1973، تم تحديد بيان للعمل، وطُلب من معهد ستانفورد للأبحاث اقتراح برنامج آخر. بدأ برنامج ممول بشكل مشترك من مكتب البحث والتطوير ومكتب الخدمات الفنية في شباط (فبراير) 1974. كان المؤلف مرة أخرى ضابط المشروع. استمر المشروع على أساس أن الظاهرة موجودة؛ وكان الهدف هو تطويرها واستخدامها.

خُصصت أموال مكتب البحث والتطوير للدراسات الأساسية مثل تحديد الخصائص الفسيولوجية أو النفسية القابلة للقياس للأفراد خارقي الإدراك، وإنشاء بروتوكولات تجريبية للتحقق من صحة القدرات الخارقة. كانت أموال مكتب الخدمات الفنية لتقييم المنفعة التشغيلية للمواضيع الخارقة دون اعتبار للفهم المفصل للوظيفة الخارقة. إذا كانت الوظيفة الخارقة قابلة للتكرار بدرجة كافية، فقد كنا واثقين من أنه سيتم العثور على تطبيقات.

قبل مرور أشهر عديدة، تطورت صعوبات في المشروع. ثبت أن مهمتنا في مجال البحث الأساسي أكثر شمولاً مما يسمح به الوقت والأموال. أراد المتعاقدون التوصل إلى حل وسط من خلال القيام بجميع المهام بـ "اكتمال" أقل. أصر علماء مكتب البحث والتطوير على أنه مع مثل هذا الموضوع المثير للجدل، ستكون النتائج الأقل ولكن الأكثر صرامة ذات قيمة أكبر. أصبحت صرامة البحث قضية خطيرة بين ضباط مشروع مكتب البحث والتطوير ومعهد ستانفورد للأبحاث، وكنت أنا أتخذ عموماً موقفاً بين صوابية المتعاقد وسخط الباحثين. حدثت عدة اجتماعات حول تلك القضية.

صراع الشك واليقين في أبحاث القدرات الخارقة

كمثالٍ على طبيعة الخلافات التي تفتقت حول صميم البحث، لننظر في تقييم دلالة البيانات المستخلصة من تجارب "آلة تلقين الإدراك فوق الحواس". كان هذا الجهاز عبارة عن مولد إلكتروني للأرقام العشوائية رباعي الحالات، صُمم لاختبار القدرات غير العادية. زعم معهد أبحاث ستانفورد أن الآلة تتعاقب عشوائياً بين أربع حالات، ويقوم الشخص الخاضع للتجربة بالإشارة إلى حالة الآلة الراهنة بضغطة زر. كانت حالة الآلة واختيار الشخص تُسجلان لتحليل لاحق. كان المتوقع من الشخص "المُخمِّن" أن يصيب الهدف بمعدل 25 في المئة في المتوسط. لكن المعهد احتفى بشخص بلغ متوسط إصاباته 29 في المئة على مدى أكثر من ألفين وخمسمائة محاولة، وهي نسبة ذات دلالة إحصائية بالغة الأهمية.

طلبتُ مراجعة للتجربة والتحليل، وسارع اثنان من ضباط مكتب البحث والتطوير بالرد عليهما بروح من التشكيك القاسي. وقد تمحور جدلهم الأولي حول احتمالية عدم عشوائية آلة الإدراك فوق الحواس. كما جادلوا بأن الأفراد قد يكونون قد أتقنوا الأنماط غير المنتظمة للآلة، ومن ثم حققوا درجات أعلى. خلال هذه المراجعة، لفت الانتباه إلى أن عشوائية الآلة من عدمها لا تهم، إذ يمكن تحليل البيانات المسجلة لتحديد الإحصائيات الفعلية للآلة. وبهذا، تُصبح عشوائية الآلة أمراً ثانوياً، لأنه يمكن مقارنة أداء الشخص بالأداء الفعلي للآلة. إلا أن ضباط مشروع مكتب البحث والتطوير لم يروا أن بذل الجهد في إجراء هذا التحليل الإضافي للبيانات الفعلية يستحق العناء.

لم أُشاطرهم الرأي. وكلفتُ مكتب خدمات الحواسيب المشتركة بإعادة تحليل البيانات. وكانت الخلاصة هي أنه لم "يُكتشف أي دليل على عدم العشوائية" أثناء التجربة، و**"لا يوجد سبب متين يفسر كيف أمكنه تحقيق هذا القدر من النجاح"**. ثم أمرتُ بإعادة اختبار الشخص نفسه، فبلغ متوسط إصاباته ما يزيد على 28 في المئة خلال ألفين وخمسمائة محاولة أخرى. قُدمت هذه المعلومات كتابياً وشفوياً لضباط مشروع مكتب البحث والتطوير، الذين تمسكوا بضرورة وجود خلل آخر في التجربة أو تحليلها، لكنهم لم يروا ضرورة للبحث عنه. وبسبب متطلبات أكثر إلحاحاً، لم يتسنَّ متابعة هذه المسألة وصولاً إلى استنتاج حاسم.

تآكل الدعم وفتور الهمم

تزامناً مع هذا التدهور في الأوضاع، عُيِّن مديرون جُدد لمكتب البحث والتطوير ومكتب الخدمات الفنية مرة أخرى. وبما أن أياً منهما لم يكن ذا خلفية أو خبرة في أبحاث القدرات الخارقة، قام المدير الجديد لمكتب البحث والتطوير بمراجعة مشروع علم النفس الخارق وأبدى تحفظات. طلبتُ لقاءً أوضح فيه أنه لا يمكنه تقبّل حقيقة هذا الأداء الخارق، لكنه تفهّم تحيّزه الشخصي. وقال إنه بما أنه لا يستطيع اتخاذ قرار موضوعي في هذا الميدان، فيمكنه ببساطة اتباع نصيحة موظفيه. كان ضباط مشروع مكتب البحث والتطوير يشعرون بالفعل بإحباطهم وشكوكهم الخاصة تجاه العمل، وها هم الآن يواجهون هذا النوع غير المعتاد من التشكيك من مديرهم الجديد. لقد أثّر هذا التشكيك في مصداقية الظاهرة وجودة البحث الأساسي سلباً على آراء العديد من الأفراد في مكتب الخدمات الفنية. وبدأ الدعم المقدم للمشروع يتلاشى بسرعة.

أولى العمليات الاستخباراتية: موقع سيميبالاتينسك

مع تصاعد هذه الضغوط، جرت محاولة لتنفيذ أول عملية لجمع المعلومات الاستخباراتية باستخدام علم النفس الخارق. كان الهدف هو منشأة سيميبالاتينسك للبحث والتطوير غير المحددة 2، وكانت هذه العملية التجريبية ستُستخدم فيها قدرات أفضل شخص خاضع للتجارب لدينا، وهو بات برايس. وبناءً على الخبرة المكتسبة، كان من الواضح أن برايس يقدم بيانات سيئة بقدر ما يقدم من بيانات جيدة.

استُعيرت مفاهيم من نظرية الاتصالات التقليدية، واعتُبرت قناة المعلومات "المشوشة" هذه مفيدة رغم ذلك إذا أمكن توصيفها. صُمم بروتوكول مُحكم لإنجاز قياسين للوصف. أولاً، كنا بحاجة لضمان أن القناة تجمع بيانات مفيدة. فراجعتُ صور الموقع واخترتُ خاصيتين، إذا وصفهما برايس، فستدلان على أن القناة تعمل جزئياً على الأقل. وبالإشارة إلى شكل 1 أ، كانت هاتان الخاصيتان هما الرافعة الطويلة والمنشآت الأربعة الشبيهة بأبراج التنقيب عن النفط. واتفقنا على أنه إذا وصف برايس هذه المنشآت، فسأكون مستعداً لجعله يوقع على اتفاقية سرية، جاعلاً إياه على دراية بما نقوم به، ومن ثم نجمع تفاصيل استخباراتية أكثر صلة. ثانياً، بعد ترسيخ قناة عاملة بهذه الطريقة، كان مطلوباً توصيف نسبة "الإشارة إلى التشويش" أو الجودة. وسيتم ذلك عبر اختبارات دورية للقناة، أي سيُطلب من برايس دورياً وصف خصائص للموقع نعرفها مسبقاً. وسيُستخدم مدى دقة هذه الأوصاف لتقدير جودة البيانات التي لم تكن لدينا طريقة واضحة للتحقق منها.

بدأت التجربة بقيامي أنا ورئيس فرعي بتقديم إحاطة لتارغ وبوتوف في نزل. وفي وقت لاحق، في معهد أبحاث ستانفورد، قدّم تارغ وبوتوف إحاطة لـ برايس. وبما أن تارغ وبوتوف كانا لا يعرفان شيئاً عن الموقع، فقد صان هذا البروتوكول التجربة من التلميح و/أو نقل الأفكار. في البداية، لم يُعطَ برايس سوى الإحداثيات الجغرافية، وخريطة من أطلس عالمي عليها علامة الموقع التقريبي، وقيل له إنه موقع اختبار سوفييتي للبحث والتطوير والتقييم. وفي صباح اليوم التالي، قدّم الرسم الموجود في أسفل يمين الشكل 1 ب. كما ذكر برايس أن هذه "رافعة ضخمة بشكل فظيع" لأنه رأى شخصاً يسير بجوارها ولم يصل طوله إلا إلى محاور عجلاتها (لاحظ الرسم التخطيطي، الشكل 1 ب). لفت هذا الأداء انتباهي؛ لكن بعد يومين آخرين من العمل، لم نسمع منه شيئاً عن أبراج الحفر. في نهاية المطاف، كان لا بد من اتخاذ قرار. ولأن وصف الرافعة كان مؤثراً جداً، قررت أنا ورئيس فرعي أنه يجب التخفيف من شرط وصف الأبراج ومواصلة العمل.

اختبار وتوقف البرنامج

عندما اتُخذ قرار إطلاع برايس على المعلومات الاستخباراتية، قررت أن أختبره. جلستُ أنا ورئيس فرعي في غرفة اجتماعات بينما أحضر تارغ وبوتوف شخصاً مبتسماً هو بات برايس إلى الغرفة. قُدمتُ على أنني الداعم المالي للمشروع، وسألتُ برايس على الفور عما إذا كان يعرفني.

أجاب: نعم.

سألتُ: ما اسمي؟

أجاب: كين كريس.

سألتُ: ما مهنتك؟

أجاب: تعمل لحساب الاستخبارات المركزية.

وبما أنني كنت موظفاً سرياً في ذلك الوقت، كانت الإجابة ذات مغزى. بعد أن جعلتُ برايس يوقع اتفاقية سرية، وبعد بعض المناقشات، واجهته مجدداً. نشرتُ نسخة كبيرة من الشكل 1 أ وسألتُه عما إذا كان قد رأى هذا الموقع.

أجاب: نعم، بالطبع!

سألتُ: لماذا لم ترَ الأبراج الأربعة؟

أجاب: انتظر، سأتأكد.

أغمض برايس عينيه، ووضع نظارته (فهو "يرى" بشكل أفضل بهذه الطريقة) وأجاب في غضون ثوانٍ: "لم أرها لأنها لم تعد موجودة الآن". وبما أن بياناتي كانت قديمة بثلاثة أو أربعة أشهر، لم يكن هناك رد على الاتهام الضمني بأن بياناتي لم تكن جيدة. تابعنا العمل وأكملنا حزمة بيانات ضخمة.

بعد بضعة أسابيع، فُحص أحدث استطلاع للموقع. كان برجان من الأبراج مفككين جزئياً، لكن الأربعة كانت مرئية بشكل أساسي. وبصفة عامة، كانت معظم بيانات برايس خاطئة أو لا يمكن تقييمها. ومع ذلك، قدم بعض الأوصاف المذهلة، مثل المباني التي كانت قيد الإنشاء آنذاك، وأجزاء الخزانات الكروية، والرافعة في الشكل 1 ب. اتفق محللان، أحدهما مفسر صور في قسم الخدمات التطبيقية والآخر محلل نووي في مختبرات لوس ألاموس العلمية، على أن وصف برايس للرافعة كان دقيقاً؛ وكتب المحلل النووي أنه "إما أن يكون الشخص قد رآها بالفعل عبر الاستشعار عن بعد، أو أنه أُخبر بما يرسمه من قبل شخص مطلع على الموقع". ولكن، مرة أخرى، وبسبب كثرة المعلومات السيئة المختلطة بالجيدة، لم تُعتبر النتيجة الإجمالية مفيدة. وكدليل على الاستشعار عن بعد، فإن البيانات هي في أحسن الأحوال غير حاسمة. وخلص ضباط مكتب البحث والتطوير إلى أنه بما أنه لم تكن هناك تجارب مضبوطة للمقارنة، فإن البيانات لم تكن سوى تخمين محظوظ.

بدأتُ أشك في موضوعيتي الخاصة في تقييم أهمية القدرات الخارقة في جمع المعلومات الاستخباراتية. كان من الواضح أن المتعاقدين من معهد أبحاث ستانفورد يزعمون النجاح، بينما كان مستشارو مكتب البحث والتطوير يقولون إن التجارب لا معنى لها بسبب سوء التصميم التجريبي. وكتحقق من نفسي، طلبتُ نقداً للتحقيق من مستشار محايد، وهو عالم فيزياء نظرية ذو خلفية فكرية واسعة. كانت مهمته الأولى هي تقييم ميدان علم النفس الخارق دون معرفة ببيانات وكالة الاستخبارات المركزية. بعد أن أكمل هذا النقد، طلبتُ منه الاطلاع على بيانات وكالة الاستخبارات المركزية، ثم إعادة تقييم الميدان. أثار التحقيق الأول اهتماماً حقيقياً بالأداء الخارق كمنطقة بحث صالحة. وبعد الاطلاع على بيانات الوكالة، كان استنتاجه هو: "تشير مجموعة كبيرة من الأدلة التجريبية الموثوقة إلى الاستنتاج الذي لا مفر منه بأن الإدراك فوق الحواس موجود كظاهرة حقيقية، وإن كانت تتسم بالندرة وقلة الموثوقية". وقد أعطى هذا الحكم من عالم كفء دافعاً لمواصلة الاستقصاء الجاد في علم النفس الخارق.

التحدي العملياتي النهائي

بسبب الشكوك العامة والنتائج المتباينة للتجارب العملياتية المختلفة، صدر تحدٍ نهائي من إدارة مكتب الخدمات الفنية: مكتب الخدمات الفنية ليس في مجال البحث؛ فلتفعلوا شيئاً ذا أهمية عملياتية حقيقية. وقع الاختيار على برايس، وطُلَبَت اقتراحات من الأفراد العملياتيين في كل من مكتب الخدمات الفنية ومديرية العمليات. واختيرت فكرة مثيرة للاهتمام من أنظمة جمع المعلومات السمعية. واقتُرح إجراء اختبار لتحديد ما إذا كان الاستشعار عن بعد يمكن أن يساعد. كانت التصاميم الداخلية لسفارتين أجنبيتين معروفة لفرق الأنظمة السمعية التي دخلتهما قبل عدة سنوات. كان على برايس أن "يزور" هاتين السفارتين بقدرته على الاستشعار عن بعد، ويحدد موقع غرف التشفير، ويأتي بمعلومات قد تسمح لعضو فريق الأنظمة السمعية بتحديد ما إذا كان من المحتمل أن يكون برايس ذا فائدة عملياتية في العمليات اللاحقة. وقد مُنح برايس بيانات مقبولة عملياتياً مثل الصور الخارجية والإحداثيات الجغرافية للسفارتين.

في كلتا الحالتين، حدد برايس موقع غرف التشفير بشكل صحيح. وأنتج بيانات غزيرة، مثل موقع الأبواب الداخلية وألوان السلالم الرخامية والمدافئ، كانت دقيقة ومحددة. وكالعادة، كان الكثير أيضاً غامضاً وغير صحيح. وبغض النظر عن ذلك، خلص ضابط العمليات المعني إلى: "رأيي المدروس هو أن هذه التقنية - أياً كانت - تقدم إمكانيات عملياتية محددة".

وقف المشروع

نُوقشت هذه النتيجة داخل مكتب الخدمات الفنية ومديرية العمليات، وتمت صياغة مقترحات مختلفة للأنشطة المتابعة المحتملة. نُوقشت حزمة المتطلبات هذه، بالإضافة إلى النتائج النهائية للعقد الجاري، في عدة اجتماعات داخل مكتب الخدمات الفنية ومكتب البحث والتطوير. وكانت نتائج تلك الاجتماعات كما يلي:

- وفقاً لضباط مشروع مكتب البحث والتطوير، لم يكن البحث مثمراً أو حتى كفؤاً؛ ولذلك، أُسقط الدعم البحثي المقدم لمعهد أبحاث ستانفورد.
- شعر مدير مكتب الخدمات الفنية بأن ميثاق المكتب لن يدعم البحث؛ ولذلك، توقف جميع تمويل الوكالة للأبحاث الخارقة.
- بسبب النتائج المتباينة، اعتُبرت المنفعة العملياتية للقدرة موضع تساؤل ولكنها تستحق المزيد من الاختبار.
- لتحقيق أمن أفضل، أُوقفت جميع الاختبارات الموجهة نحو العمليات مع المتعاقد، وبدأ عقد خدمات شخصية مع برايس.
- بما أنني حُكم عليّ بأنني مؤيد متحيز بشكل إيجابي للأداء الخارق، فقد تقرر نقل اختبار وتقييم برايس إلى طبيب نفسي عملي وأكثر واقعية في مكتب الخدمات الفنية.

الوفاة ووقف البرنامج

تولى طبيب النفس في مكتب الخدمات الفنية مسؤولياته الجديدة واختار إكمال متطلب غير منتهٍ لمديرية العمليات. يعود أصل هذا المتطلب إلى خريف عام 1974 عندما أصبح عدة مهندسين في مكتب الخدمات الفنية على دراية بمشروع علم النفس الخارق وتطوعوا لمحاولة الاستشعار عن بعد. لقد اجتازوا الاختبارات الأولية في معهد أبحاث ستانفورد ببعض النجاحات الظاهرة. لاختبار هؤلاء المطلعين من مكتب الخدمات الفنية بشكل إضافي، اخترتُ متطلباً مقترحاً للحصول على معلومات حول موقع ليبي وُصف فقط بإحداثياته الجغرافية. وصف مهندسو مكتب الخدمات الفنية إنشاءات جديدة قد تكون موقع تدريب على صواريخ أرض-جو. تأثر ضابط الشؤون الليبية على الفور. ثم كشف لي أن عميلاً سرياً كان قد أبلغ أساساً عن القصة نفسها. سُلمت إحداثيات إضافية بسرعة ولكنني وضعتها جانباً.

مرر طبيب النفس في مكتب الخدمات الفنية المجموعة الثانية من الإحداثيات الجغرافية الليبية إلى برايس. وسرعان ما عاد تقرير يصف موقع تدريب حرب عصابات، وتضمن رسماً شبيهاً بالخريطة للمجمع. كما وصف برايس موقع منشأة تدريب ذات صلة على التخريب تحت الماء تبعد عدة مئات من الكيلومترات على ساحل البحر. مُررت هذه المعلومات إلى ضابط الشؤون الليبية. قُيمت بعض البيانات على الفور، ولم يُقَيَّم البعض الآخر إلا بعد طلب استطلاع خاص. كان وصف منشأة التدريب على التخريب تحت الماء مشابهاً لتقرير عميل آخر. سرعان ما رفع ضابط الشؤون الليبية مستوى المتطلب إلى ما كان يدور داخل تلك المباني، والخطط والنوايا، وما إلى ذلك. مُررت قائمة المتطلبات الثانية إلى بات برايس. توفي برايس بنوبة قلبية بعد أيام قليلة، وتوقف البرنامج. لم تُجرَ أية اختبارات أخرى لجمع المعلومات الاستخباراتية برعاية وكالة الاستخبارات المركزية.

الخاتمة

ظل الاهتمام بعلم النفس الخارق من قبل وكالة الاستخبارات المركزية والمجتمع الاستخباراتي متواضعاً منذ تموز (يوليو) عام 1975.

أما عن سؤال: لماذا تظل الظاهرة مثيرة للجدل وتتلقى القليل جداً من الدعم الحكومي الرسمي؟

يحدث هذا الوضع بسبب الفهم الأولي لعلم النفس الخارق وبسبب خصوصيات منظمات الاستخبارات والجيش التي حاولت إجراء التقييمات.

- لا يوجد فهم أساسي لآليات الأداء الخارق، وإمكانية التكرار تظل ضعيفة. لقد نجحت الأبحاث والتجارب في إثبات وجود القدرات، لكنها لم تفسرها أو تجعلها قابلة للتكرار.
- يأتي الدعم الماضي والحالي لعلم النفس الخارق من وكالات استخباراتية وعسكرية توجّهها التطبيقات؛ والأشخاص الذين يديرون هذه الوكالات يطالبون بنتائج سريعة وذات صلة.
- لذلك، تضغط وكالات الاستخبارات والجيش من أجل الحصول على النتائج قبل أن تكون هناك إمكانية كافية للتكرار التجريبي أو فهم للآليات المادية.

ما لم يحدث اختراق كبير في الفهم، فمن غير المرجح أن يتغير الوضع طالما أن الوكالات التي تركز على التطبيقات هي التي تمول علم النفس الخارق. يجب على الوكالات تخصيص أموال للبحث الأساسي طويل الأجل والتعوّد على قصر الاهتمام على اختبار القدرات التي تبدو على الأقل قابلة للتكرار بما يكفي لاستخدامها كعامل مساعد لتقنيات جمع المعلومات الأخرى الموثوقة (مثال: استخدام علم النفس الخارق للمساعدة في استهداف تقنيات جمع المعلومات الاستخباراتية الموثوقة وتحديد ما إذا كانت الغلة تزيد نتيجة لذلك). حينئذ، يمكن لعلم النفس الخارق، شأنه شأن القضايا الفنية الأخرى، أن ينجح أو يسقط بناءً على جدارته، بدلاً من أن يتعثر بسبب الميثاقات البيروقراطية والتخمينات التي يقترحها أفراد يميلون بشكل لا رجعة فيه إلى أحد جانبي هذا المجال المثير للجدل.

ثامناً: حُكم على الأهداف بشكل مستقل من قبل شخص استخدم نتائج "الرؤية عن بعد" لاختيار التطابق الأفضل لخمسة مواقع مستهدفة محتملة. يعني التطابق في المرتبة الأولى وجود معلومات مفصلة بما فيه الكفاية تسمح باختيار الهدف الفعلي من بين مجموعة تحتوي على الهدف وأربعة مواقع ضبط (أماكن مقارنة).

تاسعاً: إجراءات مصممة لحماية المعلومات المتعلقة بالخطط والعمليات (الماضية والحاضرة والمستقبلية) من الكشف غير المصرح به.

عاشراً: شعر الكثيرون، ولا يزالون يشعرون، أن السرية الصارمة كانت لحماية المشاركين من السخرية والتهكم. ولكن لو كانت هذه هي الحقيقة، لما تمت الموافقة على المشروع في المقام الأول. وعلق البعض لاحقاً على الخوف من "جائزة الصوف الذهبي" المقدمة من السيناتور بروكسماير، ولكن ذلك كان بعد فترة طويلة من إثبات المشروع لجدارته تحت الاختبار.

حادي عشر: كان روبرت مونرو يفضل دائماً المختصرات وكان يميل قليلاً إلى التباهي والتفخيم. كان هذا الجانب يمثل فيه شخصية المستعرض (محب الظهور).

ثاني عشر: ظهرت مقتطفات وأجزاء من هذا المقترح الأصلي فيما يُسمى "دليل تدريب الرؤية الموجهة عن بعد"، والذي يمكن العثور عليه الآن معروضاً على شبكة المعلومات العالمية. بالطبع، استُخدم خارج سياقه ويغفل الاقتراح الكامل لاستخدام معايير اختيار واختبار لتحديد الأشخاص ذوي القدرة على "الرؤية عن بعد" قبل تعريضهم لأي شكل من أشكال التدريب.

ثالث عشر: هناك قدر كبير من التفاصيل حول هذه التجربة في كتابي الأول "رحلة العقل"، إن كنت تميل إلى متابعة الأمر.

رابع عشر: هذا يعني أن البيانات تحمل علامات تتفق مع علامات التوقيت على الكاميرات والساعات وأجهزة التسجيل الأخرى، بحيث يمكن مقارنة جميع البيانات بوقت محدد لاحقاً إذا لزم الأمر.

خامس عشر: يمكنك زيارة موقع معين على شبكة المعلومات العالمية لترى مثالاً لما يمكن قياسه.

سادس عشر: يمكنك زيارة موقع آخر على شبكة المعلومات العالمية لترى ما تفعله هذه الأجهزة. يوجد الآن جهاز منها في موقع ما يحتوي على مئة وثمانية وأربعين قناة.

سابع عشر: موقع إلكتروني يوضح تفاصيل أنواع معينة من الصواريخ. (لا يوجد رابط نشط). تكلفة الوحدة: النوع "ب"، مليون وحدة نقدية؛ النوع "ج"، تكلفة تحويل إضافية تبلغ مئة وستين ألف وحدة نقدية.

ثامن عشر: نرحب بأي شخص يرغب في المساهمة في الأهداف الخيرية لهذه الجمعية للتواصل معي للحصول على مزيد من المعلومات، أو الاتصال بالجمعية مباشرة.

تاسع عشر: أ. بوهاريش، "حول الفائدة المحتملة للإدراك فوق الحواس في الحرب النفسية"، خطاب أُلقي في مؤتمر في موقع عسكري حكومي عام 1952، نُشر في صحيفة كبرى بتاريخ 7 آب (أغسطس) 1977.

عشرون: س. أ. أبرامز، "الإدراك فوق الحواس"، مسودة تقرير، 14 كانون الأول (ديسمبر) 1965.

واحد وعشرون: هـ. إ. بوتوف، معهد أبحاث ستانفورد، رسالة إلى ك. جرين/قسم الخدمات الاستخباراتية، 27 حزيران (يونيو) 1972. عقد مكتب الخدمات الفنية رقم 8473، 1 تشرين الأول (أكتوبر) 1972 (سري).

اثنان وعشرون: رئيس/قسم الخدمات الفنية؛ مذكرة لمساعد نائب مدير العمليات؛ الموضوع: طلب الموافقة على العقد؛ 20 نيسان (أبريل) 1973 (سري).

ثلاثة وعشرون: و. إ. كولبي؛ مديرية العمليات؛ مذكرة لمدير الاستخبارات المركزية؛ الموضوع: طلب الموافقة على العقد؛ 4 أيار (مايو) 1973 (سري).

أربعة وعشرون: ك. جرين؛ قسم الخدمات الاستخباراتية/مديرية الأمن الداخلي؛ مذكرة للسجل؛ الموضوع: التحقق من تجارب الرؤية عن بعد في معهد أبحاث ستانفورد؛ 9 تشرين الثاني (نوفمبر) 1973 (سري).

خمسة وعشرون: عقد مكتب الخدمات الفنية، رقم 4125-4099، وعقد مكتب البحث والتطوير، رقم 4162-8103؛ 1 شباط (فبراير) 1974 (سري).

ستة وعشرون: ل. و. روك؛ قسم الخدمات الاستخباراتية/مكتب البحث والتطوير؛ مذكرة لمكتب الخدمات الفنية/شعبة المتابعة؛ الموضوع: دليل على عدم عشوائية مولد المحفزات العشوائية الإلكتروني رباعي الحالات؛ 12 حزيران (يونيو) 1975 (سري).

سبعة وعشرون: س. ل. سيانسي؛ قسم الخدمات الاستخباراتية/مكتب البحث والتطوير؛ مذكرة لمكتب الخدمات الفنية/شعبة المتابعة؛ الموضوع: الرد على النقد المطلوب، نتائج مولد المحفزات العشوائية لمعهد أبحاث ستانفورد؛ 12 حزيران (يونيو) 1975 (سري).

ثمانية وعشرون: ج. بورو؛ مكتب خدمات الحواسيب المشتركة/الإدارة العامة/شعبة التخطيط؛ مذكرة للدكتور كريس؛ الموضوع: تحليل العلاقة بين الشخص والآلة؛ 8 تشرين الأول (أكتوبر) 1975 (سري).

تسعة وعشرون: و. ت. ستراند؛ رئيس/قسم الخدمات الخارجية/أقسام الخدمات التطبيقية؛ مذكرة لمدير مكتب الخدمات الفنية؛ الموضوع: تقييم البيانات حول منشأة البحث والتطوير غير المحددة رقم 3 في سيميبالاتينسك، الاتحاد السوفييتي؛ 20 آب (أغسطس) 1974 (سري).

ثلاثون: د. ستيلمان؛ مختبر لوس ألاموس العلمي؛ "تحليل تجربة رؤية عن بعد لمنشأة البحث والتطوير غير المحددة 2"؛ 4 كانون الأول (ديسمبر) 1975 (سري).

واحد وثلاثون: ج. أ. بول؛ "نظرة عامة على الإدراك فوق الحواس"؛ تقرير لوكالة الاستخبارات المركزية، 27 كانون الثاني (يناير) 1975.

اثنان وثلاثون: قسم الدعم العملياتي/مكتب الخدمات الفنية؛ مذكرة للسجل؛ الموضوع: علم النفس الخارق/"الرؤية عن بعد"؛ 20 نيسان (أبريل) 1976 (سري).

ثلاثة وثلاثون: رئيس/القسم "د"/مديرية العمليات؛ مذكرة للقيادة والتخطيط والدعم؛ الموضوع: تقنيات تعزيز الإدراك؛ 24 كانون الثاني (يناير) 1975 (سري)؛ مساعد رئيس/القسم "هـ"/مديرية العمليات؛ مذكرة للقيادة والتخطيط والدعم؛ الموضوع: اختبار تعزيز الإدراك؛ 14 كانون الثاني (يناير) 1975 (سري)؛ رئيس/قسم الشؤون الأوروبية/مديرية العمليات؛ مذكرة لمدير الخدمة الفنية؛ الموضوع: استكشاف الإمكانات العملياتية لـ "الأشخاص ذوي القدرات الخارقة"؛ 5 شباط (فبراير) 1975 (سري)؛ رئيس/الشؤون الليبية/قسم التواصل الخارجي/الشرق الأوسط/مديرية العمليات؛ مذكرة لمكتب الخدمات الفنية/شعبة المتابعة؛ الموضوع: متطلب الشؤون الليبية لإجراء تجارب نفسية خارقة تتعلق بليبيا؛ 31 كانون الثاني (يناير) 1975 (سري)؛ موظفو/الاستخبارات المضادة/مديرية العمليات؛ مذكرة للسجل؛ الموضوع: تجربة معهد أبحاث ستانفورد؛ 12 كانون الأول (ديسمبر) 1974 (سري).

أربعة وثلاثون: مكتب الخدمات الفنية/قسم دعم العمليات؛ ملاحظات حول مقابلات مع ف. ب.، وإ. ل.، وس. ج.، وك. ج.، وف. س.، كانون الثاني (يناير) 1975 (سري).

خمسة وثلاثون: مديرية العمليات/قسم الشرق الأوسط؛ مذكرة لمكتب الخدمات الفنية/شعبة التطوير والدعم؛ الموضوع: نشاط جمع معلومات تجريبي يتعلق بليبيا؛ 8 تشرين الأول (أكتوبر) 1975 (سري).

ستة وثلاثون: ت. هاملتون؛ قسم الخدمات الاستخباراتية/مديرية الأمن الداخلي؛ "أبحاث علم النفس الخارق السوفييتية وأوروبا الشرقية"، رقم 77-10012، نيسان (أبريل) 1977 (سري/غير مخصص للتوزيع الأجنبي).

سبعة وثلاثون: المراجع العلمية والإعلامية التي أدت إلى انفجار الاهتمام العام، وتشمل منشورات علمية في مجلات مثل "الطبيعة" و"إجراءات معهد المهندسين الكهربائيين والإلكترونيين"، وكتب، وندوات لمؤتمرات كبرى، وتقارير إخبارية وطنية.

ثمانية وثلاثون: ج. أوليري، "تيرنر ينفي قيام وكالة الاستخبارات المركزية بزرع أجهزة تنصت في مقر بارك الكوري الجنوبي"، صحيفة واشنطن ستار، 9 آب (أغسطس) 1977.

تسعة وثلاثون: كان ويليام برود في ذلك الوقت أستاذاً مشاركاً لعلم النفس في جامعة هيوستن، في ولاية تكساس.